الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الثالث والعشرون

[سورة الكهف، الآية: ٢٢]- [سورة طه، الآية: ٦٦]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولي(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢)} [الكهف : ٢٢]

التفسير:

سيقول بعض الخائضين في شأنهم من أهل الكتاب: هم ثلاثةٌ، رابعهم كلبهم، ويقول فريق آخر: هم خمسة، سادسهم كلبهم، وكلام الفريقين قول بالظن من غير دليل، وتقول جماعة ثالثة: هم سبعة، وثامنهم كلبهم، قل -أيها الرسول-: ربي هو الأعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقه. فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جدالا ظاهرًا لا عمق فيه، بأن تَقُصَّ عليهم ما أخبرك به الوحي فحسب، ولا تسألهم عن عددهم وأحوالهم؛ فإنهم لا يعلمون ذلك.

قوله تعالى:{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ} [الكهف : ٢٢]، أي:" سيقول بعض الخائضين في شأنهم من أهل الكتاب: هم ثلاثةٌ، رابعهم كلبهم"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: سيقول بعض الخائضين في أمر الفتية من أصحاب الكهف، هم ثلاثة رابعهم كلبهم"[٢].

عن السدي قوله: "{سيقولون ثلاثة}، قال: اليهود"[٣].

وقال مقاتل:" يعني: نصارى نجران "[٤].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ} [الكهف : ٢٢]، أي:" ويقول فريق آخر: هم خمسة، سادسهم كلبهم"[٥].

قال الطبري:" ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم"[٦].

عن السدي قوله: "{ويقولون خمسة}، قال: النصارى"[٧].

قوله تعالى:{رَجْمًا بِالْغَيْبِ} [الكهف : ٢٢]، أي:" وكلام الفريقين قول بالظن من غير دليل"[٨].

وقال مقاتل:" يعني: قذفا بالظن لا يستيقنونه"[٩].

قال الطبري:" يقول: قذفا بالظنّ غير يقين علم، كما قال الشاعر[١٠]:

وأجْعَلُ مِنِّي الحَقَّ غَيْبا مُرَجَّمَا"[١١].

قال أبو عبيدة:" «الرجم»: ما لم تستيقنه، وقال[١٢]: ظن مرجّم لا يدرى أحق هو أم باطل، قال زهير[١٣]:

وما الجرب إلّا ما رأيتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجّم"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٢) تفسير الطبري:٦٤١/١٧.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٥٢):ص٢٣٥٤/٧.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٠/٢.
(٥) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٦) تفسير الطبري:٦٤١/١٧.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٥٢):ص٢٣٥٤/٧.
(٨) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٠/٢.
(١٠)لم أقف على قائله. وهو شاهد على أن معنى الرجم معناه: القول بالظن على غير يقين علم.
(١١) تفسير الطبري:٦٤١/١٧.
(١٢) قال المحقق: «وقال» : لا أدرى من هو القائل.
(١٣)من معلقته فى ديوانه ١٧ وشرح العشر ٦٠ والأساس (رجم) والقرطبي ١٠/ ٣٨٣ والخزانة ٣/ ٤٣٥.
(١٤) مجاز القرآن:٣٩٨/١.

قال ابن كثير:" ضَعَّف القولين الأولين بقوله:{ رَجْمًا بِالْغَيْبِ } أي : قولا بلا علم ، كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه ، فإنه لا يكاد يصيب ، وإن أصاب فبلا قصد"(١).

عن قتادة:"{رَجْمًا بِالْغَيْبِ} : أي: قذفا بالظنّ"(٢).

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} [الكهف : ٢٢]، أي:" وتقول جماعة ثالثة: هم سبعة، وثامنهم كلبهم"(٣).

قال الطبري:" يقول: ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم"(٤).

قال ابن كثير:" ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله : { وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ } فدل على صحته ، وأنه هو الواقع في نفس الأمر "(٥).

قوله تعالى:{قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ} [الكهف : ٢٢]، أي:" قل -أيها الرسول-: ربي هو الأعلم بعددهم"(٦).

قال الطبري:" يقول عزّ ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لقائلي هذه الأقوال في عدد الفتية من أصحاب الكهف رجما منهم بالغيب: {رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم}"(٧).

قوله تعالى:{مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ} [الكهف : ٢٢]، أي:" ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقه"(٨).

قال الطبري:" يقول: ما يعلم عددهم {إلا قَلِيلٌ} من خلقه"(٩).

قال قتادة:" يقول: قليل من الناس"(١٠).

وفي قوله تعالى:{مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ} [الكهف : ٢٢]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهم أهل المدينة قبل الظهور عليهم. حكاه الماوردي(١١).

الثاني : أنهم قليل من النسطورية وهم حزب من النصارى. قاله مقاتل(١٢).

الثالث: أنهم أهل الكتاب بعد طول العهد بهم. وهذا قول ابن عباس(١٣).

وقال ابن عباس:" أنا ممن استثناه الله، ويقول: عدتهم سبعة"(١٤).

وقال ابن عباس:" أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم"(١٥).

وقال ابن مسعود:" أنا من القليل، كانوا سبعة"(١٦).

وقال ابن جريج ومحمد بن إسحاق : "كانوا ثمانية ، وجعلا قوله تعالى : {وثامنهم كلبهم}، أي: صاحب كلبهم"(١٧).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٤٧/٥.
(٢) اخرجه الطبري:٦٤١/١٧.
(٣) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٤) تفسير الطبري:٦٤١/١٧.
(٥) تفسير ابن كثير:١٤٧/٥.
(٦) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٧) تفسير الطبري:٦٤١/١٧.
(٨) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٩) تفسير الطبري:٦٤١/١٧.
(١٠) أخرجه الطبري:٦٤٢/١٧.
(١١) انظر: النكت والعيون:٢٩٧/٣.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٠/٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٦٤٢/١٧.
(١٤) أخرجه الطبري:٦٤٢/١٧.
(١٥) أخرجه الطبري:٦٤٢/١٧.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٥٤):ص٢٣٥٤/٧.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٢٩٧/٣.

قال الماوردي :"وكتب قومهم أسماءهم حين غابوا ، فلما بان أمرهم كتبت أسماؤهم على باب الكهف . قال ابن جريج : «أسماؤهم: مكسلمينا، ويمليخا: وهو الذي مضى بالورق يشتري به الطعام، ومطرونس، ومحسيميلنينا، وكشوطوش، وبطلنوس، ويوطونس، وبيرونس»"(١).

قال مقاتل : وكان الكلب لمكسلمينا، وكان راعي غنم، فبسط الكلب ذراعيه على باب الكهف ليحرسهم وأنام الله- عز وجل- الكلب في تلك السنين كما أنام الفتية"(٢).

قوله تعالى:{فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} [الكهف : ٢٢]، أي:" فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جدالا ظاهرًا لا عمق فيه، بأن تَقُصَّ عليهم ما أخبرك به الوحي فحسب"(٣).

قال ابن زيد:" قال: لا تمار في عدتهم"(٤).

قال الطبري:" يقول عز ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلا تمار يا محمد: يقول: لا تجادل أهل الكتاب فيهم، يعني في عدة أهل الكهف، وحُذِفت العِدّة اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة السامعين بالمراد"(٥).

وفي قوله تعالى:{فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} [الكهف : ٢٢]، وجوه:

أحدها : إلا ما قد أظهرنا لك من أمرهم ، قاله مجاهد(٦).

الثاني : حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم، فلا تمار فيهم. قاله ابن عباس(٧)، وقتادة(٨)، والضحاك(٩).

قال مقاتل:" عني لا تمار يا محمد النصارى في أمر الفتية {إلا مراء ظاهرا}، يعني: حقا بما في القرآن، يقول- سبحانه- حسبك بما قصصنا عليك من أمرهم"(١٠).

الثالث : إلا مِراء ظاهراً يعني بحجة واضحة وخبر صادق ، قاله علي بن عيسى(١١).

الرابع : لا تجادل فيهم أحداً ألا أن تحدثهم به حديثاً ، قاله ابن عباس(١٢).

الخامس :أن المِراء الظاهر هو أن يقول ليس كما تقولون، ونحو هذا من القول. وهذا قول ابن زيد(١٣).

السادس: هو أن تشهد الناس عليه. حكاه الماوردي(١٤).

قوله تعالى:{وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف : ٢٢]، أي:" ولا تسألهم عن عددهم وأحوالهم؛ فإنهم لا يعلمون ذلك"(١٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولا تستفت في عدّة الفتية من أصحاب الكهف منهم، يعني من أهل الكتاب أحدا، لأنهم لا يعلمون عدتهم، وإنما يقولون فيهم رجما بالغيب، لا يقينا من القول"(١٦).

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف : ٢٢]، وجهان:

---

(١) انظر: النكت والعيون:٢٩٧/٣.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٨/٢.
(٣) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٤) أخرجه الطبري:٦٤٢/١٧.
(٥) تفسير الطبري:٦٤٢/١٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٦٤٣/١٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٦٤٣/١٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٦٤٣/١٧.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٦٤٣/١٧.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨١/٢.
(١١) انظر: النكت والعيون:٢٩٨/٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٢٩٨/٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٦٤٣/١٧.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٢٩٨/٣.
(١٥) التفسير الميسر:٢٩٦.
(١٦) تفسير الطبري:٦٤٣/١٧.

أحدهما : ولا تستفت يا محمد فيهم أحداً من أهل الكتاب ، قاله ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣].
وقتادة[٣].

قال مجاهد:" ولا تسأل يهودَ عن أمر أصحاب الكهف، إلا ما قد أخبرتك من أمرهم"[٤].
أمرهم"[٤].

عن قتادة :"{وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا}: من أهل الكتاب. كنا نحدّث أنهم كانوا بني الركنا[٥] والركنا: ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتفرّدوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على أصمختهم، فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمَّتهم وجاءت أمَّة مسلمة بعدهم، وكان ملكهم مسلما"[٦].

الثاني : أنه خطاب للنبي -ﷺ- ونهي لأمته. حكاه الماوردي[٧].

عن عطاء بن خالد، قال: "يحج عيسى إذا نزل في سبعين ألفا، فيهم أصحاب الكهف فإنهم لم يموتوا ولم يحجوا"[٨].

الفوائد:

١- بيان اختلاف أهل الكتاب وعدم ضبطهم للأحداث التاريخية.
٢- بيان عدد فتية أصحاب الكهف وأنهم سبعة وثامنهم كلبهم.

القرآن

{وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)} [الكهف : ٢٣ - ٢٤]

التفسير:

ولا تقولنَّ لشيء تعزم على فعله: إني فاعل ذلك الشيء غدًا إلا أن تُعَلِّق قولك بالمشيئة، فتقول: إن شاء الله. واذكر ربك عند النسيان بقول: إن شاء الله، وكلما نسيت فاذكر الله؛ فإن ذِكْرَ الله يُذهِب النسيان، وقل: عسى أن يهديني ربي لأقرب الطرق الموصلة إلى الهدى والرشاد.

قوله تعالى:{وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}[الكهف : ٢٣ - ٢٤]، أي:" ولا تقولنَّ لشيء تعزم على فعله: إني فاعل ذلك الشيء غدًا إلا أن تُعَلِّق قولك بالمشيئة، فتقول: إن شاء الله"[٩].

قال يحيى بن سلام:" يقول: إلا أن تستثني، بلغنا أن اليهود لما سألت رسول الله ﷺ عن أصحاب الكهف قال لهم رسول الله: «أخبركم عنهم غدا» ، فلم يستثن، فأنزل الله هذه الآية "[١٠].

قال الفراء:" المعنى: لا تقولن لشيء: إني فاعل ذلك غدا إلا بالاستثناء: إلا أن تقول: إن شاء الله"[١١].

قال الطبري:" وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه ﷺ عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله،

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٦٤٣/١٧-٦٤٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٦٤٤/١٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٦٤٤/١٧.
(٤) أخرجه الطبري:٦٤٤/١٧.
(٥)الركنا: كذا بالقصر، ولعله أصله الركنا بالمد، جمع ركين، وهو من الرجال: الوقور الرزين أو القوي بعشيرته وكثرتها.
(٦) أخرجه الطبري:٦٤٤/١٧.
(٧) انظر: النكت والعيون:٢٩٨/٣.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٧/٢.
(٩) التفسير الميسر:٢٩٦.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:١٧٨/١-١٧٩.
(١١) معاني القرآن:٤٧٢/١.

وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتي قد ذكرناها فيما مضى اللواتي، إحداهنّ المسألة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم عنهنّ غد يومهم، ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزنه إبطاؤه، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهنّ، وعرف نبيه سبب احتباس الوحي عنه، وعلَّمه ما الذي ينبغي أن يستعمل في عداته وخبره عما يحدث من الأمور التي لم يأته من الله بها تنزيل، فقال: {وَلا تَقُولَنَّ} يا محمد {لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا} كما قلت لهؤلاء الذين سألوك عن أمر أصحاب الكهف، والمسائل التي سألوك عنها، سأخبركم عنها غدا {إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}، ومعنى الكلام: إلا أن تقول معه: إن شاء الله"[١].

وهذا وإن كان أمراً فهو على وجه التأديب والإرشاد أن لا تعزم على أمر إلا أن تقرنه بمشيئة الله تعالى لأمور[٢]:

أحدها : أن العزم ربما صد عنه بمانع فيصير في وعده مخلفاً في قوله كاذباً ، قال موسى عليه السلام : {قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} [الكهف : ٦٩]، ولم يصبر ولم يكن كاذباً لوجود الاستثناء في كلامه .

الثاني : إذعاناً لقدرة الله تعالى ، وإنه مدبر في أفعاله بمعونة الله وقدرته .

الثالث : يختص بيمينه إن حلف وهو سقوط الكفارة عنه إذا حنث .

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}[الكهف : ٢٤]، أي:" واذكر مشيئة ربك إذا فرط منك نسيان ثم تذكرت ذلك"[٣].

قال يحيى بن سلام:" إذا نسيت الاستثناء"[٤].

قال المراغي:" وهذا أمر بالتدارك حين التذكر، سواء أطال الفصل أم قصر"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}[الكهف : ٢٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنك إذا نسيت الشيء فاذكرالله ليذكرك إياه، فإن فعل فقد أراد منك ما ذكرك، وإلا فسيدلك على ما هو أرشد لك مما نسيته ، حكاه الماوردي عن بعض المتكلمين[٦].

الثاني : واذكر ربك إذا عصيت، قاله عكرمة[٧]، ليزول عنك الغضب عند ذكره[٨].

الثالث : معناه: استثن في يمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال اليمين. وهذا قول ابن عباس[٩]، والحسن[١٠]، وأبي العالية[١١].

روي عن ابن عباس، في الرجل يحلف، قال له: "أن يستثني ولو إلى سنة، وكان يقول: {واذكر ربك إذا نسيت} في ذلك"[١٢].

عن أبي العالية:"{واذكر ربك إذا نسيت}، الاستثناء، ثم ذكرت فاستثن"[١٣].

قال الزجاج:" أي: وقت ذكرت أنك لم تستثن، فاستثن، وقل: إن شاء الله"[١٤].

الرابع: واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله في يمينك[١].

---

(١) تفسير الطبري:٦٤٤/١٧-٦٤٥.
(٢) انظر: النكت والعيون:٢٩٨/٣.
(٣) تفسير المراغي:١٣٧/١٥.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:١٧٩/١.
(٥) تفسير المراغي:١٣٧/١٥.
(٦) انظر: النكت ولعيون:٢٩٩/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٦٤٥/١٧-٦٤٦.
(٨) انظر: النكت ولعيون:٢٩٩/٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٦٤٥/١٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٦٤٥/١٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٦٤٥/١٧.
(١٢) أخرجه الطبري:٦٤٥/١٧.
(١٣) أخرجه الطبري:٦٤٥/١٧.
(١٤) معاني القرآن:٢٧٨/٣.

قال الطبري: الصواب ""قول من قال: معناه: واذكر ربك إذا تركت ذكره، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك"[٢].
وفي الذكر المأمور به، قولان[٣]:
أحدهما : أنه ما ذكره في بقية الآية :{وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً}.
الثاني : أنه قول: «إن شاء الله» الذي كان نسيه عند يمينه .
واختلفوا في ثبوت الاستثناء بعد اليمين على خمسة أقوال :
أحدها : أنه يصح الاستثناء بها إلى سنة ، فيكون كالاستثناء بها مع اليمين في سقوط الكفارة ولا يصح بعد السنة ، قاله ابن عباس[٤].
وقال ابن عباس:" إذا حلف ثم قال: «إن شاء الله» فليس عليه كفارة"[٥].
عن ابن عمر، قال: قال رسول الله -ﷺ-:«إذا حلف أحدكم فقال إن شاء الله فهو بالخيار إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل»[٦].
الثاني : يصح الاستثناء بها في مجلس يمينه، ولا يصح بعد فراقه، قاله الحسن[٧]، وعطاء[٨].
الثالث : يصح الاستثناء بها ما لم يأخذ في كلام غيره[٩].
قال يحيى بن سلام:" من حلف على يمين فاستثنى قبل أن يتكلم بين اليمين وبين الاستثناء بشيء فله ثنياه، ولا كفارة عليه، وإن كان استثنى بعد ما تكلم بعد اليمين قبل الاستثناء، متى ما استثنى فالكفارة لازمة له، ويسقط عنه المأثم حيث استثنى؛ لأنه كان ركب ما نهي عنه من تركه ما أمر به من الاستثناء، أي: لا يقول: إني أفعل حتى يقول: إن شاء الله، ولا يقول: لا أفعل حتى يقول: إن شاء الله"[١٠].
الرابع : يصح الاستثناء بها مع قرب الزمان ، ولا يصح مع بعده[١١] .
الخامس : أنه لا يصح الاستثناء بها إلا متصلاً بيمينه. وهو الظاهر من مذهب مالك والشافعي رحمهما الله[١٢].
قال إبراهيم:" ليس الاستثناء بشيء حتى تجهر به كما تجهر باليمين"[١٣]. قال يحيى: "يعني: أن استثناءه في قلبه ليس بشيء حتى يتكلم به لسانه"[١٤].
قال الحسن:" من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير، وليكفر يمينه، الإطلاق أو عتاق"[١٥].
قوله تعالى:{وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا} [الكهف : ٢٤]، أي:" وقل: عسى أن يهديني ربي لأقرب الطرق الموصلة إلى الهدى والرشاد"[١٦].

---

(١) انظر: النكت ولعيون:٢٩٩/٣.
(٢) تفسير الطبري:٦٤٦/١٧.
(٣) انظر: النكت ولعيون:٢٩٩/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٦٤٥/١٧.
(٥) أخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١٧٩/١.
(٦)أخرجه أحمد (١٢٦/٢، رقم ٦٠٨٧).
والحديث أصله عند النسائي بطرف: "من حلف على يمين فقال إن شاء الله".
(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٧٩/١، والماوردي في النكت والعيون:٢٩٩/٣.
(٨) انظر: النكت والعيون:٢٩٩/٣.
(٩) انظر: النكت ولعيون:٢٩٩/٣.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:١٧٩/١.
(١١) انظر: النكت ولعيون:٢٩٩/٣.
(١٢) انظر: النكت ولعيون:٢٩٩/٣.
(١٣) اخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١٧٩/١-١٨٠.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:١٨٠/١.
(١٥) اخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١٨٠/١.
(١٦) التفسير الميسر:٢٩٦.

قال الزجاج:" أي: قل عسى أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف"[١].

الفوائد:

١- من الأدب مع الله تعالى أن لا يقول العبد سأفعل كذا مستقبلا إلا قال بعدها إن شاء الله.
٢- من الأدب من نسي الاستثناء أن يستثني ولو بعد حين فإن حلف لا ينفعه الاستثناء إلا إذا كان متصلا بكلامه.

القرآن

{وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)} [الكهف : ٢٥]

التفسير:

ومكث الشُّبَّان نيامًا في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمريَّة.

سبب النزول:

قال الضحاك بن مزاحم: "نزلت هذه الآية : {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ}[٢]، فقالوا: أياما أو أشهرا أو سنين؟ فأنزل الله: {ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا}[٣]"[٤].

قال ابن قتيبة:" ولم يقل: «سنة». كأنه قال: ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة. ثم قال: «سنين»، أي: ليست شهورا ولا أياما. ولم يخرج مخرج: ثلاثمائة درهم"[٥].

وفي قراءة ابن مسعود :«قالوا لبثوا في كهفهم»[٦]. وفيه قولان :

أحدهما : أن هذا قول اليهود، وقيل بل نصارى نجران أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ، فرد الله تعالى عليهم قولهم وقال لنبيه :{قل الله أعلم بما لبثوا}، ولو كانوا لبثوا ذلك لما قال: {قل الله أعلم بما لبثوا}. وهذا قول ابن عباس[٧]، وقتادة[٨]، ومطر الوراق[٩].

عن قتادة قوله :"{ولبثوا في كهفهم}، قال: في حرف ابن مسعود: «وقالوا: ولبثوا»، يعني: أنه قال الناس، ألا ترى أنه قال: {قل الله أعلم بما لبثوا}"[١٠].

قال مطر الوراق:" إنما هو شيء قالته اليهود، فرده الله عليهم وقال: {قل الله أعلم بما لبثوا}"[١١].

والقول الثاني : أن هذا إخبار من الله تعالى بهذا العدد عن مدة بقائهم في الكهف من حين دخلوه إلى ما ماتوا فيه. قاله عبيد بن عمير[١٢]، ومجاهد[١٣]، والضحاك[١٤]، وابن زيد[١٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره: ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقودا إلى أن بعثهم الله، ليتساءلوا بينهم، وإلى أن أعثر عليهم من أعثر، ثلاث مئة سنين وتسع سنين، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه، وأما الذي ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ «وقالوا: ولبثوا في كهفهم »، وقول من قال ذلك من قول أهل الكتاب، وقد رد

---

(١) معاني القرآن:٢٧٨/٣.
(٢)[الكهف : ٢٥].
(٣)[الكهف : ٢٥].
(٤) أخرجه الطبري:٦٤٨/١٧، وانظر: تفسير القرطبي ٣٨٧/١٠ والدر المنثور ٢١٨/٤.
(٥) غريب القرآن:٢٦٦.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٦٤٧/١٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٦٤٧/١٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٦٤٧/١٧.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٦٤٧/١٧-٦٤٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٦٤٧/١٧.
(١١) أخرجه الطبري:٦٤٧/١٧-٦٤٨.
(١٢)انظر: تفسير الطبري:٦٤٨/١٧ .
(١٣)انظر: تفسير الطبري:٦٤٨/١٧ .
(١٤)انظر: تفسير الطبري:٦٤٨/١٧ .
(١٥)انظر: زاد المسير:٧٨/٣ .

الله ذلك عليهم، فإن معناه في ذلك: إن شاء الله كان أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله ﷺ أن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا ثلاث مئة سنين وتسع سنين، فرد الله ذلك عليهم، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف من لدن أووا إليه أن بعثهم ليتساءلوا بينهم، ثم قال جل ثناؤه لنبيه ﷺ: قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم، من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم بذلك غير الله، وغير من أعلمه الله ذلك.

فإن قال قائل: وما يدل على أن ذلك كذلك؟ قيل: الدال على ذلك أنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عن قدر لبثهم في كهفهم ابتداء، فقال: {ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا} ولم يضع دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان، لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره، وإذا جاز ذلك في أخباره جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره، وذلك قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فساده.

فإن ظن ظان أن قوله: {قل الله أعلم بما لبثوا} دليل على أن قوله: {ولبثوا في كهفهم} خبر منه عن قوم قالوه، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره، فأما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه: قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة، وما أشبه ذلك من المعاني فغير واجب أن يكون ذلك دليلا على أن قوله: {ولبثوا في كهفهم} خبر من الله عن قوم قالوه، وإذا لم يكن دليلا على ذلك، ولم يأت خبر بأن قوله: {ولبثوا في كهفهم} خبر من الله عن قوم قالوه، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها، صح ما قلنا، وفسد ما خالفه"[١].

وقرأ حمزة والكسائي :«ثلاث مائة سنين»، بغير تنوين، والباقون بالتنوين[٢].

القرآن

{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)} [الكهف : ٢٦]

التفسير:

وإذا سُئلت -أيها الرسول- عن مدة لبثهم في الكهف، وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله، فلا تتقدم فيه بشيء، بل قل: الله أعلم بمدة لبثهم، له غيب السموات والأرض، أَبْصِرْ به وأسمع، أي: تعجب من كمال بصره وسمعه وإحاطته بكل شيء. ليس للخلق أحد غيره يتولى أمورهم، وليس له شريك في حكمه وقضائه وتشريعه، سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} [الكهف : ٢٦]، أي:قل: " الله أعلم بمدة لبثهم في الكهف على وجه اليقين"[٣].

وفي قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} [الكهف : ٢٦]، وجهان[٤]:

أحدهما : بما لبثوا بعد مدتهم إلى نزول القرآن فيهم .

الثاني : الله أعلم بما لبثوا في الكهف وهي المدة التي ذكرها عن اليهود إذ ذكروا زيادة ونقصاناً.

قوله تعالى:{لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الكهف : ٢٦]، أي:" ولله علم ما غاب في السماوات والأرض، وخفى من أحوال أهلهما، لا يعزب عنه علم شيء منه"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لله علم غيب السماوات والأرض، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يخفى عليه شيء، يقول: فسلموا له علم مبلغ ما لبثت الفتية في الكهف إلى يومكم

---

(١) تفسير الطبري:٦٤٨/١٧-٦٤٩.
(٢) انظر: التيسير في القراءات السبع:١٤٣.
(٣) صفوة التفاسير:١٧٢/٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:٣٠٠/٣.
(٥) تفسير المراغي:١٣٩/١٥.

هذا، فإن ذلك لا يعلمه سوى الذي يعلم غيب السماوات والأرض، وليس ذلك إلا الله الواحد القهار"[1].

قوله تعالى:{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ} [الكهف : ٢٦]، أي:" تعجب من كمال بصره وسمعه وإحاطته بكل شيء"[2].

قال الطبري:" تأويل الكلام: ما أبصر الله لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء"[3].

قال قتادة:" فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع، تبارك وتعالى!"[4].

قال ابن زيد:" يرى أعمالهم، ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا"[5].

قوله تعالى:{مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ} [الكهف : ٢٦]، أي:" ليس للخلق أحد غيره يتولى أمورهم"[6].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: ما لخلقه دون ربهم الذي خلقهم ولي، يلي أمرهم وتدبيرهم، وصرفهم فيما هم فيه مصرفون"[7].

قوله تعالى:{وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف : ٢٦]، أي:" وليس له شريك في حكمه وقضائه وتشريعه، سبحانه وتعالى"[8].

قال الطبري:" يقول: ولا يجعل الله في قضائه، وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكا، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم، وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحب"[9].

فوائد الآيتين:[٢٥-٢٦]:

١- تقرير المدة التي لبثها الفتية في كهفهم وهي ثلاث مائة وتسع سنين بالحساب القمري.
٢- رد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه. ومن تكلم بغير علم فإنما يتبع هواه، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يرد علم ما لم يعلم إليه[10]، فقال تعالى: {قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض}، {قل ربي أعلم بعدتهم}، وقد «قال ﷺ، لما سئل عن أطفال المشركين: "الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم»[11].
٣- عِظَم سمع الله وبصره سبحانه وتعالى، لقوله تعالى:{ أبصر به وأسمع}، فإنه جاء بما دل على التعجب من إدراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره تعالى في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين؛ لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر[12].
٤- اختصاص الله بعلم الغيب وانفراده بالحكم في خلقه.
٥- أن الحكم لا يكون إلا لله، فإن حكمه جل وعلا المذكور في قوله: {ولا يشرك فى حكمه أحدا} شامل لكل ما يقضيه جل وعلا. ويدخل في ذلك التشريع دخولا أوليا.

---

(١) تفسير الطبري:٦٥٠/١٧.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٣) تفسير الطبري:٦٥٠/١٧.
(٤) أخرجه الطبري:٦٥٠/١٧.
(٥) أخرجه الطبري:٦٥٠/١٧.
(٦) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٧) تفسير الطبري:٦٥٠/١٧.
(٨) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٩) تفسير الطبري:٦٥٠/١٧.
(١٠) انظر: شرح الطحاوية، طبعة الاوقاف السعودية: ٣٧٧-٣٧٨.
(١١)أخرجه البخاري (١٣٨٣، ٦٥٩٧)، ومسلم (٢٦٦٠)، وأبو داود (٤٧١٣)، وأحمد (٣٠٣٤، ٣١٦٥)، وغيرهم من طريق أبي بشر، به.
(١٢) انظر: الإعلام بقواطع الإسلام:٢٦٤.

القرآن

{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)} [الكهف : ٢٧]

التفسير:

واتل -أيها الرسول- ما أوحاه الله إليك من القرآن، فإنه الكتاب الذي لا مبدِّل لكلماته لصدقها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذًا تعوذ به.

قوله تعالى:{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ} [الكهف : ٢٧]، أي:" واتل -أيها الرسول- ما أوحاه الله إليك من القرآن

قوله تعالى:{لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الكهف : ٢٧]، أي:" لا مبدِّل لكلماته لصدقها وعدلها"[١].

قوله تعالى:{وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الكهف : ٢٧]، أي:" ولن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذًا تعوذ به"[٢].

قال الطبري:" يقول: وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتم به، فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده، لن تجد من دون الله موئلا تئل إليه ومعدلا تعدل عنه إليه، لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الكهف : ٢٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : ملجأ ، قاله مجاهد[٤]، وابن زيد[٥]، وبه قال الفراء[٦]، والزجاج[٧]، والنحاس[٨]، قال قال الشاعر[٩]:

لا تحفيا يا أخانا من مودّتنا ... فما لنا عنك في الأقوام مُلتحد

قال النحاس: " قال مجاهد: «أي: ملجأ»، أي: يمنعك منه جل وعز، قال أبو جعفر النحاس: وهو حسن في اللغة وأصله في اللغة من «اللحد»: وهو من الميل، و«الملحد»: المائل عن الحق العادل عنه، فإذا ألحدت عبد الى الشئ فقد ملت إليه "[١٠].

قال القاسم بن سلام:" {ملتحدا}: ملجأ بلغة هذيل"[١١].

قال الزجاج :" اشتقاقه من «اللحد»، وهو مثل: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلً} [التوبة : ٥٧]، فالملتحد من جنس المدخل"[١٢].

الثاني : مهرباً ، قاله قطرب ، قال الشاعر[١٣]:

يا لَهْفَ نفسي ولَهْفي غيرُ مُجْدِيَةٍ ... عَنّي وما مِنْ قضاءِ الله مُلْتَحَدُ

الثالث : معدلاً ، ومنه «اللّحد» و«الإلحاد»، قاله أبو عبيدة[١٤]، وابن قتيبة[١]، والأخفش[٢].

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٦.
(٣) تفسير الطبري:٦٥١/١٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٦٥١/١٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٦٥١/١٧-٦٥٢.
(٦) انظر: معاني القرآن:١٣٩/٢.
(٧) انظر: معاني القرآن:٢٣٧/٥.
(٨) انظر: إعراب القرآن:٢٢٩/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون:٣٠١/٣.
(١٠) إعراب القرآن:٢٢٩/٤.
(١١) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٢٣٧/٥.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٣٠١/٣، و٦،١٢١، وتفسير القرطبي:٢٦/١٩، والدر المصون:٥٠٠/١٠، وغيرها. والبيت غير منسوب فيها.
(١٤) انظر: مجاز القرآن:٣٩٨/١.

وقال السجستاني:" معدلا ومميلا، أي: ملجأ تميل إليه فتجعله حرزا"[٣].
الرابع : ولياً ، قاله قتادة[٤].
الخامس: ملجأ ولا موئلا. قاله قتادة أيضا[٥].
السابع: يعني: مدخلا. قاله مقاتل[٦].
قال مقاتل:" يقول لا تقل في أصحاب الكهف إلا ما قد قيل لك، فإن فعلت فإنك لن تجد من دون الله- عز وجل- ملجأ تلجأ إليه ليمنعك منا"[٧].
قال الماوردي:" ومعانيها متقاربة"[٨].
قال سهل بن عبدالله:" أمره بالافتقار واللجوء إليه، ثم بإظهارهما بقوله، ليزيد بذلك للكافرين ضلالا وللمؤمنين إرشادا، وهي كلمة الإخلاص في التوحيد. إذ حقيقة التوحيد هو النظر للحق لا غير، والإقبال عليه، والاعتماد، ولا يتم ذلك إلا بالإعراض عما سواه، وبإظهار الافتقار واللجوء إليه"[٩].
الفوائد:
١- أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فإن قوله: {ما أوحي إليك}؛ يعني: القرآن، والوحي لا يكون إلا قولا؛ فدل إذا أن القرآن غير مخلوق.
٢- لا أحد يبدل كلمات الله، أما الله عز وجل؛ فيبدل آية مكان آية؛ كما قال تعالى: {وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون} [النحل: ١٠١].
٣- أن قوله: {لا مبدل لكلماته}: يشمل الكلمات الكونية والشرعية:
- أما الكونية: فلا يستثنى منها شيء، لا يمكن لأحد أن يبدل كلمات الله الكونية: إذا قضي الله على شخص بالموت؛ ما استطاع أحد أن يبدل ذلك. إذا قضى الله تعالى بالفقر؛ ما استطاع أحد أن يبدل ذلك، فإذا قضى الله تعالى بالفقر؛ ما استطاع أحد أن يبدل ذلك، وإذا قضى الله تعالى بالجدب؛ ما استطاع أحد أن يبدل ذلك، وكل هذه الأمور التي تحدث في الكون؛ فإنها بقوله؛ لقوله تعالى: {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون} [يس:٨٢].
- أما الكلمات الشرعية؛ فإنها قد تبدل من قبل أهل الكفر والنفاق، فيبدلون الكلمات: إما بالمعنى، وإما باللفظ إن استطاعوا، أو بهما[١٠].

القرآن
{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)} [الكهف : ٢٨]
التفسير:

---
(١) انظر: غريب القرآن:٢٦٦.
(٢) حكاه عنه الماوردي في :النكت والعيون:٣٠١/٣.
(٣) غريب القرآن:٤٤٤.
(٤) حكاه عنه الماوردي في :النكت والعيون:٣٠١/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٦٥١/١٧.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٢/٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٢/٢.
(٨) النكت والعيون:٣٠٠/٣.
(٩) تفسير التستري:١٧٩.
(١٠) انظر: شرح العقيدة الواسطية: ٤٣٥/١-٤٣٦.

واصبر نفسك -أيها النبي- مع أصحابك مِن فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده، ويدعونه في الصباح والمساء، يريدون بذلك وجهه، واجلس معهم وخالطهم، ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التمتع بزينة الحياة الدنيا، ولا تُطِعْ من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا، وآثَرَ هواه على طاعة مولاه، وصار أمره في جميع أعماله ضياعًا وهلاكًا.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن سلمان الفارسي، قال: "جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم- يعنون سلمان، وأبا ذر، وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك! فأنزل الله تعالى: {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...} حتى بلغ: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا} [الكهف : ٢٩]، يتهددهم بالنار، فقام النبي ﷺ، يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا، ومعكم الممات"(١).[ضعيف]

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال: "دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم حار وعنده سلمان عليه جبة من صوف، فثار منه ريح العرق في الصوف، فقال عيينة: يا محمد، إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وضرباءه من عندك لا يؤذونا فإذا خرجنا فأنت وهم أعلم. فأنزل الله: {ولا تطع من أغفلنا قلبه} الآية"(٢).

عن الربيع قال: "حدثنا إن النبي ﷺ تصدى لأمية بن خلف وهو ساه غافل عما يقال له، فأنزل الله :{ولا تطع من أغفلنا قلبه} الآية، فرجع إلى أصحابه وخلى عن أمية، فوجد سلمان يذكرهم فقال: «الحمد لله الذي لم أفارق الدنيا حتى أراني أقواما من أمتي ممن أمرني إن أصبر نفسي معهم"(٣).

وقال مقاتل:" نزلت فى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزاري وذلك أنه دخل على النبي- ﷺ- وعنده الموالي وفقراء العرب منهم بلال بن رباح المؤذن، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان، وخباب ابن الأرت، وعامر بن فهيرة، ومهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب، - وهو أول شهيد قتل يوم بدر- رضي الله عنهم-، وأيمن بن أم أيمن. ومن العرب أبو هريرة الدوسي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وغيرهم وكان على بعضهم شملة قد عرق فيها فقال عيينة بن حصن للنبي- ﷺ: إن لنا شرفا وحسبا، فإذا دخلنا عليك فاعرف لنا ذلك، فأخرج هذا وضرباءه عنا فو الله إنه ليؤذينا ريحه يعني جبته آنفا، فإذا خرجنا من عندك فأذن لهم إن بدا لك أن يدخلوا عليك، «فاجعل لنا مجلسا ولهم مجلس»، فأنزل الله- عز وجل-: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني القرآن واتبع هواه يعني وآثر هواه"(٤).

الثاني: عن جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا} [الكهف : ٢٨]، قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه: من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله تعالى:

---

(١) أخرجه الطبري:٧/١٨-٨، والواحدي في اسباب النزول:٣٠٥-٣٠٦، وإسناده ضعيف: سليمان بن عطاء: قال البخاري: منكر الحديث وقال ابن حبان: شيخ يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي أشياء موضوعة فلست أدري التخليط منه أم من مسلمة بن عبد الله [المجروحين ١/ ٣٢٥] .
وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ٢١٩) لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب.
(٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٥):ص٢٣٥٧/٧.
(٣) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٦):ص٢٣٥٧/٧.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٢/٢-٥٨٣.

{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا}، يعني: من ختمنا على قلبه عن التوحيد، {وَاتَّبَعَ هَوَاه}، يعني: الشرك"[١].[ضعيف جدا]

قوله تعالى:{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الكهف : ٢٨]، أي:" واصبر نفسك -أيها النبي- مع أصحابك مِن فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده، ويدعونه في الصباح والمساء"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {واصبر} يا محمد {نفسك مع} أصحابك {الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي} بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها"[٣].

وفي معنى «الدعاء» في قوله تعالى:{ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الكهف : ٢٨]، وجوه من التفسير:

أحدها: أنه الصلاة المكتوبة، قاله ابن عمر[٤]، وابن عباس[٥]، والحسن[٦]، ومجاهد[٧]، وقتادة[٨]، وقتادة[٨]، وسعيد بن المسيب[٩]، وعبدالرحمن بن أبي عمرة[١٠]، وعامر[١١].

قال ابن كثير:"وهذا كقوله تعالى:{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر : ٦٠] أي : أتقبل منكم"[١٢].

وفي رواية عن مجاهد[١٣]، وقتادة[١٤]، قالا: يعني "صلاة الصبح والعصر".

وزعم مقاتل أن الصلاة يومئذ كانت "ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ثم فرضت الصلوات الخمس"[١٥].

ونقل ابن أبي زمنين عن الحسن:" يعني: صلاة مكة؛ حين كانت الصلاة ركعتين غدوة، وركعتين عشية، قبل أن تفترض الصلوات الخمس"[١٦].

والثاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي[١٧]، وعنه كالقول الأول[١٨].

والثالث: أنه عبادة الله، قاله الضحاك[١٩]، وعنه كالقول الاول[٢٠].

والرابع: أنه تعلم القرآن غدوة وعشية، قاله أبو جعفر[٢١].

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٣٠٦، إسناده ضعيف جدا: جويبر بن سعيد قال الحافظ في التقريب: ضعيف جدا، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.
وعزاه في الدر (٤/ ٢٢٠) لابن مردويه.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٤):ص٣٨٣/١١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٧٧٢):ص٢٣٥٧/٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٦):ص٣٨١/١١.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٠):ص٣٨٢/١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧١):ص٣٨٢/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٣):ص٣٨٢/١١-٣٨٣، و(١٣٢٨١):ص٣٨٤/١١.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير:٢٥٩/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٨):ص٣٨٤/١١.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٩):ص٣٨٤/١١.
(١٢) تفسير ابن كثير:٢٥٩/٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٩):ص٣٨٢/١١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٣):ص٣٨٢/١١-٣٨٣.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٦٣/١.
(١٦) تفسير ابن ابي زمنين:٧٠/٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٨٤):ص٣٨٥/١١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٧):ص٢٣٥٧/٧
(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٧):ص٣٨١/١١.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٨٨):ص٣٨٦/١١.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٢):ص٣٨٢/١١.
(٢١) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٨٧):ص٣٨٦/١١.

قال أبو جعفر:" أمر إن يصبر نفسه مع أصحابه يعلمهم القرآن"[١].

وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عدى بن الخيار، قال: "هم الذين يقرءون القرآن"[٢].

القرآن"[٢].

والخامس: أنه دعاء الله بالتوحيد، والإخلاص له، وعبادته، قاله الزجاج[٣].

والسادس:أنه يريد الدعاء في أول النهار وآخره، ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق. ويختموه بالدعاء طلبا للمغفرة. أفاده الماوردي[٤].

قال الطبري:"والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمدًا ﷺ أن يطرُد قومًا كانوا يدعون ربّهم بالغداة والعشي ، و الدعاء لله، يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلامًا وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمالَ التي كان عليهم فرضُها ، وغيرُها من النوافل التي ترضي عن العامل له عابدَه بما هو عامل له"[٥].

قوله تعالى:{يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الكهف : ٢٨]، أي:" يريدون بذلك وجهه"[٦].

قال الطبري:" {يريدون} بفعلهم ذلك {وجهه}، لا يريدون عرضا من عرض الدنيا"[٧].

قال البغوي:"أي: يريدون الله بطاعتهم"[٨].

وقال ابن عباس: "يطلبون ثواب الله"[٩].

قال ابن كثير:" أي : يبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم ، فهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات"[١٠].

قال الزجاج:"أي يريدون اللهويقصدون الطرق التي أمرهم بقصدها وإنما قدروا بهذا أن يباعدهم فتكون لهم حجةعليه"[١١].

قال الطبري:أي:" يلتمسون بذلك القربة إلى الله ، والدنوّ من رضاه"[١٢].

قال ابن عطية:"و{وجهه}، في هذا الموضع معناه: جهة التزلق إليه كما تقول خرج فلان في وجه كذا أي في مقصد وجهة"[١٣].

وقال القرطبي:"{يريدون وجهه}: أي طاعته، والإخلاص فيها، أي: يخلصون في عبادتهم وأعمالهم لله، ويتوجهون بذلك إليه لا لغيره. وقيل: يريدون الله الموصوف بأن له الوجه كما قال:{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن : ٢٧]، وهو كقوله:" والذين {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} [الرعد : ٢٢]"[١٤].

---

(١) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٨):ص٢٣٥٧/٧.
(٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٤):ص٢٣٥٧/٧.
(٣) انظر: معاني القرآن:٢٨١/٣، في تفسيره لآية (٢٨) من سورة الكهف:{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف : ٢٨].
(٤) انظر: النكت والعيون:٣٠١/٣، وتفسير القرطبي:٤٣٢/٦.
(٥) تفسير الطبري:٣٨٧/١١-٣٨٨.
(٦) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٧) تفسير الطبري:٥/١٨.
(٨) تفسير البغوي:١٤٧/٣.
(٩) تفسير البغوي:١٤٧/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٢٥٩/٣.
(١١) معاني القرآن:٢٥١/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٣٨٧/١١-٣٨٨.
(١٣) المحرر الوجيز:٢٩٥/٢.
(١٤) تفسير القرطبي:٤٣٢/٦.

قال سهل بن عبدالله:" "أي: يريدون وجه الله ورضاه، ولا يغيبون عنه ساعة. ثم قال: أزهد الناس أصفاهم مطعما، وأعبد الناس أشدهم اجتهادا في القيام بالأمر والنهي، وأحبهم إلى الله أنصحهم لخلقه. وسئل عن العمر قال: الذي يضيع العمر"[١].

قوله تعالى:{وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ} [الكهف : ٢٨]، أي:" واجلس معهم وخالطهم، ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار"[٢].

قال ابن قتيبة:" أي: لا تتجاوزهم إلى زينة الحياة الدنيا"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ} [الكهف : ٢٨]، وجهان:

أحدهما : ولا تتجاوزهم بالنظر إلى غيرهم من أهل الدنيا طلباً لزينتها ، حكاه اليزيدي[٤].

وروي عن ابن عباس، قال:" لا تتعداهم إلى غيرهم"[٥].

الثاني : ما حكاه ابن جريج أن عيينة بن حصن قال للنبي -ﷺ- قبل أن يسلم : لقد آذاني ريح سلمان الفارسي، فاجعل لنا مجلسا منك لا يجامعوننا فيه، واجعل لهم مجلسا لا نجامعهم فيه، فنزلت الآية"[٦].

قوله تعالى:{تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف : ٢٨]، أي:" تبتغي بمجالستهم الشرف والفخر"[٧].

قال ابن زيد:" تريد أشراف الدنيا"[٨].

قوله تعالى:{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا} [الكهف : ٢٨]، أي:" ولا تُطِعْ من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا"[٩].

قال مقاتل:" يعني: القرآن"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك، عن ذكرنا، بالكفر وغلبة الشقاء عليه"[١١].

قوله تعالى:{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} [الكهف : ٢٨]، أي:" وآثَرَ هواه على طاعة مولاه"[١٢].

قال مقاتل:" يعني: وآثر هواه"[١٣].

قال الطبري:" وترك اتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه، وهم فيما ذكر: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم"[١٤].

عن خباب :"{ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا}، قال: عيينة، والأقرع"[١٥].

قال سهل بن عبدالله:" الغفلة إبطال الوقت بالبطالة. وقال: إن للقلب ألف موت، آخرها القطيعة عن الله عز وجل، وإن للقلب ألف حياة، آخرها لقاء الحق عز وجل، وإن في كل معصية للقلب موتا، وفي كل طاعة للقلب حياة"[١].

---

(١) تفسير التستري:٦١.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٣) غريب القرآن:٢٦٦.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٣.
(٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٩):ص٢٣٥٨/٧.
(٦) أخرجه الطبري:٧/١٨.
(٧) صفوة التفاسير:١٧٥/٢.
(٨) أخرجه الطبري:٧/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٣/٢.
(١١) تفسير الطبري:٨/١٨.
(١٢) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٣/٢.
(١٤) تفسير الطبري:٨/١٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٨/١٨.

قوله تعالى:{وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف : ٢٨]، أي:" وصار أمره في جميع أعماله ضياعًا وهلاكًا"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف : ٢٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : ضياعا ، وهو قول مجاهد[٣].

قال مقاتل:" {وكان أمره} الذي يذكر من شرفه وحسبه {فرطا}، يعني: ضائعا في القيامة، مثل قوله: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : ٣٨]، يعني: ما ضيعنا"[٤].

قال يحيى بن سلام:يعني: "ضياعا. وكقوله في الزّمر: {مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ} يعني ضعت وقصرت"[٥].

الثاني : متروكاً، قد ترك فيه الطاعة وغفل عنها. قاله الفراء[٦].

الثالث : ندماً. قاله داود[٧]، وابن قتيبة[٨].

الرابع : هلاكا. قاله خباب[٩].

الخامس: سرفاً وتضيعا. قاله أبو عبيدة[١٠].

السادس: خلافا للحق. قاله ابن زيد[١١].

السابع: سريعاً . يقال: أفرط إذا أسرف وفرط إذا قصر . حكاه الماوردي عن ابن بحر[١٢].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: ضياعا وهلاكا، من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطا: إذا أسرف فيه وتجاوز قدره، وكذلك قوله (وكان أمره فرطا) معناه: وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر، واحتقار أهل الإيمان، سرفا قد تجاوز حده، فضيع بذلك الحق وهلك"[١٣].

قال أبو بكر: "كان عيينة بن حصن يفخر بقول أنا وأنا"[١٤].

قال قتادة:" لما نزلت {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي} [الكهف: ٢٨] ، قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معه»"[١٥].

---

(١) تفسير التستري:٩٧.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٨/١٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٣/٢.
(٥) التصاريف لتفسير القرآن:٣١٨.
(٦) انظر: معاني القرآن:١٤٠/٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٩/١٨.
(٨) انظر: غريب القرآن:٢٦٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٨/١٨.
(١٠) انظر: مجاز القرآن:٣٩٨/١.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٨/١٨.
(١٢)انظر: النكت والعيون:٣٠٢/٣ .
(١٣) تفسير الطبري:٩/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٩/١٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٧/١٨، وعبدالرزاق في تفسيره(١٦٧٠):ص٣٣٠/٢.
وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: "جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ، فسلم ثم قال: ما كنتم تصنعون؟ قلنا: كنا نستمع إلى كتاب الله، فقال: الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم. قال: فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا، فتحلقوا وبرزت وجوههم له فقال: أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك خمسمائة سنة".
أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٦٣، ٩٦. وأبو داود في السنن ٤/ ٧٢ - ٧٣، كتاب العلم (١٩)، باب في القصص (١٣)، الحديث (٣٦٦٦). قوله: "فقام علينا" أي وقف على رؤوسنا أي كنا غافلين عن مجيئه فنظرنا فإذا هو قائم فوق رؤوسنا يستمع إلى كتاب الله. وقوله "ثم قال بيده" أي أشار بيده. و"صعاليك المهاجرين" أي جماعة الفقراء من المهاجرين جمع صعلوك.

الفوائد:
١- الترغيب في مجالسة أبناء الآخرة وهم الفقراء الصابرون وترك أبناء الدنيا والإعراض عما هم فيه.
٢- ومن الفوائد: تحريم طرد المؤمنين الصالحين.
٣- ومنها: الثناء على أولئك القوم الذين يحضرون جلسات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما ذكر الله عز وجل أنهم يَدْعُون الله بالغداة والعشي مع الإخلاص لله عز وجل.
٤- ومنها: كمال عدل الله عز وجل؛ لأنه خاطب نبيَّه بهذا الخطاب القوي من أجل قومٍ من أصحابه، هو -أي النبي ﷺ- عند الله أعظم جاهًا وأعلى منزلة، لكن الله عز وجل حكمٌ عدْلٌ، يقضي بالحق سبحانه وتعالى.
٥- ومنها: بيان خيبة وخسران المعرضين عن كتاب الله فلم يتلوه ولم يعملوا بما جاء فيه من شرائع وأحكام.

القرآن
{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)} [الكهف : ٢٩]
التفسير:
وقل لهؤلاء الغافلين: ما جئتكم به هو الحق من ربكم، فمن أراد منكم أن يصدق ويعمل به، فليفعل فهو خير له، ومن أراد أن يجحد فليفعل، فما ظَلَم إلا نفسه. إنا أعتدنا للكافرين نارًا شديدة أحاط بهم سورها، وإن يستغث هؤلاء الكفار في النار بطلب الماء مِن شدة العطش، يُؤتَ لهم بماء كالزيت العَكِر شديد الحرارة يشوي وجوههم. قَبُح هذا الشراب الذي لا يروي ظمأهم بل يزيده، وقَبُحَتْ النار منزلا لهم ومقامًا.
قوله تعالى:{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف : ٢٩]، أي:" وقل لهؤلاء الغافلين: ما جئتكم به هو الحق من ربكم، فمن أراد منكم أن يصدق ويعمل به، فليفعل فهو خير له، ومن أراد أن يجحد فليفعل، فما ظَلَم إلا نفسه"(١).
قال قتادة:" الحق هو القرآن"(٢).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم، الحق أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد، فيؤمن، ويضل من يشاء عن الهدى فيكفر، ليس إلي من ذلك شيء، ولست بطارد لهواكم من كان للحق متبعا، وبالله وبما أنزل علي مؤمنا، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا"(٣).
عن ابن عباس، قوله: "{فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}، يقول: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر"(٤).
وقال ابن عباس:" هذا تهديد ووعيد"(٥).
قال مجاهد:" وعيد من الله، فليس بمعجزي"(٦).
قال ابن زيد:" هذا كله وعيد ليس مصانعة ولا مراشاة ولا تفويضا"(٧).

(١) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٨٢):ص٢٣٥٨/٧.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٩-١٠.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/١٠.
(٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٨٤):ص٢٣٥٨/٧.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/١٠.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/١٠.

قوله تعالى:{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف : ٢٩]، أي:" إنا أعتدنا للكافرين نارًا شديدة أحاط بهم سورها"[١].

قال الطبري:" فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نار أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته"[٢].

عن ابن زيد قوله: "{إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها}، قال: للكافرين"[٣].

وفي قوله تعالى:{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف : ٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن «سرادقها»: حائط من النار يطيف بهم، قاله ابن عباس[٤].

قال يحيى بن سلام:" سورها، ولها عمد، فإذا مدت تلك العمد أطبقت على أهلها، وذلك حين يقول: {اخسئوا فيها ولا تكلمون} [المؤمنون: ١٠٨]، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم، وهو قوله: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ {٨} فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَة (٩)} [الهمزة: ٨-٩]"[٥].

قال أبو عبيدة:" كسرادق الفسطاط، وهى الحجرة التي تطيف بالفسطاط[٦]، قال رؤبة[٧]:
رؤبة[٧]:

يا حكم بن المنذر بن الجارود ... أنت الجواد بن الجواد المحمود
سرادق المجد إليك ممدود

وقال سلامة بن جندل[٨] :

هو المولج النّعمان بيتا سماؤه ... صدور الفيول بعد بيت مسردق

أي: له سرادق"[٩].

الثاني : هو دخانها ولهيبها قبل وصولهم إليها، وهو الذي قال الله تعالى فيه: {إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ(٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ} [المرسلات : ٣٠-٣١]. قاله قتادة، وحكاه معمر[١٠].

الثالث : أنه يخرج عنق من النار فيحيط بهم، فذلك السرادق. قاله مقاتل[١١].

الرابع: أنه البحر المحيط بالدنيا.

عن يعلى بن أمية، قال: قال رسول الله ﷺ: «البحر هو جهنم»، قال: فقيل له: كيف ذلك، فتلا هذه الآية، أو قرأ هذه الآية: {نارا أحاط بهم سرادقها}، ثم قال: والله لا أدخلها أبدا أو ما دمت حيا، ولا تصيبني منها قطرة"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٢) تفسير الطبري:٩/١٨-١٠.
(٣) أخرجه الطبري:١٠/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١١/١٨.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:١٨٢/١-١٨٣.
(٦)«وهى ... بالفسطاط» : كذا فى الطبري ١٥/ ١٤٧، وبفرق يسير فى البخاري وقال ابن حجر (٨/ ٣٠٩) إنه قول أبى عبيدة لكنه تصرف فيه قال أبو عبيدة فى قوله «أحاط بهم سرادقها» ... قال الشاعر سرادق. الشطر.
(٧)اختلفت المصادر ونسخ المجاز فى عزو هذا الرجز فنسبه سيبويه (١/ ٢٧٢) والشنتمرى ١/ ٣١٤ وصاحب وصاحب اللسان (سردق) ، والعيني (٤/ ٢١٠) للكذاب الحرمازي ورواه الطبري (١٥/ ١٤٦) والجوهري (سردق) والقرطبي (١٠/ ٣٩٣) وهو فى الكامل ٢٦٣ بغير عزو. وفى ملحق ديوان رؤبة ٢٦٣. - مدح أحد بنى المنذر بن الجارود ... ، وحكم هذا هذا ولاة البصرة لهشام بن عبد الملك، وسمى جده الجارود لأنه أغار على قوم فاكتسح أموالهم فشبه بالسيل الذي يجرد ما مر به (الأعلم).
(٨) انظر: مجاز القرآن:٣٩٩/١، و تفسير الطبري ١٥/ ١٤٦ والجمهرة ٣/ ٣٣٣ والصحاح واللسان والتاج (سردق) وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٩٣.
(٩) مجاز القرآن: ٣٩٩/١-٤٠٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١١/١٨.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٣/٢-٥٨٤.
(١٢) أخرجه الطبري:١٢/١٨.

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «سرادق النار أربعة جدر، كثف كل واحد مثل مسيرة أربعين سنة»(١).

قال الطبري: معناه: " أحاط سرادق النار التي أعدها الله للكافرين بربهم، وذلك فيما قيل: حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط"(٢).

قوله تعالى:{وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ} [الكهف : ٢٩]، أي:" وإن يستغث هؤلاء الكفار في النار بطلب الماء مِن شدة العطش، يُؤتَ لهم بماء كالزيت العَكِر شديد الحرارة يشوي وجوههم"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإن يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار من شدة ما بهم من العطش، فيطلبون الماء يغاثوا بماء المهل، فيشوي ذلك الماء الذي يغاثون به وجوههم "(٤).

عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «ماء كالمهل»، قال: «كعكر الزيت، فإذا قربه إليه سقط فروة وجهه فيه»(٥).

عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ، في قوله "{ويسقى من ماء صديد يتجرعه}، قال: يقرب إليه فيتكرهه، فإذا قرب منه، شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه، يقول الله: {وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب}"(٦).

قال هارون: إذا جاع أهل النار، وقال جعفر: إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن مارا مار بهم يعرفهم، لعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثون، فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود"(٧).

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ} [الكهف : ٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه القيح والدم ، قاله مجاهد(٨).

الثاني : أنه ماء غليظ مثل دردي الزيت ، قاله ابن عباس(٩).

الثالث : أنه كل شيء أذيب حتى انماع ؛ قاله ابن مسعود(١٠).

قال قتادة:" ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سقاية من ذهب وفضة، فأمر بأخدود فخد في الأرض، ثم قذف فيه من جزل حطب، ثم قذف فيه تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه: ادع من يحضرنا من أهل الكوفة، فدعا رهطا، فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة، حين أزبد وانماع"(١١).

الرابع : هو الذي قد انتهى حره ، قاله سعيد بن جبير(١٢)، قال الشاعر(١٣):

شاب بالماء منه مهلاً كريهاً ... ثم علّ المتون بعد النهال

قال الماوردي :"وجعل ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الاستغاثة"(١).

---

(١) أخرجه الطبري:١٢/١٨.
(٢) تفسير الطبري:١٠/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٤) تفسير الطبري:١٢/١٨.[بتصرف]
(٥) أخرجه الطبري:١٢/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:١٤/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:١٤/١٨-١٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٣/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٣/١٨.
(١٠) انظر تفسير الطبري:١٢/١٨-١٣.
(١١) أخرجه الطبري:١٢/١٨-١٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٣/١٨.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٣٠٣/٣.

قال الطبري:" وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعنى، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حره، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت، فقد انتهى أيضا حره.

قال الطبري:" وقد: حدثت عن معمر بن المثنى، أنه قال: سمعت المنتجع بن نبهان يقول: والله لفلان أبغض إلي من الطلياء[٢] والمهل، قال: فقلنا له: وما هما؟ فقال: الجرباء، والملة التي تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت في النار من النار، كأنها سهلة[٣] حمراء مدققة، فهي أحمره، فالمهل إذا هو كل مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره، أو لم يكن مائعا، فانماع بالوقود عليه، وبلغ أقصى الغاية في شدة الحر"[٤].

قال الضحاك:" ماء جهنم أسود، وهي سوداء، وشجرها أسود، وأهلها سود"[٥].

قوله تعالى:{بِئْسَ الشَّرَابُ} [الكهف : ٢٩]، أي:" قَبُح هذا الشراب الذي لا يروي ظمأهم بل يزيده"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: بئس الشراب، هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم الذي صفته ما وصف في هذه الآية"[٧].

قوله تعالى:{وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف : ٢٩]، أي:"وقَبُحَتْ النار منزلا لهم ومقامًا"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقا، والمرتفق في كلام العرب: المتكأ، يقال منه: ارتفقت إذا اتكأت، كما قال الشاعر[٩]:

قالت له وارتفقت ألا فتى ... يسوق بالقوم غزالات الضحى

أراد: واتكأت على مرفقها، وقد ارتفق الرجل: إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم، وهو مرتفق، كما قال أبو ذؤيب الهذلي[١٠]:

نام الخلي وبت الليل مرتفقا ... كأن عيني فيها الصاب مذبوح

وأما من الرفق فإنه يقال: قد ارتفقت بك مرتفقا"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف : ٢٩]، وجوه[١٢]:

أحدها : معناه: ساءت مجتمعاً ، قاله مجاهد[١٣].

---

(١) النكت والعيون:٣٠٣/٣.

(٢)يريد بالطلياء الناقة الجرباء المطلية بالقطران أو الخضخاض. ويريد بالمهل: الملة إذا حميت جدا ورأيتها تموج.

(٣)السهلة، بالكسر، تراب كالرمل أحمر يجيء به الماء (اللسان).

(٤) تفسير الطبري:١٣/١٨-١٤.

(٥) اخرجه الطبري:١٣/١٨.

(٦) التفسير الميسر:٢٩٧.

(٧) تفسير الطبري:١٥/١٨.

(٨) التفسير الميسر:٢٩٧.

(٩)هذان بيتان من مشطور الرجز، ذكرهما اللسان في: غزل. ورواية الأول منهما مختلفة عن رواية المؤلف، وهي: * دعت سليمى دعوة هل من فتى *

وفي رواية أخرى: * ودعوة القوم ألا هل من فتى *

وغزالة الضحى وغزالاته: بعد ما تنبسط الشمس وتضحى. ولا شاهد في البيت الأول على هاتين الروايتين.

(١٠)البيت في ديوان أبي ذؤيب الهذلي طبع دار الكتب المصرية، ١/ ١٠٤) وهو مطلع قصيدة له. وفيه " مشتجرا " في موضع " مرتفقا " ومشتجرا أي يشجر رأسه بيده، يريد أنه وضع رأسه على يديه، كما يشجر الثوب بالعود. وقال الأصمعي: الصاب: شجرة مرة لها لبن يمض العين إذا أصابها. ومذبوح: مشقوق. والذبح: الشق. ومرتفقا: واضعا مرفقه تحت رأسه.

والبيت: من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١/ ٤٠٠) وأوله: " إني أرقت فبت. . . ". وقال: " ساءت مرتفقا ": أي متكئا. قال أبو ذؤيب. . . البيت. وسوف يأتي.

(١١) تفسير الطبري:١٥/١٨.

(١٢) انظر: النكت والعيون:٣٠٣/٣-٣٠٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٥/١٨.

قال الطبري:" ولست أعرف الارتفاق بمعنى: «الاجتماع» في كلام العرب، وإنما الارتفاق: افتعال، إما من المرفق، وإما من الرفق"[١].

قال الماوردي :"كأنه ذهب إلى معنى المرافقة"[٢].

الثاني : ساءت منزلاً. قاله قتادة[٣]، والكلبي[٤]، ومقاتل[٥]، والزجاج[٦]، مأخوذ من الارتفاق. الارتفاق.

وقال الأخفش:" وساءت الدار مرتفقا"[٧].

الثالث : أنه من «الرفق». حكاه الماوردي[٨].

الرابع : أنه من المتكأ ، وهذا قول السدي، وأبي عبيدة[٩]، وأنشد الأخير قول أبي ذؤيب الهذليّ[١٠]:

إنّي أرقت فبتّ الليل مرتفقا ... كأنّ عيني فيها الصاب مذبوح

قال أبو عبيدة:" وذبحه: انفجاره، قال: وهو شديد وحكى عن أبى عمرو بن العلاء أو غيره يقال: انفقأت واحدة فقطّرت فى عينى فكأنه كان فى عينى وتد"[١١].

قال السدي:" عليها مرتفقون على الحميم حين يشربون، والارتفاق هو المتكأ"[١٢].

الخامس: أي: ساءت مجلسا. وأصل «الارتفاق»: الاتكاء على المرفق. قاله ابن قتيبة[١٣].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)} [الكهف : ٣٠]

التفسير:

إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات لهم أعظم المثوبة، إنا لا نضيع أجورهم، ولا ننقصها على ما أحسنوه من العمل.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الكهف : ٣٠]، أي:" إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات"[١٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه"[١٥].

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى حال الأشقياء ، ثنى بذكر السعداء ، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به ، وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري:١٦/١٨.
(٢) النكت والعيون:٣٠٣/٣.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٩٣):ص٢٣٥٩/٧.
(٤) انظر: النكت والعيون:٣٠٤/٣.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٩/٢.
(٦) انظر: معاني القرآن:٢٨٢/٣.
(٧) معاني القرآن:٤٣٠/٢.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٠٤/٣.
(٩) انظر: مجاز القرآن: ٤٠٠/١-٤٠١.
(١٠)ديوان الهذليين ١/ ١٠٤ والطبري ١٥/ ١٤٨ والكشاف ١/ ٥٧٠ والقرطبي ١٠/ ٣٩٥ والصحاح واللسان والتاج (صوب) وابن يعيش ٢/ ٤٦٠ وشواهد المغني ٧٢.
(١١)مجاز القرآن:٤٠١/١ .
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٤):ص٢٣٥٩/٧.
(١٣) غريب القرآن:٢٦٧.
(١٤) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٥) تفسير الطبري:١٦/١٨.
(١٦) تفسير ابن كثير:١٥٦/٥.

قوله تعالى:{إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف : ٣٠]، أي:" إنا لا نضيع أجورهم، ولا ننقصها على ما أحسنوه من العمل"(١).

قال مقاتل:" يقول: لا نضيع أجر من أحسن العمل ولكنا نجزيه بإحسانه"(٢).

قال الطبري:" إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملا فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار"(٣).

قال الحارث المحاسبي:" وأحسن الأعمال التوحيد"(٤).

قال سهل:" «حسن العمل»: الاستقامة عليه بالسنة، وإنما مثل السنة في الدنيا مثل الجنة في الآخرة، ومن دخل الجنة سلم، كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم من الآفات. وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: لو أن رجلا ارتكب جميع الكبائر ثم لم يكن فيه شيء من هذه الأهواء والبدع لرجوت له. ثم قال: من مات على السنة فليبشر ثلاث مرات. وقال سهل: لا يرفع الحجاب عن العبد حتى يدفن نفسه في الثرى. قيل له: كيف يدفن نفسه في الثرى؟ قال: يميتها على السنة، ويدفنها في اتباع السنة، لأن لكل شيء من مقامات العابدين مثل الخوف والرجاء والحب والشوق والزهد والرضا والتوكل غاية، إلا السنة فإنه ليست لها غاية ونهاية. وسئل عن معنى قوله: «ليست للسنة غاية» متى بن أحمد، فقال: لا يكون لأحد مثل خوف النبي ﷺ أو حبه أو شوقه، أو زهده أو رضاه أو توكله أو أخلاقه، وقد قال الله تعالى: {وإنك لعلى خلق عظيم} [القلم: ٤] . وسئل عن معنى قوله ﷺ: «أجيعوا أنفسكم وأعروها»(٥)، فقال: أجيعوا أنفسكم إلى العلم وأعروها عن الجهل"(٦).

عن المقبري قال: "بلغني إن عيسى بن مريم كان يقول: يا ابن آدم، إذا عملت الحسنة فاله عنها، فإنها عند من لا يضيعها. ثم تلا: {إنا لا نضيع أجر من احسن عملا}، وإذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينيك"(٧).

عن فضيل بن عياض، في قوله: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم} [البقرة : ١٥٢] ، قال: "فاذكروني بطاعتي أذكركم بثوابي، بيانه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ} [الكهف : ٣٠ - ٣١]"(٨).

القرآن

{أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)} [الكهف : ٣١]

التفسير:

أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائمًا، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار العذبة، يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب، ويَلْبَسون ثيابًا ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغليظه، يتكئون فيها على الأسِرَّة المزدانة بالستائر الجميلة، نِعْمَ الثواب ثوابهم، وحَسُنتِ الجنة منزلا ومكانًا لهم.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ} [الكهف : ٣١]، أي:" أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائمًا"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٤/٢.
(٣) تفسير الطبري:١٦/١٨.
(٤) فهم القرآن:٣٨٠.
(٥)هذا القول للنبي عيسى عليه السلام في الحلية ٢/ ٣٧٠.
(٦) تفسير التستري:٩٨.
(٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٩٥):ص٢٣٥٩/٧.
(٨) الكشف والبيان:١٩/٢.

قال الزجاج: " جنات إقامة، وقيل في التفسير جنات عدن، جنات من الأربع الجنان التي أعدها الله لأوليائه"(٢).

قال مكي:" أي: جنات إقامة لا زوال منها"(٣).

قال أبو الليث السمرقندي:" «العدن»: الإقامة، ويقال: العدن بطنان الجنة، وهي وسطها"(٤).

قوله تعالى:{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} [الكهف : ٣١]، أي:" تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار العذبة"(٥).

قال مقاتل:" يقول: تجري الأنهار من تحت البساتين"(٦).

قال ابن كثير:" أي : من تحت غرفهم ومنازلهم ، قال لهم فرعون : { وَهَذِهِ الأنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي } [الزخرف : ٥١]"(٧).

قال مكي:" أي: من دونهم الأنهار. كما يقال: داري تحت دارك، أي: دونها.

قال مكي :"وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعباً. فقال: له: إني سمعت الله عز وجل يذكر جنات عدن، فما عدن؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هو قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل. فقال: عمر: أما النبوة فقد جعلها الله عز وجل في أهلها، وأما الصديق فوالله إني لأرجو أن أكون قد صدقت بالله عز وجل وبرسوله، وأما الحكم العدل فوالله إني لأرجو أن أكون ما فرقت في حكم أحداً، وأما الشهادة فأنّى لي بالشهادة؟ قال: الحسن فجمعهن الله عز وجل والله له ثلاثتهن. فجعله: صديقاً، حكماً عدلاً، شهيدا"(٨).

قوله تعالى:{يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ} [الكهف : ٣١]، أي:" يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب"(٩).

عن الحسن: "الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء"(١٠).

عن أبي حازم، قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ، وهو يمد الوضوء إلى إبطه، فقلت: يا أبا هريرة، ما هذا الوضوء؟ قال: يا بني فروخ، أنتم هاهنا لو علمت أنكم هاهنا ما توضأت هذا الوضوء، إني سمعت خليلي يقول: « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»"(١١).

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٢) معاني القرآن:٢٨٣/٣.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٧٥/٦.
(٤) بحر العلوم:٣٤٥/٢.
(٥) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٤/٢.
(٧) تفسير ابن كثير:١٥٦/٥.
(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٧٥/٦-٤٣٧٦.
(٩) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٠) انظر: توضيح المقاصد،شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم:٥٤٠/٢.
(١١) أخرجه أحمد(٨٨٤٠):ص١٤/٤٣٥-٤٣٦.
إسناده قوي، خلف بن خليفة -وإن كان من رجال مسلم- فيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. حسين بن محمد: هو ابن بهرام المروذي، وأبو مالك الأشجعي: هو سعد بن طارق، وأبو حازم: هو سلمان الأشجعي.
وأخرجه أبو عوانة ٢٤٤/١ من طريق حسين بن محمد، بهذا الإسناد.
وأخرجه مسلم (٢٥٠) ، والنسائي في "المجتبى" ٩٣/١، والبيهقي ٥٦/١-٥٧، والبغوي (٢١٩) من طريق قتيبة بن سعيد، والخطيب في "تاريخ بغداد" ١٨١/٥ من طريق يحيى بن زحمويه، كلاهما عن خلف بن خليفة، به.
وأخرجه أبو عوانة ٢٤٤/١، وأبو يعلى (٦٢٠٢) ، وابن خزيمة (٧) من طريق عبد الله بن إدريس، وأبو يعلى (٦٢٠٢) ، وعنه ابن حبان (١٠٤٥) من طريق علي بن مسهر، كلاهما عن أبي مالك الأشجعي سعد بن طارق، به.
وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة ٥٥/١ من طريق أبي زرعة، عن أبي هريرة

عن داود بن عامر بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوؤه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»"[١].

عن أبي هريرة، أن أبا أمامة، حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حلي أهل الجنة، فقال: « مسورون بالذهب والفضة، مكللون بالدر، عليهم أكاليل من در، وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب جرد مكحلون»[٢].

قوله تعالى:{وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} [الكهف : ٣١]، أي:" ويَلْبَسون ثيابًا ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغليظه"[٣].

وفي «السندس»، قولان :

أحدهما : أنه من ألطف من الديباج ، قاله الكلبي[٤].

الثاني : أنه رقيق الديباج ، واحده «سندسة»، قاله ابن قتيبة[٥]، والطبري[٦].

وفي «الاستبرق»، أيضا قولان :

أحدهما : أنه الديباج الغليظ، قاله الضحاك[٧]، وابن قتيبة[٨]،والطبري[٩].

قال الضحاك:" الديباج الغليظ، وهو بلغة العجم استبره"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: الديباج بلغة فارس"[١١].

قال ابن قتيبة:" ويقول قوم: فارسي معرب، أصله: استبره، وهو الشديد"[١٢].

وقد قال المرقش[١٣]:

تَرَهُنَّ يَلْبَسْنَ المَشاعِرَ مَرَّةً ... وإسْتَبْرَقَ الدّيباجِ طَوْرًا لِباسُها

يعني: وغليظ الديباج.

الثاني : أنه الحرير المنسوج بالذهب ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[١٤].

قال عبد الرحمن بن سابط: "يبعث الله إلى العبد من اهل الجنة بالكسوة فتعجبه، فيقول: لقد رأيت الجنان فما رأيت مثل هذه الكسوة قط! فيقول الرسول الذي جاء بالكسوة: إن ربك يأمر أن تهيئ لهذا العبد مثل هذه الكسوة ما شاء"[١٥].

قال كعب:" لو إن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا، لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم"[١٦].

قال سليم بن عامر: "إن الرجل من أهل الجنة يلبس الحلة من حلل اهل الجنة فيضعها بين أصبعيه، فما يرى منها شيء، وإنه يلبسها فيتعفر حتى تغطي قدميه، يكسى في الساعة

---

(١) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة(٢٦٦):ص١١١/٢.
(٢) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة(٢٦٧):ص١١١/٢.
(٣) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٤) انظ{: النكت والعيون:٣٠٤/٣.
(٥) غريب القرآن:٢٦٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٨.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٩٦):ص٢٣٥٩/٧.
(٨) غريب القرآن:٢٦٧.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٦):ص٢٣٥٩/٧.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٤/٢.
(١٢) غريب القرآن:٢٦٧.
(١٣)البيت للمرقش ذكرته كتب التفسير بدون نسبة. انظر: "جامع البيان" ١٥/ ٢٤٣، و"النكت والعيون" ٣/ ٣٠٥، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٠/ ٣٩٧، و"الدر المصون" ٧/ ٤٨٤، و"فتح القدير" ٣/ ٤٠٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٣٠٥/٣.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٧):ص٢٣٥٩/٧.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٨):ص٢٣٦٠/٧.

الواحدة سبعين ثوبا ... إن أدناها مثل شقيق النعمان، وأنه يلبس سبعين ثوبا يكاد إن يتوارى، وما يستطيع أحد في الدنيا يلبس سبعة أثواب ما يسعه عنقه"(١).

عن الهيثم بن مالك الطائي، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله، يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه»"(٢).

قال ثابت: "بلغنا إن الرجل يتكئ في الجنة سبعين سنة، عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة، فإذا أزواج له لم يكن يراهن من قبل ذلك فيقلن: قد إن لك إن تجعل لنا منك نصيبا"(٣).

قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ} [الكهف : ٣١]، أي:" يتكئون فيها على الأسِرَّة المزدانة بالستائر الجميلة"(٤).

وفي قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ} [الكهف : ٣١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها الحجال. قاله قتادة(٥).

الثاني : أنها الفُرُش في الحجال. قاله الزجاج(٦).

الثالث : أنها السرر في جوف الحجال، عليها الفرش منضود في السماء فرسخ. قاله ابن عباس(٧)، وأبو عبيدة(٨)، وابن قتيبة(٩)، والطبري(١٠).

وقال ابن قتيبة:" {الأرائك} السرر في الحجال، واحدها «أريكة»"(١١).

وقد قال ذو الرمة(١٢):

خُدُودا جَفَتْ في السَّيْرِ حتى كأنَّما ... يُبَاشرن بالمَعْزاءِ مَسّ الأرَائك

وقال الأعشى(١٣):

بينَ الّرَواق وجانِبِ مِن سِتْرِها ... مِنْها وبين أرِيكَةِ الأنْضَادِ

قال ابن كثير:" «الاتكاء»: قيل : الاضطجاع، وقيل: التربع في الجلوس. وهو أشبه بالمراد هاهنا، ومنه الحديث في الصحيح : «أما أنا فلا آكل متكئًا»(١٤)، و«الأرائك»: جمع «أريكة» ، وهي السرير تحت الحَجَلة ، و«الحجلة» كما يعرفه الناس في زماننا هذا بـ«الباشخاناه»، والله أعلم "(١٥).

قوله تعالى:{نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف : ٣١]، أي:" نِعْمَ الثواب ثوابهم، وحَسُنتِ الجنة منزلا ومكانًا لهم"(١٦).

قال الطبري:" يقول: نعم الثواب جنات عدن، وما وصف جلّ ثناؤه أنه جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعلموا الصالحات، وحسنت هذه الأرائك في هذه الجنان التي وصف تعالى ذكره في هذه الآية متكأ"(١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٩):ص٧/٢٣٦٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨٠٠):ص٧/٢٣٦٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨٠١):ص٧/٢٣٦٠.
(٤) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٨.
(٦) انظر: معاني القرآن:٣/٢٨٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٠٢):ص٧/٢٣٦٠.
(٨) انظر: مجاز القرآن:١/٤٠١.
(٩) انظر: غريب القرآن:٢٦٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٧.
(١١) غريب القرآن:٢٦٧.
(١٢)ديوانه ٤٢٢ ، ومجاز القرآن:١/٤٠١، وتفسير الطبري:١٨/١٧، والنكت والعيون:٣/٣٠٥.
(١٣)ديوانه ٩٧، ومجاز القرآن:١/٤٠١، وتفسير الطبري:١٨/١٧.
(١٤)صحيح البخاري برقم (٥٣٩٨).
(١٥) تفسير ابن كثير:٥/١٥٦.
(١٦) التفسير الميسر:٢٩٧.

قال ابن كثير:" أي : نعمت الجنة ثوابًا على أعمالهم، { وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا } أي : حسنت منزلا ومقيلا ومقامًا "(٢).

فوائد الآيتين:[٢٩-٣١]:

١- على الداعي إلى الله تعالى أن يبين الحق، والناس بعد بحسب ما كتب لهم أو عليهم.
٢- أن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئة، وإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه، قال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}[الكهف:٢٩].
٣- الترغيب والترهيب بذكر جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين.
٤- أن النار دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً}[الكهف:٢٩]، والجنة والنار موجودتان الآن ولن تفنيا أبد الآبدين: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً}[الطلاق:١١]، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا}[الأحزاب:٦٤-٦٦].
٥- أن أهل الجنة يلبسون فيها الفاخر من اللباس، ويتزينون فيها بأنواع الحلي من الذهب والفضة واللؤلؤ، فمن لباسهم الحرير، ومن حلاهم أساور الذهب والفضة واللؤلؤ: قال تعالى: {وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا} [الإنسان: ١٢] ، {يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير} [الحج: ٢٣] ، {جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير} [فاطر: ٣٣] ، {وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا} [الإنسان: ٢١] .
وملابسهم ذات ألوان، ومن ألوان الثياب التي يلبسون الخضر من السندس والإستبرق {يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا} [الكهف: ٣١] ، {عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة} [الإنسان: ٢١] .
ولباسهم أرقى من أي ثياب صنعها الإنسان، فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: " أتى الرسول - ﷺ - بثوب من حرير، فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه، فقال رسول الله - ﷺ -: «لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذا»(٣).
٦- أن عذاب النار شر عذاب، ونعيم الجنة، نعم النعيم ولا يهلك على الله إلا هالك.

القرآن

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢)} [الكهف : ٣٢]

التفسير:

واضرب -أيها الرسول- لكفار قومك مثلا رجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد جعلنا للكافر حديقتين من أعناب، وأحطناهما بنخل كثير، وأنبتنا وسطهما زروعًا مختلفة نافعة.

---

(١) تفسير الطبري:١٨/١٨.
(٢) تفسير ابن كثير:١٥٦/٥.
(٣)صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة والنار، فتح الباري: (٣١٩/٦).

قوله تعالى:{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ} [الكهف : ٣٢]، أي:" واضرب -أيها الرسول- لكفار قومك مثلا رجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر"[١].

قال مقاتل:" يعني: وصف لأهل مكة شبها رجلين"[٢].

وفي ضرب المثل في هاتين الجنتين قولان :

أحدهما : ما حكاه مقاتل بن سليمان : أنه إخبار الله تعالى عن أخوين كانا في بني إسرائيل، أحدهما مؤمن واسمه يمليخا، والآخر كافر واسمه فرطس، مات أبوهما، فورث كل واحد منهما عن أبيه أربعة آلاف دينار، فعمد المؤمن فأنفق ماله على الفقراء، واليتامى، والمساكين، وعمد الكافر فاتخذ المنازل، والحيوان، والبساتين، فكان من حاله ما ذكره الله من بعد ، فجعله الله تعالى مثلاً لهذه الأمة[٣].

والقول الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى لهذه الأمة ، وليس بخبر عن حال متقدمة ، ليزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ، وجعله زجراً وإنذاراً . حكاه الماوردي[٤].

وقال الزجاج:" كان المشركون سألوا النبي - ﷺ - بمشورة إليهود عليهم أن يسألوا النبي - ﷺ - عن قصة أصحاب الكهف وعن الروح وعن هذين الرجلين، فأعلمه الله الجواب وأنه مثل له عليه السلام وللكفار، ومثل لجميع من آمن بالله وجميع من عند عنه وكفر به"[٥].

قوله تعالى:{جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ} [الكهف : ٣٢]، أي:" وقد جعلنا للكافر حديقتين من أعناب"[٦].

قال ابن كثير:" أي : بستانين من أعناب"[٧].

قال السدي:" إن الجنة هي البستان، فكان له بستان واحد وجدار واحد، وكان بينهما نهر ولذلك كان جنتين، فلذلك سماه جنة من قبل الجدار الذي يليها"[٨].

قوله تعالى:{وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ} [الكهف : ٣٢]، أي:" وأحطناهما بنخل كثير"[٩].

قال ابن كثير:" محفوفتين بالنخل المحدقة في جنباتهما "[١٠].

قال الزجاج:" أي: جعلنا النخل مطيفا بهما، يقال: قد حف القوم بزيد، إذا كانوا مطيفين به"[١١].

قال أبو عبيدة:" أطفناهما وحجزناهما من جوانبهما، قال الطّرمّاح[١٢]:

تظلّ بالأكمام محفوفة ... ترمقها أعين جرّامها"[١٣].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا} [الكهف : ٣٢]، أي:" وأنبتنا وسطهما زروعًا مختلفة نافعة"[١٤].

قال ابن كثير:" وفي خلالهما الزروع "[١٥].

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٤/٢.
(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٤/٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:٣٠٦/٣.
(٥) معاني القرآن:٢٨٤/٣.
(٦) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٧) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.
(٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٠٣):ص٢٣٦٠/٧.
(٩) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.
(١١) معاني القرآن:٢٨٤/٣.
(١٢)الطرماح» : من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم، انظر أخباره فى الأغانى ١٠/ ١٤٨. - والبيت فى اللسان والتاج (كمم).
(١٣) مجاز القرآن:٤٠٢/١.
(١٤) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٥) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.

قال الزجاج:" فأعلم الله أن عمارتهما كاملة متصلة لا يفصل بينهما إلا عمارة، وأعلمنا أنهما كاملتان في تأدية حملهما من نخلهما وأعنابهما والزرع الذي بينهما"(١).

القرآن
{كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣)} [الكهف : ٣٣]
التفسير:
وقد أثمرت كل واحدة من الحديقتين ثمرها، ولم تُنْقِص منه شيئًا، وشققنا بينهما نهرًا لسقيهما بسهولة ويسر.
قوله تعالى:{كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا} [الكهف : ٣٣]، أي:" وقد أثمرت كل واحدة من الحديقتين ثمرها"(٢).
قال مقاتل:" يعنى: أعطت ثمراتها كلها"(٣).
قال الفراء:" معناه: كل شيء من ثمر الجنتين آتى أكله"(٤).
قال البغوي:" أي: أعطت كل واحدة من الجنتين ثمرها تاما"(٥).
قال ابن كثير:" أي : خرجت ثمره، وكل من الأشجار والزروع مثمر مُقبلٌ في غاية الجود "(٦).
قوله تعالى:{وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا} [الكهف : ٣٣]، أي:" ولم تُنْقِص منه شيئًا"(٧).
قال ابن عباس:" لم تنقص، كل شجر الجنة أطعم"(٨).
قال أبو عبيدة:" ولم تنقص، ويقال: ظلمنى فلان حقى أي نقصنى، وقال رجل لابنه(٩):
تَظَّلَمَنِي مالي كَذَا وَلَوَى يَدِي ... لَوَى يَدَهُ اللهُ الَّذِي لا يغالبه"(١٠).
قال ابن كثير:" أي : ولم تنقص منه شيئًا "(١١).
قوله تعالى:{وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا} [الكهف : ٣٣]، أي:" وشققنا بينهما نهرًا لسقيهما بسهولة ويسر"(١٢).
قال أبو عبيدة:" أي: وسطهما، وبينهما، وبعضهم يسكّن هاء النهر"(١٣).
قال ابن كثير:" أي : والأنهار تتخرق فيهما هاهنا وهاهنا "(١٤).
عن السدي: قوله:"{وفجرنا خلالهما نهرا}، يقول: وسطهما"(١٥).
قال الفراء:" يقال: كيف جاز التشديد وإنما النهر واحد؟

---

(١) معاني القرآن:٢٨٤/٣.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٤/٢-٥٨٥.
(٤) معاني القرآن:١٤٣/٢.
(٥) تفسير البغوي:١٧١/٥.
(٦) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.
(٧) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٠٤):ص٢٣٦١/٧ .
(٩)فى الحماسة (٤/ ١٩) من كلمة لفرعان بن الأعرف فى منازل وهو فى واللسان والتاج (ظلم)، وتفسير الطبري ١٨/ ١٩، برواية« هُوَ غالِبُهْ».
تظلمنى: أي: ظلمنى مالى، تقتضيها ضرورة الوزن إن كان «ظلمنى» أولى استشهادا.
(١٠) مجاز القرآن:٤٠٢/١.
(١١) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.
(١٢) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٣) مجاز القرآن:٤٠٢/١.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.
(١٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٠٥):ص٢٣٦١/٧ .

قلت: لأن النهر يمتد حتى صار التفجر كأنه فيه كله، فالتخفيف فيه والتثقيل جائزان. ومثله: {حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} [الإسراء : ٩٠]، يثقل ويخفف"(١).

القرآن

{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)} [الكهف : ٣٤]

التفسير:

وكان لصاحب الحديقتين ثمر وأموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن، وهو يحاوره في الحديث -والغرور يملؤه-: أنا أكثر منك مالا وأعز أنصارًا وأعوانًا.

قوله تعالى:{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ} [الكهف : ٣٤]، أي:" وكان لصاحب الحديقتين ثمر وأموال أخرى"(٢).

قال أبو عبيدة:" «ثَمَرٌ»: جماعة «الثّمر»"(٣).

قال مقاتل:" يقول: وكان للكافر مال من الذهب، والفضة وغيرها من أصناف الأموال فلما افتقر المؤمن أتى أخاه الكافر متعرضا لمعروفه فقال له المؤمن: إني أخوك. وهو ضامر البطن رث الثياب. والكافر ظاهر الدم غليظ الرقبة جيد المركب والكسوة. فقال الكافر للمؤمن: إن كنت كما تزعم أنك أخي فأين مالك الذي ورثت من أبيك قال أقرضته إلهي الملي الوفي فقدمته لنفسي ولولدي، فقال: وإنك لتصدق أن الله يرد دين العباد، هيهات هيهات ضيعت نفسك وأهلكت مالك"(٤).

قال ابن كثير:" وقيل : الثمار وهو أظهر هاهنا ، ويؤيده القراءة الأخرى : «وكان له ثُمْر» بضم الثاء وتسكين الميم ، فيكون جمع ثَمَرَة ، كَخَشَبَة وخُشب ، وقرأ آخرون : { ثَمَرٌ } بفتح الثاء والميم"(٥).

قرأ عاصم «ثَمَر»، بفتح الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو: «ثُمْر» بضم الثاء وإسكان الميم ، وقرأ الباقون« ثُمُر» بضم الثاء والميم(٦).

وفي اختلاف هاتين القراءتين بالضم والفتح، قولان :

أحدهما : معناهما واحد ، فعلى هذا فيه ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : أنه الذهب والفضة، لأنها أموال مثمرة. قاله مجاهد(٧).

الثاني : أنه المال الكثير من صنوف الأموال، لأن تثميره أكثر. قاله ابن عباس(٨)، وقتادة(٩).

قال قتادة:" «الثُّمُر»: المال كله، قال: وكلّ مال إذا اجتمع فهو ثُمُر إذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله"(١٠).

الثالث : أنه الأصل الذي له نماء، لأن في النماء تثميرا. قاله ابن زيد(١١) .

وروي عَنِ أَبِي يَزِيد المدني، "أنه كَانَ يقرؤها :«وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ»، قَالَ: الأصل، و«الثمر»، الثمرة"(١٢).

---

(١) معاني القرآن:١٤٤/٢.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٧.
(٣) مجاز القرآن:٤٠٢/١.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٥/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:١٥٧/٥.
(٦) انظر: السبعة في القراءات:٣٩٠، والتيسير في القراءات السبع:١٤٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٢٠/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٢١/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢١/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٢١/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢١/١٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٠).:ص٢٣٦١/٧

والقول الثاني : أن معناهما بالضم وبالفتح مختلف ، فعلى هذا في الفرق . بينهما ، خمسة أوجه[١]:

أحدها : أنه بالفتح جمع:«ثمرة»، وبالضم جمع «ثمار».

الثاني : أنه بالفتح :«ثمار النخيل» خاصة ، وبالضم :«جميع الأموال»، حكاه الماوردي عن ابن بحر[٢].

الثالث : أنه بالفتح ما كان ثماره من أصله ، وبالضم ما كان ثماره من غيره .

الرابع : أن «الثمر» بالضم الأصل ، وبالفتح «الفرع»، قاله ابن زيد[٣].

الخامس: أن «الثمر»، المال والولدان والرقيق، و«الثمر»: الفاكهة. وهذا قول بشير بن عبيد[٤].

عبيد[٤].

وقال مجاهد:" ما كان في القرآن من ثمر بالضم فهو مال، وما كان من «ثمر» مفتوح فهو من الثمار"[٥].

وفي هذا «الثمر» المذكور أقوال :

أحدها : أنه ثمر الجنتين المتقدم ذكرهما ، حكاه الماوردي عن الجمهور[٦].

الثاني : أنه ثمر ملكه من غير جنتيه، وأصله كان لغيره كما يملك الناس ثماراً لا يملكون أصولها ، ليجتمع في ملكه ثمار أمواله وثمار غير أمواله فيكون أعم مِلكا ، وهذا قول ابن عباس[٧].

الثالث: أن ذكر «الثمر» دليل على كثرة ما يملك من الثمار في الجنتين وغيرهما، ذكره ابن الأنباري[٨].

الرابع: أن المراد بـ«الثمر»: الأموال من الأنواع وذكرنا أنها الذهب، والفضة، وذلك يخالف الثمر المأكول. حكاه ابن الجوزي[٩].

قال أبو علي الفارسي:"وكأنّ الذهب والورق، قيل له ثمر على التفاؤل، لأن الثمر نماء في ذي الثمر، ولا يمتنع أن يكون الثّمر جمع ثمرة، فالثمر الذي هو الجنا أشبه بالنخيل والأعناب، من الذهب والورق منهما وأشدّ مشاكلة، ويقوّي ذلك قوله في الأخرى في وصف جنّة: {أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات} [البقرة: ٢٦٦]، فكما أنّ الثمرات في هذه لا تكون إلّا الجنا، كذلك في الأخرى يكون إياه. ويقوي أن الثمر ليس بالذهب والورق هنا قوله: {وأحيط بثمره}، والإحاطة به إهلاك له، واستئصال بالآفة التي حلت بها كما حلّت بالأخرى في قوله: {فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت} [البقرة: ٢٦٦]، وكما قال: {فأصبحت كالصريم} [القلم: ٢٠]، أي: سوداء كسواد الليل بالاحتراق، ويقوي ذلك قوله :{فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها} [الكهف/ ٤٢]، والإنفاق في الأمر العام إنّما يكون من الورق لا من الشجر"[١٠].

قوله تعالى:{فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف : ٣٤]، أي:" فقال لصاحبه المؤمن، وهو يحاوره في الحديث -والغرور يملؤه-: أنا أكثر منك مالا وأعز أنصارًا وأعوانًا"[١١].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٣٠٦/٣.
(٢) انظر: النكت والعيون:٣٠٦/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢١/١٨.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٠٩):ص٢٣٦١/٧.
(٥) أخرجهخ الفراء في معاني القرآن:١٤٤/٢.
(٦) انظر: النكت والعيون:٣٠٦/٣.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣٠٦/٣، وزاد المسير:٨٤/٣.
(٨) انظر: زاد المسير:٨٤/٣.
(٩)انظر: زاد المسير:٨٤/٣.
(١٠) الحجة للقراء السبعة:٣٧٠/٣-٣٧١.
(١١) التفسير الميسر:٢٩٧.

القرآن

{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)} [الكهف : ٣٥ - ٣٦]

التفسير:

ودخل حديقته، وهو ظالم لنفسه بالكفر بالبعث، وشكه في قيام الساعة، فأعجبته ثمارها وقال: ما أعتقد أن تَهْلِك هذه الحديقة مدى الحياة، وما أعتقد أن القيامة واقعة، وإن فُرِضَ وقوعها -كما تزعم أيها المؤمن- ورُجعتُ إلى ربي لأجدنَّ عنده أفضل من هذه الحديقة مرجعًا ومردًا؛ لكرامتي ومنزلتي عنده.[1].

قوله تعالى:{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} [الكهف : ٣٥]، أي:" ودخل حديقته، وهو ظالم لنفسه بالكفر بالبعث، وشكه في قيام الساعة"[2].

قال قتادة:" يقول: كفور لنعمة ربه"[3].

قال يحيى بن سالم:{وهو ظالم لنفسه}، " يعني: بشركه"[4].

قال ابن كثير:" أي : بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد"[5].

قوله تعالى:{قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا} [الكهف : ٣٥]، أي:" وقال: ما أعتقد أن تَهْلِك هذه الحديقة مدى الحياة"[6].

قال ابن كثير:" وذلك اغترار منه ، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله ، وضعف يقينه بالله ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة"[7].

عن السدي:"{ما أظن إن تبيد هذه أبدا}، يقول: تهلك"[8].

قوله تعالى:{وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} [الكهف : ٣٦]، أي:وقال:" وما أعتقد أن القيامة واقعة"[9].

قال مقاتل:" يعني: القيامة كائنة"[10].

قال ابن كثير:" أي : كائنة "[11].

قال يحيى بن سلام:يقول:" وما أوقن أن الساعة قائمة. يجحد بالبعث"[12].

قال مكي:" شك في قيام الساعة"[13].

قوله تعالى:{وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف : ٣٦]، أي:" وإن فُرِضَ وقوعها -كما تزعم أيها المؤمن- ورُجعتُ إلى ربي لأجدنَّ عنده أفضل من هذه الحديقة مرجعًا ومردًا؛ لكرامتي ومنزلتي عنده"[14].

قال السدي:"ولئن كانت قائمة ثم رددت إلى ربي :{لأجدن خيرا منها منقلبا}"[1].

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨١١):ص٢٣٦٢/٧.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:١٨٦/١.
(٥) تفسير ابن كثير:١٥٧/٥.
(٦) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٧) تفسير ابن كثير:١٥٧/٥.
(٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨١٢):ص٢٣٦٢/٧.
(٩) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٥/٢.
(١١) تفسير ابن كثير:١٥٧/٥.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:١٨٦/١.
(١٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٨٣/٦.
(١٤) التفسير الميسر:٢٩٨.

قال يحيى بن سلام:" أي: ولكن ليس جنة ولا مرد"(٢).

قال مكي:" تحقيق المعنى: ولئن رددت إلى ربي، على قول صاحبي وقد أعطاني هذا في الدنيا فهو يعطيني في الآخرة أفضل من ذلك. فدل هذا على أن صاحبه المؤمن أعلمه أن ثم بعث ومجازاة. ومثله {أَيْنَ شُرَكَآئِيَ} [النحل: ٢٧]، فأضافهما إلى نفسه، والمعنى أين شركائي على قولكم"(٣).

قال ابن كثير:" أي : ولئن كان معاد ورجعة وَمَرَدٌّ إلى الله ، ليكونَنّ لي هناك أحسن من هذا لأني مُحظى عند ربي ، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا ، كما قال في الآية الأخرى : { وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى } [فصلت : ٥٠] ، وقال { أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا } [مريم : ٧٧] أي : في الدار الآخرة ، تألى على الله ، عز وجل ، وكان سبب نزولها في العاص بن وائل"(٤).

قال البغوي:" إن قيل: كيف قال: {ولئن رددت إلى ربي}، وهو منكر البعث؟

قيل: معناه ولئن رددت إلى ربي -على ما تزعم أنت-يعطيني هنالك خيرا منها فإنه لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها"(٥).

القرآن

{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧)} [الكهف : ٣٧]

التفسير:

قال له صاحبه المؤمن، وهو يحاوره واعظًا له: كيف تكفر بالله الذي خلقك مِن تراب، ثم مِن نطفة الأبوين، ثم سَوَّاك بشرًا معتدل القامة والخَلْق؟ وفي هذه المحاورة دليل على أن القادر على ابتداء الخلق، قادر على إعادتهم.

قوله تعالى:{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} [الكهف : ٣٧]، أي:" قال له صاحبه المؤمن، وهو يحاوره واعظًا له"(٦).

قال مكي:" أي: قال: له صاحبه المؤمن وهو يخاطبه"(٧).

قال أبو عبيدة:" {وَهُوَ يُحاوِرُهُ}، أي: يكلّمه، ومعناه من المحاورة"(٨).

قوله تعالى:{أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا} [الكهف : ٣٧]، أي:" كيف تكفر بالله الذي خلقك مِن تراب، ثم مِن نطفة الأبوين، ثم سَوَّاك بشرًا معتدل القامة والخَلْق؟"(٩).

قال مكي:" {أَكَفَرْتَ بالذي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ}، يعني: خلق آدم أباك من تراب {ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ} أي: خلقك أنت من نطفة الرجل والمرأة، {ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً} أي عدلك سوياً رجلاً لا امرأة، فكفرت به أن يعيدك خلقاً جديداً بعد موتك"(١٠).

قال ابن كثير:" وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه ، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، كما قال تعالى : { كَيْفَ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨١٢):ص٢٣٦٢/٧.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:١٨٦/١.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٨٣/٦.
(٤) تفسير ابن كثير:١٥٧/٥-١٥٨.
(٥) تفسير البغوي:١٧٢/٥.
(٦) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٨٣/٦.
(٨) مجاز القرآن:٤٠٣/١.
(٩) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٠) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٨٣/٦-٤٣٨٣

تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } [البقرة : ٢٨٠] أي : كيف تجحَدُون ربكم ، ودلالته عليكم ظاهرة جلية ، كل أحد يعلمها من نفسه ، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدومًا ثم وجد ، وليس وجوده من نفسه ولا مستندًا إلى شيء من المخلوقات ؛ لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه ، وهو الله ، لا إله إلا هو ، خالق كل شيء "(١).

القرآن

{لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨)} [الكهف : ٣٨]

التفسير:

لكن أنا لا أقول بمقالتك الدالة على كفرك، وإنما أقول: المنعم المتفضل هو الله ربي وحده، ولا أشرك في عبادتي له أحدًا غيره.

قوله تعالى:{لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي} [الكهف : ٣٨]، أي:" لكن أنا لا أقول بمقالتك الدالة على كفرك، وإنما أقول: المنعم المتفضل هو الله ربي وحده"(٢).

قال مكي:" أي: لكن أنا أقول هو الله ربي"(٣).

قال ابن كثير:" أي : أنا لا أقول بمقالتك ، بل أعترف لله بالربوبية والوحدانية "(٤).

قوله تعالى:{وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف : ٣٨]، أي:" ولا أشرك في عبادتي له أحدًا غيره"(٥).

قال ابن كثير:" أي : بل هو الله المعبود وحده لا شريك له "(٦).

قال مكي:" وهذا يدل على أن صاحب المال كان مشركاً إذ نفى هذا المؤمن الإشراك عن نفسه"(٧).

قالت أسماء بنت عميس: "علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن عند الكرب: «الله الله ربي لا أشرك به شيئا»"(٨).

فوائد الآيات:[٣٢-٣٨]:

١- استحسان ضرب الأمثال للوصول بالمعاني االخفية إلى الأذهان.
٢- بيان صورة مثالية لغرس بساتين النخل والكروم.
٣- تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء.
٤- التنديد بالكبر والغرور حيث يفضيان بصاحبهما إلى الشرك والكفر.

القرآن

{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١)} [الكهف : ٣٩ - ٤١]

التفسير:

وهلا حين دخَلْتَ حديقتك فأعجبتك حَمِدت الله، وقلت: هذا ما شاء الله لي، لا قوة لي على تحصيله إلا بالله. إن كنت تراني أقل منك مالا وأولادًا، فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك، ويسلبك النعمة بكفرك، ويرسل على حديقتك عذابا من السماء، فتصبح أرضًا ملساء

---

(١) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٨٣/٦
(٤) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.
(٥) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٦) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٨٣/٦
(٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨١٣):ص٢٣٦٢/٧.

جرداء لا تثبت عليها قدم، ولا ينبت فيها نبات، أو يصير ماؤها الذي تُسقى منه غائرًا في الأرض، فلا تقدر على إخراجه.

قوله تعالى:{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف : ٣٩]، أي:" وهلا حين دخَلْتَ حديقتك فأعجبتك حَمِدت الله، وقلت: هذا ما شاء الله لي، لا قوة لي على تحصيله إلا بالله"(١).

قال مكي:" أي: هلا إذ دخلت بستانك فأعجبك ما رأيت فيه قلت: ما شاء الله كان ولا قوة على ما نحاول من الطاعة إلاّ بالله"(٢).

قال الواحدي:" أقبل على أخيه يلومه، قال: {ولولا إذ دخلت جنتك}، بمعنى :«هلا»، وتأويله التوبيخ، أي: هلا قلت حين دخلتها: الأمر بمشيئة الله، وما شاء الله كان، يعني: إن شاء إخراب هذه الجنة وإهلاكها، كان ذلك بمشيئته"(٣).

قال ابن كثير:" هذا تحضيض وحث على ذلك ، أي : هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك ، وأعطاك من المال و الولد ما لم يعطه غيرك ، وقلت : { مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ } ؛ ولهذا قال بعض السلف : من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده أو ماله ، فليقل : { مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ } وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة"(٤).

عن أنس رضي الله عنه قال: "من رأى شيئا من ماله فأعجبه فقال :«ما شاء الله لا قوة إلا بالله»، لم يصب ذلك المال آفة أبدا، وقرأ :{ولولا إذ دخلت جنتك}، الآية"(٥).

وعن أنس ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد ، فيقول : { مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ } فيرى فيه آفة دون الموت"(٦).

عن زياد بن سعد قال: "كان ابن شهاب إذا دخل أمواله قال: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله»، ويتأول قوله: {ولولا إذ دخلت جنتك}، الآية"(٧).

عن مطرف قال: كان مالك إذا دخل بيته قال: «ما شاء الله»، قلت لمالك لم: تقول هذا؟ قال: ألا تسمع الله يقول: {ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله}"(٨).

عن حفص بن ميسرة قال: "رأيت على باب وهب بن منبه مكتوبا :«ما شاء الله»، وذلك قول الله: {ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله}"(٩).

قال عمر بن مرة: "إن من أفضل الدعاء قول الرجل :«ما شاء الله»"(١٠).

قال إبراهيم بن أدهم: "ما سأل رجل مسألة أنجح من ان يقول: «ما شاء الله»"(١١).

قال: أبو عامر الباجي: "من أكثر من قول :«ما شاء الله» لم يصبه شيء إلا رضي به"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٨٣/٦
(٣) التفسير الوسيط:١٤٩/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:١٥٨/٥.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٩):ص٢٣٦٣/٧.
(٦) أخرجه أبو يعلى الموصلي كما في تفسير ابن كثير:١٥٨/٥، ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٥٢٥).
قال الحافظ أبو الفتح الأزدي : "عيسى بن عون ، عن عبد الملك بن زرارة ، عن أنس : لا يصح حديثه". انظر: تفسير ابن كثير:١٥٨/٥
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٤):ص٢٣٦٣/٧.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٥):ص٢٣٦٣/٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٦):ص٢٣٦٣/٧.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٧):ص٢٣٦٣/٧.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٨):ص٢٣٦٣/٧.
(١٢) حكاه عنه مكي بن ابي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٨٣/٦

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : "ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا قوة إلا بالله"[١].

عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له : "ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله"[٢].

وعن عَمْرو بن ميمون قال : قال أبو هريرة :« قال لي نبي الله ﷺ : "يا أبا هريرة ، أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟". قال : قلت : نعم ، فداك أبي وأمي. قال : "أن تقول لا قوة إلا بالله"، قال أبو بَلْج : وأحسب أنه قال : "فإن الله يقول : أسلم عبدي واستسلم". قال : فقلت لعمرو - قال أبو بَلْج : قال عَمْرو : قلت لأبي هريرة : لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فقال : لا إنها في سورة الكهف : { وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ }»[٣].

قوله تعالى:{إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا} [الكهف : ٣٩]، أي:" قال المؤمن للكافر: إن كنت ترى أنني أفقر منك وتعتز عليَّ بكثرة مالك وأولادك"[٤].

قوله تعالى:{فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ} [الكهف : ٤٠]، أي:" إني أتوقع من صنع الله تعالى وإحسانه أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني جنةً خيراً من جنتك لإيماني به، ويسلب عنك نعمته لكفرك به ويخرّب بستانك"[٥].

قال ابن كثير:" أي : في الدار الآخرة"[٦].

قوله تعالى:{وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ} [الكهف : ٤٠]، أي:" ويرسل عليها آفةً تجتاحها أو صواعق من السماء تدمّرها"[٧].

قال الطبري:" عذابا من السماء ترمي به رميا، وتقذف. والحسبان: جمع حُسْبانة، وهي المرامي"[٨].

قال ابن كثير:" أي : في الدار الآخرة"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ} [الكهف : ٤٠]، وجوه:

أحدها : يعني: عذاباً من السماء، قاله ابن عباس[١٠]، وقتادة[١١]، والسدي[١٢]، وابن زيد[١٣].

وقال ابن زيد:" الحُسبان: قضاء من الله يقضيه"[١٤].

الثاني : ناراً من السماء. قاله الضحاك[١٥]، ويحيى بن سلام[١٦].

الثالث : جراداً. حكاه الماوردي[١٧].

الرابع : يعني: «بردا» بلغة حمير.قاله القاسم بن سلام[١٨].

---

(١)المسند (٤٦٩/٢).
(٢)صحيح البخاري برقم (٦٦١٠) وصحيح مسلم برقم (٢٧٠٤).
(٣)المسند (٣٣٥/٢).
(٤) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(٥) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(٦) تفسير ابن كثير:١٥٩/٥.
(٧) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(٨) تفسير الطبري:٢٥/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥٩/٥.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٥/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٥/١٨.
(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٨٧/١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٥/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٢٥/١٨.
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٢٠):ص٢٣٦٣/٧.
(١٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٨٧/١.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٣٠٧/٣.
(١٨) انظر: لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.

الخامس: معناه: عذاب حساب بما كسبت يداك، لأنه جزاء الآخرة . والجزاء من الله تعالى بحساب. قاله الزجاج[١].

قال الزجاج:" وهذا موضع لطيف يحتاج أن يشرح وهو أن «الحسبان» -في اللغة- هو الحساب، قال تعالى: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} [الرحمن : ٥]، المعنى: بحساب، فالمعنى: في هذه الآية أن يرسل عليها عذاب حسبان، وذلك الحسبان هو حساب ما كسبت يداك"[٢].

الخامس : أنه المرامي، واحدتها :«حسبانة»، أي: نارا تحرقها. قاله أبو عبيدة[٣]، وابن قتيبة[٤].

وحكي الماوردي عن الأخفش: أن" أصله الحساب وفي السهام التي يرمى بها في طلق واحد ، وكان من رَمي الأساورة "[٥].

قال ابن كثير:" والظاهر أنه مطر عظيم مزعج، يقلع زرعها وأشجارها"[٦].

قوله تعالى:{فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا} [الكهف : ٤٠]، أي:" تصبح الحديقة أرضاً ملساء لا تثبت عليها قدم، جرداء لا نبات فيها ولا شجر"[٧].

قال الطبري:" يقول عز ذكره: فتصبح جنتك هذه أيها الرجل أرضا ملساء لا شيء فيها، قد ذهب كل ما فيها من غَرْس ونبت، وعادت خرابا بلاقع، زَلَقا، لا يثبت في أرضها قدم لاملساسها، ودروس ما كان نابتا فيها"[٨].

قال قتادة:" أي: قد حصد ما فيها فلم يترك فيها شيء"[٩].

عن ابن عباس:" {فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا}، قال: مثل الجُرُز"[١٠].

قال ابن زيد:" «صعيدا زلقا» و«صعيدا جُرُزا»: واحد، ليس فيها شيء من النبات"[١١].

قال الحسن:" «الزلق»: التراب الذي لا نبات فيه"[١٢].

قال أبو عبيدة:" «الصعيد» وجه الأرض، و«الزّلق»: الذي لا يثبت فيه القدم"[١٣].

قال ابن قتيبة:" «الصعيد»: الأملس المستوي، «الزلق»: الذي تزل عنده الأقدام"[١٤].

قال الزجاج:" الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه، وكذلك الزلق"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : بلقعًا ترابًا أملس ، لا يثبت فيه قَدم"[١٦].

قوله تعالى:{أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا} [الكهف : ٤١]، أي:" يغور ماؤها في الأرض فيتلف كل ما فيها من الزرع والشجر"[١٧].

قال أبو عبيدة:" أي: غائرا"[١٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن:٢٨٩/٢.
(٢)معاني القرآن:٢٨٩/٢.
(٣) انظر: مجاز القرآن:٤٠٣/١.
(٤) انظر: غريب القرآن:٢٦٧.
(٥) النكت والعيون:٣٠٧/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:١٥٩/٥.
(٧) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(٨) تفسير الطبري:٢٥/١٨-٢٦.
(٩) أخرجه الطبر]:٢٦/١٨.
(١٠) أخرجه الطبر]:٢٦/١٨.
(١١) أخرجه الطبر]:٢٦/١٨.
(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٨٧/١.
(١٣) مجاز القرآن:٤٠٣/١.
(١٤) غريب القرآن:٢٦٧.
(١٥) معاني القرآن:٢٨٩/٣.
(١٦) تفسير ابن كثير:١٥٩/٥.
(١٧) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(١٨) مجاز القرآن:٤٠٣/١.

قال ابن كثير:" أي : غائرًا في الأرض ، وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض ، فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ } [الملك : ٣٠] أي : جار وسائح"(١).

قال الطبري:" يقول: أو يصبح ماؤها غائرا، فوضع الغور وهو مصدر مكان الغائر، كما قال الشاعر(٢):

تَظَلُّ جِيَادُهُ نَوْحا عَلَيْهِ ... مُقَلَّدَةً أعِنَّتَها صُفُونا

بمعنى نائحة، وكما قال الآخر(٣):

هَرِيقي مِنْ دُمُوعِهِما سَجَاما ... ضُباعَ وجَاوِبِي نَوْحا قِيامَا"(٤).

عن قتادة :"{أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا}، أي: ذاهبا قد غار في الأرض"(٥).

قال الكلبي: "و«الغور»: الذي لا تناله الدلاء"(٦).

قوله تعالى:{فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا} [الكهف : ٤١]، أي:" وحينئذٍ لا تستطيع طلبه فضلاً عن إعادته وردّه"(٧).

قال الزجاج:" أي: يغور فلا تقدر على أثر تطلبه من أجله"(٨).

قال الطبري:" يقول: فلن تطيق أن تدرك الماء الذي كان في جنتك بعد غَوْره، بطلبك إياه"(٩).

فوائد الآيات:[٣٩-٤١]:

١- بيان مآل المؤمنين كصهيب وسلمان وبلال، وهو الجنة ومآل الكافرين كأبي جهل وعقبة بن أبي معيط وهو النار.

٢- استحباب قول من أعجبه شيء: {ما شاء الله، لا قوة إلا بالله} فإنه لا يرى فيه مكروها إن شاء الله.

٣- إثبات المشيئة لله تعالى.

قال مكي:" وقوله المسلمين بأجمعهم :«ما شاء الله كان»، وقبولهم لهذا القول واستمالتهم له بأدمعهم، يدل على أن ما حدث في الدنيا وما يحدث من خير وشر فبمشيئة الله سبحانه، وبقدرته عز وجل وإرادته تعالى كان خلافاً لقول المعتزلة أن ثم أشياء كثيرة حدثت بغير مشيئة الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل كل بمشيئته وارادته يفعل ما يشاء. كما قال: {إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ} [الحج: ١٨]، ولو حدث شيء بغير مشيئته وإرادته لكان مقهوراً مغلوباً، جل وتعالى عن ذلك"(١٠).

القرآن

{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢)} [الكهف : ٤٢]

---

(١) تفسير ابن كثير:١٥٩/٥.

(٢)البيت لعمرو بن كلثوم فارس تغلب وسيدها، من معلقته المشهورة، ورواية الشطر الأول منه في شرح التبريزي والزوزني وجمهرة أشعار العرب طبع القاهرة: " تركنا الخيل عاكفة عليه ". قال الزوزني: الصفون: جمع صافن. وقد صفن الفرس يصفن صفونا: إذا قام على ثلاث، وثنى سنبكه الرابع. يقول: قتلناه، وحبسنا خيلنا عليه، وقد قلدناها أعنتها في حال صفونها عنده. والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١: ٤٠٣.

(٣)البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن :١/ ٤٠٤.

(٤) تفسير الطبري:٢٦/١٨.

(٥) أخرجه الطبري:٢٧/١٨.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٨٧/١.

(٧) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.

(٨) معاني القرآن:٢٨٩/٣.

(٩) تفسير الطبري:٢٧/١٨.

(١٠) الهداية غلى بلوغ النهايةى:٤٣٨٥/٦.

التفسير:
وتحَقَّقَ ما قاله المؤمن، ووقع الدمار بالحديقة، فهلك كل ما فيها، فصار الكافر يُقَلِّب كفيه حسرةً وندامة على ما أنفق فيها، وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض، ويقول: يا ليتني عرفت نِعَمَ الله وقدرته فلم أشرك به أحدًا.

قوله تعالى:{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} [الكهف : ٤٢]، أي:" هلكت جنته بالكلية واستولى عليها الخراب والدمار في الزروع والثمار"[١].

قال ابن الجوزي:" أي: أحاط الله العذاب بثمره"[٢].

قال السعدي:" أي: أصابه عذاب، أحاط به، واستهلكه، فلم يبق منه شيء، والإحاطة بالثمر يستلزم تلف جميع أشجاره، وثماره، وزرعه"[٣].

قال الزمخشري:" {وأحيط به}: عبارة عن إهلاكه، وأصله من: أحاط به العدو، لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهلاك. ومنه قوله تعالى : {إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُم} [يوسف : ٦٦]، ومثله قولهم: أتى عليه، إذا أهلكه، من أتى عليهم العدو: إذا جاءهم مستعليا عليهم"[٤].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا} [الكهف : ٤٢]، أي:" فصار الكافر يُقَلِّب كفيه حسرةً وندامة على ما أنفق فيها"[٥].

قال ابن الجوزي:" أي: يضرب بيد على يد، وهذا فعل النادم، {على ما أنفق فيها}، أي: في جنته"[٦].

قال السعدي:" {على ما أنفق فيها}، أي: على كثرة نفقاته الدنيوية عليها، حيث اضمحلت وتلاشت، فلم يبق لها عوض"[٧].

قال الزمخشري:" «تقليب الكفين»: كناية عن الندم والتحسر، لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عدى تعديته بعلى، كأنه قيل: فأصبح يندم {على ما أنفق فيها}، أى: أنفق في عمارتها"[٨]

قوله تعالى:{وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [الكهف : ٤٢]، أي:" وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض"[٩].

قال الزمخشري:" يعنى: أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض، وسقطت فوقها الكروم. قيل: أرسل الله عليها نارا فأكلتها"[١٠]

قوله تعالى:{وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف : ٤٢]، أي:" ويقول: يا ليتني عرفت نِعَمَ الله وقدرته فلم أشرك به أحدًا"[١١].

قال السعدي:" وندم أيضا على شركه، وشره"[١٢].

قال الزمخشري:" تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه. ويجوز أن يكون توبة من الشرك، وندما على ما كان منه، ودخولا في الإيمان"[١].

---

(١) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(٢) زاد المسير:٨٦/٣.
(٣) تفسير السعدي:٤٧٧.
(٤) الكشاف:٧٢٤/٢.
(٥) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٦) زاد المسير:٨٦/٣.
(٧) تفسير السعدي:٤٧٧.
(٨) الكشاف:٧٢٤/٢.
(٩) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٠) الكشاف:٧٢٤/٢.
(١١) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٢) تفسير السعدي:٤٧٧.

قال السعدي:" ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه، أن صاحب هذه الجنة، التي أحيط بها، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب عنه ما يطغيه، وعاقبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا. وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول، ولا ينكره إلا ظالم جهول"[٢].

القرآن

{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣)} [الكهف : ٤٣]

التفسير:

ولم تكن له جماعة ممن افتخر بهم يمنعونه مِن عقاب الله النازل به، وما كان ممتنعًا بنفسه وقوته.

قوله تعالى:{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الكهف : ٤٣]، أي:" ولم تكن له جماعة ممن افتخر بهم يمنعونه مِن عقاب الله النازل به"[٣].

قال الزجاج:" المعنى: ولم يكن له أقوام ينصرونه"[٤].

قال مقاتل:" يعني: جندا يمنعونه من عذاب الله الذي نزل بجنته"[٥].

قال أبو عبيدة:" أي: جماعة، وقال العجّاج[٦]:

كما يحوز الفئة الكميّ"[٧].

عن مجاهد:"{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قال: عشيرته"[٨].

قال السعدي:" لما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله لصاحبه: {أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا}، فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئا، أشد ما كان إليهم حاجة"[٩].

قرأ حمزة والكسائي :«ولم يكن له فئة» بالياء وحجتهما قوله {ينصرونه}، وقرأ الباقون «ولم تكن» بالتاء لتأنيث «الفئة»[١٠].

قال قتادة:" أي: جند ينصرونه"[١١].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا} [الكهف : ٤٣]، أي:" وما كان ممتنعًا بنفسه وقوته"[١٢].

---

(١) الكشاف:٧٢٤/٢.

(٢) تفسير السعدي:٤٧٧.

(٣) التفسير الميسر:٢٩٨.

(٤) معاني القرآن:٢٩٠/٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٧/٢.

(٦)البيت للعجاج من أرجوزة له مطولة (أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكري طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ ص ١٨٤) وقبله: * يحوذهن وله حوذي *

* خوف الخلاص وهو أجنبي *

* كما يحوذ الفئة الكمي *

وقال في شرحه: ويحوذ: يسوق ويطرد. وله حوذي: أي له ما يطردهن به. والكمي: الشجاع. وأجنبي: أي مجانب لهن، متخوف، ولا يمكنهن من نفسه. اهـ و (في اللسان: حوذ) حاذ الإبل يحوذها: إذا حازها وجمعها ليسوقها. وحاذه يحوذه حوذا: غلبه، وحاذ الحمار أتنه: إذا استولى عليها وجمعها، وكذلك حازها، والفئة: الفرقة والجماعة من الناس في الأصل، والطائفة التي تقيم وراء الجيش، فإن كل عليهم خوف أو هزيمة التجئوا إليهم. وانظر: تفسير الطبري:٢٧/١٨.

(٧) مجاز القرآن:٤٠٥/١، «الولاية» : أخذ البخاري تفسير أبى عبيدة لهذه الكلمة. وقال ابن حجر (٨/ ٣٠٩) هو قول أبى عبيدة.

(٨) أخرجه الطبري:٢٨/١٨.

(٩) تفسير السعدي:٤٧٧.

(١٠) انظر: الحجة للقراء السبعة:٤١٨.

(١١) أخرجه الطبري:٢٨/١٨.

(١٢) التفسير الميسر:٢٩٨.

قال قتادة، ومقاتل:" يعني: ممتنعا"[١].
قال الطبري:" يقول: ولم يكن ممتنعا من عذاب الله إذا عذّبه"[٢].
قال الزجاج:" وما كان هو أيضا قادرا على نصر نفسه"[٣].
قال الزمخشري:" وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله"[٤].
قال الصابوني:" فلم تنفعه العشيرة والولد حين اعتزّ وافتخر بهم وما استطاع بنفسه أن يدفع عنه العذاب"[٥].
قال السعدي:" وكيف ينتصر، أي: يكون له أنصارا على قضاء الله وقدره الذي إذا أمضاه وقدره، لو اجتمع أهل السماء والأرض على إزالة شيء منه، لم يقدروا؟ "[٦].
فوائد الآيتين:[٤٢-٤٣]:
١- استجابة الله تعالى لعباده المؤمنين وتحقيق رجائهم فيه سبحانه وتعالى.
٢- المخذول من خذلة الله تعالى فإنه لا ينصر أبدا.

القرآن
{هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)} [الكهف : ٤٤]
التفسير:
في مثل هذه الشدائد تكون الولاية والنصرة لله الحق، هو خير جزاءً، وخير عاقبة لمن تولاهم من عباده المؤمنين.
قوله تعالى:{هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ} [الكهف : ٤٤]، أي:" في مثل هذه الشدائد تكون الولاية والنصرة لله الحق"[٧].
قال مقاتل:" ليس في ذلك اليوم سلطان غيره"[٨].
قال الزمخشري:" أى: في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده، لا يملكها غيره، ولا يستطيعها أحد سواه"[٩].
قوله تعالى:{وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا} [الكهف : ٤٣]، أي:" وما كان ممتنعًا بنفسه وقوته"[١٠].
قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم: «الولاية» بفتح الواو، و «لله الحق» بكسر القاف أيضا. وقرأ حمزة «الولاية» بكسر الواو، و «الحق» بكسر القاف أيضا. وقرأ أبو عمرو بفتح واو الولاية، ورفع «الحق»، ووافقه الكسائي في رفع القاف، لكنه كسر «الولاية»[١١].
قال الزجاج:" المعنى: في مثل تلك الحال بيان الولاية لله، أي: عند ذلك يتبين نصره، ولي الله - يتولى الله إياه، فمن قرأ «الحق» بالرفع، فهو نعت للولاية، ومن قرأ «الحق»، فهو بالجر فهو نعت لله - جل وعز "[١٢].
فعلى قراءة الفتح، في معنى الكلام قولان[١٣]:

---

(١) انظر:قول قتادة في تفسير الطبري:٢٨/١٨، وانظز قول مقاتل في تفسيره:٥٨٧/٢.
(٢) تفسير الطبري:٢٨/١٨.
(٣) معاني القرآن:٢٩٠/٣.
(٤) الكشاف:٧٢٤/٢.
(٥) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(٦) تفسير السعدي:٤٧٧.
(٧) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٨)تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٧/٢.
(٩) الكشاف:٧٢٤/٢.
(١٠) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١١) انظر: الحجة للقراء السبعة:١٤٩/٥-١٥٠.
(١٢) معاني القرآن:٢٩٠/٣.
(١٣) انظر: زاد المسير:٨٧/٣.

أحدهما: أنهم يتولون الله تعالى في القيامة، ويؤمنون به، ويتبرؤون مما كانوا يعبدون، قاله ابن قتيبة[١].

قال يحيى بن سلام:" في الآخرة، هنالك يتولى الله كل عبد، لا يبقى أحد يومئذ إلا تولى الله، فلا يقبل ذلك من المشرك"[٢].

والثاني: هنالك يتولى الله أمر الخلائق، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين.

وعلى قراءة الكسر، يكون المعنى: هنالك السلطان لله[٣].

قال أبو علي: " وأما من قال: «هنالك الولاية لله الحق»، فكسر «القاف»، فإنه جعله من وصف «الله» سبحانه ، ومن رفعه جعله صفة للولاية"[٤].

قوله تعالى:{هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا} [الكهف : ٤٤]، أي:" هو خير جزاءً"[٥].

قال الطبري:" يقول عزّ ذكره: خير للمنيبين في العاجل والآجل ثوابا"[٦].

قوله تعالى:{وَخَيْرٌ عُقْبًا} [الكهف : ٤٤]، أي:" وخير عاقبة لمن تولاهم من عباده المؤمنين"[٧].

قال الطبري:" يقول: وخيرهم عاقبة في الآجل إذا صار إليه المطيع له، العامل بما أمره الله، والمنتهي عما نهاه الله عنه، والعقب هو العاقبة، يقال: عاقبة أمر كذا وعُقْباه وعُقُبه، وذلك آخره وما يصير إليه منتهاه"[٨].

الفوائد:

١- الولاية بمعنى الموالاة النافعة للعبد هي موالاة الله تعالى لا موالاة غيره.
٢- الولاية بمعنى الملك والسلطان لله يوم القيامة ليست لغيره إذ الملك والأمر كلاهما لله تعالى.

القرآن

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥)} [الكهف : ٤٥]

التفسير:

واضرب أيها الرسول للناس -وبخاصة ذوو الكِبْر منهم - صفة الدنيا التي اغترُّوا بها في بهجتها وسرعة زوالها، فهي كماء أنزله الله من السماء فخرج به النبات بإذنه، وصار مُخْضرًّا، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابسًا متكسرًا تنسفه الرياح إلى كل جهة. وكان الله على كل شيء مقتدرًا، أي: ذا قدرة عظيمة على كل شيء.

قوله تعالى:{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ} [الكهف : ٤٥]، أي:" واضرب أيها الرسول للناس مثل هذه الحياة في زوالها وفنائها وانقضائها بماءٍ نزل من السماء فخرج به النبات وافياً غزيراً وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه"[٩].

---

(١) انظر: غريب القرآن:٢٦٨.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:١٨٨/١.
(٣) انظر: زاد المسير:٨٧/٣.
(٤) انظر: الحجة للقراء السبعة:١٥٠/٥. [بتصرف]
(٥) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٦) تفسير الطبري:٢٩/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٨) تفسير الطبري:٢٩/١٨.
(٩) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.

قال الزمخشري:"{ فاختلط به نبات الأرض}: فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا. وقيل: نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف [1] رفيفا"[2].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحَ هَشِيمًا} [الكهف : ٤٥]، أي:" حتى صار هذا النبات يابسًا متكسرًا"[3].

قال أبو عبيدة:" أي: يابسا متفتّتا ، قال لبيد[4]:

ولا للضّيف إن طرقت بليل ... بأفنان العضاة وبالهشيم"[5].

قال ابن قتيبة:" «الهشيم»: من النبت المتفتت. وأصله: من هشمت الشيء إذا كسرته. ومنه سمي الرجل: هاشما"[6].

قال الزجاج:" الهشيم: النبات الجاف الذي تسفيه الريح"[7].

قال الزمخشري:" الهشيم: ما تهشم وتحطم، الواحدة هشيمة"[8].

قوله تعالى:{تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ} [الكهف : ٤٥]، أي:" تنسفه الرياح إلى كل جهة"[9].

قال ابن قتيبة:" أي: تنسفه"[10].

قال أبو عبيدة:" أي: تطيّره وتفرقه، ويقال: ذرته الريح تذروه وأذرته تذريه"[11].

قال الزمخشري:" شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء، بحال النبات يكون أخضر وارفا[12] ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن"[13].

وفي قراءة عبد الله :«تذريه الريح»[14].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} [الكهف : ٤٥]، أي:" ذا قدرة عظيمة على كل شيء"[15].

---

(١)قوله «ورف رفيفا »: في الصحاح: رف لونه رفا ورفيفا: برق وتلألأ. وشجر رفيف: إذا تندت أوراقه.
(٢) الكشاف:٧٢٥/٢.
(٣) التفسير الميسر:٢٩٨.
(٤)ديوانه: ١/ ٨.
(٥) مجاز القرآن:٤٠٥/١.
(٦) غريب القرآن:٢٦٨.
(٧) معاني القرآن:٢٩١/٣.
(٨) الكشاف:٧٢٥/٢.
(٩) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٠) غريب القرآن:٢٦٨.
(١١) مجاز القرآن:٤٠٥/١.
(١٢)قوله: «بحال النبات يكون أخضر وارفا» في الصحاح: ورف النبت، أى: اهتز من نضارته، فهو وارف، أى: ناضر رفاف شديد الخضرة.
(١٣) الكشاف:٧٢٥/٢.
(١٤) انظر معاني القرآن للفراء:١٤٦/٢.
(١٥) التفسير الميسر:٢٩٨.

قال الزجاج والزمخشري:" أي: على الإنشاء، والإفناء، مقتدرا"[١].
وقال الحسن:" أي: كان مقتدرا عليه قبل كونه"[٢].
قال الطبري:" يقول: وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته: {مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً}، وإهلاك أموال ذي الأَمْوَالِ الباخلين بها عن حقوقها، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم، وغير ذلك مما يشاء قادر، لا يعجزه شيء أراده، ولا يعْيِيه أمر أراده.

يقول: فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر على غيره بها، ولا يغترنّ أهل الدنيا بدنياهم، فإنما مَثَلُها مثل هذا النبات الذي حَسُن استواؤه بالمطر، فلم يكن إلا رَيْثَ أن انقطع عنه الماء، فتناهى نهايته، عاد يابسا تذروه الرياح، فاسدا، تنبو عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير"[٣].
قال المراغي: "وكان الله ذو الكمال والجلال قادرا على كل شيء إنشاء وإفناء وإعادة، فهو يوجد الأشياء ثم ينميها ثم يفنيها، وما حال الدنيا إلا هذه الحال، فهى تظهر أولا ناضرة زاهرة ثم تتزايد قليلا قليلا، ثم تأخذ فى الانحطاط إلى أن تصير إلى الهلاك والفناء، فلا ينبغى للعاقل أن يبتهج بما يحوزه منها أو يفخر به أو يصعر خذه استكبارا"[٤].
واختلف في المقصود بضرب هذا المثل على قولين[٥]:
أحدهما : أن الله تعالى ضربه مثلاً للدنيا ليدل به على زوالها بعد حسنها وابتهاجها.
الثاني : أن الله تعالى ضربه مثلاً لأحوال أهل الدنيا أن مع كل نعمة نقمة ومع كل فرحة ترحة .

القرآن
{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦)} [الكهف : ٤٦]
التفسير:
الأموال والأولاد جَمال وقوة في هذه الدنيا الفانية، والأعمال الصالحة -وبخاصة التسبيحُ والتحميد والتكبير والتهليل- أفضل أجرًا عند ربك من المال والبنين، وهذه الأعمال الصالحة أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه، فينال بها في الآخرة ما كان يأمُله في الدنيا.
قوله تعالى:{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف : ٤٦]، أي:" الأموال والأولاد جَمال وقوة في هذه الدنيا الفانية"[٦].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عيينة والأقرع، ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب، مما يتزين به في الحياة الدنيا، وليسا من عداد الآخرة"[٧].

---

(١) معاني القرآن:٣/٢٩١، والكشاف:٢/٧٢٥.
(٢) حكاه عنه الزجاج في معاني القرآن:٣/٢٩١.
ثم قال الزجاج:" وقال بعضهم: " كان " من الله بمنزلة كائن ويكون.
وقول الحسن في هذا حسن جميل ومذهب سيبويه والخليل مذهب النحويين الحذاق كما وصفنا، لأنهم يقولون: إنما خوطبت العرب بلغتها ونزل القرآن بما يعقلونه ويتخاطبون به، والعرب لا تعرف كان في معنى يكون، إلا أن يدخل على الحرف آلة تنقلها إلى معنى الاستقبال، وكذلك لا يعرف الماضي في معنى الحال.
فهذا شرح ما في القرآن من هذا الباب نحو قوله: {وكان الله غفورا رحيما}، {وكان الله بكل شيء عليما}، وقد فسرناه قبل هذا الموضع".
(٣) تفسير الطبري:١٨/٣٠-٣١.
(٤) تفسير المراغي:١٥/١٥٤.
(٥) انظر: النكت والعيون:٣/٣٠٩-٣١٠.
(٦) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٧) تفسير الطبري:١٨/٣١.

قال الماوردي:" لأن في المال جمالاً ونفعاً وفي «البنين» قوة ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا"[١].

قوله تعالى:{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا} [الكهف : ٤٦]، أي:" الأموال والأولاد جَمال وقوة في هذه الدنيا الفانية، والأعمال الصالحة -وبخاصة التسبيحُ والتحميد والتكبير والتهليل- أفضل أجرًا عند ربك من المال والبنين"[٢].

قال الطبري:" يقول: وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله، ودعائهم ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا، خير يا محمد عند ربك ثوابا من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون بها، التي تفنى، فلا تبقى لأهلها"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا} [الكهف : ٤٦]، وجوه:

أحدها : أنها الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس-في رواية-[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، وإبراهيم[٦]، وإبراهيم[٦]، عمرو بن شُرَحبيل[٧]، وأبو ميسرة[٨].

الثاني : أنها الأعمال الصالحة ، قاله ابن عباس –في رواية أخرى-[٩]، وابن زيد[١٠].

عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: "{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}، قال: هي ذكر الله قول لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وتبارك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحجّ والصدقة والعتق والجهاد والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهنّ الباقيات الصالحات، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السماوات والأرض"[١١].

الثالث : هي الكلام الطيب . وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً[١٢]، وقاله عطية العوفي[١٣].

الرابع : أنهنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك. قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه[١٤]، وابن عباس[١٥]، وابن عمر[١٦]، والحسن[١٧]، ومجاهد[١٨]، وقتادة[١٩]، وعطاء بن ابي رباح[٢٠]، وسعيد بن المسيب[٢١].

---

(١) النكت والعيون:٣/٣١٠.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٣١.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.
(٩)انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٥ .
(١٠)انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٥ .
(١١) أخرجه الطبري:١٨/٣٥.
(١٢)انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٥ .
(١٣) انظر: النكت والعيون:٣/٣١٠.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٣.
(١٧) انظر تفسير الطبري:١٨/٣٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٣.
(١٩) انظر تفسير الطبري:١٨/٣٤.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٣.
(٢١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٣.

وفي قول عثمان-رضي الله عنه-: أنهنّ«لا إله إلا الله، سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله»(١).

وفي قول ابن عباس والحسن، ومجاهد، وقتادة: أنهنّ« سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٢). دون قول«ولا حول ولا قوّة إلا بالله».

وروي عن ابي سعيد، عن رسول الله-ﷺ- قال:« استكثر من الباقيات الصالحات: التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٣).

وعن ابن وهب، قال: "حثني أبو صخر: أن عبد الله بن عبد الرحمن، مولى سالم بن عبد الله، حدثه قال: أرسلني سالم بن محمد بن كعب القُرَظي، فقال: قل له الْقَنِي عند زاوية القبر، فإن لي إليك حاجة، قال: فالتقيا، فسلم أحدهما على الآخر، ثم قال سالم: ما تعدّ الباقيات الصالحات؟ فقال: لا إله إلا الله، والحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، فقال له سالم: متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فقال: ما زلت أجعلها، قال: فراجعه مرّتين أو ثلاثا فلم ينزع، قال: فأثبت، قال سالم: أجل، فأثبت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول: «عُرِجَ بِي إلى السَّماءِ فَأُرِيتُ إبْرَاهِيمَ، فقالَ: يا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فقالَ: مُحَمَّد، فَرَحَّبَ بِي وَسَهَّلَ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْتُكْثِرْ مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ، فإنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وأرْضُها وَاسِعَةٌ، فَقُلْتُ: وَما غِرَاسُ الجَنَّةِ؟ قالَ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ»"(٤).

وفي روي عن النبي -ﷺ- أنه قال:« لما أسرى بى مررت بإبراهيم فقال لجبريل: من هذا؟ قال: محمد، فرحب بى وسلم علي، وقال: مر أمتك يكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، قلت: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا وقوة إلا بالله»(٥).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هنّ جميع أعمال الخير، كالذي رُوي عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يجازى ويُثاب، وإن الله عزّ ذكره لم يخصص من قوله {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا} بعضا دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله ﷺ.

فإن ظنّ ظانّ أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله ﷺ إنما ورد بأن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هنّ من الباقيات الصالحات، ولم يقل: هنّ جميع الباقيات الصالحات، ولا كلّ الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البرّ أيضا باقيات صالحات"(٦).

وفي «الصالحات» وجهان(٧):

أحدهما : أنها بمعنى :«الصالحين»، لأن الصالح هو فاعل الصلاح .

الثاني : أنها بمعنى: «النافعات»، فعبر عن المنفعة بالصلاح، لأن المنفعة مصلحة .

قوله تعالى:{وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف : ٤٦]، أي:" وهذه الأعمال الصالحة أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه، فينال بها في الآخرة ما كان يأمُله في الدنيا"(٨).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٣٢/١٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٣٢/١٨-٣٣.

(٣)أخرجه أحمد (٧٥/٣، رقم ١١٧٣١) ، وأبو يعلى (٥٢٤/٢، رقم ١٣٨٤) . قال الهيثمى (٨٧/١٠) : إسنادهما حسن وابن حبان (١٢١/٣، رقم ٨٤٠) ، والحاكم (٦٩٤/١، رقم ١٨٨٩) والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٢٥/١ رقم ٦٠٥) . وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الدعاء (١٥٦٧/٣، رقم ١٦٩٦).

(٤) اخرجه الطبري:٣٤/١٨.

(٥)أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٤٤٣/١، رقم ٦٥٧).

(٦) تفسير الطبري:٣٥/١٨-٣٦.

(٧) انظر: النكت والعيون:٣١١/٣.

(٨) التفسير الميسر:٢٩٩.

قال الطبري:" يقول: وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب، خير مما يؤمل عيينة والأقرع من أموالهما وأولادهما"[1].

فوائد الآيتين:[٤٥-٤٦]:

١- بيان حقارة الدنيا وسوء عاقبتها.

٢- تقرير أن المال والبنين لا يعدوان كونهما زينة، والزينة سريعة الزوال وهما كذلك فلا يجوز الاغترار بهما، وعلى العبد أن يطلب ما يبقى على ما يفنى وهو الباقيات الصالحات من أنواع البر والعبادات من صلاة وذكر وتسبيح وجهاد، ورباط، وصيام وزكاة.

القرآن

{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧)} [الكهف : ٤٧]

التفسير:

واذكر لهم يوم نُزيل الجبال عن أماكنها، وتبصر الأرض ظاهرة، ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من المخلوقات، وجمعنا الأولين والآخِرين لموقف الحساب، فلم نترك منهم أحدًا.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ} [الكهف : ٤٧]، أي:" واذكر لهم يوم نُزيل الجبال عن أماكنها"[2].

قال الطبري:" فنبسُّها بَسًّا، ونجعلها هباء منبثا"[3].

وفي قوله تعالى:{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ} [الكهف : ٤٧]، ثلاثة وجوه[4]:

أحدها : «يسيرها»: من السير حتى تنتقل عن مكانها لما فيه من ظهور الآية وعظم الإعتبار .

الثاني : «يسيرها»، أي: يقللها حتى يصير كثيرها قليلاً يسيراً .

الثالث : بأن يجعلها هباء منثوراً .

قوله تعالى:{وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف : ٤٧]، أي:" وتبصر الأرض ظاهرة، ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من المخلوقات"[5].

قال أبو عبيدة:" أي: ظاهرة"[6].

وفي قوله تعالى:{وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف : ٤٧]، وجهان:

أحدهما : أنه بروز ما في بطنها من الأموات بخروجهم من قبورهم، فصاروا على ظهرها، قاله الفراء[7]، وحكاه الطبري[8].

قال الفراء:" يقول: أبرزنا أهلها من بطنها"[9].

الثاني : أنها فضاء لا يسترها جبل ولا نبات، قاهل مجاهد[10]، وقتادة[11].

قال مجاهد:" لا خَمْرَ فيها ولا غيابة ولا بناء، ولا حجر فيها"[12].

قال قتادة:" ليس عليها بناء ولا شجر"[13].

---

(١) تفسير الطبري:٣١/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٣) تفسير الطبري:٣٦/١٨.
(٤) انظر: النكت والعيون:٣١١/٣.
(٥) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٦) مجاز القرآن:٤٠٦/١.
(٧) انظر: معاني القرآن:١٤٧/٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٣٦/١٨-٣٧.
(٩) معاني القرآن:١٤٧/٢.
(١٠) انظر: الطبري:٣٦/١٨.
(١١) انظر: الطبري:٣٦/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٦/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٣٦/١٨.

قال الفراء:" ويقال: سيرت عنها الجبال فصارت كلها بارزة لا يستر بعضها بعضا"[١].
بعضا"[١].

قوله تعالى:{وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف : ٤٧]، أي:" وجمعنا الأولين والآخِرين لموقف الحساب، فلم نترك منهم أحدًا"[٢].

قال الطبري:" يقول: جمعناهم إلى موقف الحساب، فلم نترك، ولم نبق منهم تحت الأرض أحدا، يقال منه: ما غادرت من القوم أحدا، وما أغدرت منهم أحدا، ومن أغدرت قول الراجز[٣]:

هَلْ لكِ والعارِضُ مِنكِ عائِضُ ... في هَجْمَةٍ يُغْدِرُ مِنْها القابِضُ"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف : ٤٧]، ثلاثة وجوه:

أحدها : يعني: فلم نخلف منهم أحداً ، ومنه سمي «الغدير»، لأنه ماء تخلفه السيول. وهذا قول ابن قتيبة[٥].

الثاني : فلم نستخلف منهم أحداً ، قاله الكلبي[٦].

الثالث : معناه: فلم يبق منهم أحد إلا حشرناه، قاله مقاتل[٧].

قال يحيى بن سلام:" أحضروا فلم يغب منهم أحد"[٨].

القرآن

{وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨)} [الكهف : ٤٨]

التفسير:

وعُرِضوا جميعًا على ربك مصطَفِّين لا يُحجب منهم أحد، لقد بعثناكم، وجئتم إلينا فرادى لا مال معكم ولا ولد، كما خلقناكم أول مرة، بل ظننتم أن لن نجعل لكم موعدًا نبعثكم فيه، ونجازيكم على أعمالكم.

قوله تعالى:{وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا} [الكهف : ٤٨]، أي:" وعُرِضوا جميعًا على ربك مصطَفِّين لا يُحجب منهم أحد"[٩].

قال الطبري:" يقول عزّ ذكره: وعُرِض الخلق على ربك يا محمد صفا"[١٠].

---

(١) معاني القرآن:٢/١٤٧.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٣)هذان بيتان من مشطور الرجز، من ثلاثة أبيات أوردها (اللسان: عرض) والثالث قبلهما، وهو * يا ليل أسقاك البريق الوامض *
وهي لأبي محمد الفقعسي قاله يخاطب امرأة خطبها إلى نفسها، ورغبها في أن تنكحه، فقال: هل لك رغبة في مئة من الإبل أو أكثر من ذلك لأن الهجمة أولها الأربعون، إلى ما زدت، يجعلها لها مهرا. قال: وفيه تقديم وتأخير، والمعنى هل لك في مئة من الإبل أو أكثر، يسئر منها قابضها الذي يسوقها، أي يبقى، لأنه لا يقدر على سوقها، لكثرتها وقوتها، لأنها تفرق عليه. ثم قال والعارض منك عائض، أي المعطي بذل بضعك أي معطي بدل بضعك عرضا عائض، أي آخذ عوضا منك بالتزويج، يكون كفاء لما عرض منك. ويقال عضت أعاض: إذا اعتضت عوضا، (بكسر العين في الماضي) وعضت أعوض (بضم عين الماضي) : إذا عوضت عوضا: أي دفعت: فقوله عائض من عضت (بالكسر) لا من عضت (بالضم) . ومن روى " يغدر ": أراد يترك، من قولهم غادرت الشيء. قال ابن بري: والذي في شعره: " والعائض منك عائض ": أي والعوض منك عوض، كما تقول: الهبة منك هبة، أي لها موقع. اهـ - قلت: في رواية اللسان لهذا الرجز " يسئر " أي يبقى، في موضع " يغدر ".
(٤) تفسير الطبري:١٨/٣٧.
(٥) انظر: غريب القرآن:٢٦٨.
(٦) انظر النكت والعيون:٣/٣١٢.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٨٨.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:١/١٨٩.
(٩) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٠) تفسير الطبري:١٨/٣٧.

قال يحيى بن سلام:أي:" صفوفا"[1].
وقال السدي: "{صفا}، يعني: جميعا"[2].
قال الزجاج:" معناه: أنهم كلهم ظاهرون لله، ترى جماعتهم كما يرى كل واحد منهم. لا يحجب واحد واحدا"[3].
وفي الحديث: «أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا»[4].
وفي رواية: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»[5].
وفي رواية: «أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم ثمانون صفا والناس سائر ذلك وأنتم وفاء سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»[6].
قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الكهف : ٤٨]، أي:" لقد بعثناكم، وجئتم إلينا فرادى لا مال معكم ولا ولد، كما خلقناكم أول مرة"[7].
قال الطبري:" يقول عزّ ذكره: يقال لهم إذ عُرضوا على الله: لقد جئتمونا أيها الناس أحياء كهيئتكم حين خلقناكم أوَّل مرة"[8].
قال الزجاج:" أي: بعثناكم كما خلقناكم"[9].
وفي الحديث:« يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا {كما بدأنا أول خلق نعيده}[10]، ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح {كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم}[11]، فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»[12].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:١٨٩/١.
(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٨٩/١.
(٣) معاني القرآن:٢٩٣/٣.
(٤)حديث ابن مسعود: أخرجه الحاكم (١٥٥/١، رقم ٢٧٥) ، والطبرانى (١٨٤/١٠، رقم ١٠٣٩٨) . وأخرجه وأخرجه أيضا: أحمد (٤٥٣/١، رقم ٤٣٢٨) ، وأبو يعلى (٢٤١/٩، رقم ٥٣٥٨) قال الهيثمى (٤٠٣/١٠) : رجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وقد وثق.
حديث أبى موسى: أخرجه الطبرانى فى الكبير كما فى مجمع الزوائد (٤٠٣/١٠) . وأخرجه أيضا: فى الأوسط (٧٧/٢، رقم ١٣٠١) قال الهيثمى (٤٠٣/١٠) : فيه سويد بن عبد العزيز، وهو ضعيف جدا.
(٥)حديث بريدة: أخرجه أحمد (٣٤٧/٥، رقم ٢٢٩٩٠) ، والترمذى (٦٨٣/٤، رقم ٢٥٤٦) وقال: حسن. وابن وابن ماجه (١٤٣٤/٢، رقم ٤٢٨٩) ، والدارمى (٤٣٤/٢، رقم ٢٨٣٥) ، وابن حبان (٤٩٨/١٦، رقم ٧٤٥٩) ، والحاكم
(١٥٥/١، رقم ٢٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم.
حديث ابن عباس: أخرجه الطبرانى (٢٨٧/١٠ رقم ١٠٦٨٢) قال الهيثمى (٤٠٣/١٠) : فيه خالد بن يزيد الدمشقى، وهو ضعيف، وقد وثق.
حديث أبى موسى: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٧٠/١٠) قال الهيثمى: فيه عبد الأعلى بن أبى المساور، وهو متروك.
(٦)أخرجه الطبرانى (٤١٩/١٩، رقم ١٠١٢) قال الهيثمى (٤٠٣/١٠) : فيه حماد بن عيسى الجهنى وهو ضعيف.
(٧) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٨) تفسير الطبري:٣٧/١٨.
(٩) معاني القرآن:٢٩٣/٣.
(١٠)[الأنبياء: ١٠٤].
(١١)[المائدة: ١١٧].
(١٢)أخرجه الطيالسى (ص ٣٤٣، رقم ٢٦٣٨) ، وأحمد (٢٥٣/١، رقم ٢٢٨١) ، والبخارى (١٦٩١/٤، رقم ٤٣٤٩) ، مسلم (٢١٩٤/٤، رقم ٢٨٦٠) ، والترمذى (٣٢١/٥، رقم ٣١٦٧) وقال: حسن صحيح. والنسائى (١١٧/٤، رقم ٢٠٨٧) .
ومن غريب الحديث: "غرلا": جمع أغرل وهو الذى لم يختن.

وفي حديث عائشة-رضي الله عنها:« يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، قالت عائشة: فكيف بالعورات؟، قال: {لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه}[١]»[٢].

وفي الحديث: «يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ويكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود»[٣].

قوله تعالى:{بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا} [الكهف : ٤٨]، أي:" بل ظننتم أن لن نجعل لكم موعدًا نبعثكم فيه، ونجازيكم على أعمالكم"[٤].

قال الطبري:" هذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله به الجميع، والمراد منه الخصوص، وذلك أنه قد يرد القيامة خلق من الأنبياء والرسل، والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث، ومعلوم أنه لا يقال يومئذ لمن وردها من أهل التصديق بوعد الله في الدنيا، وأهل اليقين فيها بقيام الساعة، بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات، والحشر إلى القيامة موعدا، وأن ذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذّبا بالبعث وقيام الساعة"[٥].

القرآن

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)} [الكهف : ٤٩]

التفسير:

ووُضِع كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله، فتبصر العصاة خائفين مما فيه بسبب ما قدموه من جرائمهم، ويقولون حين يعاينونه: يا هلاكنا! ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرة مِن أفعالنا ولا كبيرة إلا أثبتها؟! ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مثبتًا. ولا يظلم ربك أحدًا مثقال ذرة، فلا يُنقَص طائع من ثوابه، ولا يُزاد عاص في عقابه.

قوله تعالى:{وَوُضِعَ الْكِتَابُ} [الكهف : ٤٩]، أي:" ووُضِع كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله"[٦].

قال الطبري:" يقول عزّ ذكره: ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله"[٧].

قال الزجاج:" معناه - والله أعلم - وضع كتاب كل امرئ بيمينه أو شماله"[٨].

قال الزمخشري:" «الكتاب»: للجنس، وهو صحف الأعمال"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَوُضِعَ الْكِتَابُ} [الكهف : ٤٩]، وجهان:

أحدهما : أنها كتب الأعمال في أيدي العباد ، قاله مقاتل[١٠].

قال يحيى بن سلام:" ما كانت تكتب عليهم الملائكة في الدنيا من أعمالهم"[١١].

---

(١)[عبس: ٣٧].

(٢)أخرجه الحاكم (٦٠٨/٤، رقم ٨٦٨٤) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أيضا: أحمد (٨٩/٦، رقم ٢٤٦٣٢) ، والنسائى (١١٤/٤، رقم ٢٠٨٣).

(٣)أخرجه أحمد (٤٥٦/٣ رقم ١٥٨٢١) قال الهيثمى (٥١/٧) : رجاله رجال الصحيح. والطبرانى (٧٢/١٩، رقم ١٤٢) والحاكم (٣٩٥/٢، رقم ٣٣٨٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٤) التفسير الميسر:٢٩٩.

(٥) تفسير الطبري:٣٧/١٨.

(٦) التفسير الميسر:٢٩٩.

(٧) تفسير الطبري:٣٨/١٨.

(٨) معاني القرآن:٢٩٣/٣.

(٩) الكشاف:٧٢٦/٢.

(١٠) انظر تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٩/٢.

(١١) تفسير يحيى بن سلام:١٩١/١.

الثاني : أنه وضع الحساب، فعبر عن «الحساب» بـ«الكتاب»، لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة. قاله الكلبي[١].

قوله تعالى:{فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ} [الكهف : ٤٩]، أي:" فتبصر العصاة خائفين مما فيه بسبب ما قدموه من جرائمهم"[٢].

قال يحيى بن سلام:" المشركين، خائفين"[٣].

قال الطبري:" يقول عزّ ذكره: فترى المجرمين المشركين بالله مشفقين، يقول: خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها"[٤].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} [الكهف : ٤٩]، أي:" ويقولون حين يعاينونه: يا هلاكنا! ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرة مِن أفعالنا ولا كبيرة إلا أثبتها؟!"[٥].

قال الطبري:" يعني: أنهم يقولون إذا قرءوا كتابهم، ورأوا ما قد كُتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها"[٦].

قال الزجاج:" كل من وقع في هلكة دعا بالويل"[٧].

قال الزمخشري:" يعنى: لا يترك شيئا من المعاصي إلا أحصاه، أى: أحصاها كلها كما تقول: ما أعطانى قليلا ولا كثيرا، لأن الأشياء إما صغار وإما كبار. ويجوز أن يريد: وإما كان عندهم صغائر وكبائر. وقيل: لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة"[٨].

قال قتادة : " اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحد ظلما، فإياكم والمحقَّرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه"[٩].

قال الفضيل:" كان إذا قرأها قال: ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر"[١٠].

ونظير هذا قول رسول الله ﷺ وقد سئل: أيحاسب الإنسان على ما يتكلم به؟ فقال-ﷺ-:« وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم»[١١].

والحصائد جمع حصيدة: وهي الكلمة الهينة.

وفي معنى«الصغيرة» ها هنا وجوه :

أحدها : أنه الضحك ، قاله ابن عباس[١٢]، وأبو محمد بن عبدالرحمن[١٣].

وحكي عن الضحاك عن ابن عباس، قال:"الكبيرة: التبسم والاستهزاء بالمؤمنين"[١٤].

الثاني : أنها المسيس. قاله سعيد بن جبير[١٥].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٣/٣١٢.
(٢) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:١/١٩١.
(٤) تفسير الطبري:١٨/٣٨.
(٥) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٦) تفسير الطبري:١٨/٣٨.
(٧) معاني القرآن:٣/٢٩٣.
(٨) الكشاف:٢/٧٢٦.
(٩) أخرجه الطبري:١٨/٣٨.
(١٠) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:٢/٧٢٦.
(١١)أخرجه الطيالسى (ص ٧٦، رقم ٥٦٠) ، وأحمد (٥/٢٣١، رقم ٢٢٠٦٩) ، والترمذى (٥/١١، رقم ٢٦١٦) ، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/١٣١٤، رقم ٣٩٧٣) ، والحاكم (٢/٤٤٧، رقم ٣٥٤٨) ، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى فى شعب الإيمان (٤/١٣، رقم ٤٢٢٥) ، والطبرانى (٢٠/١٤٣، رقم ٢٩٢).
(١٢) انظر تفسير الطبري:١٨/٣٨.
(١٣) انظر تفسير الطبري:١٨/٣٨-٣٩.
(١٤) انظر: زاد المسير:٣/٨٩.
(١٥) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:٢/٧٢٦.

الثالث: أنها صغائر الذنوب التي تغفر باجتناب كبائرها[١].

وأما «الكبيرة»، ففيها أقوال:

أحدها : أنها القهقهة بالمؤمنين. قاله ابن عباس[٢].

الثاني: أنها الزنا. قاله سعيد بن جبير[٣].

الثالث: ما جاء النص بتحريمه[٤].

الرابع : ما قرن بالوعيد والحَدِّ[٥].

الخامس : أن الصغيرة الشهوة ، والكبيرة العمل . أفاده الماوردي[٦].

قال ابن الجوزي:" وقد يتوهم أن المراد بذلك صغائر الذنوب وكبائرها، وليس كذلك، إذ ليس الضحك والتبسم، بمجردهما من الذنوب، وإنما المراد أن التبسم من صغار الأفعال، والضحك فعل كبير، وقد روى الضحاك عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم والاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة: القهقهة بذلك، فعلى هذا يكون ذنبا من الذنوب لمقصود فاعله، لا لنفسه"[٧].
لنفسه"[٧].

قال الفخر:" «الإحصاء»: بمعنى لا يترك شيئا من المعاصي سواء كانت صغيرة أو كبيرة إلا وهي مذكورة في هذا الكتاب، ونظيره قوله تعالى: {وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون} [الانفطار: ١٠- ١٢] وقوله: {إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون} [الجاثية: ٢٩]"[٨].

قوله تعالى:{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} [الكهف : ٤٩]، أي:" ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مثبتًا"[٩].

قال يحيى بن سلام:" في كتبهم"[١٠].

قال الواحدي: " في الكتاب مكتوباً"[١١].

قوله تعالى:{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف : ٤٩]، أي:" ولا يظلم ربك أحدًا مثقال ذرة، فلا يُنقَص طائع من ثوابه، ولا يُزاد عاص في عقابه"[١٢].

قال الواحدي: " لا يعاقب أحداً بغير جرم"[١٣].

قال الزجاج:" أي: إنما يعاقبهم فيضع العقوبة موضعها في مجازاة الذنوب، وأجمع أهل اللغة أن «الظلم»: وضع الشيء في غير موضعه"[١٤].

فوائد الآيات:[٤٧-٤٩]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرضها على مسامع المنكرين لها.

٢- يبعث الإنسان كما خلقه الله ليس معه شيء، حافيا عاريا لم يقطع منه غفلة الذكر.

---

(١) انظر: النكت والعيون:٣/٣١٢.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:٢/٧٢٦، وابن الجوزي في زاد المسير:٣/٨٩. ولفظ ابن الجوزي:"بالمؤمنين".

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:٢/٧٢٦.

(٤) انظر: النكت والعيون:٣/٣١٣.

(٥) انظر: النكت والعيون:٣/٣١٣.

(٦) انظر: النكت والعيون:٣/٣١٣.

(٧) زاد المسير:٣/٨٩.

(٨) مفاتيح الغيب:٢١/٤٧٠.

(٩) التفسير الميسر:٢٩٩.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام:١/١٩١.

(١١) الوجيز:٦٦٤.

(١٢) التفسير الميسر:٢٩٩.

(١٣) الوجيز:٦٦٤.

(١٤) معاني القرآن:٣/٢٩٣.

٣- تقرير عقيدة كتب الأعمال في الدنيا وإعطائها أصحابها في الآخرة تحقيقا للعدالة الإلهية.
٤- نفي الظلم عن الله تعالى وهو غير جائز عليه لغناه المطلق وعدم حاجته إلى شيء.

القرآن
{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)} [الكهف : ٥٠]
التفسير:
واذكر حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم، تحية له لا عبادة، وأمرنا إبليس بما أُمِروا به، فسجد الملائكة جميعًا، لكن إبليس الذي كان من الجن خرج عن طاعة ربه، ولم يسجد كِبرًا وحسدًا. أفتجعلونه -أيها الناس- وذريته أعوانًا لكم تطيعونهم وتتركون طاعتي، وهم ألد أعدائكم؟ قَبُحَتْ طاعة الظالمين للشيطان بدلا عن طاعة الرحمن.
قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [الكهف : ٥٠]، أي:" واذكر حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم، تحية له لا عبادة، وأمرنا إبليس بما أُمِروا به"[(١)].
و«السجود» في كلام العرب: التذلل والخضوع، قال الشاعر[(٢)]:
يجمع تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيها سجدا للحوافر
الأكم : الجبال الصغار، جعلها سجدا للحوافر لقهر الحوافر إياها وأنها لا تمتنع عليها. وعين ساجدة، أي: فاترة عن النظر، وغايته وضع الوجه بالأرض[(٣)].
عن قتادة ، قوله : {وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم}[البقرة:٣٣]، قال: "فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"[(٤)].
أخرج الطبري " عن السُّدّيّ ، قال : كان اسم إبليس «الحارث»، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيِّرًا"[(٥)].
وقال ابن عباس:" إبليس ، أبلسه الله من الخير كله ، وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته"[(٦)].
قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف : ٥٠]، أي:" فسجد جميع الملائكة لكن إبليس الذي هو من الجن خرج عن طاعة ربه"[(٧)].
قال أبو عبيدة:" «فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» : جار عنه وكفر به، وقال رؤبة[(٨)]:
يهوين فى نجد وغورا غائرا ... فواسقا عن قصدها جوائرا"[(٩)].
وفي قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف : ٥٠]، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنه كان من الجن على ما ذكره الله تعالى. قاله الحسن البصري[(١٠)]، وسعد بن مسعود[(١١)]، وشَهر بن حَوْشب[(١)] وابن زيد[(٢)].

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٢) البيت ورد في اللسان: مادة (س ج د).
(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩١/١.
(٤) تفسير الطبري(٧٠٧):ص٥١٢/١.
(٥)تفسير الطبري(٧٠٤):ص٩٩/١
(٦)تفسير الطبري(٧٠٣):ص٩٩/١
(٧) صفوة التفاسير:١٧٨/٢.
(٨)ملحق ديوانه ١٩٠ والطبري ١٥/ ١٥٨ وشواهد الكشاف ١١٠ والتاج والشطر الثاني فقط فى اللسان (فسق).
(٩) مجاز القرآن:٤٠٦/١.
(١٠)أنظر: تفسير الطبري(٦٩٦)، و(٦٩٧):ص٥٠٦/١.
(١١) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٩):ص٥٠٧/١.

قال الصابوني:" الآية صريحة في أن إبليس من الجن لا من الملائكة"[٣].
قال ابن زيد:" إبليس أبو الجن، كما آدم أبو الإنس"[٤].
قال الحسن:" ما كان إبليسُ من الملائكة طرفةَ عين قطّ، وإنه لأصل الجنّ، كما أن آدم أصل الإنس"[٥].
قال قتادة :"كان الحسن يقول في قوله:"{إلا إبليس كانَ من الجن}، ألجأه إلى نسبه"[٦].
وروي عن سعد بن مسعود، قال: "كانت الملائكة تقاتل الجنّ، فسُبِي إبليس وكان صغيرًا، فكان مع الملائكة فتعبَّد معها، فلما أمِروا بالسجود لآدم سجدوا. فأبى إبليس. فلذلك قال الله:{إلا إبليس كان من الجن}"[٧].
ومنع قائل هذا القول بعد ذلك أن يكون من الملائكة لأمرين :
أحدهما : أن له ذرية ، والملائكة لا ذرية لهم، قال تعالى:{أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [الكهف : ٥٠].
الثاني : أن الملائكة رسل الله سبحانه ولا يجوز عليهم العصيان والكفر، قال تعالى: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : ٦] لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : ٦]، وأما إبليس، فقد عصى وكفر، قال تعالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة : ٣٤]، وقوله: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف : ٥٠]، وقوله: {إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [ص : ٧٤].
ويضاف إلى الادلة السابقة:
أولا:- قول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، فبين الله أن سبب فسقه كونه من الجن،أي أنه من عنصر أو من جنس آخر غير الملائكة، أما الاستثناء في قوله تعلى:(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ)، فإنه استثناء منقطع أي أن (إلا) هنا بمعنى (لكن)، وهو كقوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)} [النبأ : ٢٤ - ٢٥]، هذا الاستثناء منقطع لأن الحميم والغساق ليس من البرد والشراب والمعنى: لكن يطعمون الحميم والغساق.
ثانيا:- : أن إبليس مخلوق من نار كما قال تعالى حاكيا عن إبليس: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف : ١٢]، والملائكة مخلوقة من نور لما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:" خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وُصف لكم"[٨]. ففرق الرسول ﷺ بين خلق الملائكة وخلق الجن.
ثالثا:- أن الجن الذين هم ذرية إبليس، لهم شهوة للطعام والشراب وغيره، وليس للملائكة شهوة دل على ذلك عدة نصوص منها:

---

(١) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٨):ص٥٠٦/١-٥٠٧.
(٢) أنظر: تفسير الطبري(٧٠١):ص٥٠٨/١.
(٣) صفوة التفاسير:١٧٨/٢.
(٤) اخرجه الطبري(٧٠١):ص٥٠٧/١.
(٥) أخرجه الطبري(٦٩٦):ص٥٠٦/١.
(٦) أخرجه الطبري(٦٩٧):ص٥٠٦/١.
(٧) أخرجه الطبري(٦٩٩):ص٥٠٧/١.
(٨)مسلم (٢٩٩٦)، وأحمد (٦/ ١٥٣)، وابن حبان (٦١٥٥).

ـ أن الجن سألوا الرسول ﷺ لما اجتمعو به عن طعامهم فقال: "كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم..فلاتستنجو بهما فإنهما طعام إخوانكم الجن "[١].

وفي الحديث: "فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله"[٢].

قال الحسن : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس .

القول الثاني : أنه كان من الملائكة، فلما عصى الله تعالى أخرجه من صف الملائكة. وهذا قول ابن مسعود[٣]، وابن عباس-في رواية عنه-[٤]، وقتادة[٥]، ومحمد بن إسحاق[٦].

وقال ابن عباس:" إن من الملائكة قبيلةً من الجن، وكان إبليس منها، وكان يسوس ما بين السماء والأرض"[٧].

قال ابن عباس:" لو لم يكن من الملائكة لم يُؤمر بالسجود، وكان على خِزانة سماء الدنيا، قال: وكان قتادة يقول: جَنَّ عن طاعة ربه"[٨].

وقد تنوعت إجابات العلماء عن هذا الدليل:

فقال ابن تيمية عن إبليس : " كان منهم [أي من الملائكة] باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله "[٩].

وقال ابن كثير: "وذلك أنه [أي إبليس] كان قد توسّم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم، وعصى بالمخالفة"[١٠].

ومن قالوا بهذا اختلفوا في معنى قوله تعالى: {كَانَ مِنَ الْجِنِ} [الكهف : ٥٠]، على أقوال:

أحدها : أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم «الجن». قاله ابن عباس[١١]، وقتادة[١٢].

قال ابن عباس:" إن إبليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة"[١٣].

وقال ابن عباس:" إن منَ الملائكة قبيلا يقال لهم: الجن، فكان إبليس منهم، وكان إبليس يسوس ما بين السماء والأرض، فعصَى، فمسخه الله شيطانًا رجيما"[١٤].

---

(١)أخرجه مسلم (٢/٣٦) وابن خزيمة في " صحيحه " (رقم ٨٢) والبيهقي (١/١٠٨ - ١٠٩) من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن داود عن عامر قال: سألت علقمة : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال فقال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا : استطير أواغتيل، قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل (حراء)، قال : فقلنا : يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال : أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. وسألوه الزاد، فقال : فذكره، فقال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم من الجن" .(وضعفه الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة " (٣ / ١٣٣).

(٢)رواه مسلم برقم ٢٠٢٠.

(٣) أنظر: تفسير الطبري(٦٨٨):ص٥٠٣/١.

(٤) أنظر: تفسير الطبري(٦٨٦):ص٥٠٢/١، وابن أبي حاتم(٣٦١):ص٨٤/١.

(٥) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٣):ص٥٠٤/١.

(٦) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٥):ص٥٠٥/١.

(٧) أخرجه الطبري(٦٩٠):٥٠٤/١.

(٨) اخرجه الطبري(٦٩٣):ص٥٠٥/١.

(٩) مجموع الفتاوى: ٣٤٦/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري(٦٩١):٥٠٤/١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(٦٩٣)، (٦٩٤):ص٥٠٤/١-٥٠٥.

(١٣) أخرجه الطبري(٦٩١):٥٠٤/١.

(١٤) اخرجه الطبري(٧٠٠):ص٥٠٧/١.

الثاني : أنه كان من الملائكة من خزان الجنة ومدبر أمر السماء الدنيا فلذلك قيل :{من الجن} لخزانة الجنة ، كما يقال مكي وبصري. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١]، وسعيد بن جبير[٢]، وسعيد بن المسيب[٣].

قال سعيد بن المسيب:" كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا"[٤].

عن سعيد بن جبير:" {كَانَ مِنَ الْجِنِّ}، قال: من الجنانين الذين يعملون في الجنان"[٥].

قال ابن عباس:" : كان خازن الجنان فسمي بالجنان"[٦].

قال ابن عباس:" كان إبليس من خزّان الجنة، وكان يدبر أمر سماء الدنيا"[٧].

عن ابن عباس: {كَانَ مِنَ الْجِنِّ}:"إنما يسمى بالجنان أنه كان خازنًا عليها، كما يقال للرجل مكي ومدَنيّ وكوفيّ وبصريّ"[٨].

قال ابن عباس:« كان إبليس من حَيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم"الحِنّ"، خُلقوا من نار السَّمُوم من بين الملائكة، قال: وكان اسمه الحارث، قال: وكان خازنًا من خُزَّان الجنة. قال: وخُلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحيّ. قال: وخلقت الجنّ الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار - وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت. قال: وخُلق الإنسان من طين. فأوّل من سكن الأرضَ الجنُّ. فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضًا. قال: فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة -وهم هذا الحي الذين يقال لهم «الحِن» - فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. فلما فعل إبليس ذلك اغترّ في نفسه. وقال:"قد صنعتُ شيئًا لم يصنعه أحد"! قال: فاطَّلع الله على ذلك من قلبه، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه. فقال الله للملائكة الذين معه:"إني جاعلٌ في الأرض خليفة". فقالت الملائكة مجيبين له:"أتجعلُ فيها من يُفسد فيها ويَسفِك الدماء"، كما أفسدت الجن وسفكت الدماء، وإنما بُعثنا عليهم لذلك. فقال:"إني أعلم ما لا تعلمون"، يقول: إني قد اطلعتُ من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه، من كبره واغتراره. قال: ثم أمر بتُربة آدم فرُفعت، فخلق الله آدم من طين لازب - واللازبُ: اللزِجُ الصُّلب، من حمأ مسنون - مُنْتِن. قال: وإنما كان حمأ مسنونًا بعد التراب. قال: فخلق منه آدم بيده، قال فمكث أربعين ليلة جسدًا ملقًى. فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيُصَلصِل -أي فيصوّت- قال: فهو قول الله: {مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [سورة الرحمن: ١٤] . يقول: كالشيء المنفوخ الذي ليس بمُصْمت[٩] . قال: ثم يَدخل في فيه ويخرج من دُبُره، ويدخل من دُبُره ويخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئًا! -للصّلصَلة- ولشيء ما خُلقت! لئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنك، ولئن سُلِّطتَ علي لأعصِيَنَّك. قال: فلما نفخ الله فيه من روحه، أتت النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحمًا ودمًا. فلما انتهت النفخة إلى سُرّته، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من حسنه، فذهب لينهضَ فلم يقدرْ، فهو قول الله: {وَكَانَ الإنْسَانُ عَجُولا} [سورة الإسراء: ١١] قال: ضَجِرًا لا صَبرَ له على سَرَّاء ولا ضرَّاء. قال: فلما تمت النفخة في جسده عطس، فقال:"الحمد لله ربّ العالمين" بإلهام من الله تعالى، فقال الله له: يرحمُك الله يا آدم. قال: ثم قال الله للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات: اسجدوا لآدم. فسجدُوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبَى واستكبر، لِما كان حدّث به نفسه

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٦٠٦): ص٤٥٥-٤٥٦، و٤١/١٨، و(٦٨٩):ص٥٠٣/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٤٢/١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٠/١٨.

(٤) اخرجه الطبري:٤٠/١٨.

(٥)أخرجه الطبري:٤٢/١٨.

(٦)أخرجه الطبري:٤٢/١٨.

(٧) اخرجه الطبري:٤٠/١٨.

(٨) أخرجه الطبري(٦٨٩):ص٥٠٣/١.

(٩)المصمت: الذي لا جوف له، وكل ذي جوف إذ قرع صوت، أما المصمت فهو صامت لا صوت له. فمن الصمت أخذوه.

من كبره واغتراره. فقال: لا أسجُد له، وأنا خير منه وأكبرُ سنًّا وأقوى خَلْقًا، خلقتني من نار وخلقته من طين -يقول: إن النار أقوى من الطين. قال: فلما أبَى إبليس أن يسجد أبلسه الله- أي آيسه من الخير كله، وجعله شيطانًا رجيما عقوبةً لمعصيته. ثم علم آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودابة وأرْض وسهلٌ وبحر وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة -يعني الملائكة الذين كانوا مع إبليس، الذين خلقوا من نار السموم- وقال لهم: أنبئوني بأسماء هؤلاء - يقول: أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، إن كنتم تعلمون أنِّي لمَ أجعلُ خليفة في الأرض. قال: فلما علمت الملائكة مؤاخذةَ الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب، الذي لا يعلمه غيرُه، الذي ليس لهم به علم، قالوا: سبحانك، تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيرُه - تبنا إليك، لا علم لنا إلا ما علمتنا، تبرِّيًا منهم من علم الغيب، إلا ما علمتنا كما علّمت آدم. فقال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم - يقول: أخبرهم بأسمائهم. فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم - أيها الملائكة خاصة - إني أعلم غيبَ السموات والأرض، ولا يعلمه غيري، وأعلم ما تبدون - يقول: ما تُظهرون - وما كنتم تكتمون - يقول: أعلم السرّ كما أعلم العلانية، يعني ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار»[1].

الثالث : أن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم ، وخلق سائر الملائكة من نور ، قاله ابن عباس-في رواية-، وسعيد من جبير[2].

قاله الحسن : "خلق إبليس من نار وإلى النار يعود"[3].

قال ابن عباس:" كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ، خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة. قال: وخُلقت الجنّ الذين ذُكروا في القرآن من مارج من نار"[4].

القول الثالث : أن إبليس لم يكن من الإنس ولا من الجن ، ولكن كان من الجان. حكاه الماوردي[5].

والراجح-والله أعلم- : أن إبليس لم يكن من الملائكة، وهو الصحيح، لقوة أدلته. وهو الذي عليه المحققون من أهل العلم.

وفي قوله تعالى:{ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف : ٥٠]، وجهان:

أحدهما : أن «الفسق»: الاتساع، ومعناه: اتسع في محارم الله تعالى. حكاه الماوردي[6].

الثاني : أن «الفسق» الخروج، أي: خرج عن طاعة ربه ، من قولهم: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وسميت الفأرة «فُوَيْسِقة»، لخروجها من حجرها. وهذا قول الفراء[7]، وابن قتيبة[8]، والطبري[9]، والنحاس[10].

قال الفراء:" وكأن الفأرة إنها سميت: «فويسقة» لخروجها من جحرها على الناس"[11].

قال أبو عبيدة:" جار عنه وكفر به، وقال رؤبة[12]:

يَهْوِينَ في نَجْدٍ وغَوْرًا غائرَا ... فَوَاسقا عَنْ قَصْدِها جَوَائرَا"[1].

---

(١) أخرجه الطبري(٦٠٦):ص٤٥٥-٤٥٦.

(٢) حكاه عنه الماوردي في النكت العيون:٣/٣١٤، والقرطبي في تفسيره:١/٢٩٤.

(٣)حكاه عنه الماوردي في النكت العيون:٣/٣١٤.

(٤) اخرجه الطبري(٦٨٥):ص١/٥٠٢، و:١٧/١٠٠.

(٥)انظر: النكت العيون:٣/٣١٤.

(٦) انظر النكت والعيون:٣/٣١٤.

(٧) انظر: معاني القرآن:٢/١٤٧.

(٨) انظر: غريب القرآن:٢٦٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٣.

(١٠) انظر: معاني القرآن:٤/٢٥٤.

(١١) معاني القرآن:٢/١٤٧.

(١٢)ملحق ديوانه ١٩٠ وتفسير الطبري :١٨/٤٢، وشواهد الكشاف ١١٠ والتاج والشطر الثاني فقط فى اللسان (فسق).

يعني: بـ«الفواسق»: "الإبل المنعدلة عن قصد نجد، وكذلك الفسق في الدين، إنما هو الانعدال عن القصد، والميل عن الاستقامة"[٢].

قوله تعالى:{أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [الكهف : ٥٠]، أي:" أفتجعلونه -أيها الناس- وذريته أعوانًا لكم تطيعونهم وتتركون طاعتي، وهم ألد أعدائكم؟"[٣].

قوله تعالى:{بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، أي:" قَبُحَتْ طاعة الظالمين للشيطان بدلا عن طاعة الرحمن"[٤].

وفي قوله تعالى:{بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، وجهان من التفسير[٥]:

أحدهما : بئس ما استبدلوا بطاعة الله طاعة إبليس ، قاله قتادة .

الثاني : بئس ما استبدلوا بالجنة النار .

الفوائد:

١- من فوائد الآية: بيان فضل آدم على الملائكة؛ وجهه أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا له تعظيماً له.
٢- ومنها: أن السجود لغير الله إذا كان بأمر الله فهو عبادة؛ لأن لله تعالى أن يحكم بما شاء؛ ولذلك لما امتنع إبليس عن هذا كان من الكافرين؛ وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على كفر تارك الصلاة؛ قال: لأنه إذا كان إبليس كفر بترك سجدة واحدة أُمر بها، فكيف عن ترك الصلاة كاملة؟! وهذا الاستدلال إن استقام فهو هو؛ وإن لم يستقم فقد دلت نصوص أخرى من الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة على كفر تارك الصلاة كفراً أكبر مخرجاً عن الملة.
٣- ومن فوائد الآية: أن إبليس . والعياذ بالله . جمع صفات الذم كلها: الإباء عن الأمر؛ والاستكبار عن الحق، وعلى الخلق؛ والكفر؛ إبليس استكبر عن الحق؛ لأنه لم يمتثل أمر الله؛ واستكبر على الخلق؛ لأنه قال: {أنا خير منه} [الأعراف: ١٢] ؛ فاستكبر في نفسه، وحقر غيره؛ و"الكبر" بطر الحق، وغمط الناس.

القرآن

{مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١)} [الكهف : ٥١]

التفسير:

ما أحضرتُ إبليس وذريته -الذين أطعتموهم- خَلْقَ السموات والأرض، فأستعين بهم على خلقهما، ولا أشهدتُ بعضهم على خَلْق بعض، بل تفردتُ بخلق جميع ذلك، بغير معين ولا ظهير، وما كنت متخذ المضلِّين من الشياطين وغيرهم أعوانًا. فكيف تصرفون إليهم حقي، وتتخذونهم أولياء من دوني، وأنا خالق كل شيء؟

قوله تعالى:{مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الكهف : ٥١]، أي:" ما أحضرتُ إبليس وذريته -الذين أطعتموهم- خَلْقَ السموات والأرض، فأستعين بهم على خلقهما"[٦].

قال السدي:" يقول: ما أشهدت الشياطين الذين اتخذتم معي هذا"[٧].

قال مكي:" أي: ما أشهدت إبليس وذريته {خَلْقَ السماوات والأرض}، أي ما أحضرتهم ذلك فاستعين بهم على خلقهما.. وقيل معنى: {مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السماوات والأرض}: أي لم يكونوا موجودين إذ خلقهما"[١].

---

(١) مجاز القرآن:٤٠٦/١.
(٢) عريب القرآن للسجستاني:٣٥٨.
(٣) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٤) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٥) انظر النكت والعيون:٣١٤/٣.
(٦) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٧) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٥٣):ص٢٣٦٧/٧.

قال ابن ابي زمنين:" وذلك أن المشركين قالوا: إن الملائكة بنات الله؛ أي: ما أشهدتهم شيئا من ذلك"(٢).

قال البغوي:"{مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ}، أي: ما"أحضرناهم، يعني: إبليس وذريته. وقيل: الكفار. وقال الكلبي: يعني الملائكة"(٣).

وقرأ أبو جعفر: «ما أشهدناهم»، بالنون والألف، على التعظيم(٤).

قوله تعالى:{وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ} [الكهف : ٥١]، أي:" ولا أشهدت بعضهم خلق بعض فهم عبيد أمثالكم لا يملكون شيئاً"(٥).

قال مكي:" أي: ولا أحضرت بعضاً منهم خلق بعض فأستعين به على ذلك. بل هو منفرد بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير"(٦).

قال البغوي:" يقول: ما أشهدتهم خلقا فأستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها"(٧).

قال الزمخشري:" أى: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض، كقوله: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم} [النساء : ٢٩]"(٨).

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا} [الكهف : ٥١]، أي:" وما كنت متخذ المضلِّين من الشياطين وغيرهم أعوانًا. فكيف تصرفون إليهم حقي، وتتخذونهم أولياء من دوني، وأنا خالق كل شيء؟"(٩).

قال مكي:" أي: وما كنت متخذ من لا يهدي إلى الحق أعواناً وأنصاراً، وهو من قولهم: فلان يعضد فلاناً، إذا نصره وأعانه وقواه"(١٠).

قال البغوي:" أي: الشياطين الذين يضلون الناس أنصارا وأعوانا"(١١).

قال الزجاج:" يخبر الله عز وجل بقدرته، وأنه لا يعتضد فيها ولا في نصرته بالمضلين و«الاعتضاد»: التقوى وطلب المعونة، يقال: اعتضدت بفلان، معناه استعنت به"(١٢).

قال الزمخشري:" وضع «المضلين» موضع الضمير، ذما لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة؟"(١٣).

عن السدي:"{وما كنت متخذ المضلين}، قال: الشياطين، {عضدا}، قال: ولا اتخذتهم عضدا على شيء عضدوني عليه فأعانوني"(١٤).

عن قتادة قوله: "{وما كنت متخذ المضلين عضدا}، قال: أعوانا"(١٥).

وقرأ أبو جعفر وعاصم الجحدري: «ومن كنتَ»، بفتح التاء على المخاطبة للنبي عليه السلام. أي: لست يا محمد متخذاً المضلين أنصارا(١٦)، أو "وما صح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتز بهم"(١).

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤٠٥/٦.
(٢) تفسير ابن أبي زمنين:٦٩/٣.
(٣) تفسير البغوي:١٨٠/٥.
(٤) انظر: تفسير البغوي:١٨٠/٥.
(٥) صفوة التفاسير:١٧٨/٢.
(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤٠٥/٦.
(٧) تفسير البغوي:١٨٠/٥.
(٨)الكشاف:٧٢٨/٢ .
(٩) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٠) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤٠٥/٦.
(١١) تفسير البغوي:١٨٠/٥.
(١٢) معاني القرآن:٢٩٤/٣.
(١٣)الكشاف:٧٢٨/٢ .
(١٤) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٥٣):ص٢٣٦٧/٧.
(١٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٥٤):ص٢٣٦٧/٧.
(١٦) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤٠٦/٦.

وقرأ على رضى الله عنه: «وما كنت متخذا المضلين»، بالتنوين على الأصل. وقرأ الحسن: «عضدا»، بسكون الضاد، ونقل ضمتها إلى العين. وقرئ: «عضدا»، بالفتح وسكون الضاد. «وعضدا»، بضمتين، و«عضدا» بفتحتين: جمع :عاضد، كخادم وخدم، وراصد ورصد، من عضده: إذا قواه وأعانه(٢).

قال الماوردي:" قال بعض السلف : إذا كان ذنب المرء من قبل الشهوة فارْجُه، وإذا كان من قبل الكبر فلا ترْجه، لأن إبليس كان ذنبه من قبل الكبر فلم تقبل توبته، وكان ذنب آدم من قبل الشهوة فتاب الله عليه. وقد أشار بعض الشعراء إلى هذا المعنى فقال(٣):

إذا ما الفتى طاح في غيّه ... فَرَجِّ الفتى للتُّقى رَجّه

فقد يغلط الركب نهج الط ... ريق ثم يعود إلى نهجه"(٤).

القرآن

{وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٥٢)} [الكهف : ٥٢]

التفسير:

واذكر لهم إذ يقول الله للمشركين يوم القيامة: نادوا شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي في العبادة؛ لينصروكم اليوم مني، فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم، وجعلنا بين العابدين والمعبودين مهلكًا في جهنم يهلكون فيه جميعًا.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} [الكهف : ٥٢]، أي:" واذكر لهم إذ يقول الله للمشركين يوم القيامة: نادوا شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي في العبادة؛ لينصروكم اليوم مني"(٥).

قال مكي:" أي: نقول للمشركين نادوا الآلهة والأنداد التي عبدتموها، وجعلتموها شركاء لله ووعدتم أنفسكم بنصرتها لكم من عذاب الله"(٦).

قال الزمخشري:" إضافة «الشركاء» إليه على زعمهم: توبيخا لهم وأراد الجن"(٧).

قوله تعالى:{فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} [الكهف : ٥٢]، أي:" فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم"(٨).

قال مكي:" أي: فاستغاثوا بها ولم تغثهم"(٩).

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا} [الكهف : ٥٢]، أي:" وجعلنا بين العابدين والمعبودين مهلكًا في جهنم يهلكون فيه جميعًا"(١٠).

قال الزمخشري:" يعنى: وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا"(١١).

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا} [الكهف : ٥٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : مجلساً ، قاله الربيع(١٢).

---

(١)الكشاف:٧٢٨/٢ .
(٢) انظر: الكشاف:٧٢٨/٢.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣١٦/٣.
(٤) النكت والعيون:٣١٦/٣.
(٥) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤٠٦/٦.
(٧) الكشاف:٧٢٨/٢.
(٨) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤٠٦/٦.
(١٠) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١١) الكشاف:٧٢٨/٢.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٣١٦/٣.

الثاني : مهلكاً ، قاله ابن عباس[١]، وقتادة[٢]، وابن زيد[٣]، وعرفجة[٤]، والفراء[٥]، وابن قتيبة[٦]، قال الشاعر[٧]:

استغفر الله أعمالي التي سلفت ... من عثرةٍ إن تؤاخذني بها أبق

أي: أهلك ، ومثله قول زهير[٨] :

ومن يشتري حسن الثناء بماله ... يصن عرضَه من كل شنعاء موبق

قال الفراء : يقال: جعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الآخرة"[٩].

قال ابن قتيبة:" أي: مهلكا بينهم وبين آلهتهم في جهنم. ومنه يقال: أوبقته ذنوبه. وقوله: {أو يوبقهن بما كسبوا}"[١٠].

قال الزجاج:" «الموبق»: المهلك"[١١].

قال ابن زيد:" الموبق: المهلك، الذي أهلك بعضهم بعضا فيه، أوبق بعضهم بعضا، وقرأ :{وجعلنا لمهلكهم موعدا}"[١٢].

الثالث : موعداً ، قاله أبو عبيدة[١٣]، وأنشد[١٤]:

وحاد شرورى والسّتار فلم يدع ... تعارا له والواديين بموبق

الرابع : عداوة ، والمعنى: جعل بينهم عداوة يوم القيامة. قاله الحسن[١٥].

قال الزمخشري: معناه:"عداوة هي في شدتها هلاك، كقوله: لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلفا"[١٦].

الخامس : أنه واد في جهنم ، قاله أنس بن مالك[١٧]، وعبد الله بن عمرو[١٨]، وعمرو البكالي[١٩]، ومجاه[٢٠]، ومقاتل[٢١]، ويحيى بن سلام[٢٢].

قال أنس:" واد في جهنم من قيح ودم"[٢٣].

قال مقاتل:" يعني: واديا عميقا في جهنم"[٢٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(٥) انظر: معاني القرآن:١٤٧/٢.
(٦) انظر: غريب القرآن:٢٦٩.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣١٦/٣.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣١٦/٣، وتفسير القرطبي:٣/١١.
(٩) معاني القرآن:١٤٧/٢.
(١٠) غريب القرآن:٢٦٩.
(١١) معاني القرآن:٢٩٥/٣.
(١٢) اخرجه الطبري:٤٦/١٨.
(١٣) انظر: معاني القرآن:٤٠٦/١.
(١٤)فى تفسيرالطبري ١٨/ ٤٧، واللسان والتاج (وبق).
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(١٦) الكشاف:٧٢٨/٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٤٧/١٨.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨-٤٧.
(٢١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٠/٢.
(٢٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٩٢/١.
(٢٣) اخرجه الطبري:٤٧/١٨.
(٢٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٠/٢.

قال عمرو البكالي:" واد عميق فصل به بين أهل الضلالة وأهل الهدى، وأهل الجنة، وأهل النار"(١).

وفي رواية ابن أبي حاتم عن عمرو البكالي قال: "«الموبق» الذي ذكر الله، واد في النار بعيد القعر يفرق به يوم القيامة بين أهل الإسلام، وبين من سواهم من الناس"(٢).

السادس : أنه نهر في النار يسيل نارا، على حافتيه حيات أمثال البغال الدهم، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم، استغاثوا بالاقتحام في النار منها. قاله عكرمة(٣).

السابع: أنه واد يفصل بين الجنة والنار ، حكاه الماوردي عن بعض المتأخرين(٤).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، ومن وافقه في تأويل الموبق: أنه المهلك، وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلانا: إذا أهلكته، ومنه قول الله عز وجل: {أو يوبقهن بما كسبوا}، بمعنى: يهلكهن"(٥).

وقال الزمخشري:" ويجوز أن يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم، وبالموبق: البرزخ البعيد، أى: وجعلنا بينهم أمدا بعيدا تهلك فيه الأشواط لفرط بعده، لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان"(٦).

القرآن

{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)} [الكهف : ٥٣]

التفسير:

وشاهد المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون فيها لا محالة، ولم يجدوا عنها معدلا للانصراف عنها إلى غيرها.

قوله تعالى:{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا} [الكهف : ٥٣]، أي:" وشاهد المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون فيها لا محالة"(٧).

قال مقاتل:" يعني: فعلموا أنهم داخلوها"(٨).

عن قتادة قوله: "{فظنوا أنهم مواقعوها}، قال: علموا"(٩).

عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: "إن الكافر يرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة"(١٠).

قوله تعالى:{وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا} [الكهف : ٥٣]، أي:" ولم يجدوا عنها معدلا للانصراف عنها إلى غيرها"(١١).

قال الطبري:" ولم يجدوا عن النار التي رأوا معدلا يعدلون عنها إليه"(١٢).

قال مقاتل:" يقول: لم يقدر أحد من الآلهة أن يصرف النار عنهم"(١٣).

قال أبو عبيدة:" أي: معدلا، وقال أبو كبير الهذليّ(١٤):

أزهير هل عن شيبة من مصرف ... أم لا خلود لباذل متكلّف"(١).

---

(١) أخرجه الطبري:٤٦/١٨.
(٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٥٨):ص٢٣٦٨/٧.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٥٩):ص٢٣٦٨/٧.
(٤) انظر: النكت والعيون:٣١٧/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٧/١٨.
(٦) الكشاف:٧٢٨/٢.
(٧) التفسير الميسر:٢٩٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٠/٢.
(٩) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٠):ص٢٣٦٨/٧.
(١٠) أخرجه الطبري:٤٨/١٨.
(١١) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٢) تفسير الطبري:٤٨/١٨.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٠/٢.
(١٤)ديوان الهذليين ٢/ ١٠٤ والطبري ١٥/ ١٦٠ واللسان (صرف) وشواهد الكشاف ١٩٢ .

فوائد الآيات:[٥١-٥٣]:
١- لا يستحق العبادة أحد سوى الله عز وجل لأنه الخالق لكل معبود مما عبد من سائر المخلوقات.
٢- بيان خزي المشركين يوم القيامة حيث يطلب إليهم أن يدعوا شركاءهم لإغاثتهم فيدعونهم فلا يستجيبون لهم.
٣- جمع الله تعالى المشركين وما كانوا يعبدون من الشياطين في موبق واحد في جهنم وهو وادي من شر أودية جهنم وأسوأها.

القرآن
{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)} [الكهف : ٥٤]
التفسير:
ولقد وضَّحنا ونوَّعنا في هذا القرآن للناس أنواعًا كثيرة من الأمثال؛ ليتعظوا بها ويؤمنوا. وكان الإنسان أكثر المخلوقات خصومة وجدلا.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [الكهف : ٥٤]، أي:" ولقد وضَّحنا ونوَّعنا في هذا القرآن للناس أنواعًا كثيرة من الأمثال؛ ليتعظوا بها ويؤمنوا"[٢].
قال الطبري:" يقول عز ذكره: ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينيبوا، ويعتبروا فيتعظوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان"[٣].
قال السعدي:" يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن، وجلالته، وعمومه، وأنه صرف فيه من كل مثل، أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقادا، وطمأنينة، ونورا، وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور، ومع ذلك، كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل {ليدحضوا به الحق} "[٤].
قوله تعالى:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف : ٥٤]، أي:" وكان الإنسان أكثر المخلوقات خصومة وجدلا"[٥].
قال الطبري:" يقول: وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصومة، لا ينيب لحق، ولا ينزجر لموعظة"[٦].
وقال الزجاج:" معناه: كان الكافر، ويدل عليه قوله: {وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَق} [الكهف : ٥٦].
قال الزجاج : فإن قال قائل: وهل يجادل غير الإنسان؟
فالجواب في ذلك أن إبليس قد جادل، وأن كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، ولكن الإنسان أكثر هذه الأشياء جدل"[٧].

---
(١) مجاز القرآن:٤٠٧/١.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٣) تفسير الطبري:٤٨/١٨.
(٤) تفسير السعدي:٤٨٠.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٦) تفسير الطبري:٤٨/١٨.
(٧) معاني القرآن:٢٩٦/٣.

قال الزمخشري:" {أكثر شيء جدلا}، أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحدا بعد واحد، خصومة ومماراة بالباطل. وانتصاب {جدلا} على التمييز، يعنى: أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء. ونحوه فإذا هو خصيم مبين"(١).

قال السعدي:" أي: مجادلة ومنازعة فيه، مع أن ذلك، غير لائق بهم، ولا عدل منهم، والذي أوجب له ذلك وعدم الإيمان بالله، إنما هو الظلم والعناد، لا لقصور في بيانه وحجته، وبرهانه، وإلا فلو جاءهم العذاب، وجاءهم ما جاء قبلهم، لم تكن هذه حالهم"(٢).

قال ابن زيد:" «الجدل»: الخصومة، خصومة القوم لأنبيائهم، وردهم عليهم ما جاءوا به. وقرأ: {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ}(٣)، وقرأ: {يُرِيدُ أَنْ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ}(٤). وقرأ: حتى «تُوَفَّى»(٥) ... الآية: {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ}(٦) ... ... الآية. وقرأ: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ}(٧)، قال: هم ليس أنت {لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ}(٨)"(٩).

عن الحسن، قال: "أتى رسول الله ﷺ على رجل نائم في المسجد فضربه برجله وقال: «قم صله» . فرفع رأسه وقال: إنما نصلي هكذا على ما قدر لي. فمضى نبي الله وهو يقول: " {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} [الكهف: ٥٤]"(١٠).

عن علي بن حسين ، قال: "دخل النبي ﷺ على علي وفاطمة وهما نائمان ، فقال: «ألا تصلون؟» ، فقال علي: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثها بعثها ، فانصرف عنهم وهو يقول: {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} [الكهف: ٥٤]"(١١).

وفي رواية عن على رضي الله عنه: "إن النبي ﷺ- طرقه وفاطمة ليلا فقال: «ألا تصليان» فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله إن شاء إن يبعثنا بعثنا. وانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا}"(١٢).

القرآن

{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥)} [الكهف : ٥٥]

التفسير:

وما منع الناس من الإيمان -حين جاءهم الرسول محمد ﷺ ومعه القرآن-، واستغفار ربهم طالبين عفوه عنهم، إلا تحدِّيهم للرسول، وطلبهم أن تصيبهم سنة الله في إهلاك السابقين عليهم، أو يصيبهم عذاب الله عِيانًا.

قوله تعالى:{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ} [الكهف : ٥٥]، أي:" وما منع الناس من الإيمان -حين جاءهم الرسول محمد ﷺ ومعه القرآن-، واستغفار ربهم طالبين عفوه عنهم "(١٣).

---

(١) الكشاف:٧٢٩/٢.
(٢) تفسير السعدي:٤٨٠.
(٣)[المؤمنون : ٣٣].
(٤)[المؤمنون : ٢٤].
(٥){يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [النحل : ١١١].
(٦)[الأنعام : ٧].
(٧)[الحجر : ١٤].
(٨)[الحجر : ١٥].
(٩) أخرجه الطبري:٤٨/١٨-٤٩.
(١٠) أخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١٩٣/١.
(١١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره(١٦٩١):ص٣٣٦/٢.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨٦١):ص٢٣٦٨/٧.
(١٣) التفسير الميسر:٣٠٠.

قال الزمخشري:أي:" وما منع الناس الإيمان والاستغفار"[١].

قال السعدي:" أي: ما منع الناس من الإيمان، والحال أن الهدى الذي يحصل به الفرق، بين الهدى والضلال، والحق والباطل، قد وصل إليهم، وقامت عليهم حجة الله، فلم يمنعهم عدم البيان، بل منعهم الظلم والعدوان، عن الإيمان"[٢].

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} [الكهف : ٥٥]، أي:" إلا انتظارهم أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك"[٣].

قال الزمخشري:أي:" أن تأتيهم سنة الأولين، وهي الإهلاك"[٤].

قال ابن كثير:" من غشيانهم بالعذاب وأخذهم عن آخرهم"[٥].

قال السعدي:" فلم يبق إلا أن تأتيهم سنة الله، وعادته في الأولين من أنهم إذا لم يؤمنوا، عوجلوا بالعذاب"[٦].

قال قتادة:" عقوبة الأولين"[٧].

قال النحاس:" و«سنة الأولين»: الاستئصال"[٨].

قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا} [الكهف : ٥٥]، أي:" يأتيهم عذاب الله عياناً ومقابلة"[٩].

قال الزمخشري:أي:" أو انتظار أن يأتيهم عذاب الآخرة عيانا"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : يرونه عيانًا مواجهة ومقابلة "[١١].

قال السعدي:" أو يرون العذاب قد أقبل عليهم، ورأوه مقابلة ومعاينة، أي: فليخافوا من ذلك، وليتوبوا من كفرهم، قبل أن يكون العذاب الذي لا مرد له"[١٢].

عن مجاهد:قوله:{أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا}، قال:"فجأة"[١٣].

وقال قتادة:أي:"عيانا"[١٤].

وقال الأعمش:" جهارا"[١٥].

وقال السدي:" مقابلهم فينظرون إليه"[١٦].

قال أبو عبيدة:" أي: أولا، يقال: من ذى قبل، فإن فتحوا أولها فالمعنى: استئنافا، قال[١٧]:

لن يغلب اليوم جباكم قبلى

---

(١) الكشاف:٧٢٩/٢.

(٢) تفسير السعدي:٤٨٠.

(٣) صفوة التفاسير:١٨٠/٢.

(٤) الكشاف:٧٢٩/٢.

(٥) تفسير ابن كثير:١٧٢/٥.

(٦) تفسير السعدي:٤٨٠.

(٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٣):ص٢٣٦٨/٧.

(٨) إعراب القرآن:٢٩٩/٢.

(٩) صفوة التفاسير:١٨٠/٢.

(١٠) الكشاف:٧٢٩/٢.

(١١) تفسير ابن كثير:١٧٢/٥.

(١٢) تفسير السعدي:٤٨٠.

(١٣) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٥):ص٢٣٦٨/٧.

(١٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٦):ص٢٣٦٨/٧.

(١٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٧):ص٢٣٦٨/٧.

(١٦) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٨):ص٢٣٦٨/٧.

(١٧)لم أقف عليه فيما توفرت عندي من مصادر. والبيت غير منسوب في مجاز القرآن:٤٠٧/١، والحجة للقراء السبعة:١٥٣/٥، و١٧٣/٧.

و«الجبا»: أن يتقدم الساقي للإبل قبل ورودها بيوم، فيجبي لها الماء في الحوض ثم يوردها من الغد

أي: استئنافى، وإن ضمّوا أوّلها فالمعنى: مقابلة، يقال: أقبل قبل فلان: انكسر، وله موضع آخر: أن يكون جميع :«قبيل»، فمعناه: أو يأتيهم العذاب قبلا، أي: قبيلا قبيلا، أي: ضربا ضربا ولونا لونا"(١).

وقرئ «قبلا» أنواعا، جمع قبيل. و «قبلا» بفتحين: مستقبلا(٢).

قال ابن قتيبة:" {قبلا}، أي: مقابلة وعيانا. ومن قرأ بفتح القاف والباء أراد استئنافا"(٣).

وروي عن مجاهد :"أنه قرأ: {أو يأتيهم العذاب قبلا}، قال: قبائل"(٤).

قال النحاس في معنى الآية: "وهذا من المجاز لما كانوا قد جاءتهم البراهين وما ينبغي أن يؤمنوا به وما ينبغي أن يقبلوه كانوا بمنزلة من منعه أن يؤمن أحد هذين"(٥).

فوائد الآيتين:[٥٣-٥٤]:

١- لقد أعذر الله تعالى إلى الناس بما يبين في كتابه من الحجج وما ضرب فيه من الأمثال.

٢- بيان غريزة الجدل في الإنسان والمخاصمة.

القرآن

{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (٥٦)} [الكهف : ٥٦]

التفسير:

وما نبعث الرسل إلى الناس إلا ليكونوا مبشرين بالجنة لأهل الإيمان والعمل الصالح، ومخوِّفين بالنار لأهل الكفر والعصيان، ومع وضوح الحق يخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعنتًا؛ ليزيلوا بباطلهم الحق الذي جاءهم به الرسول، واتخذوا كتابي وحججي وما خُوِّفوا به من العذاب سخرية واستهزاء.

قوله تعالى:{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} [الكهف : ٥٦]، أي:" وما نبعث الرسل إلى الناس إلا ليكونوا مبشرين بالجنة لأهل الإيمان والعمل الصالح، ومخوِّفين بالنار لأهل الكفر والعصيان"(٦).

قال الطبري:" يقول عز ذكره: وما نرسل رسلنا إلا ليبشروا أهل الإيمان والتصديق بالله بجزيل ثوابه في الآخرة، ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب، عظيم عقابه، وأليم عذابه، فينتهوا عن الشرك بالله، وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه"(٧).

قال ابن كثير:" أي : قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ، ومنذرين مَنْ كذبهم وخالفهم "(٨).

قوله تعالى:{وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} [الكهف : ٥٦]، أي:" ومع وضوح الحق يخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعنتًا؛ ليزيلوا بباطلهم الحق الذي جاءهم به الرسول"(٩).

قال ابن كثير:" أخبر عن الكفار بأنهم يجادلون بالباطل { لِيُدْحِضُوا بِهِ } أي : ليضعفوا به { الْحَقَّ } الذي جاءتهم به الرسل ، وليس ذلك بحاصل لهم "(١٠).

---

(١) مجاز القرآن:٤٠٧/١.

(٢) انظر: الكشاف:٧٢٩/٢، والسبعة في القراءات:٣٩٣، والحجة للقراء السبعة:٣٨٤/٣ وما بعدها.

(٣) غريب القرآن:٢٦٩.

(٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٤):ص٢٣٦٨/٧.

(٥) إعراب القرآن:٢٩٩/٢.

(٦) التفسير الميسر:٣٠٠.

(٧) تفسير الطبري:٥٠/١٨.

(٨) تفسير ابن كثير:١٧٢/٥.

(٩) التفسير الميسر:٣٠٠.

(١٠) تفسير ابن كثير:١٧٢/٥.

قال الطبري:" يقول: ويخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل، ذلك كقولهم للنبي ﷺ: أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أول الدهر لم يدر ما شأنهم، وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح، وما أشبه ذلك مما كانوا يخاصمونه به، يبتغون إسقاطه، تعنيتا له ﷺ، فقال الله لهم: إنا لسنا نبعث إليكم رسلنا للجدال والخصومات، وإنما نبعثهم مبشرين أهل الإيمان بالجنة، ومنذرين أهل الكفر بالنار، وأنتم تجادلونهم بالباطل طلبا منكم بذلك أن تبطلوا الحق الذي جاءكم به رسولي، وعنى بقوله: {ليدحضوا به الحق}، ليبطلوا به الحق ويزيلوه ويذهبوا به. يقال منه: دحض الشيء: إذا زال وذهب، ويقال: هذا مكان دحض: أي مزل مزلق لا يثبت فيه خف ولا حافر ولا قدم، ومنه قوله الشاعر(١):

رديت ونجى اليشكري حذاره ... وحاد كما حاد البعير عن الدحض

ويروى: ونحى، وأدحضته أنا: إذا أذهبته وأبطلته"(٢).

قوله تعالى:{وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا} [الكهف : ٥٦]، أي:" واتخذوا كتابي وحججي وما خُوّفوا به من العذاب سخرية واستهزاء"(٣).

قال مقاتل:" يعني: آيات القرآن وما أنذروا فيه من الوعيد استهزاء منهم أنه ليس من الله- عز وجل- يعني: القرآن والوعيد ليسا بشيء"(٤).

قال الطبري:" يقول: واتخذوا الكافرون بالله حججه التي احتج بها عليهم، وكتابه الذي أنزله إليهم، والنذر التي أنذرهم بها سخريا يسخرون بها، يقولون: {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِين} [الأنعام : ٢٥]، {اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان : ٥]، { لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} [الأنفال : ٣١]"(٥).

قال مكي:"أي: اتخذ الكافرون آيات الله -عز وجل- وحججه –سبحانه- سخرياً. و«الهزؤ»: السخرية، كأنهم يسخرون به"(٦).

قال ابن كثير:" أي : اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بعث (٨) بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب { هُزُوًا } أي : سخروا منهم في ذلك ، وهو أشد التكذيب"(٧).

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)} [الكهف : ٥٧]

التفسير:

ولا أحد أشد ظلمًا ممن وُعِظ بآيات ربه الواضحة، فانصرف عنها إلى باطله، ونسي ما قدَّمته يداه من الأفعال القبيحة فلم يرجع عنها، إنَّا جعلنا على قلوبهم أغطية، فلم يفهموا القرآن، ولم يدركوا ما فيه من الخير، وجعلنا في آذانهم ما يشبه الصمم، فلم يسمعوه ولم ينتفعوا به، وإن تَدْعُهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا لك، ولن يهتدوا إليه أبدًا.

---

(١)البيت في (اللسان: دحض) وفي التاج وأساس البلاغة، منسوبا إلى طرفة، ولا يوجد في شعر الشعراء الستة (مختار الشعر الجاهلي) وغيره. وأورد صاحب شعراء النصرانية وصاحب العقد الثمين في الملحق بشعر طرفة مقطوعة ضادية مطلعها:

أبا منذر كانت غرورا صحيفتي ... ولم أعطكم بالطوع مالي ولا عرضي

وأغلب الظن أن البيت سقط من هذه المقطوعة، وإن كان شائعا في كتب الأدب واللغة. وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١: ٤٠٨).

(٢) تفسير الطبري:١٨/٥٠-٥١.

(٣) التفسير الميسر:٣٠٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩١/٢.

(٥) تفسير الطبري:٥١/١٨.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٢/٦.

(٧) تفسير ابن كثير:١٧٢/٥.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في المطعمين والمستهزئين"[1].

قوله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا} [الكهف : ٥٧]، أي:" ولا أحد أشد ظلمًا ممن وُعِظ بآيات ربه الواضحة، فانصرف عنها إلى باطله"[2].

قال ابن أبي زمنين:" أي: لم يؤمن بها؛ أي: لا أحد أظلم منه"[3].

قال مقاتل:" يقول: فلا أحد أظلم ممن وعظ {بآيات ربه}، يعني: القرآن، فأعرض عن الإيمان بآيات الله القرآن فلم يؤمن بها"[4].

قال مكي:" أي: أيُّ الناس أوضع للأشياء في غير موضعها ممن ذكره الله -عز وجل- آياته وحججه فدله على سبيل الرشاد، وأهداه إلى طريق النجاة، فأعرض عن ذلك ولم يقبله، وقيل المعنى: فمن أظلم لنفسه ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عن قبولها"[5].

قال الطبري:" يقول عز ذكره: وأي الناس أوضع للإعراض والصد في غير موضعهما ممن ذكره بآياته وحججه، فدله بها على سبيل الرشاد، وهداه بها إلى طريق النجاة، فأعرض عن آياته وأدلته التي في استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك"[6].

قوله تعالى:{وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} [الكهف : ٥٧]، أي:" ونسي ما قدَّمته يداه من الأفعال القبيحة فلم يرجع عنها"[7].

قال الطبري:" يقول: ونسي ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب، ولم ينب"[8].

قال مكي:" أي: ترك ما اكتسبت من الذنوب المهلكة له فلم يتب منها، وقيل: ترك كفره ومعاصيه لم يتب منها"[9].

قال قتادة:" أي: نسي ما سلف من الذنوب الكثيرة"[10].

قال مقاتل:" يعني: ترك ما سلف من ذنوبه فلم يستغفر منها"[11].

قوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ} [الكهف : ٥٧]، أي:" إنَّا جعلنا على قلوبهم أغطية، فلم يفهموا القرآن، ولم يدركوا ما فيه من الخير"[12].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله إذا ذكروا بها أغطية لئلا يفقهوه، لأن المعنى أن يفقهوا ما ذكروا به"[13].

قال مكي:" أي: إنا جازيناهم بإعراضهم عن الهدى وميلهم إلى الكفر بأن جعلنا على قلوبهم أغطية لئلا يفقهوه"[14].

قال الزجاج:" هؤلاء قد أخبر الله عنهم أنهم من أهل الطبع فقال: {إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه}، {أكنة}، جمع: كنانة، وهو الغطاء، وهو مثل عنان وأعنة، فأعلم الله عز وجل أن هؤلاء بأعيانهم لن يهتدوا أبدا"[15].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩١/٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٣) تفسير يابن أبي زمنين:٧٠/٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩١/٢.
(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٢/٦-٤٤١٤.
(٦) تفسير الطبري:٥١/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٨) تفسير الطبري:٥١/١٨.
(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٣/٦-٤٤١٤.
(١٠) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٩):ص٢٣٦٩/٧.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩١/٢.
(١٢) التفسير الميسر:٣٠٠.
(١٣) تفسير الطبري:٥١/١٨-٥٢.
(١٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٣/٦.
(١٥) معاني القرآن:٢٩٧/٣.

قوله تعالى:{وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الكهف : ٥٧]، أي:" وجعلنا في آذانهم ما يشبه الصمم، فلم يسمعوه ولم ينتفعوا به"[١].

قال الطبري:" يقول: في آذانهم ثقلا لئلا يسمعوه"[٢].

قال مكي:" أي: ثقلاً لئلا يسمعوه. فأعلم الله -عز وجل- نبيه -ﷺ- أن هؤلاء بأعيانهم لن يؤمنوا"[٣].

قال ابن أبي زمنين:" وهو الصمم عن الهدى"[٤].

قال الثعلبي:{ وَقْرًا}، أي:" ثقلا وصمما"[٥].

قوله تعالى:{وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا} [الكهف : ٥٧]، أي:" وإن تَدْعُهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا لك، ولن يهتدوا إليه أبدًا"[٦].

قال الطبري:" يقول عز ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن تدع يا محمد هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها إلى الاستقامة على محجة الحق والإيمان بالله، وما جئتهم به من عند ربك، فلن يستقيموا إذا أبدا على الحق، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه، لأن الله قد طبع على قلوبهم، وسمعهم وأبصارهم"[٧].

قال الثعلبي: أي:"وإن تدعهم يا محمد إلى الدين، فلن يرشدوا ولن يقبلوه"[٨].

قال مكي:" أي [وإن تدعوهم إلى] الاستقامة، فلن يؤمنوا أبداً لأن الله -عز وجل- قد طبع على قلوبهم وآذانهم"[٩].

قال ابن أبي زمنين:" يعني: الذين يموتون على شركهم"[١٠].

القرآن

{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨)} [الكهف : ٥٨]

التفسير:

وربك الغفور لذنوب عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم، لو يعاقب هؤلاء المعرضين عن آياته بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجَّل لهم العذاب، ولكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل لهم موعد يجازون فيه بأعمالهم، لا مندوحة لهم عنه ولا محيد.

قوله تعالى:{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} [الكهف : ٥٨]، أي:" وربك الغفور لذنوب عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم"[١١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده بعفوه عنهم إذا تابوا منها {ذو الرحمة}"[١٢].

قال مكي:" أي: وربك يا محمد الساتر على ذنوب عباده بعفوه إذا تابوا منها ذو الرحمة بهم"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٢) تفسير الطبري:٥٢/١٨.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٣/٦.
(٤) تفسير يابن أبي زمنين:٧٠/٣.
(٥) تفسير الثعلبي:١٧٩/٦.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٧) تفسير الطبري:٥٢/١٨.
(٨) تفسير الثعلبي:١٧٩/٦. [بتصرف بسيط]
(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٣/٦.
(١٠) تفسير يابن أبي زمنين:٧٠/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٠٠.
(١٢) تفسير الطبري:٥٢/١٨.
(١٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٤/٦.

قال الزمخشري:" «الغفور»: البليغ المغفرة، «ذو الرحمة»: الموصوف بالرحمة"[١].

قوله تعالى:{لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ} [الكهف : ٥٨]، أي:" لو يعاقب هؤلاء المعرضين عن آياته بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجَّل لهم العذاب"[٢].

قال الطبري:" {لو يؤاخذهم بما كسبوا} هؤلاء المعرضين عن آياته إذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام، {لعجل لهم العذاب}، ولكنه لرحمته بخلقه غير فاعل ذلك بهم إلى ميقاتهم وآجالهم"[٣].

قال مكي:أي:" ولو أخذ هؤلاء المعرضين عن آياته بما اكتسبوا من الذنوب بالعذاب في الدنيا لعجّل لهم ذلك. لكنه برحمته وعفوه لم يعجل لهم ذلك"[٤].

قال الزمخشري:" ثم استشهد [على صفتي: الغفران والرحمة]، بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلا من غير إمهال، مع إفراطهم في عداوة رسول الله ﷺ"[٥].

عن ابن عباس قوله: "{بما كسبوا}، يقول: بما عملوا"[٦].

قوله تعالى:{بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ} [الكهف : ٥٨]، أي:" ولكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل لهم موعد يجازون فيه بأعمالهم"[٧].

قال الطبري:" يقول: لكن لهم موعد، وذلك ميقات محل عذابهم، وهو يوم بدر"[٨].

قال الزمخشري:" وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه منجى ولا ملجأ"[٩].

قوله تعالى:{لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا} [الكهف : ٥٨]، أي:" لا مندوحة لهم عن ذلك الموعد ولا محيد"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لن يجد هؤلاء المشركون، وإن لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتا لعذابهم، ملجأ يلجئون إليه، ومنجى ينجون معه، يعني أنهم لا يجدون معقلا يعتقلون به من عذاب الله"[١١].

قال مكي:" أي: لن يجدوا يعني هؤلاء المشركين من دون الموعد ملتحداً ملجئاً يلجؤون إليه من العذاب"[١٢].

قال الزجاج:" «الموئل»: المنجا، يقال: وأل يئل إذا نجا"[١٣].

قال الزمخشري:" {لن يجدوا من دونه} منجى ولا ملجأ"[١٤].

عن ابن عباس:قوله" :{لن يجدوا من دونه موئلا}، قال: ملجأ"[١٥].

عن مجاهد قوله: "{لن يجدوا من دونه موئلا}، قال: مجوزا"[١٦].

قال قتادة:" أي: لن يجدوا من دونه وليا ولا ملجأ"[١٧].

---

(١) الكشاف:٧٣٠/٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٣) تفسير الطبري:٥٢/١٨.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٤/٦.
(٥) الكشاف:٧٣٠/٢.
(٦) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٠):ص٢٣٦٩/٧.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٨) تفسير الطبري:٥٢/١٨.
(٩) الكشاف:٧٣٠/٢.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٠.
(١١) تفسير الطبري:٥٢/١٨.
(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٤/٦.
(١٣) معاني القرآن:٢٩٧/٣.
(١٤) الكشاف:٧٣٠/٢.
(١٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٢):ص٢٣٦٩/٧.
(١٦) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٣):ص٢٣٦٩/٧.
(١٧) أخرجه الطبري:٥٣/١٨.

قال السدي:" الموعد يوم القيامة"[1].

القرآن

{وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩)} [الكهف : ٥٩]

التفسير:

وتلك القرى القريبة منكم -كقرى قوم هود وصالح ولوط وشعيب- أهلكناها حين ظلم أهلها بالكفر، وجعلنا لهلاكهم ميقاتًا وأجلا حين بلغوه جاءهم العذاب فأهلكهم الله به.

قوله تعالى:{وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} [الكهف : ٥٩]، أي:" وتلك القرى القريبة منكم -كقرى قوم هود وصالح ولوط وشعيب- أهلكناها حين ظلم أهلها بالكفر"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكنا أهلها لما ظلموا، فكفروا بالله وآياته"[3].

قال مكي:" المعنى: وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة وغيرهم أهلكنا أهلها، [لما] كفروا بالله -عز وجل- وآياته –سبحانه-"[4].

قال الزمخشري:" يريد قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم: أشار لهم إليها ليعتبروا، والمعنى: وتلك أصحاب القرى أهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم أهل مكة"[5].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} [الكهف : ٥٩]، أي:" وجعلنا لهلاكهم ميقاتًا وأجلا حين بلغوه جاءهم العذاب فأهلكهم الله به"[6].

قال القرطبي:" أي: وقتا معلوما لم تعد"[7].

قال الطبري:" يعني: ميقاتا وأجلا حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به، يقول: فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد الذين لا يؤمنون بك أبدا موعدا، إذا جاءهم ذلك الموعد أهلكناهم سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم"[8].

قال مكي:" أي: وجعلناه لوقت هلاكهم موعداً، لا يتجاوزونه، أي: أجلاً ووقتاً. فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين موعداً لإهلاكهم لا يتجاوزونه"[9].

قال الزمخشري:أي:" وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر. و«المهلك»: الإهلاك ووقته"[10].

عن مجاهد:" {وجعلنا لمهلكهم موعدا}، قال: أجلا"[11].

قال يحيى بن سلام:" الوقت الذي جاءهم فيه العذاب"[12].

قال ابن عباس:" قضى الله العقوبة حين عصي، ثم أخرها حتى جاء أجلها، ثم أرسلها"[13].

قَرَأَ أَبُو بكر عَن عَاصِم {وَجَعَلنَا لمهلكهم موعدا} بِفَتْح الْمِيم وَاللَّام أَي جعلنَا لهلاكهم موعدا، وَقَرَأَ حَفْص {لمهلكهم} بِفَتْح الْمِيم وَكسر اللَّام أَي لوقت هلاكهم[1].

---

(١) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧١):ص٢٣٦٩/٧.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٣)تفسير الطبري:٥٣/١٨ .
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٤/٦-٤٤١٥.
(٥) الكشاف:٧٣٠/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٧) تفسير القرطبي:٨/١١.
(٨) تفسير الطبري:٥٣/١٨-٥٤.
(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤١٤/٦-٤٤١٥.
(١٠) الكشاف:٧٣٠/٢.
(١١)تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٣):ص٢٣٦٩/٧ .
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:١٩٤/١.
(١٣)تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٤):ص٢٣٦٩/٧ .

فوائد الآيات:[٥٦-٥٩]:

١- بيان مهمة الرسل وهي البشارة والنذارة وليست إكراه الناس على الإيمان.

٢- بيان عظم ظلم من يذكر بالقرآن فيعرض ويواصل جرائمه ناسيا ما قدمت يداه.

٣- بيان سنة الله في أن العبد إذا اواصل الشر والفساد يحجب عن الإيمان والخير ويحرم الهداية أبدا حتى يهلك كافرا ظالما فيخلد في العذاب المهين.

٤- ومن الفوائد: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

- فـ«الغفور»: هو: "الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب عل كل من يتوب ففي الحديث: "إن الله يقول يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"[٢]. وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم:٣٢].

وقد فتح الله الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته"[٣].

قال الخطابي:"«الغفور»:هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة[٤].

- و«الرحيم»:أي: "ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء"[٥].

القرآن

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)} [الكهف : ٦٠]

التفسير:

واذكر حين قال موسى لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير زمنًا طويلا حتى أصل إلى العبد الصالح؛ لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم.

قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ} [الكهف : ٦٠]، أي:" واذكر حين قال موسى لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين"[٦].

قال الطبري:" يقول عز ذكره لنبيه ﷺ: واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع: {لا أبرح} يقول: لا أزال أسير {حتى أبلغ مجمع البحرين}"[٧].

قال مقاتل:" {وإذ قال موسى لفتاه} يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى، من سبط يوسف بن يعقوب- عليهم السلام- {لا أبرح} يعني: لا أزال أطلب الخضر، وهو من ولد عاميل من بني إسرائيل، {حتى أبلغ مجمع البحرين}، يقال لأحدهما: الرش، وللآخر: الكر، فيجتمعان فيصيران نهرا واحدا ثم يقع في البحر من وراء أذربيجان"[٨].

---

(١) انظر: حجة القراءات:٤٢١.

(٢)أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٤٧) بنحوه، والترمذي في سننه (٥/ ٥٤٨) كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٥) كتاب الآداب باب فضل العمل، والدارمي (٢/ ٢٣٠) كتاب الرقاق باب إذا تقرب العبد إلى الله عن أنس، وقال الترمذي هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه. انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٠٠).

(٣)الحق الواضح المبين، السعدي:٧٣، ٧٤، وانظر: أسماء الله الحسنى:٢١٩.

(٤) انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

(٥) انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.

(٦) التفسير الميسر:٣٠٠.

(٧) تفسير الطبري:٥٥/١٨.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٢/٢.

قال الزجاج:" أحب الله عز وجل أن يعلم موسى - وإن كان قد أوتي التوراة أنه قد أوتي غيره من العلم أيضا ما ليس عنده، فوعد بلقاء الخضر"[١].

قال الفراء:" وإنما سمي:«فتى موسى»، لأنه كان لازما له يأخذ عنه العلم. وهو يوشع بن نون"[٢].

عن عكرمة قال: "قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى يذكر من حديث، وقد كان معه، فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال: شرب الفتى من الماء فخلد، فأخذه العالم فطابق به سفينة، ثم أرسله في البحر، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب"[٣].

قال سعيد بن جبير: "قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم إن موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل: قال ابن عباس: كذب عدو الله! ... حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب، كيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا تجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم..."[٤].

ومن طريق العوفي، عن ابن عباس قال: "لما ظهر موسى وقومه على مصر، أنزل قومه بمصر، فلما استقرت بهم الدار أنزل الله وذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعم، وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون، وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله في الأرض، وقال: كلم الله موسى نبيكم تكليما واصطفاني لنفسه وأنزل علي محبة منه، وآتاكم من كل شيء سألتموه، فنبيكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرون اليوم. فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا عرفهم إياها، فقال له رجل من بني إسرائيل: فهل على الأرض أعلم منك يا نبي الله؟ قال: لا. فبعث الله جبريل إلى موسى فقال: إن الله يقول: «وما يدريك أين أضع علمي؟ ... بلى على ساحل البحر رجل أعلم» . قال ابن عباس: هو الخضر. فسأل موسى ربه إن يريه إياه، فأوحى الله إليه: إن ائت البحر، فإنك تجد على ساحل البحر حوتا فخذه فادفعه إلى فتاك، ثم الزم شط البحر، فإذا نسيت الحوت وذهب منك فثم تجد العبد الصالح الذي تطلب..."[٥].

ومن طريق هارون بن عنترة، عن أبيه عن ابن عباس قال: "سأل موسى ربه فقال: «رب، أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني قال: فأي عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، عسى إن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى. قال: وقد كان حدث موسى نفسه أنه ليس أحد أعلم منه. قال: رب، فهل أحد أعلم مني؟ قال: نعم. قال: فأين هو؟ قيل له: عند الصخرة التي عندها العين..."[٦].

قال الماوردي:" الذي عليه جمهور المسلمين أنه موسى بن عمران"[٧].

قال القرطبي:" الجمهور من العلماء وأهل التاريخ أنه موسى بن عمران المذكور في القرآن ليس فيه موسى غيره. وقالت فرقة منها نوف البكالي: إنه ليس ابن عمران وإنما هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى ابن عمران. وقد رد هذا القول ابن

---

(١) معاني القرآن:٣/٢٩٩.
(٢) معاني القرآن:٢/١٥٤.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٦٧.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٥):ص٧/٢٣٧٠-٢٣٧١، وانظر: المصدر نفسه(١٢٨٧٦)، (١٢٨٧٧):ص٧/٢٣٧١-٢٣٧٣. وانظر: الدر المنثور: ٥/ ٤١٠- ٤١٢- ٤١٣.
(٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٧):ص٧/٢٣٧٣-٢٣٧٤.
(٦) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٨):ص٧/٢٣٧٤، و الدر: ٥/ ٤١٩.
(٧) النكت والعيون:٣/٣٢١.

عباس في صحيح البخاري وغيره. و«فتاه»: هو يوشع بن نون. وقد مضى ذكره في«المائدة»، وآخر«يوسف». ومن قال هو ابن منشا فليس الفتى يوشع بن نون"[١].

وفي قوله تعالى:{لَا أَبْرَحُ} [الكهف : ٦٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : لا أفارقك ، حكاه الماوردي[٢]، والقرطبي[٣]، وانشدا قول الشاعر [٤]:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانةً ... وتحمل أُخرى أثقلتك الودائع

الثاني : لا أزال ، قاله مقاتل[٥]، والفراء[٦]، والاخفش[٧]، والزجاج[٨]، ومنه قول الشاعر[٩]:
الشاعر[٩]:

وأبرح ما أدام اللهُ قومي ... بحمد الله منتطقاً مجيداً

أي: لا أزل.

وقول الآخر[١٠]:

وما برحوا حتى تهادت نساؤهم ... ببطحاء ذي قار عياب اللطائم

أي: ما زالوا.

قال الزجاج:" معنى {لا أبرح}: لا أزال، ولو كان لا أزول كان محالا، لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع أرضا"[١١].

الثالث: لا أنتهي. وهذا قول ابن زيد[١٢].

قال ابن الجوزي:" المعنى: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أي: ملتقاهما، وهو الموضع الذي وعده الله بلقاء الخضر فيه"[١٣].

وفي :{مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ} [الكهف : ٦٠]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مجمع النهرين: « الكُرّ والرَّسّ»[١٤]، حيث يصبان في البحر. قاله السدي[١٥]، ومقاتل[١٦].

وقال مقاتل:" الرس[١٧]، والكر، فيجتمعان فيصيران نهرا واحدا ثم يقع في البحر من وراء أذربيجان"[١٨].

قال أبو السعود والألوسي:" وقيل هما « الكُرّ والرَّسّ» بأرمينية"[١].

---

(١) تفسير القرطبي:٩/١١.
(٢) انظر: النكت والعيون:٣٠٧/١٨.
(٣) انظر: تفسير القرطبي:٩/١١.
(٤) البيت لبيهس العذري في "لسان العرب" ٢/ ٥٤١ (فرح)، و"التنبيه والإيضاح" ١/ ٢٥٨، "تاج العروس" ١٧/ ١٣ (فرح). وبلا نسبة في "تهذيب اللغة" ٥/ ٩٣، "المخصص" ١٢/ ٣١٤.
(٥) انظر تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٢/٢.
(٦) معاني القرآن:١٥٣/٢.
(٧) معاني القران:٤٣٢/٢.
(٨) انظر: معاني القرآن:٢٩٨/٣.
(٩) انظر: معاني القرآن للزجاج:٢٩٨/٣.
(١٠)البيت في ديوان الفرزدق طبعة الصاوي ص ، ٧٧٣ ، وانظر: معاني القران للأخفش:٤٣٢/٢، والبيت من مقطوعة يمدح بها عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني، عدتها تسعة أبيات. والواو في برحوا عائدة على بني تميم الذين فخر بأعمالهم في يوم ذي قار؛ والعياب: جمع عيبة، وهي الحقيبة، اللطائم: جمع لطيمة، وهي الإبل يحمل عليها البر والطيب خاصة.
(١١) معاني القرآن:٢٩٨/٣.
(١٢) انظر: الطبري:٥٥/١٨.
(١٣) زاد المسير:٩٥/٣.
(١٤)كذا في «فتح الباري» ٨: ٤١٠، و «معجم البلدان» ٣: ٤٤ .
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٨٧):ص٢٣٧٦/٧.
(١٦) انظر تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٢/٢.
(١٧) في المطبوع: «الرش».
(١٨) انظر تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٢/٢.

وقيل: أنهما يصبان في بحر جرجان[٢].

الثاني: أن المراد بـ«مجمع البحرين»: الخضرُ وإلياس ، وهما بحران في العلم ، حكاه الماوردي عن السدي[٣].

قلت: وهذا القول ضعيف، لا يقتضيه اللفظ -والله أعلم-.

الثالث:أن المراد بـ«مجمع البحرين»: اجتماع موسى والخضر؛ لأنهما بحرا علم. حكاه القرطبي عن ابن عباس[٤].

قال القرطبي:" وهذا قول ضعيف، لا يصح؛ فإن الأمر بيّن من الأحاديث أنه إنما وُسم له بحر ماء"[٥].

وقال ابن حجر: "وهذا غير ثابت ولا يقتضيه اللفظ، وإنما يحسن أن يذكر في مناسبة اجتماعهما بهذا المكان المخصوص، كما قال السهيلي: اجتمع البحران بمجمع البحرين"[٦].

الثالث : أنه بحر الأندلس من البحر المحيط، قال القرطبي :"حكاه النقاش، وهذا مما يذكر كثيرا"[٧].

الرابع: يعني: بحر الروم وبحر فارس أحدهما قبل المشرق، والآخر قبل المغرب. قاله مجاهد[٨]، وقتادة[٩]، ويحيى بن سلام[١٠]، والفراء[١١].

قال ابن عطية:" «مجمع البحرين»: ذراع في أرض فارس من وراء أذربيجان يخرج من البحر المحيط من شماليه إلى جنوبيه مما يلي بر الشام"[١٢].

قلت: لم يبين الله سبحانه وتعالى أي البحرين هما، ولا جاءنا خبر صحيح عن الرسول ﷺ في بيان ذلك، وعدم معرفة ذلك لا يضرنا شيئا؛ فإن معرفة ذلك وعدمه لا يترتب عليه أمر ديني[١٣].

وفي اسم البلد الذي بمجمع البحرين، قولان:

أحدهما: أنه إفريقية، قاله أبي بن كعب[١٤].

والثاني: طنجة[١٥]، قاله محمد بن كعب القرظي[١٦].

قوله تعالى:{أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} [الكهف : ٦٠]، أي:" أو أسير زماناً إلى أن أبلغ ذلك المكان"[١٧].

قال الطبري:" يقول: أو أسير زمانا ودهرا"[١٨].

وفي قوله تعالى:{أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} [الكهف : ٦٠]، وجوه:

أحدها : أن «الحقب»: ثمانون سنة ، قاله عبد الله بن عمرو[١]، والزجاج[٢].

---

(١) تفسير أبي السعود:٢٣٢/٥، وروح المعاني:٢٩٤/٨.
(٢)انظر: معجم البلدان: ٣: ٤٤.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣٢٢/٣.
(٤) انظر: تفسير القرطبي:٨/١١.
(٥) تفسير القرطبي:٨/١١.
(٦)فتح الباري ٤١٠/٨.
(٧) انظر: تفسير القرطبي:٩/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٨.
(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٩٥/١.
(١١) انظر: معاني القرآن:١٥٤/٢.
(١٢)لمحرر الوجيز: ٤٢١/١٠.
(١٣) انظر الروايات التفسيرية في فتح الباري:٧١١/٢.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٨٦):ص٢٣٧٥/٧.
(١٥)«طنجة» مدينة معروفة في المغرب تطلّ على البحر.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٨٧):ص٢٣٧٦/٧، وتفسير الطبري:٥٦/١٨.
(١٧) صفوة التفاسير:١٨١/٢.
(١٨) تفسي الطبري:٥٦/١٨.

الثاني : أنه سبعون سنة ، قاله مجاهد[٣].
الثالث : أن «الحقب» الزمان ، قاله قتادة[٤]، وابن زيد[٥]، وأبو عبيدة[٦].
الرابع : أنه الدهر ، قاله ابن عباس[٧]، ومقاتل[٨]، واختاره الطبري[٩]، ومنه قول امرىء القيس[١٠]:
نحن الملوك وأبناء الملوك ، لنا ... مِلكٌ به عاش هذا الناس أحقابا
الخامس : أن«الحقب» في لغة قيس: «سنة»، قاله الكلبي[١١]، والفراء[١٢].
وقرأ أبو رزين، والحسن، وأبو مجلز، وقتادة، والجحدري، وابن يعمر: «حقبا» بإسكان الكاف[١٣].

القرآن
{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١)} [الكهف : ٦١]
التفسير:
وجَدَّا في السَّيْر، فلما وصلا ملتقى البحرين جلسا عند صخرة، ونسيا حوتهما الذي أُمر موسى بأخذه معه قوتًا لهما، وحمله يوشع في مِكْتَل، فإذا الحوت يصبح حيًّا وينحدر في البحر، ويتخذ له فيه طريقًا مفتوحًا.
قوله تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا} [الكهف : ٦١]، أي:" فلما وصلا ملتقى البحرين جلسا عند صخرة، ونسيا حوتهما الذي أُمر موسى بأخذه معه قوتًا لهما"[١٤].
قال الطبري:" يعني تعالى ذكره: فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، تركا {حوتهما}"[١٥].
عن مجاهد : قوله "{مجمع بينهما}، قال: بين البحرين، {نسيا حوتهما}، قال: أضلاه"[١٦].
قال الفراء:" وإنما نسيه يوشع فأضافه إليهما، كما قال : {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن : ٢٢]، وإنما يخرج من الملح دون العذب"[١٧]، ومثله في الكلام أن تقول: عندي دابتان أركبهما وأستقي عليهما، وإنما يركب إحداهما ويستقى على الأخرى وقد يمكن أن يكونا جميعا تركبان ويستقى عليهما. وهذا من سعة العربية التي يحتج بسعتها"[١٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٥٦/١٨.
(٢) انظر: معاني القرآن:٢٩٩/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٥٦/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٧/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٥٧/١٨.
(٦) انظر: مجاز القرآن:٤٠٩/١.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٧/١٨-٥٨.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٢/٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٦/١٨.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٣٢٢/٣.
(١١) انظر: النكت والعيون:٣٢٢/٣.
(١٢) انظر: معاني القرآن:١٥٤/٢.
(١٣) انظر: زاد المسير:٩٦/٣.
(١٤) التفسير الميسر:٣٠٠.
(١٥) تفسير الطبري:٥٧/١٨.
(١٦) أخرجه الطبري:٥٧/١٨.
(١٧) معاني القرآن:١٥٤/٢.
(١٨) معاني القرآن:١٤٧/١.

قال ابن قتيبة:" روي في التفسير: أن النّاسي كان يوشع بن نون ويدلّك قوله لموسى، صلّى الله عليه وسلم: {فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ} [الكهف: ٦٣]"[١].

قال ابن عثيمين:" نسيان ذهول وليس نسيان ترك، وهذا من حكمة الله عز وجل، أن الله أنساهما ذلك لحكمة، وهذا الحوت قد جعله الله سبحانه وتعالى علامة لموسى، أنك متى فقدت الحوت فثَم الخضر، وهذا الحوت كان في مِكْتَل وكانا يقتاتان منه، ولما وصلا إلى مكان ما ناما فيه عند صخرة، فلما استيقظا وإذا الحوت ليس موجوداً، لكنه أي: الفتى لم يتفقد المكتل ونسي شأنه وأمره، هذا الحوت - سبحان الله - خرج من المكتل، ودخل في البحر وجعل يسير في البحر، والبحر ينحاز عنه"[٢].

قوله تعالى:{فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} [الكهف : ٦١]، أي:" فاتخذ الحوت سبيله في البحر مسلكاً"[٣].

عن مجاهد :"{فاتخذ سبيله في البحر سربا}، قال: الحوت اتخذ"[٤].

قال الطبري:" يعني بالـ«سرب»: المسلك والمذهب، يسرب فيه: يذهب فيه ويسلكه"[٥].
ويسلكه"[٥].

قال أبو عبيدة:" أي: مسلكا ومذهبا أي يسرب فيه، وفى آية أخرى: {وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} [الرعد : ١٠]"[٦].

قال ابن قتيبة:" أي: فاتخذ الحوت طريقه في البحر، مذهبا ومسلكا"[٧].

قال ابن عثيمين:" {سَرَباً}، أي: مثل السرب، والسرب هو السرداب يعني أنه يشق الماء ولا يتلاءم الماء، وهذا من آيات الله، وإلا فقد جرت العادة أن الحوت إذا انغمر في البحر يتلاءم البحر عليه، لكن هذا الحوت من آيات الله، أولاً: أنه قد مات، وأنهما يقتاتان منه، ثم صار حياً ودخل البحر ثانياً: أنه صار طريقه على هذا الوجه، وهذا من آيات الله تبارك وتعالى"[٨].

وفي قوله تعالى:{فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} [الكهف : ٦١]، ثلاثة وجوه:

أحدها: معناه: صار طريقه الذي يسلك فيه كالجحر. قاله ابن عباس[٩].

قال ابن عباس:" جاء فرأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء، قال ابن عباس {فاتخذ سبيله في البحر سربا}، وحلق بيده"[١٠].

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ حين ذكر حديث ذلك: "ما انجاب ماء منذ كان الناس غيره ثبت مكان الحوت الذي فيه[١١] فانجاب كالكوة حتى رجع إليه موسى، فرأى مسلكه، فقال: ذلك ما كنا نبغي"[١٢].

الثاني: معناه: صار طريقه في البحر ماء جامدا. وهذا قول قتادة[١٣]، وبه قال الفراء[١٤].

---

(١)تأويل مشكل القرآن:١٧٥ .
(٢) تفسير العثيمين«الكهف»:١٠٩.
(٣) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.
(٤) أخرجه الطبري:٥٨/١٨.
(٥) تفسير الطبري:٥٨/١٨.
(٦) مجاز القرآن:٤٠٩/١.
(٧) غريب القرآن:٢٦٩.
(٨) تفسير العثيمين«الكهف»:١٠٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٨/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٥٩/١٨.
(١١)كذا في تفسير الطبري، والذي في الدر :٤٢٣/٥، هكذا: "غير بيت ماء كان الحوت دخل منه. . . ".إلخ. وفي تفسير ابن كثير١٧٤/٥:" غير مسير مكان الحوت...". إلخ.
(١٢) أخرجه الطبري:٥٨/١٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٩/١٨.
(١٤) انظر: معاني القرآن:١٥٤/٢.

قال قتادة:" سرب من الجر[1] حتى أفضى إلى البحر، ثم سلك، فجعل لا يسلك فيه طريقا طريقا إلا صار ماء جامدا"[2].

قال الفراء:" كان مالحا فلما حيي بالماء الذي أصابه من العين فوقع في البحر جمد طريقه في البحر فكان كالسرب"[3].

الثالث: معناه: صار طريقه في البحر حجرا. وهذا القول مروي عن ابن عباس أيضا[4].

قال ابن عباس:" حمل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة"[5].

الرابع: معناه: اتخذ سبيله سربا في البر إلى الماء، حتى وصل إليه لا في البحر. وهذا قول ابن زيد[6].

قال ابن زيد:" حشر الحوت في البطحاء بعد موته حين أحياه الله، قال ابن زيد، وأخبرني أبو شجاع أنه رآه قال: أتيت به فإذا هو شقة حوت وعين واحدة، وشق آخر ليس فيه شيء"[7].

وقال ابن زيد:" دخل الحوت في البطحاء بعد موته حين أحياه الله، ثم اتخذ فيها سربا حتى وصل إلى البحر. والسرب، طريق حتى وصل إلى الماء وهي بطحاء يابسة في البر، بعد ما أكل منه دهرا طويلا وهو زاده، ثم أحياه الله"[8].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل: واتخذ الحوت طريقه في البحر سربا. وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الأرض، وجائز أن يكون كان بجمود الماء، وجائز أن يكون كان بتحوله حجرا.

وأصح الأقوال فيه ما روي الخبر به عن رسول الله ﷺ الذي ذكرنا عن أبيّ عنه"[9].

الخامس: يعني اتخذ الحوت طريقه في البحر كهيئة فم القربة. قاله مقاتل[10].

قال مقاتل:" وذلك أن موسى- عليه السلام- لما علم ما في التوراة وفيها تفصيل كل شيء قال له رجل من بني إسرائيل: هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، ما بقي أحد من عباد الله، هو أعلم مني. فأوحى الله- عز وجل- إليه أن رجلا من عبادي يسكن جزائر البحر، يقال له الخضر هو أعلم منك. قال: فكيف لي به؟ قال جبريل- عليك السلام-: احمل معك سمكة مالحة فحيث تنساها تجد الخضر هنالك فسار موسى ويوشع بن نون ومعهما خبز وسمكة مالحة في مكتل على ساحل البحر فأوى إلى الصخرة ليلا، والصخرة بأرض تسمى مروان على ساحل بحر أيلة وعندها عين تسمى عين الحياة فباتا عندها تلك الليلة وقرب موسى المكتل من العين وفيها السمكة فأصابها الماء فعاشت ونام موسى فوقعت السمكة في البحر فجعل لا يمس صفحتها شيء من الماء إلا انفلق عنه فقام الماء من كل جانب وصار أثر الحوت في الماء كهيئة السرب في الأرض واقتصد الحوت في مجراه ليلحقاه، فذلك قوله- سبحانه-: {فاتخذ سبيله في البحر سربا}، يعني: الحوت اتخذ سبيله يعني طريقه في البحر سربا يقول كهيئة فم القربة فلما أصبحا ومشيا"[11].

القرآن

---

(١)لعل المراد بالجر هنا: الوهدة من الأرض، كما في (اللسان: جر).
(٢) أخرجه البري:٥٩/١٨.
(٣) معاني القرآن:١٥٤/٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٩/١٨.
(٥) أخرجه البري:٥٩/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٥٩/١٨.
(٧) أخرجه البري:٥٩/١٨.
(٨) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٩٣):ص٢٣٧٧/٧.
(٩) تفسير الطبري:٥٩/١٨.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٣/٢.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٣/٢.

{فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢)} [الكهف : ٦٢]
التفسير:
فلما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت وشعر موسى بالجوع، قال لخادمه: أحضر إلينا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا.
قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا} [الكهف : ٦٢]، أي:" فلما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت وشعر موسى بالجوع، قال لخادمه: أحضر إلينا غداءنا"[١].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {فلما جاوزا} موسى وفتاه مجمع البحرين، {قال} موسى {لفتاه} يوشع : جئنا بغدائنا وأعطناه"[٢].
قوله تعالى:{لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} [الكهف : ٦٢]، أي:" لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا"[٣].
قال مقاتل:" يعني: مشقة في أبداننا"[٤].
قال الطبري:" يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعبا، وقال ذلك موسى، فيما ذكر، بعد ما جاوز الصخرة، حين ألقي عليه الجوع ليتذكر الحوت، ويرجع إلى موضع مطلبه"[٥].
قال ابن عباس:" إن موسى عليه السلام شق الحوت وملحه وتغدى منه وتعشى، فلما كان من الغد قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا"[٦].
قال سعيد بن جبير:" كان مملوحا[أي: الحوت] مشقوق البطن"[٧].

القرآن
{قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)} [الكهف : ٦٣]
التفسير:
قال له خادمه: أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من الحوت، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلا الشيطان، فإن الحوت الميت دبَّتْ فيه الحياة، وقفز في البحر، واتخذ له فيه طريقًا، وكان أمره مما يُعْجَبُ منه.
قوله تعالى:{قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ} [الكهف : ٦٣]، أي:" قال له خادمه: أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من الحوت"[٨].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال فتى موسى لموسى حين قال له: آتنا غداءنا لنطعم: أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت هنالك "[٩].
قوله تعالى:{وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} [الكهف : ٦٣]، أي:" وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلا الشيطان"[١٠].
قال الطبري:" وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان"[١١].
وفي مصحف عبد الله: «وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان»[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠١.
(٢) تفسير الطبري:٦٠/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٠١.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٣/٢.
(٥) تفسير الطبري:٦٠/١٨.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٩٤):ص٢٣٧٧/٧.
(٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٩٠):ص٢٣٧٦/٧.
(٨) التفسير الميسر:٣٠١.
(٩) تفسير الطبري:٦٠/١٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠١.
(١١) تفسير الطبري:٦٠/١٨.

وفي قراءة أبيّ :«وما أنسانيه إلا الشيطان إن أذكر له»[2].
قوله تعالى:{وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا} [الكهف : ٦٣]، أي:" واتخذ الحوتُ طريقة في البحر وكان أمره عجباً"[3].
قال الفراء:" يقول: اتخذ موسى سبيل الحوت {في البحر عجبا}"[4].
عن مجاهد، قوله: "{في البحر عجبا}، قال: موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها، فوجد عندها خضرا"[5].
قال قتادة:" أتي الحوت على عين في البحر يقال لها: عين الحياة، فلما أصاب تلك العين رد الله إليه روحه"[6].

القرآن

{قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤)} [الكهف : ٦٤]

التفسير:

قال موسى: ما حصل هو ما كنا نطلبه، فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح، فرجعا يقصان آثار مشيهما حتى انتهيا إلى الصخرة.
قوله تعالى:{قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ} [الكهف : ٦٤]، أي:" قال موسى: ما حصل هو ما كنا نطلبه، فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح"[7].
قوله تعالى:{فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} [الكهف : ٦٤]، أي:" فرجعا يقصان آثار مشيهما حتى انتهيا إلى الصخرة"[8].
قال قتادة:" عودهما على بدئهما"[9].
قال سفيان: يزعم ناس إن تلك الصخرة عندها عين الحياة. ولا يصيب ماؤها ميتا إلا عاش. قال: وكان الحوت قد أكل منه. فما قطر عليه الماء عاش"[10].
فوائد الآيات:[٦٠-٦٤]:

١- عتب الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام عندما سئل هل هناك من هو أعلم منك فقال لا وكان المفروض أن يقول على الأقل الله أعلم. فعوقب لذلك فكلف هذه الرحلة الشاقة.
٢- استحباب الرفقة في السفر، وخدمة التلميذ للشيخ، إذ كان يوشع يخدم موسى بحمل الزاد.
٣- طروء النسيان على الإنسان مهما كان صالحا.
٤- مراجعة الصواب بعد الخطأ خير من التمادي على الخطأ {فارتدا على آثارهما قصصا}.
٥- تجلى قدرة الله تعالى في إحياء الحوت بعد الموت، وانجياب الماء عليه حتى كان كالطاق فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا. وبه استدل موسى أي بهذا العجب على مكان خضر فوجده هناك.

القرآن

---

(١) تفسير الطبري:٦٠/١٨.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم((١٢٨٩٥):ص٢٣٧٧/٧.
(٣) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.
(٤) معاني القرآن:١٥٤/٢.
(٥) اخجره الطبري:٦٠/١٨.
(٦) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٩٧):ص٢٣٧٧/٧
(٧) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.
(٨) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.
(٩) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٩٨):ص٢٣٧٧/٧
(١٠) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٥):ص٢٣٧٠/٧.

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥)} [الكهف : ٦٥]

التفسير:

فوجدا هناك عبدًا صالحًا من عبادنا هو الخَضِر -عليه السلام - ، آتيناه رحمة من عندنا، وعَلَّمْناه مِن لدنَّا علمًا عظيمًا.

قوله تعالى:{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا} [الكهف : ٦٥]، أي:" فوجدا هناك عبدًا صالحًا من عبادنا هو الخَضِر -عليه السلام -"[(١)].

قال قتادة:" لقيا رجلا عالما يقال له: خضر"[(٢)].

قال قتادة:" فلقيا رجلا عالما يقال له الخضر، فذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: "إنما سمي الخضر خضرا لأنه قعد على فروة بيضاء، فاهتزت به خضراء"[(٣)].

قال عكرمة:" إنما سمي :«الخضر»، لأنه كان إذا جلس في مكان أخضر ما حوله، وكانت ثيابه خضرا"[(٤)].

قال السدي:" إنما سمي :«الخضر»، لأنه إذا قام في مكان نبت العشب تحت رجليه حتى يغطي قدميه"[(٥)].

قوله تعالى:{آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا} [الكهف : ٦٥]، أي:" وهبناه نعمة عظيمة وفضلاً كبيراً"[(٦)].

قال ابن عباس:" أعطيناه الهدى والنبوة"[(٧)].

قال الطبري:" يقول: وهبنا له رحمة من عندنا"[(٨)].

قال الصابوني:" وهي الكرامات التي أظهرها الله على يديه"[(٩)].

قوله تعالى:{وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكهف : ٦٥]، أي:" وعَلَّمْناه مِن لدنَّا علمًا عظيمًا"[(١٠)].

قال الطبري:" يقول: وعلمناه من عندنا أيضا علما"[(١١)].

قال قتادة:" أي: من عندنا علما"[(١٢)].

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، :"عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، فقال ابن عباس: هو خضر، فمر بهما أبي بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بينا موسى في ملأ من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال: تعلم مكان أحد أعلم منك؟ قال موسى: لا فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إلى لقيه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر، فقال فتى

---

(١) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٩٦):ص٢٣٧٧/٧.

(٣) أخرجه الطبري:٧٩/١٨-٨٠. وفي "عرائس المجالس" للثعلبي المفسر ص ٢٢٠ طبعة الحلبي: "فإذا هي تهتز تحته خضراء".

(٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٩٩):ص٢٣٧٧/٧.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٠):ص٢٣٧٧/٧.

(٦) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.

(٧) الدر المنثور:٤٢٥/٥. وعزاه الى ابن أبي حاتم.

(٨) تفسير الطبري:٦٢/١٨.

(٩) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.

(١٠) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.

(١١) تفسير الطبري:٦٢/١٨.

(١٢) أخرجه الطبري:٦٢/١٨.

موسى لموسى: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت، قال موسى: ذلك ما كنا نبغ، فارتدا على آثارهما قصصا، فوجدا عبدنا خضرا، وكان من شأنهما ما قص الله في كتابه"(١).

عن سعيد بن جبير، قال: "جلست فأسند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب، فقال بعضهم: يا أبا العباس، إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب، أن موسى النبي الذي طلب العالم، إنما هو موسى بن ميشا، قال سعيد، قال ابن عباس: أنوف يقول هذا؟ قال سعيد: فقلت له نعم، أنا سمعت نوفا يقول ذلك، قال: أنت سمعته يا سعيد؟ قال: قلت: نعم، قال: كذب نوف، ثم قال ابن عباس: حدثني أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: إن موسى هو نبي بني إسرائيل سأل ربه فقال: أي رب إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فادللني عليه، فقال له: نعم في عبادي من هو أعلم منك، ثم نعت له مكانه، وأذن له في لقيه، فخرج موسى معه فتاه ومعه، حوت مليح، وقد قيل له: إذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك، فخرج موسى ومعه فتاه، ومعه ذلك الحوت يحملانه، فسار حتى جهده السير، وانتهى إلى الصخرة وإلى ذلك الماء، ماء الحياة، من شرب منه خلد. ولا يقاربه شيء ميت إلا حيي، فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي، فاتخذ سبيله في البحر سربا، فانطلقا، فلما جاوزا منقلبه قال موسى: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، قال الفتى وذكر: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا" قال ابن عباس: فظهر موسى على الصخرة حين انتهيا إليها، فإذا رجل متلفف في كساء له، فسلم موسى، فرد عليه العالم، ثم قال له: وما جاء بك؟ إن كان لك في قومك لشغل؟ قال له موسى: جئتك لتعلمني مما علمت رشدا، {قال إنك لن تستطيع معي صبرا} ، وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك، فقال موسى: بلى قال: {وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا}: أي إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل، ولم تحط من علم الغيب بما أعلم {قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا}، وإن رأيت ما يخالفني، قال :{فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء}، وإن أنكرته، {حتى أحدث لك منه ذكرا}، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، يتعرضان الناس، يلتمسان من يحملهما، حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها، فسألا أهلها أن يحملوهما، فحملوهما، فلما اطمأنا فيها، ولجت بهما مع أهلها، أخرج منقارا له ومطرقة، ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها، ثم أخذ لوحا فطبقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها. قال له موسى ورأى أمرا فظع به: {أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت}: أي ما تركت من عهدك {ولا ترهقني من أمري عسرا}، ثم خرجا من السفينة، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها، فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه، ولا أثرى ولا أوضأ منه، فأخذه بيده، وأخذ حجرا، قال: فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله، قال: فرأى موسى أمرا فظيعا لا صبر عليه، صبي صغير لا ذنب له {قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس}، أي: صغيرة بغير نفس {لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا} : أي: قد أعذرت في شأني {فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض} فهدمه، ثم قعد يبنيه، فضجر موسى مما رآه يصنع من التكليف لما ليس عليه صبر، فقال: {لو شئت لاتخذت عليه أجرا}، أي: قد استطعمناهم فلم يطعمونا، وضفناهم فلم يضيفونا، ثم قعدت في غير صنيعة، ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله {قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا}، وفي قراءة أبي بن كعب: كل سفينة صالحة، وإنما عبتها لأرده عنها، فسلمت حين رأى العيب الذي صنعت بها. {وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين

(١) أخرجه الطبري:٧٠/١٨.

في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري} : أي ما فعلته عن نفسي {ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا}، فكان ابن عباس يقول: ما كان الكنز إلا علما"[١].

القرآن

{قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦)} [الكهف : ٦٦]

التفسير:

فسلَّم عليه موسى، وقال له: أتأذن لي أن أتبعك؛ لتعلمني من العلم الذي علمك الله إياه ما أسترشد به وأنتفع؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال موسى للعالم: {هل أتبعك على أن تعلمني} من العلم الذي علمك الله ما هو رشاد إلى الحق، ودليل على هدى؟"[٢].

قال مكي:" أي: قال: موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله رشداً إلى الحق ودليلاً على الهدى"[٣].

قال النحاس:" هذا سؤال الملاطف والمخاطب المبالغ في حسن الأدب والمعنى هل يتفق لك ويخف عليك أن تأذن لي في مرافقتك لأقتبس من علمك ما يرشدني"[٤].

قال ابن عباس:" فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بن إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا"[٥].

وفي رواية عن ابن عباس:" فسلم كل واحد منهما على صاحبه، فقال له موسى: إني أريد إن تصحبني"[٦].

قرأ أبو عمرو {مما علمت رشدا} بفتح الراء والشين وقرأ الباقون {رشدا} بإسكان الشين وضم الراء وهما لغتان مثل :الحزن والحزن، وقال آخرون: «الرشد»: الصلاح، كقوله {فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا} [النساء : ٦]، و«الرشد» في الدين [٧].

القرآن

{قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧)} [الكهف : ٦٧]

التفسير:

قال له الخَضِر: إنك -يا موسى- لن تطيق أن تصبر على اتباعي وملازمتي.

قال ابن عباس:" يقول: لا تطيق ذلك"[٨]، "يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه"[٩].

قال الزجاج:" هدا قول الخضر لموسى"[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٦٦-٦٧.
(٢) تفسير الطبري:١٨/٧١.
(٣) الهداية غلى بلوغ النهاية:٦/٤٤٢٦.
(٤) معاني القرآن:٤/٢٦٧.
(٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٥):ص٧/٢٣٧٠-٢٣٧١ في خبر مطول.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٨):ص٧/٢٣٧٤-٢٣٧٥. في خبر مطول.
(٧) حجة القراءات:٤٢٢.
(٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٧):ص٧/٢٣٧٣-٢٣٧٤. في خبر مطول.
(٩) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٥):ص٧/٢٣٧٠-٢٣٧١ في خبر مطول.
(١٠) معاني القرآن:٣/٣٠١.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال العالم: إنك لن تطيق الصبر معي، وذلك أني أعمل بباطن علم علمنيه الله، ولا علم لك إلا بظاهر من الأمور، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال"(١).

قال مكي:" أي: إني أعلم بباطن علم علمنيه الله -عز وجل- ولا تعلم أنت إلا بالظاهر من الأمور فلا تصبر على ما ترى مني لأن أفعالي بغير دليل في رأي العين"(٢).

القرآن

{وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨)} [الكهف : ٦٨]

التفسير:

وكيف لك الصبر على ما سأفعله من أمور تخفى عليك مما علمنيه الله تعالى؟

قال الطبري:" يقول عز ذكره مخبرا عن قول العالم لموسى: وكيف تصبر يا موسى على ما ترى مني من الأفعال التي لا علم لك بوجوه صوابها، وتقيم معي عليها، وأنت إنما تحكم على صواب المصيب وخطأ المخطئ بالظاهر الذي عندك، وبمبلغ علمك، وأفعالي تقع بغير دليل ظاهر لرأي عينك على صوابها، لأنها تبتدئ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة، لا علم لك بالحادث عنها، لأنها غيب، ولا تحيط بعلم الغيب علما"(٣).

قال الزجاج:" ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال: وكيف تصبر على ما ظاهره منكر، والأنبياء والصالحون لا يصبرون على ما يرونه منكرا"(٤).

قال النحاس:" أعلمه العلة في ترك الصبر فقال : وكيف تصبر على ما ظاهره خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه والأنبياء لا يقرون على منكر ولا يسعهم التقرير، أي: لا يسعك السكوت جريا على عادتك وحكمك"(٥).

قال مقاتل:" قال الخضر- عليه السلام- كفى بالتوراة علما وببني إسرائيل شغلا، فأعاد موسى الكلام فقال الخضر :{إنك لن تستطيع معي صبرا}، قال موسى: ولم؟ قال: لأني أعمل أعمالا لا تعرفها ولا تصبر على ما ترى من العجائب حتى تسألني عنه {وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا}، يعني: علما "(٦).

قال النسفي: "علل ذلك بأنه تولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن يجزع إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبيا"(٧).

القرآن

{قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩)} [الكهف : ٦٩]

التفسير:

قال له موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا على ما أراه منك، ولا أخالف لك أمرًا تأمرني به.

قوله تعالى:{قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا} [الكهف : ٦٩]، أي:" قال له موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا على ما أراه منك"(٨).

قال الطبري:" قال: {ستجدني إن شاء الله صابرا}، على ما أرى منك وإن كان خلافا لما هو عندي صواب "(١).

---

(١) تفسير الطبري:٧١/١٨.

(٢) الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٤٢٦/٦.

(٣) تفسير الطبري:٧١/١٨.

(٤) معاني القرآن:٣٠١/٣.

(٥) معاني القرآن:٢٦٧/٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٥/٢.

(٧) تفسير النسفي:٣١١/٢.

(٨)التفسير الميسر:٣٠١.

قال النحاس:" هذا قول موسى للخضر، أي: سأصبر بمشيئة الله"[٢].
قال مكي:" أي :اصبر على ما أرى منك وإن كان خلافاً لحكم الظاهر"[٣].
قال النسفي:أي:" من الصابرين عن الانكار والاعتراض"[٤].
قوله تعالى:{وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} [الكهف : ٦٩]، أي:" ولا أخالف لك أمرًا تأمرني به"[٥].
قال الطبري:" يقول: وأنتهي إلى ما تأمرني، وإن لم يكن موافقا هواي "[٦].
قال مكي:" أي : وأنتهي إلى ما تأمرني وإن كان مخالفاً لهواي"[٧].
قال النحاس:" أي: قد ألزمت نفسي طاعتك ولن أعصي أمرك إن شاء الله"[٨].
قال مقاتل:" فلم يصبر موسى ولم يأثم بقوله ستجدني إن شاء الله صابرا على ما أرى من العجائب فلا أسألك عنها {ولا أعصي لك أمرا}، فيما أمرتني به أو نهيتني عنه"[٩].

القرآن
{قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)} [الكهف : ٧٠]
التفسير:
فوافق الخَضِر وقال له: فإنْ صاحَبتني فلا تسألني عن شيء تنكره، حتى أبيِّن لك من أمره ما خفي عليك دون سؤال منك.
قوله تعالى:{قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ} [الكهف : ٧٠]، أي:" قال له الخضر: فإنْ صاحَبتني فلا تسألني عن شيء تنكره"[١٠].
قال ابن عباس:" يعني: عن شيء أصنعه"[١١].
قال مكي:" أي: إن رأيت ما تنكر فلا تسئلني وتعجل علي بالسؤال"[١٢].
قال الطبري:" يقول تبارك وتعالى: قال العالم لموسى: فإن اتبعتني الآن فلا تسألني عن شيء أعمله مما تستنكره، فإني قد أعلمتك أني أعمل العمل على الغيب الذي لا تحيط به علما"[١٣].
قال النحاس:"أي: إن إنكرته هذه فلا تعجل بالمسألة الى أن أبين لك الوجه فيه، وحتى أكون أنا الذي أفسره لك.
قال النحاس:شرط عليه قبل بدء الرحله ألا يسأله ولا يستفسر عن شئ من تصرفاته حتى يكشف له عن سرها فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم"[١٤].
قوله تعالى:{حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف : ٧٠]، أي:" حتى أبيِّن لك من أمره ما خفي عليك دون سؤال منك"[١٥].

---

(١) تفسير الطبري:٧١/١٨.
(٢) معاني القرآن:٢٦٧/٤.
(٣) الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٤٢٦/٦.
(٤) تفسير النسفي:٣١١/٢.
(٥)التفسير الميسر:٣٠١.
(٦) تفسير الطبري:٧١/١٨.
(٧) الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٤٢٦/٦.
(٨) معاني القرآن:٢٦٧/٤.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٥/٢.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠١.
(١١) أخرجه الطبري:٧١/١٨-٧٢.
(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٤٢٧/٦.
(١٣) تفسير الطبري:٧١/١٨.
(١٤) معاني القرآن:٢٦٩/٤.
(١٥) التفسير الميسر:٣٠١.

قال ابن عباس:" حتى أبين لك شأنه"(١).
قال مكي:" حتى أبين لك وجهه وشأنه"(٢).
قال الطبري:" يقول: حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التي أفعلها التي تستنكرها أذكرها لك وأبين لك شأنها، وأبتدئك الخبر عنها"(٣).
قال مقاتل:" يقول حتى أبين لك بيانه"(٤).
قال الفراء:" يقول: حتى أكون أنا الذي أسألك"(٥).
قال النسفي:" أي: فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته فأنكرت في نفسك ألا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع"(٦).
الفوائد:
١- استحباب طلب المزيد من العلم مهما كان المرء عالما.
قال مكي:" وفعل موسى ﷺ في هذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد ترك طلب العلم و الازدياد منه والرحلة فيه وإن كان قد بلغ فيه مبلغه. ويدل على وجوب التواضع لمن هو أعلم منه"(٧).
٢- جواز الاشتراط في الصحبة وطلب العلم وغيرهما للمصلحة الراجحة.

القرآن
{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١)} [الكهف : ٧١]
التفسير:
فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فطلبا من أهلها أن يركبا معهم، فلما ركبا قَلَعَ الخَضِر لوحًا من السفينة فخرقها، فقال له موسى: أَخَرَقْتَ السفينة؛ لتُغرِق أهلَها، وقد حملونا بغير أجر؟ لقد فعلت أمرًا منكرًا.
قوله تعالى:{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا} [الكهف : ٧١]، أي:" فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فطلبا من أهلها أن يركبا معهم، فلما ركبا قَلَعَ الخَضِر لوحًا من السفينة فخرقها"(٨).
قال السدي:" إنما كانت معبرا في ماء «الكر» فرسخ في فرسخ"(٩).
قوله تعالى:{قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا} [الكهف : ٧١]، أي:" فقال له موسى: أخرقت السفينة لتغرق الركاب؟"(١٠).
قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} [الكهف : ٧١]، أي:" لقد فعلت أمرًا منكرًا"(١١).
قال مقاتل:" يعني: لقد أتيت أمرا منكرا فالتزمه الخضر وذكره الصحبة وناشده بالله، وركب الخضر على الخرق لئلا يدخلها الماء"(١٢).

(١) أخرجه الطبري:١٨/٧١-٧٢.
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٦/٤٤٢٧.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٧١.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٩٥.
(٥) معاني القرآن:٢/١٥٥.
(٦) تفسيرالنسفي:٢/٣١١.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٦/٤٤٢٦-٤٤٢٧.
(٨) التفسير الميسر:٣٠١.
(٩) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠١):ص٧/٢٣٧٨.
(١٠) صفوة التفاسير:٢/١٨٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٠١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٩٥.

قال الزمخشري:" فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة، فلما ركبا قال أهلها: هما من اللصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: أرى وجوه الأنبياء. وقيل: عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول، فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول: {أخرقتها لتغرق أهلها}"[١].

وقرئ: «لتغرق»، بالتشديد. و«ليغرق أهلها»[٢].

وفي قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} [الكهف : ٧١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: منكراً ، قاله مجاهد[٣]، ومقاتل[٤].

الثاني : عجباً ، قاله قتادة[٥].

الثالث : عظيما. قاله أبو الصخر[٦].

وقال الزجاج:" شيئا عظيما من المنكر"[٧].

الرابع: أن الإمر:«الداهية العظيمة» ، قاله أبو عبيدة[٨]، وأنشد[٩] :

قَدْ لَقِيَ الأَقْرَانُ مِنِّي نُكْرًا ... دَاهِيَةٌ دَهْياءَ إِدًّا إِمرًا

قال الماوردي: "وهو مأخوذ من: «الإمر» وهو الفاسد الذي يحتاج إلى الصلاح ، ومنه: رجل إمر، إذا كان ضعيف الرأي، لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه، ومنه: أمِر القومُ، إذا أكثروا، لأنهم يحتاجون إلى من يأمرهم وينهاهم"[١٠].

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية ومن طريق حماد بن زيد، عن شيب بن الحجاب قالا: "كان الخضر عبدا لا تراه الأعين، إلا من أراد الله إن يريه إياه فلم يره من القوم إلا موسى، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين خرق السفينة وبين قتل الغلام. قال حماد: وكانوا يرون إن موت الفجأة من ذلك"[١١].

القرآن

{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢)} [الكهف : ٧٢]

التفسير:

قال له الخَضِر: لقد قلت لك من أول الأمر: إنك لن تستطيع الصبر على صحبتي.

قال مقاتل:أي: "على ما ترى من العجائب، قال يوشع لموسى: اذكر العهد الذي أعطيته من نفسك"[١٢].

قال الطبري:" {قَالَ} العالم لموسى إذ قال له ما قال {أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} على ما ترى من أفعالي، لأنك ترى ما لم تُحِط به خبرا"[١٣].

قال يحيى بن سلام وابن أبي زمنين:" وكان موسى ينكر الظلم"[١٤].

---

(١) الكشاف:٧٣٥/٢.
(٢) انظر: الكشاف:٧٣٥/٢.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٢).:ص٢٣٧٨/٧
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٥/٢.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٢).:ص٢٣٧٨/٧. وعزاه الماوردي إلى مقاتل، ولم أجده في تفسيره.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٢).:ص٢٣٧٨/٧
(٧)معاني القرآن:٣٠٢/٣ .
(٨) انظر: مجاز القرآن:٤٠٩/١.
(٩) انظر: الصحاح واللسان والتاج (امر)، وتفسير الطبري:٧٢/١٨، وتفسير القرطبي: ١١/ ١٩ وشواهد الكشاف: ١٣٠ .
(١٠) النكت والعيون:٣٢٧/٣.
(١١) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٥):ص٢٣٧٨/٧ .
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٦/٢.
(١٣) تفسير الطبري:٧٣/١٨.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:١٩٨/١، وتفسير ابن أبي زمنين:٧٤/٣.

القرآن

{قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)} [الكهف : ٧٣]

التفسير:

قال موسى معتذرًا: لا تؤاخذني بنسياني شرطك عليَّ، ولا تكلفني مشقةً في تعلُّمي منك، وعاملني بيسر ورفق.

قوله تعالى:{قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ} [الكهف : ٧٣]، أي:" قال موسى معتذرًا: لا تؤاخذني بنسياني شرطك عليَّ"(١).

قال الزجاج:" فلما رأى موسى أن الخَرْقَ لم يَدْخل مِنْهُ الماء، وأنَّه لمْ يُضِر مَن فِي السفينة: {قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا}"(٢).

وفي قوله تعالى:{قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ} [الكهف : ٧٣]، وجوه:

أحدها : بما نسيته وغفلت عنه فلم أذكره، وقد رفعه أبي بن كعب(٣).

أخرج الطبري عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب، عن رسول الله ﷺ : "{لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ}، قال: «كانَتِ الأوْلى مِنْ مُوسَى نِسْيانا»"(٤).

الثاني : بما كأني نسيته، ولم أنسه في الحقيقة. وهذا قول أبيّ بن كعب(٥).

قال أبيّ بن كعب:" لم ينس، ولكنها من معاريض الكلام"(٦).

الثالث : بما تركته من عهدك ، مأخوذ من «النسيان» الذي هو «الترك»، لا من «النسيان» الذي هو من«السهو». وهذا قول ابن عباس(٧).

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه، وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله ﷺ، بأن ذلك معناه من الخبر"(٨).

قوله تعالى:{وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} [الكهف : ٧٣]، أي:" ولا تكلفني مشقةً في تعلُّمي منك، وعاملني بيسر ورفق"(٩).

قال الطبري:" يقول: لا تُغْشِني من أمري عسرا، يقول: لا تضيق علي أمري معك، وصحبتي إياك"(١٠).

وفي قوله تعالى:{وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} [الكهف : ٧٣]، وجوه:

أحدها : لا تعنفني على ما تركت من وصيتك ، قاله الضحاك(١١).

الثاني : لا تغشيني من قولي عسرا. قاله مقاتل(١٢)، وأبو عبيدة(١٣)، وابن قتيبة(١٤).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠١.
(٢) معاني القرآن:٣٠٢/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٧٤/١٨.
(٤) تفسير الطبري:٧٤/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٧٤/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٧٤/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٧٤/١٨.
(٨) تفسير الطبري:٧٤/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٠١.
(١٠) تفسير الطبري:٧٤/١٨.
(١١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣٢٨/٣.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٦/٢.
(١٣) انظر: مجاز القرآن:٤١٠/١.
(١٤) انظر: غريب القرآن:٢٧٠.

من قولهم: «غلام مراهق»، إذا قارب أن يغشاه البلوغ ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي -ﷺ- قال : «ارهقوا القبلة»[١]، أي: اغشوها واقربوا منها، ورهقت الكلاب الصيد الصيد إذا لحقته، وأرهقنا الصلاة أخرناها حتى تدنو من الأخرى[٢].

وقال زهير[٣]:

ومُرَهَّق النِّيرانِ يُحْمَدُ في ... اللأْواءِ غيرُ مُلَعَّنِ القِدْرِ

الثالث : لا تعجلني. قاله الفراء[٤].

الرابع: معناه: عاملني باليسر لا بالعسر. قاله الزجاج[٥]، والنحاس[٦].

الخامس: لا يلحقني منك طردي عنك. حكاه الماوردي[٧].

قال مقاتل:" ثم قعد موسى مهموما يقول في نفسه لقد كنت غنيا عن اتباع هذا الرجل وأنا في بني إسرائيل أقرئهم كتاب الله- عز وجل- غدوة وعشيا، فعلم الخضر ما حدث به موسى نفسه وجاء طير يدور يرون أنه خطاف حتى وقع على ساحل البحر فنكث بمنقاره في البحر ثم وقع على صدر السفينة ثم صوت، فقال الخضر لموسى: أتدرك ما يقول هذا الطائر قال موسى: لا أدري. قال الخضر يقول: ما علم الخضر وعلم موسى في علم الله إلا كقدر ما رفعت بمنقاري من ماء البحر في قدر البحر"[٨].

القرآن

{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)} [الكهف : ٧٤]

التفسير:

فقبل الخَضِر عذره، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصرا غلامًا يلعب مع الغلمان، فقتله الخَضِر، فأنكر موسى عليه وقال: كيف قتلت نفسًا طاهرة لم تبلغ حدَّ التكليف، ولم تقتل نفسًا، حتى تستحق القتل بها؟ لقد فَعَلْتَ أمرًا منكرًا عظيمًا.

قوله تعالى:{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ} [الكهف : ٧٤]، أي:" فقبل الخَضِر عذره، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصرا غلامًا يلعب مع الغلمان، فقتله الخَضِر"[٩].

قال ابن كثير:" كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى ، وأنه عمد إليه من بينهم ، وكان أحسنهم وأجملهم وأوضأهم فقتله ، فروي أنه احتز رأسه ، وقيل : رضخه بحجر. وفي رواية : اقتطفه بيده. والله أعلم"[١٠].

قال الأخفش:" قال {فقتله} لأن اللقاء كان علة للقتل"[١١].

واختلف في الغلام المقتول هل كان بالغاً، وفيه قولان:

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٣٨٧):ص٣٥٠/٧. [إسناده لين]

(٢) انظر: النكت والعيون:٣٢٨/٣، والبحر المحيط في التفسير:٤٢/٦.

(٣)دي ديوانه: ٢٨ ط دار صادر، ومجاز القرآن لأبي عبيدة:٤١٠/١، والأساس واللسان والتاج (رهق) .

ومعنى البيت: مرهق النيران: تُغشى نيرانه، اللأواء: الشدة والجهد والضيق، غير ملعن القدر: لا تُسبُّ قِدره لأنه يُطعِم.

انظر: "شرح شعر زهير" لأبي العباس ثعلب، تحقيق د. فخر الدين قباوة: ٨٠.

(٤) انظر: معاني القرآن:١٥٥/٢.

(٥) انظر: معاني القرآن:٣٠٢/٣.

(٦) انظر: معاني القرآن:٢٧٠/٤.

(٧) انظر: النكت والعيون:٣٢٨/٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٦/٢.

(٩) التفسير الميسر:٣٠١.

(١٠) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.

(١١) معاني القرآن:٤٣٣/٢.

أحدهما:-وهو قول ابن عباس[١]-، أنه كان رجلاً شاباً قد قبض على لحيته، لأن غير البالغ لا يجري عليه القلم بما يستحق به القتل ، وقد يسمى الرجل غلاماً ، قالت ليلى الأخيلية في الحجّاج[٢]:

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا ... غُلاَمٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا

وقال سعيد بن عبد العزيز :" كان غلاما ابن عشرين سنة "[٣].

الثاني: -وهو قول الأكثرين[٤]-أنه كان صغيراً غير بالغ وكان يلعب مع الصبيان ، حتى مر به الخضر فقتله.

وفي سبب قتله قولان:

أحدهما : لأنه طبع على الكفر. قاله ابن عباس[٥].

قال يحيى بن سلام:" قوله: طبع كافرا لعله لو بلغ كان يكون كافرا، مثل قوله: {ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا} [نوح: ٢٧] أي: من بلغ منهم ثم كفر وفجر"[٦].

الثاني : لأنه أصلح بقتله حال أبويه. حكاه الماوردي[٧].

وفي صفة قتله أقوال:

أحدها : أنه وجد غلمانا يلعبون، فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. قاله سعيد بن جبير[٨].

الثاني : أنه أخذ حجراً فقتل به الغلام ، قاله مقاتل[٩].

قال مقاتل:" ثم خرجا من السفينة على بحر أيلة «فانطلقا حتى «إذا لقيا غلاما» سداسيا فقتله الخضر بحجر أسود، واسم الغلام: «حسين» بن «كازري» واسم أمه «سهوى»"[١٠].

الثالث: أنه كان قتله قتل عنقه. قيل: ضرب برأسه الحائط. حكاه الزمخشري[١١].

قال شعيب الجبئي: "اسم الغلام الذي قتله الخضر: جيسور"[١٢].

قوله تعالى:{قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ} [الكهف : ٧٤]، أي:" قال موسى: أقتلت نفساً طاهرةً لم ترتكب جرماً ولم تقتل نفساً حتى تقتل به"[١٣].

قال مقاتل:" يعني: لا ذنب لها ولم يجب عليها القتل بغير نفس"[١٤].

واختلف هل قاله استخباراً أو إنكاراً على قولين[١٥] :

أحدهما : أنه قال ذلك استخباراً عنه لعلمه بأنه لا يتعدى في حقوق الله تعالى .

الثاني : أنه قاله إنكاراً عليه لأنه قال:{ لقد جئت شيئاً نُكراً}.

---

(١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣٢٨/٣.

(٢) انظر: النكت والعيون:٣٢٨/٣، والمحرر الوجيز:٥٣٢/٣، و **باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن:٨٧٣/٢، وزاد المسير:٢٠٦/١، وتفسير القرطبي:٨٠/٤**، والبحر المحيط:٤٨٦/٢.

والبيت من قصيدة مدحت بها الحجاج بن يوسف وقبله:

إذا نزل الحجاج أرضا مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٦):ص٣٣٧٨/٧، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٤٢٥/٥.

(٤) انظر: النكت والعيون:٣٢٨/٣.

(٥) أخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١٩٨/١، وعبدالرزاق في تفسيره(١٧١١):ص٣٤٤/٢.

(٦) تفسير يحيى بن سلام:١٩٨/١.

(٧) انظر: النكت والعيون:٣٢٩/٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٧٥/١٨.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٦/٢.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٦/٢.

(١١) انظر: الكشاف:٧٣٦/٢.

(١٢) أخرجه الطبري:٧٥/١٨.

(١٣) صفوة التفاسير:١٨٣/٢.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٦/٢.

(١٥) انظر: النكت والعيون:٣٢٩/٣.

قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير :«زاكية»، وقرأ حمزة وابن عامر وعاصم والكسائي «زكيّة»، بغير ألف[1].

واختلف في :«زاكية» - و«زكية»، على قولين :

أحدهما : -وهو قول الأكثرين[2]- أن معناهما واحد ، فعلى هذا اختلف في تفسير ذلك على ستة أوجه :

أحدها : أن «الزاكية»: التائبة ، قاله ابن عباس-في رواية-[3]، والحسن[4]، وقتادة[5]، والضحاك[6]، وعطية[7].

الثاني : أنها الطاهرة ، حكاه الماوردي عن ابن عيسى[8].

وقال أبو عبيدة:" أي: مطهرّة"[9].

الثالث : أنها النامية الزائدة ، حكاه الماوردي عن كثير من المفسرين[10] ، قال نابغة بني ذبيان[11]:

وَمَا أَخَّرْتَ مِنْ دُنْيَاكَ نَقْصٌ ... وَإِن قَدَّمْتَ عَادَ لَكَ الزَّكاءُ

يعني: الزيادة .

الرابع : «الزاكية»، أي: المسلمة ، لأن الغلام المقتول رجل. وهذا قول ابن عباس[12]، وسعيد بن جبير[13].

الخامس : أن «الزاكية»: التي لم يحل دمها ، قاله أبو عمرو بن العلاء[14] .

السادس : أنها التي لم تبلغ الخطايا ، قاله سعيد بن جبير[15].

قال الزجاج:" قالوا في زكية بريئة، أي: لم ير ما يوجب قتلها"[16].

وروي عن ابن أبي مليكة قال:" سئل ابن عباس عن الوالدان في الجنة، قال: حسبك ما اختصم فيه موسى والخضر"[17].

وقال عن ابن عباس:" فرأى موسى أمرا فظيعا لا صبر عليه، صبي صغير لا ذنب له {قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس}، أي: صغيرة بغير نفس"[18].

قال النحاس: " أي: قال له موسى أقتلت نفسا طاهرة بريئة لم تذنب قط ولم تقتل نفسا حتى تقتل به"[19].

والقول الثاني : أن بين «الزاكية» و«الزكية» فرقاً ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن «الزاكية» في البدن ، و«الزكية» في الدين ، وهذا قول أبي عبيدة [1].

---

(١) انظر: السبعة في القراءات:٣٩٥، ومعاني القرآن للفراء:١٥٥/٢، وتفسير الطبري:٧٤/١٨-٧٥.
(٢) قال الفراء:١٥٥/٢: "هي مثل قوله : {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} [المائدة : ١٣]، و«قسية»".
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/ ٧٥، والدر المنثور:٤٢٦/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/ ٧٥، والدر المنثور:٤٢٦/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/ ٧٥، والدر المنثور:٤٢٦/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/ ٧٥، والدر المنثور:٤٢٦/٥.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٩):ص٢٣٧٨/٧.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٢٩/٣.
(٩) مجاز القرآن:٤١٠/١.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٣٢٩/٣.
(١١)ورد البيت في "الزاهر" ٢/ ١٨٧، "شمس العلوم" ٢/ ٢٢٣ .
(١٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٢٦/٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٧):ص٢٣٧٨/٧.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٣٢٩/٣.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٧):ص٢٣٧٨/٧.
(١٦) معاني القرآن:٣٠٣/٣.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١١):ص٢٣٧٩/٧.
(١٨) أخرجه الطبري:٦٦/١٨-٦٧.
(١٩) معاني القرآن:٢٧١/٤.

الثاني : أن «الزكية» أشد مبالغة من «الزاكية»، قاله ثعلب[٢].
الثالث : أن «الزاكية» التي لم تذنب ، و«الزكية»: التي أذنبت ثم تابت فغفر لها ، قاله أبو عمرو بن العلاء [٣].
قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} [الكهف : ٧٤]، أي:" لقد فَعَلْتَ أمرًا منكرًا عظيمًا"[٤].
وفي قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} [الكهف : ٧٤]، وجوه:
أحدها : شيئاً منكراً ، قاله الكلبي[٥]، وابن قتيبة[٦].
وقال النحاس:أي:" لقد فعلت شيئا منكرا عظيما لا يمكن السكوت عنه"[٧].
الثاني : أي داهية: أمرا عظيما. قاله أبو عبيدة[٨].
الثالث: أمراً فظيعاً قبيحاً ، وهذا معنى قول مقاتل[٩].
الرابع : أنه الذي يجب أن ينكر ولا يفعل. حكاه الماوردي[١٠].
الخامس : أن «النكر» أشد من «الإمْر»، قاله قتادة[١١].
السادس : أن «النكر» أقل من «الإمْر»، لأن تغريق من في السفينة كان عنده أنكر من قتل نفس واحدة. قاله الزجاج[١٢].
السابع: معناه: لقد جئت شيئا أنكر من الأمر الأول. حكاه الزجاج[١٣]. وهو قريب من القول الخامس.
الثامن: أن «النكر» أنكر من «العجب». قاله قتادة أيضا [١٤].
قال الزمخشري:" فإن قلت: لم قيل :{حتى إذا ركبا في السفينة خرقها}، بغير «فاء»؟ و{حتى إذا لقيا غلاما فقتله}، بـ«الفاء»؟
قلت: جعل خرقها جزاء للشرط، وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه، والجزاء قال أقتلت.
فإن قلت: فلم خولف بينهما؟
قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام"[١٥].
فوائد الآيات:[٧١-٧٤]:
١- جواز ركوب السفن في البحر.
٢- مشروعية إنكار المنكر على من علم أنه منكر.
٣- رفع الحرج عن الناس.
٤- مشروعية القصاص وهو النفس بالنفس.

القرآن

---

(١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣/٣٣٠.
(٢) انظر: النكت والعيون:٣/٣٣٠.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣/٣٣٠.
(٤) التفسير الميسر:٣٠١.
(٥) انظر: النكت والعيون:٣/٣٣٠.
(٦) انظر: غريب القرآن:٢٧٠.
(٧) معاني القرآن:٤/٢٧١.
(٨) انظر: مجاز القرآن:١/٤١٠.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٩٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٣/٣٣٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٧٦.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٣/٣٠٣.
(١٣) انظر: معاني القرآن:٣/٣٠٣.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٩١٠):ص٧/٢٣٧٨.
(١٥) الكشاف:٢/٧٣٦.

{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)} [الكهف : ٧٥]

التفسير:

قال الخَضِر لموسى معاتبًا ومذكرًا: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا على ما ترى من أفعالي مما لم تحط به خُبْرًا؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال العالم لموسى {ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا} على ما ترى من أفعالي التي لم تحط بها خبرا"(١).

قال ابن كثير:" يعني وهذا الصنيع فعلته قصدًا ، وهو من الأمور التي اشترطت معك ألا تنكر عليّ فيها ، لأنك لم تحط بها خبرًا ، ولها داخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت"(٢).

قال البغوي:" قيل: زاد «لك»، لأنه نقض العهد مرتين، وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى: «يا نبي بالله اذكر العهد الذي أنت عليه»"(٣).

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما معنى زيادة «لك»؟

قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية"(٤).

القرآن

{قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦)} [الكهف : ٧٦]

التفسير:

قال موسى له: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولا تصاحبني، قد بلغتَ العذر في شأني ولم تقصر؛ حيث أخبرتَني أني لن أستطيع معك صبرًا.

قوله تعالى:{قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي} [الكهف : ٧٦]، أي:" قال موسى له: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولا تصاحبني"(٥).

قال الطبري:" يقول: بعد هذه المرة ففارقني، فلا تكن لي مصاحبا "(٦).

قال ابن كثير:" أي : إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة { فَلا تُصَاحِبْنِي}"(٧).

قال الواحدي:" {إن سألتك} سؤال توبيخٍ وإنكارٍ {عن شيء بعدها} بعد النَّفس المقتولة {فَلا تُصَاحِبْنِي}"(٨).

قوله تعالى:{قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا} [الكهف : ٧٦]، أي:" قد بلغتَ العذر في شأني ولم تقصر؛ حيث أخبرتَني أني لن أستطيع معك صبرًا"(٩).

قال الطبري:" يقول: قد بلغت العذر في شأني"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : قد أعذرت إليّ مرة بعد مرة"(١١).

قال الواحدي:أي:"أعذرت فيما بيني وبينك حيث أخبرتني أنِّي لا أستطيع معك صبراً"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٧٦/١٨.
(٢) تفسير ابن كثير:١٨٢/٥-١٨٣.
(٣) تفسير البغوي:١٩٢/٥.
(٤) الكشاف:٧٣٦/٢.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٦) تفسير الطبري:٧٦/١٨.
(٧) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.
(٨) الوجيز:٦٦٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٠٢.
(١٠) تفسير الطبري:٧٦/١٨.
(١١) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.
(١٢) الوجيز:٦٦٩.

عن أبي بن كعب، قال: "كان النبي ﷺ إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال: {إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا}»"(١).

وروي عنه-ﷺ-، قال:«استحيا في الله موسى عندها»(٢).

القرآن

{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)} [الكهف : ٧٧]

التفسير:

فذهب موسى والخَضِر حتى أتيا أهل قرية، فطلبا منهم طعامًا على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، فوجدا فيها حائطًا مائلا يوشك أن يسقط، فعدَّل الخَضِر مَيْلَه حتى صار مستويًا، قال له موسى: لو شئت لأخذت على هذا العمل أجرًا تصرفه في تحصيل طعامنا حيث لم يضيفونا.

قوله تعالى:{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا} [الكهف : ٧٧]، أي:" فذهب موسى والخَضِر حتى أتيا أهل قرية، فطلبا منهم طعامًا على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما"(٣).

وفي الحديث : "حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما"(٤)، قال ابن كثير:" أي : بخلاء"(٥).

قال أيوب بن موسى: "بلغني إن المسألة للمحتاج حسنة، ألا تسمع إن موسى وصاحبه استطعما أهلها؟"(٦).

قال قتادة:" شر القرى التي لا تضيف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه"(٧).

وفي هذه القرية، أقوال:

أحدها : أنها «أنطاكية»، قاله الكلبي(٨)، والواحدي(٩).

قال قتادة: وحدثني رجل أنها إنطاكية"(١٠).

الثاني : أنها الأيلة، قاله محمد بن سيرين(١١).

قال محمد بن سيرين:" انتابوا الأيلة، فإنه قل من يأتيها فيرجع منها خائبا، وهي الأرض التي أبوا أن يضيفوهما، وهي أبعد أرض الله من السماء"(١٢).

الثالث : أنها أبرقة. قاله ابن عباس(١٣).

الرابع: أنها «باجروان» بارمينية ، قاله السدي(١٤)، ومقاتل(١٥).

---

(١) اخرجه الطبري:٧٧/١٨.
(٢) اخرجه الطبري:٧٧/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٤)رواه أحمد في مسنده (١١٩/٥) من طريق أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، رضي الله عنهما.
(٥) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٥):ص٢٣٧٩/٧.
(٧) أخرجه الطبري:٧٨/١٨.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٣٠/٣.
(٩) انظر: الوجيز:٦٦٩.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٤):ص٢٣٧٩/٧.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩١٣):ص٢٣٧٩/٧، وتفسير الطبري:٧٨/١٨. وفيه«الأيلة».
(١٢) أخرجه الطبري:٧٨/١٨.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٤):ص٢٣٧٩/٧.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩١٢):ص٢٣٧٩/٧.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٧/٢.

قال السدي:" كان أهلها لئاما"[١].

قوله تعالى:{فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ} [الكهف : ٧٧]، أي:" فوجدا فيها حائطًا مائلا يوشك أن يسقط، فعدَّل الخَضِر مَيْلَه حتى صار مستويًا"[٢].

عن السدي قوله: {يريد إن ينقض}، قال: يسقط"[٣].

قال سعيد بن جبير:" رفع الجدار بيده فاستقام"[٤].

قال ابن كثير:" أي : فردّه إلى حالة الاستقامة وقد تقدم في الحديث أنه ردّه بيديه ، ودعمه حتى رد ميله. وهذا خارق "[٥].

قال أبو عبيدة:" وليس للحائط إرادة ولا للموات، ولكنه إذا كان فى هذه الحال من ربه فهو إرادته، وهذا قول العرب ... فى غيره قال الحارثىّ[٦] :

يريد الرمح صدر بنى براء ... ويرغب عن دماء بنى عقيل

قال الزجاج:" الإرادة إنما تكون في الحيوان المبين، والجدار لا يريد إرادة حقيقية، إلا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت كما تظهر أفعال المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ الصورتان واحدة، وهذا كثير في الشعر واللغة.

قال الراعي يصف الإبل[٧]:

في مهمة قلقت به هاماتها ... قلق الفؤوس إذا أردن نصولا"[٨].

قوله تعالى:{قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الكهف : ٧٧]، أي:" قال له موسى: لو شئت لأخذت على هذا العمل أجرًا تصرفه في تحصيل طعامنا حيث لم يضيفونا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغي ألا تعمل لهم مجانًا"[١٠].

القرآن

{قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)} [الكهف : ٧٨]

التفسير:

قال الخَضِر لموسى: هذا وقت الفراق بيني وبينك، سأخبرك بما أنكرت عليَّ من أفعالي التي فعلتها، والتي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٢):ص٢٣٧٩/٧.

(٢) التفسير الميسر:٣٠٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٦):ص٢٣٧٩/٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٧):ص٢٣٧٩/٧.

(٥) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.

(٦) فى مجاز القرآن: ٤١٠/١، وتفسير الطبري ١٨/ ٧٩ والقرطين ١/ ١٦٨ والكشاف ١/ ٥٧٧ والقرطبي ١١/ ٢٦ واللسان (رود) . وقال ابن قتيبة: وأنشدنى السجستاني عن أبى عبيدة فى مثل قول الله تعالى يريد ... إلخ (القرطين).

(٧)البيت لعبيد بن حصين النميري الراعي.

انظر: "ديوانه" ص ١٢٨، "جامع البيان" ١٥/ ٢٩٠، "الكشاف" ٢/ ٣٩٨، "القرطبي" ١١/ ٢٦، "التفسير الكبير" ٢١/ ١٥٧، "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٠٦، "وضح البرهان في مشكلات القرآن" ٢/ ٣٩، "لسان العرب" (رود) ٣/ ١٧٧٢.

وفي بعض المصادر: «فلقت»، و«فلق»، بدلا من «قلقت»، و«قلق».

يصف الإبل بأنها في مهمه: أى مفازة، قلقت: أى تحركت فيه هاماتها: أى رءوسها. قلق الفئوس: أى كتحرك الفئوس جمع فأس وهي آلة الحفر، إذا أردن: أى الفئوس، نصولا: أى قربن منه، فالارل مجاز مرسل، ونصولها: خروج الحديدة من المقبض. والنصول في كل شيء: الخروج، والانصال: الإخراج، ولقد شبه رءوس الإبل مع أعناقها بالفئوس.

(٨) معاني القرآن/٣٠٦/٣.

(٩) التفسير الميسر:٣٠٢.

(١٠) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.

قوله تعالى:{قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} [الكهف : ٧٨]، أي:" قال الخَضِر لموسى: هذا وقت الفراق بيني وبينك"(١).

قال الطبري:" قال صاحب موسى لموسى: هذا الذي قلته وهو قوله {لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ}، يقول: فرقة ما بيني وبينك: أي: مفرق بيني وبينك"(٢).

قال ابن كثير:" أي : لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني ، فهو فراق بيني وبينك"(٣).

قوله تعالى:{سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف : ٧٨]، أي:" سأخبرك بما أنكرت عليَّ من أفعالي التي فعلتها، والتي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها"(٤).

قال الطبري:" يقول: سأخبرك بما يئول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها، فلم تستطع على تَرك المسألة عنها، وعن النكير علي فيها صبرا، والله أعلم"(٥).

قال ابن كثير:" {بِتَأْوِيلِ}، أي : بتفسير "(٦).

محمد بن كعب القرظي قال: "قال عمر بن الخطاب- ورسول الله ﷺ يحدثهم بهذا الحديث حتى فرغ من القصة-: «يرحم الله موسى، وددنا لو صبر حتى يقص علينا من حديثهما»(٧).

فوائد الآيات:[٧٥-٧٨]:

١- وجوب الوفاء بما التزم به الإنسان لآخر.
٢- وجوب الضيافة لمن استحقها.
٣- جواز التبرع بأي خير أو عمل ابتغاء وجه الله تعالى.

القرآن

{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩)} [الكهف : ٧٩]

التفسير:

أما السفينة التي خرقتها فإنها كانت لأناس محتاجين -لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم- يعملون في البحر عليها سعيًا وراء الرزق، فأردت أن أعيبها بذلك الخرق؛ لأن أمامهم ملكًا يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا من أصحابها.

قوله تعالى:{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} [الكهف : ٧٩]، أي:" أما السفينة التي خرقتها فإنها كانت لأناس محتاجين -لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم- يعملون في البحر عليها سعيًا وراء الرزق"(٨).

قال الطبري:" يقول: أما فعلي ما فعلت بالسفينة، فلأنها كانت لقوم مساكين{ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ}"(٩).

قوله تعالى:{فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} [الكهف : ٧٩]، أي:" فأردت أن أعيبها بذلك الخرق"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٢) تفسير الطبري:٨٢/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٥) تفسير الطبري:٨٢/١٨.
(٦) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩١٨):ص٢٣٧٩/٧.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٩) تفسير الطبري:٨٢/١٨-٨٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٢.

قال الطبري:"{ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا}، بالخرق الذي خرقتها"[١].
عن مجاهد:" {فأردت إن أعيبها}، قال: أخرقها"[٢].
قوله تعالى:{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف : ٧٩]، أي:" لأن أمامهم ملكًا يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا من أصحابها"[٣].
قال الطبري:" وكان أمامهم وقُدّامهم ملك[{يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}]"[٤].
قال ابن كثير:" هذا تفسير ما أشكل أمره على موسى ، عليه السلام ، وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الخضر ، عليه السلام ، على باطنة فقال إن : السفينة إنما خرقتها لأعيبها ؛ [لأنهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة، {يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ} صالحة ، أي : جيدة { غَصْبًا}، فأردت أن أعيبها لأرده عنها لعيبها، فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها. وقد قيل : إنهم أيتام"[٥].
قال ابن عباس:" وإنما عبتها لأرده عنها"[٦].
قال ابن جريج:" فإذا خلفوه أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها"[٧].
روي عن شعيب الجَبَئِيّ :"أن اسم الرجل الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا: هُدَدُ بنُ بُدد"[٨].
قال ابن كثير:" وهو مذكور في التوراة في ذرية «العيص بن إسحاق»، وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة ، والله أعلم "[٩].
قال سعيد بن جبير: "وكان ابن عباس يقرأ:«وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا»"[١٠].
قال قتادة:" كانت تقرأ في الحرف الأول: «كل سفينة صالحة غصبا»، قال: وكان لا يأخذ إلا خيار السفن"[١١].

القرآن
{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠)} [الكهف : ٨٠]
التفسير:
وأما الغلام الذي قتلته فكان في علم الله كافرًا، وكان أبوه وأمه مؤمِنَيْن، فخشينا لو بقي الغلام حيًا لَحمل والديه على الكفر والطغيان؛ لأجل محبتهما إياه أو للحاجة إليه.
قوله تعالى:{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} [الكهف : ٨٠]، أي:" وأما الغلام الذي قتلته فكان في علم الله كافرًا، وكان أبوه وأمه مؤمِنَيْن"[١٢].
عن شعيب الجبائي قال: "كان اسم الغلام الذي قتله الخضر جيسور"[١٣].
وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس، أنه: " كان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين»"[١].

(١) تفسير الطبري:٨٣/١٨.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٠):ص٢٣٧٩/٧.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٤) تفسير الطبري:٨٤/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.
(٦) أخرجه الطبري:٨٤/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٨٤/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٨٤/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.
(١٠) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٥):ص٢٣٧٠/٧-٢٣٧١.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٢٢):ص٢٣٨٠/٧.
(١٢) التفسير الميسر:٣٠٢.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٣):ص٢٣٨٠/٧.

قوله تعالى:{فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} [الكهف : ٨٠]، أي:" فخشينا لو بقي الغلام حيًا لَحمل والديه على الكفر والطغيان؛ لأجل محبتهما إياه أو للحاجة إليه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : يحملهما حبه على متابعته على الكفر"(٣).

قال سعيد بن جبير:" خشينا إن يحملهما حبه على إن يتابعاه على دينه" (٤).

قال مطر:" لو بقي كان فيه بوارهما واستئصالهما" (٥).

قال مطرف بن الشخير: "إنا لنعلم أنهما قد فرحا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل، ولو عاش لكان فيه هلاكهما. فرضي رجل بما قسم الله له فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه، وقضاء الله لك فيما تكره خير من قضائه لك فيما تحب" (٦).

وفي الحديث : " عجبت للمؤمن إن الله لم يقض له قضاء إلا كان خيرا له"(٧).

قال الأخفش:" {فخشيناَ} فمعناه: كرهنا، لأن الله لا يخشى. وهو في بعض القراءات: {فخاف ربك} وهو مثل :خفت الرجلين أن يقولا، وهو لا يخاف من ذلك اكثر من انه يكرهه لهما"(٨).

قال قتادة:" هي في مصحف عبد الله: «فخاف ربك إن يرهقهما طغيانا وكفرا»" (٩).

القرآن

{فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١)} [الكهف : ٨١]

التفسير:

فأردنا أن يُبْدِل الله أبويه بمن هو خير منه صلاحًا ودينًا وبرًا بهما.

قوله تعالى:{فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً} [الكهف : ٨١]، أي:" فأردنا أن يُبْدِل الله أبويه بمن هو خير منه صلاحًا ودينًا"(١٠).

قال مقاتل:{ خيرا منه زكاة}" يعني: عملا"(١١).

قال الفراء:" {خيرا منه زكاة}: صلاحا"(١٢).

قال الطبري:" يقول: خيرا من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا"(١٣).

قال عمرو بن قس:" بلغني أنها جارية"(١٤).

قال سعيد بن جبير ويعقوب بن عاصم:" أُبدِلا مكان الغلام جارية"(١٥).

عن عطية قوله: "{خيرا منه زكاة}، قال: دينا"(١٦).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٥):ص٢٣٧٠/٧-٢٣٧١.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٣) تفسير ابن كثير:١٨٥/٥.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٦):ص٢٣٨٠/٧.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٧):ص٢٣٨٠/٧.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٨):ص٢٣٨٠/٧.
(٧)أخرجه أحمد (١١٧/٣، رقم ١٢١٨١) قال الهيثمى (٢١٠/٧) : رجاله ثقات. وهناد (٢٣٧/١، رقم ٣٩٩) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٨٩/٧، رقم ٩٩٥١) ، والضياء (١٩٤/٥، رقم ١٨١٥) . وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٢٢١/٧، رقم ٤٢١٨).
(٨) معاني القرآن:٤٣٣/٢.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٥):ص٢٣٨٠/٧.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٢.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٨/٢.
(١٢) معاني القرآن:١٥٧/٢.
(١٣) تفسير الطبري:٨٧/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٨٦/١٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٨٦/١٨.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٢٩):ص/٢٣٨٠.

وروي عن ابن جريج، قوله: {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً}، قال: الإسلام"(١).
قال قتادة:" كانت أمه حُبلى يومئذ بغلام مسلم"(٢).
وقال قتادة:" قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب"(٣).
قوله تعالى:{وَأَقْرَبَ رُحْمًا} [الكهف : ٨١]، أي:" وأبرّ بوالديه"(٤).
قال الحسن:" يعني: برا"(٥).
قال قتادة:" أي: أقرب خيرا"(٦).
قال مقاتل:" يعني: وأحسن منه برا بوالديه وكان في شرف وعده"(٧).
قال الفراء:" يقول: أقرب أن يرحما به"(٨).
قال ابن قتيبة: "أي: رحمة وعطفا"(٩).
عن عطية قوله: "{وأقرب رحما}، قال: مودة. فأبدلا جارية ولدت نبيا"(١٠).
وروي عن ابن جريج :"{وَأَقْرَبَ رُحْمًا}، أرحم به منهما بالذي قتل الخضر"(١١).

القرآن

{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)} [الكهف : ٨٢]

التفسير:

وأما الحائط الذي عدَّلتُ مَيْلَه حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي فيها الجدار، وكان تحته كنز لهما من الذهب والفضة، وكان أبوهما رجلا صالحًا، فأراد ربك أن يكبَرا ويبلغا قوتهما، ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك بهما، وما فعلتُ يا موسى جميع الذي رأيتَني فعلتُه عن أمري ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله، ذلك الذي بَيَّنْتُ لك أسبابه هو عاقبة الأمور التي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها.

قوله تعالى:{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ} [الكهف : ٨٢]، أي:" وأما الحائط الذي عدَّلتُ مَيْلَه حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي فيها الجدار"(١٢).

قال ابن كثير:" في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة ؛ لأنه قال أولا { حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ } [الكهف : ٧٧] وقال هاهنا : { فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ } كما قال تعالى : { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ } [محمد : ١٣] ، { وَقَالُوا لَوْلا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } [الزخرف : ٣١] يعني : مكة والطائف"(١٣).

---

(١) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.
(٤) أخرجه الطبري عن قتادة:٨٧/١٨.
(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:٢٠٠/١.
(٦) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٨/٢.
(٨) معاني القرآن:١٥٧/٢.
(٩) غريب القرآن:٢٧٠.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٢٩):ص/٢٣٨٠.
(١١) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣٠٢.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٨٥/٥.

قوله تعالى:{وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا} [الكهف : ٨٢]، أي:" وكان تحته كنز لهما من الذهب والفضة"[١].

قال ابن كثير:أي: " أن هذا الجدار إنما أصلحه، لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما "[٢].

وفي هذا «الكنز»، ثلاثة أقوال:

أحدها : صحف فيها علم مدفونة، قاله ابن عباس[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، ومجاهد[٥]،

قال ابن عباس:" كان تحته كنز علم"[٦].

وقال ابن عباس:" ما كان الكنز إلا علما"[٧].

قال مجاهد:" صحف لغلامين فيها علم"[٨].

الثاني : لوح من ذهب مكتوب فيه حِكَم ، قاله الحسن[٩]، وجعفر بن محمد[١٠]، وعمر بن عبد الله المدني[١١].

قال الحسن:" لوح من ذهب مكتوب فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: عجبت لمن يؤمن كيف يحزن، وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها، كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله، محمد رسول الله»"[١٢].

قال عمر مولى غفرة[١٣]:" إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف {وكان تحته كنز لهما}، قال: كان لوحا من ذهب مصمت، مكتوبا فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، عجب من عرف الموت ثم ضحك، عجب من أيقن بالقدر ثم نصب، عجب من أيقن بالموت، ثم أمن، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله»"[١٤].

عن هنادة ابنة مالك الشيبانية، قالت: "سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله عز وجل: {وكان تحته كنز لهما}، قال: سطران ونصف، لم يتم الثالث: «عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب، عجبت للموقن بالحساب كيف يغفل، وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح». وقد قال: {وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين}، قالت: وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاح، وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء، وكان نساجا"[١٥].

الثالث : كنز مال مذخور من ذهب وفضة ، قاله عكرمة[١٦]، وقتادة[١٧]، وبه قال ابن جرير الطبري[١٨]، والزجاج[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٢) تفسير ابن كثير:١٨٥/٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٨٨/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٨٨/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٨٨/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٨٨/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٨٩/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٨٨/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٨٩/١٨.
(١٠)أانظر: تفسير الطبري:٨٨/١٨-٨٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٨٩/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٨٩/١٨.
(١٣)عمر بن عبد الله المدني، مولى غفرة، بضم المعجمة، قيل: هي أخت بلال بن رباح. توفي سنة ١٤٥ هـ (الخزرجي) .
(١٤) أخره الطبري:٨٩/١٨.
(١٥)أخرجه الطبري:٨٨/١٨-٨٩.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٨.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٨.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٨.

قال ابن كثير:" وهذا ظاهر السياق من الآية، والذي ذكره هؤلاء الأئمة [أي: أن الكنز: صحف فيها علم]، وورد به الحديث المتقدم(٢) وإن صح، لا ينافي قول عكرمة : أنه كان مالا لأنهم ذكروا أنه كان لوحًا من ذهب ، وفيه مال جزيل ، أكثر ما زادوا أنه كان مودعًا فيه علم، وهو حكم ومواعظ ، والله أعلم "(٣).

قال قتادة:" مال لهما، أحل الكنز لمن كان قبلنا، وحرم علينا، فإن الله يحل من أمره ما يشاء، ويحرم، وهي السنن والفرائض، ويحل لأمة، ويحرم على أخرى، لكن الله لا يقبل من أحد مضى إلا الإخلاص والتوحيد له"(٤).

قال الزجاج:" قيل كان «الكنز» علما، وقيل كان «الكنز» مالا، والمعروف في اللغة أن «الكنز» إذا أفرد فمعناه: المال المدفون والمدخر، فإذا لم يكن المال قيل: عنده علم وله كنز فهم، و«الكنز» ههنا بالمال أشبه، لأن العلم لا يكاد يتعدم إلا بمعلم، والمال لا يحتاج أن ينتفع فيه بغيره، وجائز أن يكون الكنز كان مالا مكتوبا فيه علم، لأنه قد روي أنه كان لوحا من ذهب عليه مكتوب:« لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فهذا مال وعلم عظيم، هو توحيد الله عز وجل وإعلام أن محمدا مبعوث"(٥).

والصواب-والله أعلم- هو القول الثاني، "لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وإن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك"(٦).

قوله تعالى:{وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} [الكهف : ٨٢]، أي:" وكان أبوهما رجلا صالحًا"(٧).

قال سعيد بن جبير:" وكان أبوهما صالحا قال: كان يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها"(٨).

قال ابن عباس:" حفظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح"(٩).

قال ابن عباس:" إن الله يصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده ويحفظه في ذريته والدويرات حوله، فما يزالون في ستر من الله وعافية"(١٠).

قا ابن كثير:" فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته ، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة ، بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم ، كما جاء في القرآن ووردت السنة به"(١١).

قوله تعالى:{فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا} [الكهف : ٨٢]، أي:" فأراد ربك أن يكبَرا ويبلغا قوتهما، ويستخرجا كنزهما"(١).

---

(١) انظر: معاني القرآن:٣/٣٠٧.

(٢)مسند البزار برقم (٢٢٢٩) "كشف الأستار" وقد روى موقوفا من طرق عن ابن عباس وعلى ، رضي الله عنهما ، لكن أسانيدها ضعيفة.

عن أبي ذر رضي الله عنه ، رفعه قال : "إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه : لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه : عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب ؟ وعجبت لمن ذكر النار لم ضَحِك ؟ وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل ؟ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله".

في سنده: بشر بن المنذر هذا يقال له : قاضي المصيصة. قال الحافظ أبو جعفر العقيلي : في حديثه وهم.

ميزان الاعتدال (٢/٣٢٥).

(٣) تفسير ابن كثير:٥/١٨٥.

(٤) أخرجه الطبري:١٨/٩٠.

(٥) معاني القرآن:٣/٣٠٧.

(٦) تفسير الطبري:١٨/٩٠.

(٧) التفسير الميسر:٣٠٢.

(٨) تفسير ابن أبي حاتم:٧/٢٣٧٥. غير مرقم بالمطبوع!

(٩) اخرجه الطبري:١٨/٩١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٨٣):ص٧/٢٣٧٥.

(١١) تفسير ابن كثير:٥/١٨٦-١٨٧.

قال الطبري:"أراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما، ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقمته"[٢].

قال ابن كثير:" هاهنا أسند الإرادة إلى الله تعالى ؛ لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله، وقال في الغلام : { فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ } وقال في السفينة : { فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا } ، فالله أعلم"[٣].

وفي تفسير «الأشد» في قوله تعالى:{أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} [الأنعام : ١٥٢] [الكهف : ٨٢]، أقوال:

أحدها : أنه الحلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات ، قاله ربيعة[٤]، وزيد بن أسلم[٥]، ومالك[٦]، وعامر[٧].

والثاني :أنه خمس عشرة سنة. وهذا قول محمد بن قيس[٨].

والثالث:أنه ثماني عشرة سنة ، وهذا قول سعيد بن جبير[٩]، وحكاه الماوردي عن علي بن عيسى[١٠]، وبه قال مقاتل[١١].

والرابع: أنه خمس وعشرون سنة. قاله عكرمة[١٢]، وهو اختيار أبي حنيفة[١٣].

قال ابن العربي: "وعجبا من أبي حنيفة، فإنه يرى أن المقدرات لا تثبت قياسا ولا نظرا وإنما تثبت نقلا، وهو يثبتها بالأحاديث الضعيفة، ولكنه سكن دار الضرب فكثر عنده المدلس، ولو سكن المعدن كما قيض الله لمالك لما صدر عنه إلا إبريز الدين"[١٤].

والخامس: أن الأَشُد: ثلاثون سنة ، قاله السدي[١٥].

والسادس:أن الأشد: ثلاث وثلاثون سنة. وهذا مروي عن ابن عباس[١٦]، ومجاهد[١٧]، وقتادة[١٨].

والسابع: أنه أربعون سنة. وهذا قول الحسن[١٩].

والثامن: أنه ما بين الثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة. قاله ابن عباس[٢٠]، والكلبي[٢١].

والتاسع: أنه حتى يعقل وتجتمع قوته. قاله أبو العالية[٢٢].

والعاشر: أنه حتى: يتناهى في الثبات إلى حد الرجال[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٢) تفسير الطبري:٩٠/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:١٨٧/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥١):ص٢٢٣/١٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٣):ص٢٢٣/١٢.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٢):ص١٤٢٠/٥.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٩):ص١٤١٩/٥-١٤٢٠.
(١٠) انظر: النكت والعيون:١٨٨/٢.
(١١) انظر: تفسير مقاتلبن سليمان:٥٩٩/٢.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩١):ص١٤٢٠/٥.
(١٣) انظر: تفسير القرطبي:١٣٥/٧.
(١٤) أحكام القرآن:٧٦١/٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٤):ص٢٢٣/١٢-٢٢٣.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٦):ص١٤١٩/٥.
(١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٧):ص١٤١٩/٥.
(٢٠) أخرجه الفراء في معاني القرآن:١٢٣/٢، في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
(٢١) تفسير البغوي:٢٠٤/٣.
(٢٢) تفسير البغوي:٢٠٤/٣.

والحادي عشر: أن بلوغ أشده: أن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغا. قاله الزجاج [٢].
والثاني عشر: أن انتهاء الكهولة فيها مجتمع الأشد[٣]، كما قال سحيم بن وثيل[٤]:
أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٍ أَشُدِّي وَنَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ
و«الأَشُدّ»: جمع «شَدٍّ»: أي: القوة ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، كما :شَدُّ النهار، ارتفاعه وامتداده. يقال : أتيته شدَّ النهار ومدَّ النهار، وذلك حين امتداده وارتفاعه؛ وكان المفضل ينشد بيت عنترة[٥] :
عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِمِ
ومنه قول الآخر [٦]:
تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ ظَعِينَةٌ طَوِيلَةُ أَنْقَاءِ اليَدَيْنِ سَحُوقُ [٧]

قوله تعالى:{رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} [الكهف : ٨٢]، أي:" رحمةً من الله بهما لصلاح أبيهما"[٨].
قال الطبري:" يقول: فعلت فعل هذا بالجدار، رحمة من ربك لليتيمين"[٩].
قوله تعالى:{وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} [الكهف : ٨٢]، أي:" وما فعلتُ يا موسى جميع الذي رأيتَني فعلتُه عن أمري ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله"[١٠].
قال الطبري:" يقول: وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأيي، ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به"[١١].
قال ابن كثير:" أي : هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة ، إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ، ووالدي الغلام ، وولدي الرجل الصالح ، { وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي } لكني أمرت به ووقفت عليه ، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر ، عليه السلام ، مع ما تقدم من قوله : { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا }.
وقال آخرون : كان رسولا.
وقيل بل كان ملكًا. نقله الماوردي في تفسيره.
وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيًا. بل كان وليًا. فالله أعلم"[١٢].
قال قتادة:" كان عبدا مأمورا، فمضى لأمر الله"[١٣].

---

(١) انظر: غريب القرآن:٢٥٤.
(٢) معاني القرآن:٣٠٥/٢.
(٣) انظر: تفسير القرطبي:١٣٥/٧.
(٤) انظر: الأصمعيات:١٩، والحماسة البصرية:١٠٢/١، والكامل:٦٣٤/٢، والخزانة:١٦٢/١، وفي الحماسة: معاودة، بدل: مداورة.
رجل منجد (بالدال والذال): جرب الأمور وعرفها وأحكمها. ومداورة الشئون: مداورة الأمور ومعالجتها.
(٥)من معلقته المشهورة ، وهذا البيت من أبيات وصف فيها بطلا مثله ، يقول قبله :
لَمَّا رَآنِي قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ
فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صَافِي الحَدِيدَةِ مِخْذَمِ
و"اللبان" الصدر . و"العظلم" ، صبغ أحمر . يصفه قتيلا سال دمه ، فخصب رأسه وأطرافه ، لا حراك به ..
(٦) لم أتعرف على قائله، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري:٢٢٢/١٢.
-الظعينة-، يعني زوجته . "الأنقاء" جمع "نقو" -بكسر فسكون-، وهو كل عظم فيه مخ ، كعظام اليدين والساقين ، وامرأة "سحوق": طويلة كأنها نخلة مستوية قد انجرد عنها كربها .
(٧) انظر: تفسير الطبري:٢٢٢/١٢-٢٢٣.
(٨) صفوة التفاسير:١٨٤/٢.
(٩) تفسير الطبري:٩٠/١٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٢.
(١١) تفسير الطبري:٩٠/١٨.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٨٧/٥.
(١٣) أخرجه الطبري:٩١/١٨.

عن ابن إسحاق: "{وما فعلته عن أمري}، ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسي"(١).

قوله تعالى:{ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف : ٨٢]، أي:" ذلك الذي بَيَّنْتُ لك أسبابه هو عاقبة الأمور التي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها"(٢). فيها"(٢).

قال الطبري:" يقول: هذا الذي ذكرت لك من الأسباب التي من أجلها فعلت الأفعال التي استنكرتها مني، تأويل: يقول: ما تئول إليه وترجع الأفعال التي لم تسطع على ترك مسألتك إياي عنها، وإنكارك لها صبرا"(٣).

قال الطبري:" وهذه القصص التي أخبر الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ بها عن موسى وصاحبه، تأديب منه له، وتقدم إليه بترك الإستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزءوا به وبكتابه، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجري مثله أحيانا لأوليائه، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى، إذ لم يكن عالما بعواقبها، وهي ماضية على الصحة في الحقيقة وآئلة إلى الصواب في العاقبة، ينبئ عن صحة ذلك قوله: {وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهمالعذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا} . ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه، يعلم نبيه أن تركه ﷺ تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين، بغير نظر منه لهم، وإن كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم نظرا منه لهم، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم"(٤).

قال ابن كثير:" وذكر ابن قتيبة في «المعارف» أن اسم الخضر: بَلْيَا بن مَلْكان بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، عليه السلام، قالوا : وكان يكنى أبا العباس ، ويلقب بالخضر ، وكان من أبناء الملوك ، ذكره النووي في تهذيب الأسماء ، وحكى هو وغيره في كونه باقيًا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين ، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه ، وذكروا في ذلك حكايات وآثارًا عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الأحاديث. ولا يصح شيء من ذلك ، وأشهرها أحاديث التعزية وإسناده ضعيف.

ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك ، واحتجوا بقوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ } [الأنبياء : ٣٤]، وبقول النبي ﷺ يوم بدر : «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض»(٥)، وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ، ولا قاتل معه.

ولو كان حيا لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه ؛ لأنه عليه السلام كان مبعوثًا إلى جميع الثقلين : الجنّ والإنس ، وقد قال : «لو كان موسى وعيسى حَيَّيْن ما وسعهما إلا اتباعي»(٦)، وأخبر قبل موته بقليل : أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تَطْرِفُ ، إلى غير ذلك من الدلائل"(٧).

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد، قال: "سمعت إن آخر كلمة أوصى بها الخضر موسى حين فارقه: إياك إن تعير مسيئا بإساءته فتبتلى"(٨).

---

(١) أخرجه الطبري:٩١/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٣) تفسير الطبري:٩٠/١٨.
(٤) تفسير الطبري:٩٠/١٨.
(٥)رواه مسلم في صحيحه برقم (١٧٦٣) من حديث عمر ، رضي الله عنه.
(٦)ذكره ابن أبي العز في شرح الطحاوية في سياقه وعلق عليه الشيخ ناصر الألباني في تخريج الطحاوية بقوله : "كذا الأصل ، وكأنه يشير إلى الحديث الذي ذكره شيخه ابن كثير في تفسير سورة الكهف بلفظ : "لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعى". وهو حديث محفوظ ، دون ذكر "عيسى" فيه ، فإنه منكر عندى لم أره في شيء من طرقه ، وهي مخرجة في إراواء الغليل برقم (١٥٨٩)".
(٧) تفسير ابن كثير:١٨٧/٥.
(٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٣٤):ص٢٣٨١/٧.

فوائد الآيات:[٧٩-٨٢]:
١- بيان ضروب من خفي ألطاف الله تعالى فعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله تعالى وإن كان ظاهره ضارا.
٢- بيان حسن تدبير الله تعالى لأوليائه بما ظاهره عذاب ولكن في باطنه رحمة.
٣- مراعاة صلاح الأباء في إصلاح حال الأبناء.
٤- كل ما أتاه الخضر كان بوحي إلهي وليس هو مما يدعيه البعض ويسمون بالعلم اللدني، ويؤكد بطلان هذا أن النبي ﷺ قال: إن الخضر قال لموسى: "إن لي علما لا ينبغي إن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغي لي إن أعلمه. فأخذ طائر بمنقاره من البحر"(١).

القرآن
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣)} [الكهف : ٨٣]
التفسير:
ويسألك -أيها الرسول- هؤلاء المشركون من قومك عن خبر ذي القرنين الملك الصالح، قل لهم: سأقصُّ عليكم منه ذِكْرًا تتذكرونه، وتعتبرون به.
سبب النزول:
قال السدي:" قالت اليهود للنبي ﷺ: يا محمد، إنما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبيين أنك سمعت ذكرهم منا، فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد. قال: ومن هو؟ قالوا: ذو القرنين. قال: ما بلغني عنه شيء. فخرجوا فرحين وقد غلبوا في أنفسهم، فلم يبلغوا باب البيت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا}"(٢).
عن عمر مولى غفرة قال: "دخل بعض أهل الكتاب على رسول الله ﷺ فسألوه فقالوا: يا أبا القاسم، كيف تقول في رجل كان يسيح في الأرض؟ قال: لا علم لي به. فبينما هم على ذلك إذ سمعوا نقيضا في السقف، ووجد رسول الله ﷺ غمة الوحي، ثم سري عنه فتلا: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ}، الآية. فلما ذكر السد قالوا: أتاك خبره يا أبا القاسم، حسبك"(٣).
قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ} [الكهف : ٨٣]، أي:" ويسألك -أيها الرسول- هؤلاء المشركون من قومك عن خبر ذي القرنين الملك الصالح"(٤).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه، وما كانت قصته"(٥).
قال الزمخشري:" السائلون: هم اليهود سألوه على جهة الامتحان. وقيل: سأله أبو جهل وأشياعه، والخطاب في «عليكم»: لأحد الفريقين"(٦).
واختلف في سبب تسميته بـ«ذي القرنين» على أقوال :
أحدها: أنه دعا قومه إلى الله تعالى، فضربوه على قرنه فهلك، فغبر زمانا، ثم بعثه الله، فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فهلك، فذانك قرناه، قاله علي رضي الله عنه(٧).
الثاني: أنه سمي بـ«ذي القرنين»، لأنه سار إلى مغرب الشمس وإلى مطلعها، رواه أبو صالح عن ابن عباس(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٧٦):ص٧/٢٣٧١-٢٣٧٣. في خبر مطول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس-رضي الله عنهما-
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٣٥):ص٧/٢٣٨١.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٣٦):ص٧/٢٣٨١.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٥) تفسير الطبري:٩٢/١٨.
(٦) الكشاف:٧٤٣/٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.

والثالث: لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. قاله وهب بن منبه[٢].
الرابع: لأنه رأى في المنام كأنه امتد من السماء إلى الأرض وأخذ بقرني الشمس، فقص ذلك على قومه، فسمي بذي القرنين[٣].
وقال مقاتل:" وإنما سمى ذو القرنين، لأنه أتى قرني الشمس المشرق والمغرب"[٤].
الخامس: لأنه ملك الروم وفارس. حكاه وهب بن منبه[٥].
السادس: لأنه كان في رأسه شبه القرنين. حكاه وهب بن منبيه أيضا[٦].
والسابع: لأنه كانت له غديرتان من شعر، قاله الحسن[٧].
قال ابن الأنباري: "والعرب تسمي الضفيرتين من الشعر غديرتين، وجميرتين، وقرنين قال: ومن قال: سمي بذلك لأنه ملك فارس والروم، قال: لأنهما عاليان على جانبين من الأرض يقال لهما: قرنان"[٨].
والثامن: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت ذوي شرف. قاله أبو إسحاق الثعلبي[٩].
والتاسع: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس، وهو حي قاله أبو إسحاق الثعلبي أيضا[١٠].
والعاشر: لأنه سلك الظلمة والنور. قاله أبو إسحاق الثعلبي كذلك[١١].
روي عن محمد بن إسحاق:" أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني، من ولد يونن بن يافث بن نوح"[١٢].
قوله تعالى:{قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف : ٨٣]، أي:" قل لهم: سأقصُّ عليكم منه ذِكْرًا تتذكرونه، وتعتبرون به"[١٣].
قال مقاتل:" يعني: علما"[١٤].
قال الطبري:" فقل لهم: سأتلو عليكم من خبره ذكرا يقول: سأقص عليكم منه خبرا"[١٥].
واختلفوا هل كان نبيا، أم لا؟ على قولين:
أحدهما: أنه كان نبيا، قاله عبد الله بن عمرو[١٦]، والضحاك بن مزاحم[١٧].
الثاني: أنه كان عبدا صالحا، ولم يكن نبيا، ولا ملكا، قاله علي رضي الله تعالى عنه[١٨].
وقال وهب بن منبه: "كان ملكا"[١٩].
عن الأحوص بن حكيم عن أبيه، أن النبي ﷺ سئل عن ذي القرنين فقال: "هو ملك مسح الأرض بالإحسان"[٢٠].

---

(١) انظر: زاد المسير:١٠٥/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.
(٣) انظر: زاد المسير:١٠٥/٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٩/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.
(٧) انظر: زاد المسير:١٠٥/٣.
(٨)زاد المسير:١٠٥/٣.
(٩) انظر: زاد المسير:١٠٥/٣.
(١٠) انظر: زاد المسير:١٠٥/٣.
(١١) انظر: زاد المسير:١٠٥/٣.
(١٢) أخرجه الطبري:١٠٤/١٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣٠٢.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٩/٢.
(١٥) تفسير الطبري:٩٢/١٨.
(١٦) انظر: زاد المسير:١٠٦/٣.
(١٧) انظر: زاد المسير:١٠٦/٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.
(٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٣٨).:ص٢٣٨٢/٧

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدري أتبع كان لعينا أم لا، وما أدري أذو القرنين كان نبيا أم لا، وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا"[١].

قال السدي: "كان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب، ذو القرنين بلغ السدين وكان نذيرا، لم أسمع بحق أنه كان نبيا"[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم عن بكر بن مضر أن هشام بن عبد الملك سأله عن ذي القرنين: أكان نبيا فقال: لا ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كان فيه: كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد"[٣].

وفي زمان كونه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من القرون الأول من ولد يافث بن نوح، قاله علي رضي الله تعالى عنه[٤].

الثاني: أنه كان بعد ثمود، قاله الحسن[٥].

قال ابن الجوزي:"يقال: كان عمره ألفا وستمائة سنة"[٦].

والثالث: أنه كان في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، قاله وهب[٧].

القرآن

{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤)} [الكهف : ٨٤]

التفسير:

إنا مكَّنَّا له في الأرض، وآتيناه من كل شيء أسبابًا وطرقًا، يتوصل بها إلى ما يريد مِن فَتْح المدائن وقهر الأعداء وغير ذلك.

قوله تعالى:{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ} [الكهف : ٨٤]، أي:"إنا مكنا له أمره من التصرف في الأرض كيف شاء"[٨].

قال الطبري:" يقول: إنا وطأنا له في الأرض"[٩].

قال أبو الليث:" أي: ملكناه وأعطيناه"[١٠].

قال البغوي:أي:" أوطأنا، و«التمكين»: تمهيد الأسباب"[١١].

قال ابن الجوزي:أي:" سهلنا عليه السير فيها"[١٢].

قال علي-رضي الله عنه-: "سخر له السحاب فحمله عليها، ومد له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض وهو أنه سهل عليه السير فيها وذلل له طرقها"[١٣].

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف : ٨٤]، أي:" وآتيناه من كل شيء أسبابًا وطرقًا، يتوصل بها إلى ما يريد مِن فَتْح المدائن وقهر الأعداء وغير ذلك"[١٤].

قال الطبري:" يقول وآتيناه من كل شيء، يعني: ما يتسبب إليه وهو العلم به"[١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٣٧).:ص٢٣٨٢/٧
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٣٩).:ص٢٣٨٢/٧
(٣) تفسير ابن أبي حاتم:٢٣٨٢/٧. الخبر غير مرقم بالمطبوع!
(٤) انظر: زاد المسير:١٠٦/٣.
(٥) انظر: زاد المسير:١٠٦/٣.
(٦) زاد المسير:١٠٦/٣.
(٧) انظر: زاد المسير:١٠٦/٣.
(٨) تفسير البيضاوي:٢٩١/٣، وانظر: تفسير المراغي:١٦/١٦.
(٩) تفسير الطبري:٩٣/١٨.
(١٠) بحر العلوم:٣٦٠/٢.
(١١) تفسير البغوي:١٩٨/٥.
(١٢) زاد المسير:١٠٦/٣.
(١٣) انظر: تفسير البغوي:١٩٨/٥.
(١٤) التفسير الميسر:٣٠٣.

قال البغوي:" أي: أعطيناه من كل شيء يحتاج إليه الخلق"[٢].

قال البيضاوي:" {وآتيناه من كل شيء} أراده وتوجه إليه. {سببا} وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف : ٨٤]، وجوه:

أحدها : من كل شيء علماً ينتسب به إلى إرادته ، قاله ابن عباس[٤]، وقتادة[٥]، والضحاك[٦]، وابن زيد[٧]، وابن جريج[٨].

قال ابن جريج:" علم كل شيء"[٩].

قال الزجاج:" أي: علماً يوصله إلى حيث يريد، كما سخر الله عز وجل لسليمان الريح"[١٠].

قال ابن زيد:" من ذلك تعليم الألسنة، كان لا يعرف قوما إلا كلمهم بلسانهم"[١١].

عن سعيد بن أبي هلال رضي الله عنه، إن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: "تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثنايا؟ قال له كعب رضي الله عنه: إن كنت قلت ذاك فإن الله قال: {وآتيناه من كل شيء سببا}"[١٢].

الثاني : بلاغا بحاجته. قاله الحسن[١٣].

الثالث : منازل الأرض وأعلامها. قاله قتادة[١٤].

وقال مجاهد:" منزلا وطرفا من المشرق إلى المغرب"[١٥].

وقال مقاتل:" يعني: علم أسباب منازل الأرض وطرقها" [١٦].

الرابع: ما يستعين به على لقاء الملوك وقتل الأعداء وفتح البلاد حكاه الماوردي[١٧] .

الخامس: وجعلنا له من كل أرض وليها سلطاناً وهيبة. حكاه الماوردي[١٨].

القرآن

{فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)} [الكهف : ٨٥]

التفسير:

فأخذ بتلك الأسباب والطرق بجد واجتهاد.

قال أبو عبيدة:" أي: طريقا وأثرا ومنهجا"[١٩].

قال ابن قتيبة:" أي: طريقا"[١].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٩٣-٩٤.
(٢) تفسير البغوي:٥/١٩٨.
(٣) تفسير البيضاوي:٣/٢٩١.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٩٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٩٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٩٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٩٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٩٤.
(٩)أخرجه الطبري:١٨/٩٤ .
(١٠) معاني القرآن:٣/٣٠٨.
(١١) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٤٢):ص٧/٢٣٨٣.
(١٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٤٣):ص٧/٢٣٨٣.
(١٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١/٢٠١.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٩٤٤):ص٧/٢٣٨٣.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٤٥):ص٧/٢٣٨٣.
(١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٦٠٠.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٣/٣٣٨.
(١٨) انظر: النكت والعيون:٣/٣٣٨.
(١٩) مجاز القرآن:١/٤١٣.

قال الزجاج:" أي: فاتبع سببا من الأسباب التي أوتي"[٢].
قال البيضاوي:" أي: فأراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله إليه"[٣].
عن ابن عباس :"{فاتبع سببا}، يعني: بالسبب، المنزل"[٤].
قال ابن زيد:" هذه لأن الطريق كما قال فرعون لهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات، طريق السماوات. قال: والشيء يكون اسمه واحدا وهو متفرق في المعنى. وقرأ: وتقطعت بهم الأسباب قال: أسباب الأعمال"[٥].
وفي {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف : ٨٥]، وجوه من التفسير:
أحدها : طرق الأرض ومعالمها. قاله الحسن[٦].
الثاني: أن «السبب»، المنزل. قاله ابن عباس [٧]، والضحاك[٨].
وقال قتادة: "اتبع منازل الأرض ومعالمها"[٩].
الثالث : يعني: طرقاً بين المشرق والمغرب ، قاله مجاهد[١٠].
الرابع : طريقاً إلى ما أريد منه[١١].
الخامس : قفا الأثر ، حكاه ابن الأنباري[١٢].
قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف: ٨٥]، و{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف: ٩٢] موصولة الألف مشددة التاء. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف {فاتبع} {ثُمَّ أَتْبَعَ} بقطع الألف وسكون التاء [١٣].
قال الفراء:" «أتبع» أحسن من «اتبع»، لأن اتبعت الرجل إذا كان يسير وأنت تسير وراءه. وإذا قلت أتبعته بقطع الألف فكأنك قفوته"[١٤].

القرآن
{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)} [الكهف : ٨٦]
التفسير:
حتى إذا وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس وجدها في مرأى العين كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغربها قومًا. قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذبهم بالقتل أو غيره، إن لم يقروا بتوحيد الله، وإما أن تحسن إليهم، فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد.
قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ} [الكهف : ٨٦]، أي:" حتى إذا وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس"[١٥].

---
(١) غريب القرآن:٢٥٦.
(٢) معاني القرآن:٣٠٨/٣.
(٣) تفسير البيضاوي:٢٩١/٣.
(٤) أخرجه الطبري:٩٤/١٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٤٦):ص٢٣٨٣/٧.
(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٠١/١.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٩٤/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٩٤/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٩٥/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٩٥/١٨.
(١١) انظر: النكت والعيون:٣٣٨/٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٣٣٨/٣.
(١٣) انظر: السبعة في القراءات:٣٩٧، والمبسوط في القراءات العشر:٢٨٢.
(١٤) معاني القرآن:١٥٨/٢.
(١٥) التفسير الميسر:٣٠٣.

قوله تعالى:{وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف : ٨٦]، أي:" وجد الشمس في مرأى العين كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود"[١].

وفي قوله تعالى:{وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف : ٨٦]، وجوه:

أحدها : عين ماء ذات حمأة ، قاله ابن عباس[٢]، وبه قال ابن قتيبة[٣].

الثاني : يعني: طينة سوداء. قاله كعب[٤]، ومجاهد[٥]، والكلبي[٦].

عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: "قرأت {في عين حمئة}، وقرأ عمرو بن العاص :«في عين حامية» فأرسلنا إلى كعب. فقال: إنها تغرب في حمأة طينة سوداء"[٧].

نافع بن أبي نعيم، قال:" سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول: كان ابن عباس يقول :«في عين حمئة» ثم فسرها. ذات حمأة، قال نافع: وسئل عنها كعب، فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء"[٨].

عن عثمان بن حاضر، قال: "سمعت عبد الله بن عباس يقول: قرأ معاوية هذه الآية، فقال: «عين حامية»، فقال ابن عباس: إنها عين حمئة، قال: فجعلا كعبا بينهما، قال: فأرسلا إلى كعب الأحبار، فسألاه، فقال كعب: أما الشمس فإنها تغيب في ثأط، فكانت على ما قال ابن عباس، والثأط: الطين"[٩].

قال ابن أبي حاضر:" لو أني عندكما أيدتك بكلام وتزداد به بصيرة في حمئة. قال ابن عباس: وما هو؟ قلت: فيما نأثر قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في كلفه بالعلم وإتباعه إياه:

قد كان ذو القرنين عمرو مسلما ... ملكا تدين له الملوك وتحسد

فأتى المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب ملك من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال ابن عباس: ما الخلب؟ قلت: الطين بكلامهم. قال: فما الثاط؟ قلت: الحمأة. قال: فما الحرمد؟ قلت: الأسود. فدعا ابن عباس رضي الله عنهما غلاما فقال له: اكتب ما يقول هذا الرجل"[١٠].

الثالث: يعني: تغرب في عين حارة. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١١]، والحسن[١٢].

وقال مقاتل:" يعني: حارة سوداء"[١٣].

وفي قراءة معاوية، وقرأ عمرو بن العاص وابن الزبير والحسن« فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ»[١٤].

وَقَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو {حمئة} وَكَذَلِكَ عَاصِم فى رِوَايَة حَفْص {حمئة} مَهْمُوزَة بِغَيْر ألف، وَقَرَأَ عَاصِم فى رِوَايَة أَبى بكر وَابْن عَامر وَحَمْزَة والكسائى {حمية} بِأَلف غير مَهْمُوزَة[١٥].

قال كعب: "ما سمعت أحدا يقرؤها كما في كتاب الله غير ابن عباس، فإنا نجدها في التوراة «تغرب في حمئة سوداء»"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٨.
(٣) انظر: غريب القرآن:٢٧٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٨.
(٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٧٠٩):ص٣٤٣/٢
(٧) أخرجه الطبري:٩٦/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٩٦/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٩٦/١٨.
(١٠)أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٤٨):ص٢٣٨٤/٧ .
(١١) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٨.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٠/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٨.
(١٥) انظر: السبعة في القراءات:٣٩٨.

عن ابن عباس قال: "كنا عند معاوية فقرأ «تغرب في عين حامية» فقلت له: ما نقرؤها إلا في عين حمئة فأرسل معاوية إلى كعب فقال: أين تجد الشمس في التوراة تغرب؟ قال: أما العربية فلا علم لي بها، وأما أنا فأجد الشمس في التوراة تغرب في ماء وطين"(٢).

قال الزجاج:" من قرأ :«حامية » -بغير همز- أراد حارة، وقد تكون حارة ذات حمأة"(٣).

قال القتبي: "ويجوز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها أو معها أو عندها، فيقام حرف الصفة مقام صاحبه"(٤).

عن عبد الله بن عمرو، قال: " نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت، فقال: في نار الله الحامية، في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض"(٥).

قوله تعالى:{وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا} [الكهف : ٨٦]، أي:" ووجد عند مغربها قومًا"(٦).

قال ابن جريج:" مدينة لها اثنا عشر ألف باب، لولا أصوات أهلها لسمع الناس دوي الشمس حين تجب"(٧).

قال سعد بن أبي صالح:" لولا لغط أهل الرومية سمع الناس وجبة الشمس حين تقع"(٨).

قوله تعالى:{قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا} [الكهف : ٨٦]، أي:" قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذبهم بالقتل أو غيره، إن لم يقروا بتوحيد الله، وإما أن تحسن إليهم، فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد"(٩).

القرآن

{قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧)} [الكهف : ٨٧]

التفسير:

قال ذو القرنين: أمَّا مَن ظلم نفسه منهم فكفر بربه، فسوف نعذبه في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه، فيعذبه عذابًا عظيمًا في نار جهنم.

قوله تعالى:{قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ} [الكهف : ٨٧]، أي:" قال ذو القرنين: أمَّا مَن ظلم نفسه منهم فكفر بربه، فسوف نعذبه في الدنيا"(١٠).

عن الضحاك:" {أما من ظلم}، قال: من اشرك"(١١).

عن قتادة: "{فسوف نعذبه}، قال: القتل"(١٢).

قال السدي:" كان عذابه إن يجعلهم في بقر من صفر، ثم توقد تحتهم النار حتى يتقطعوا فيها"(١٣).

قوله تعالى:{ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا} [الكهف : ٨٧]، أي:" ثم يرجع إلى ربه، فيعذبه عذابًا عظيمًا في نار جهنم"(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٤٩):ص٢٣٨٤/٧.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٥٠):ص٢٣٨٤/٧.
(٣) معاني القرآن:٣٠٨/٣.
(٤) انظر: تفسير القرطبي:٥٠/١١.
(٥) اخرجه الطبري:٩٧/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٢):ص٢٣٨٤/٧.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٣):ص٢٣٨٥/٧.
(٩) التفسير الميسر:٣٠٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٣.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٥):ص٢٣٨٥/٧.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٦):ص٢٣٨٥/٧.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٧):ص٢٣٨٥/٧.

الفوائد:

القرآن
{وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨)} [الكهف : ٨٨]
التفسير:
وأما مَن آمن منهم بربه فصدَّق به ووحَّده وعمل بطاعته فله الجنة ثوابًا من الله، وسنحسن إليه، ونلين له في القول ونيسِّر له المعاملة.
قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى} [الكهف : ٨٨]، أي:" وأما مَن آمن منهم بربه فصدَّق به ووحَّده وعمل بطاعته فله الجنة ثوابًا من الله"(٢).
قوله تعالى:{وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} [الكهف : ٨٨]، أي:" وسنحسن إليه، ونلين له في القول ونيسِّر له المعاملة"(٣).
عن مجاهد:"{وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}، قال: معروفا"(٤).

القرآن
{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩)} [الكهف : ٨٩]
التفسير:
ثم رجع ذو القرنين إلى المشرق متبعًا الأسباب التي أعطاه الله إياها.
قا الزجاج:" أي: سببًا آخر مما يوصله إلى قُطْر من أقطار الأرض"(٥).
قال ابن كثير:" يقول : ثم سلك طريقًا "(٦).
الفوائد:

القرآن
{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠)} [الكهف : ٩٠]
التفسير:
حتى إذا وصل إلى مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يسترهم، ولا شجر يظلهم من الشمس.
قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ} [الكهف : ٩٠]، أي:" حتى إذا وصل إلى مطلع الشمس"(٧).
قال ابن كثير:" فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها، وكان كلما مرّ بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل ، فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم ، واستباح أموالهم ، وأمتعتهم واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه على أهل الإقليم المتاخم لهم. وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفا وستمائة سنة يجوب الأرض طولها والعرض، حتى بلغ المشارق والمغارب "(٨).

---
(١) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٩):ص٢٣٨٦/٧.
(٥) معاني القرآن:٣٠٩/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:١٩٣/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٨) تفسير ابن كثير:١٩٣/٥.

قوله تعالى:{وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا} [الكهف : ٩٠]، أي:" الشمس وجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يسترهم، ولا شجر يظلهم من الشمس"[١].

قال الطبري:" ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتمل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب"[٢].

قا الزجاج:" أي: لم نجعل لهم شيئاً يُظِلهُمْ من سقف ولا لباس"[٣].

قال الماوردي:" يعني: من دون الشمس ما يسترهم منها من بناء أو شجر أو لباس . وكانوا يأوون إذا طلعت عليهم إلى أسراب لهم ، فإذا زالت عنهم خرجوا لصيد ما يقتاتونه من وحش وسمك"[٤].

قال ابن كثير:" أي : أمة ليس لهم بناء يكنهم ، ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس"[٥].

قال سعيد بن جبير:" تطلع على قوم حمر قصار، ماكنهم الغيران، فيلقى لهم سمك أكثر معيشتهم"[٦].

قال ابن جريج:"حدثت عن الحسن عن سمرة بن جندب ... قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: {لم نجعل لهم من دونها سترا}، أنها لم يبن فيها بناء قط، كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس"[٧].

قال الحسن:" كانت أرضا لا تحتمل البناء، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغور في الماء، فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم، قال: ثم قال الحسن: هذا حديث سمرة"[٨].
سمرة"[٨].

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقرّ عليه البناء، وإنما يكونون في أسراب لهم، حتى إذا زالت عنهم الشمس خرجوا إلى معايشهم وحروثهم"[٩]. قال قتادة:" يقال: هم الزنج"[١٠].

قال ابن جريج:" لم يبنوا فيها بناء قط، ولم يبن عليهم فيها بناء قط، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس، أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل، وجاءهم جيش مرّة، فقال لهم أهلها: لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس، ما هذه العظام؟ قالوا: هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ها هنا فماتوا، قال: فذهبوا هاربين في الأرض"[١١].

عن سلمة بن كهيل في الآية قال: "ليست لهم أكناف، إذا طلعت الشمس طلعت عليهم، ولأحدهم أذنان يفترش واحدة ويلبس الأخرى"[١٢].

القرآن
{كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١)} [الكهف : ٩١]

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٢) تفسير الطبري:٩٩/١٨.
(٣) معاني القرآن:٣٠٩/٣.
(٤) النكت والعيون:٣٤٠/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:١٩٤/٥.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٦٥):ص٢٣٨٧/٧.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٦٠):ص٢٣٨٦/٧.
(٨) أخرجه الطبري:١٠٠/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:١٠٠/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:١٠٠/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:١٠٠/١٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٦٣):ص٢٣٨٦/٧.

التفسير:
كذلك وقد أحاط عِلْمُنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة، حيثما توجَّه وسار.
قوله تعالى:{كَذَلِكَ} [الكهف : ٩١] } [الكهف : ٩١]، أي:" ثم أتبع سببا كذلك، حتى إذا بلغ مطلع الشمس"[(١)].
قا الزجاج:" وجدها تطلع على قوم كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس، وأن حكمهم حكم أولئك"[(٢)].
قوله تعالى:{وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا} [الكهف : ٩١]، أي:" وقد أحاط عِلْمُنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة، حيثما توجَّه وسار"[(٣)].
قال الطبري:" يقول: وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما لا يخفى علينا ما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم، ولا من غيرهم شيء"[(٤)].
عن مجاهد وابن زيد، قوله: "{خُبْرًا}، قال: علما"[(٥)].

القرآن
{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢)} [الكهف : ٩٢]
التفسير:
ثم سار ذو القرنين آخذًا بالطرق والأسباب التي منحناها إياه.
قال الطبري:" ثم سار طرقا ومنازل، وسلك سبلا"[(٦)].
قا الزجاج:" أي: سبباً ثالِثاً مما يبلُغُهُ قُطراً من أقطَارِ الأرْض"[(٧)].
قال ابن كثير:" أي : ثم سلك طريقًا من مشارق الأرض"[(٨)].

القرآن
{حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣)} [الكهف : ٩٣]
التفسير:
حتى إذا وصل إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما وراءهما، وجد من دونهما قومًا، لا يكادون يعرفون كلام غيرهم.
قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ} [الكهف : ٩٣]، أي:" حتى إذا وصل إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما وراءهما"[(٩)].
قال ابن كثير:" وهما جبلان متناوحان بينهما ثُغْرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك ، فيعيثون فيهم فسادًا ، ويهلكون الحرث والنسل ، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم ، عليه السلام ، كما ثبت في الصحيحين : «إن الله تعالى يقول : يا آدم. فيقول : لبيك وسعديك. فيقول : ابعث بَعْثَ النار. فيقول : وما بَعْثُ النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون

(١) تفسير الطبري:١٨/١٠٠-١٠١.
(٢) معاني القرآن:٣/٣٠٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٤) تفسير الطبري:١٨/١٠٠.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/١٠١.
(٦) تفسير الطبري:١٨/١٠١.
(٧) معاني القرآن:٣/٣٠٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٥/١٩٥.
(٩) التفسير الميسر:٣٠٣.

إلى النار ، وواحد إلى الجنة ؟ فحينئذ يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، فيقال : إن فيكم أمّتين ، ما كانتا في شيء إلا كثرتاه : يأجوج ومأجوج»[1].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو :«السُّدَّيْنِ» بضم السين[2].

روي عن عكرمة، قال:"ما كان من صنعة بني آدم فهو «السَّدُّ»، -يعني بالفتح-، وما كان من صنع الله فهو «السدّ»"[3].

وكان الكسائي يقول: "هما لغتان بمعنى واحد"[4].

قوله تعالى:{وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا} [الكهف : ٩٣]، أي:" وجد من دونهما قومًا، لا يكادون يعرفون كلام غيرهم"[5].

قال مقاتل:" يعني: لم يكن أحد يعرف لغتهم"[6].

قال ابن كثير:" لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس"[7].

فوائد الآيات:[٨٣-٩٣]:

١- تقرير نبوة النبي محمد ﷺ إذ هذا جواب آخر أسئلة قريش الثلاثة. قرأه عليهم قرآنا موحى به إليه.

٢- إتباع السبب السبب يصل به ذو الرأي والإرادة إلى تحقيق ما هو كالمعجزات.

٣- قول: ذو القرنين: {أما من ظلم....} الخ يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها وإجابتها وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه.

٤- بيان وجود أمم بدائية إلا عهد ما بعد ذي القرنين لا يلبسون ثيابا ولا يسكنون سوى الكهوف والمغارات ويوجد في البلاد الكينية إلى الآن قبائل لا يرتدون الثياب، وإنما يضعون على فروجهم خيوط وسيور لا غير.

٥- تقرير أن هذا الملك الصالح قد ملك الأرض فهو أحد أربعة١ حكموا الناس شرقا وغربا.

القرآن

{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)} [الكهف : ٩٤]

التفسير:

قالوا يا ذا القرنين: إنَّ يأجوج ومأجوج -وهما أمَّتان عظيمتان من بني آدم- مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، فهل نجعل لك أجرًا، ونجمع لك مالا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا يحول بيننا وبينهم؟

قوله تعالى:{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} [الكهف : ٩٤]، أي:" قالوا يا ذا القرنين: إنَّ يأجوج ومأجوج -وهما أمَّتان عظيمتان من بني آدم- مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث والنسل"[8].

قال يحيى بن سلام:" يعني يقتلون النَّاس في أرض العرب، أرض الإسلام"[9].

قال ابن عباس:" إن يأجوج ومأجوج شبر وشبران وأطولهم ثلاثة أشبار وهم من ولد آدم"[1].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٦٥٣٠) وصحيح مسلم برقم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد ، رضي الله عنه.
(٢) انظر: حجة القراءات:٤٣١، وتفسير الطبري:١٠١/١٨-١٠٢.
(٣) أخرجه الطبري:١٠٢/١٨.
(٤) تفسير الطبري:١٠٢/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠١/٢.
(٧) تفسير ابن كثير:١٩٥/٥-١٩٦.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٩)**التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:١١٦**، ٢٣٨.

قال قتادة:" إن الله جزأ الإنس عشرة أجزاء، تسعة منهم يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس"[٢].

روي عن سَمُرَة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "وَلَدُ نوح ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك"[٣].

قال بعض العلماء : "هؤلاء من نسل يافث أبي الترك ، قال : إنما سموا هؤلاء تركًا ؛ لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة ، وإلا فهم أقرباء أولئك ، ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة"[٤].

أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمر قال: "إن الله جزأ الملائكة والإنس والجن عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الملائكة، وجزء واحد الجن والإنس وجزأ الملائكة عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الكروبيون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزء واحد لرسالاته ولخزائنه وما يشاء من أمره. وجزأ الإنس والجن عشرة أجزاء، فتسعة منهم الجن، والإنس جزء واحد فلا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة. وجزأ الإنس عشرة أجزاء، تسعة منهم يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس والسماء ذات الحبك قال السماء السابعة والحرم بحيالة العرش"[٥].

أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال: "أتينا نبي الله ﷺ يوما وهو في قبة أدم له، فخرج إلينا فحمد الله، ثم قال: «أبشركم أنكم ربع أهل الجنة. فقلنا: نعم يا رسول الله؟ فقال: أبشركم أنكم ثلث أهل الجنة. فقلنا: نعم يا نبي الله؟ قال: والذي نفسي بيده، إني لارجو إن تكونوا نصف أهل الجنة إن مثلكم في سائر الأمم كمثل شعرة بيضاء في جنب ثور أسود، أو شعرة سوداء في جنب ثور أبيض، إن بعدكم يأجوج ومأجوج، إن الرجل منهم ليترك بعده من الذرية ألفا فما زاد، وإن وراءهم ثلاث أمم: منسك وتاويل وتاريس لا يعلم عدتهم إلا الله»[٦].

أخرج الطبري بسنده محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني، وكان له علم بالأحاديث الأول، أنه كان يقول: ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر. وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس؛ فلما بلغ وكان عبدا صالحا، قال الله عزّ وجل له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله؛ ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج. فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض: فأمة عند مغرب الشمس، يقال لها: ناسك. وأما الأخرى: فعند مطلعها يقال لها: منسك. وأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض الأيمن، يقال لها: هاويل. وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر، فأمة يقال لها: تاويل؛ فلما قال الله له ذلك، قال له ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يَقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثني إليها، بأيّ قوة أكابدهم، وبأيّ جمع أكاثرهم، وبأيّ حيلة أكايدهم، وبأيّ صبر أقاسيهم، وبأيّ لسان أناطقهم، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم، وبأىّ سمْع أعي قولهم، وبأيّ بصر أنفذهم، وبأيّ حجة أخاصمهم، وبأيّ قلب أعقل عنهم، وبأيّ حكمة أدبر أمرهم، وبأيّ قسط أعدل بينهم، وبأيّ حلم أصابرهم، وبأيّ معرفة أفصل بينهم، وبأيّ علم أتقن أمورهم، وبأيّ يد أسطو عليهم، وبأيّ رجل أطؤهم، وبأيّ طاقة أخصمهم، وبأيّ جند أقاتلهم، وبأيّ رفق أستألفهم، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم، ولا يقوى عليهم ولا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٧٠):ص٢٣٨٨/٧.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٦٩):ص٢٣٨٨/٧.
(٣) المسند:٩/٥.
(٤) تفسير ابن كثير:١٩٥/٥.
(٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٦٨):ص٢٣٨٧/٧.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٦٧):ص٢٣٨٧/٧.

يطيقهم. وأنت الربّ الرحيم. الذي لا يكلِّف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها إلا طاقتها، ولا يعنتها ولا يفدحها، بل أنت ترأفها (١) وترحمها.
قال الله عزّ وجلّ: إني سأطوّقك ما حمَّلتك، أشرح لك صدرك، فيسع كلّ شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كلّ شيء، وأبسط لك لسانك، فتنطق بكلّ شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كلّ شيء، وأمدّ لك بصرك، فتنفذ كلّ شيء، وأدبر أمرك فتتقن كلّ شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء، وأشدّ لك ظهرك، فلا يهدّك شيء، وأشدّ لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشدّ لك قلبك فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فأجعلهما جندا من جنودك، يهديك النور أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك، وأشدّ لك عقلك فلا يهولك شيء، وأبسط لك من بين يديك، فتسطو فوق كلّ شيء، وأشدّ لك وطأتك، فتهدّ كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء.
ولما قيل له ذلك، انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة، وقلوبا متفرّقة، فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها، فأحاطتهم من كلّ مكان، وحاشتهم حتى جمعتهم قي مكان واحد، ثم أخذ عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته، فمنهم من آمن له، ومنهم من صدّ، فعمد إلى الذين تولوا عنه. فأدخل عليهم الظلمة.فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم، ومن تحتهم ومن كلّ جانب منهم، فماجوا فيها وتحيروا، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته، فجنَّد من أهل المغرب أمما عظيمة، فجعلهم جندا واحدا، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل. وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره، فلا يخطئ إذا ائتمر، وإذا عمل عملا أتقنه. فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كلّ إنسان لوحا فلا يكرثه حمله، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل، فعمل فيها كعمله في ناسك. فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنودا، كفعله في الأمتين اللتين قبلها، ثم كر مقبلا في ناحية الأرض اليسرى، وهو يريد تاويل وهي الأمة التي بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله؛ فلما بلغها عمل فيها، وجند منها كفعله فيما قبلها، فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجن وسائر الناس، ويأجوج ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله، وكثير منهم مشابه للإنس (١) ، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدوابّ والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب، وكلّ ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، فإن كانت لهم مدّة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم، فلا شكّ أنهم سيملئون الأرض، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها، وليست تمرّ بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) أعدوا إليّ الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جبليهم.
ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها. وأحناك كأحناك الإبل، قوّة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرّة من الإبل، أو كقضم الفحل المسنّ، أو الفرس القويّ، وهم هلب، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به الحرّ والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان

عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تَسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذى يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون التنين أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كلّ سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرّت عليهم الإناث، وشَبِقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هَزَلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعَون تداعي الحَمام، ويعوُون عُواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقَوا تسافد البهائم.

فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصَّدَفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس، فوجد بُعد ما بينهما مئة فرسخ؛ فلما أنشأ في عمله، حفر له أساسا حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يُصبّ عليه، فصار كأنه عِرْق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشَرّفه بزُبَر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عِرْقا من نحاس أصفر، فصار كأنه بُرد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن، فبينا هو يسير، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحقّ وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتآسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألفة، وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبُّون، ولا يقتتلون، ولا يَقْحَطون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا، وليس فيهم مسكين، ولا فقير، ولا فظّ، ولا غليظ، فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم، عجب منه! وقال: أخبروني، أيها القوم خبركم، فإني قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرها، وشرقها وغربها، ونورها وظلمتها، فلم أجد مثلكم، فأخبروني خبركم؛ قالوا: نعم، فسلنا عما تريد، قال: أخبروني، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم، وليس منا إلا أمين مؤتمن؛ قال: فما لكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم، قال: فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم، قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر؛ قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر، قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا؛ قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسسنا أنفسنا بالأحلام، قال: فما بالكم كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة مستوية؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب، ولا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضا؛ قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحّت صدورنا، فنزع بذلك الغلّ والحسد من قلوبنا؛ قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقتسم بالسوية؛ قال: فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذّل والتواضع؛ قال: فما جعلكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل؛ قال: فما بالكم لا تُقْحَطون؟ قالوا: لا نغفل عن الاستغفار، قال: فما بالكم لا تَحْرَدون؟ قالوا: من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا، وأحببناه وحرصنا عليه، فعرينا منه، قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل بالأنواء والنجوم، قال: حدِّثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويُواسون فقراءهم، ويَعفون عمن ظلمهم، ويُحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلُمون عمن جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدّون أماناتهم، ويحفظون وقتهم لصلاتهم، ويُوَفُّون بعهودهم، ويصدُقون في مواعيدهم، ولا يرغبون

عن أكفائهم، ولا يستنكفون عن أقاربهم، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم، وحفظهم ما كانوا أحياء، وكان حقا على الله أن يحفطهم في تركتهم"(١).

قال ابن كثير:" حكى النووي ، رحمه الله ، في شرح «مسلم» عن بعض الناس : أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب ، فخلقوا من ذلك(٢)، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم ، وليسوا من حواء. وهذا قول غريب جدًا ، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب ، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة ، والله أعلم"(٣).

قال ابن كثير:" ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلا عجيبًا في سير ذي القرنين ، وبنائه السد ، وكيفية ما جرى له ، وفيه طول وغرابة ونكارة في أشكالهم وصفاتهم ، وطولهم وقصر بعضهم ، وآذانهم. وروى ابن أبي حاتم أحاديث غريبة في ذلك لا تصح أسانيدها ، والله أعلم"(٤).

واختلف أهل التفسير في معنى «الإفساد» الذي وصف الله به هاتين الأمتين، على قولين:

أحدها: أنهم كانوا يأكلون الناس. قاله سعيد بن عبد العزيز(٥)، وحبيب الأرجاني(٦).

الثاني: معناه: أن يأجوج ومأجوح سيفسدون في الأرض، لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون. حكاه الطبري(٧).

واختلف في تكليف قوم«ياجوج ومأجوج» على قولين(٨):

أحدهما : أنهم مكلفون لتمييزهم .

الثاني : أنهم غير مكلفين لأنهم لو كلفوا لما جاز ألاَّ تبلغهم دعوة الإسلام.

قوله تعالى:{فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} [الكهف : ٩٤]، أي:" فهل نجعل لك أجرًا، ونجمع لك مالا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا يحول بيننا وبينهم؟"(٩).

قال الطبري:" قالوا له: هل نجعل لك خراجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوح حاجزا يحجز بيننا وبينهم، ويمنعهم من الخروج إلينا. وهو السدّ"(١٠).

قال ابن كثير:" يعني: أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه ، حتى يجعل بينهم وبينهم سدًا"(١١).

عن ابن عباس :"{فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجًا}، قال: أجرا عظيما"(١٢).

القرآن

{قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)} [الكهف : ٩٥]

التفسير:

قال ذو القرنين: ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خير لي مِن مالكم، فأعينوني بقوة منكم أجعل بينكم وبينهم سدًا.

---

(١) تفسير الطبري:١٨/١٠٥-١٠٩.
(٢) انظر: شرح النووي :٣/٩٧.
(٣) تفسير ابن كثير:٥/١٩٥.
(٤) تفسير ابن كثير:٥/١٩٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٠٤.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٧١):ص٧/٢٣٨٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٠٤.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣/٣٤٢.
(٩) التفسير الميسر:٣٠٣.
(١٠) تفسير الطبري:١٨/١١٢.
(١١) تفسير ابن كثير:٥/١٩٦.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٧٢):ص٧/٢٣٨٨، والطبري:١٨/١١٢. بلفظ«أجرا».

قوله تعالى:{قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ} [الكهف : ٩٥]، أي:" قال ذو القرنين: ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خير لي مِن مالكم"[١].

قال الطبري:" قال ذو القرنين: الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السدّ بينكم وبين هؤلاء القوم ربي، ووطأه لي، وقوّاني عليه، خير من جُعلكم، والأجرة التي تعرضونها عليّ لبناء ذلك، وأكثر وأطيب"[٢].

قال القاسم بن سلام:" {خَيْرٌ} "يعني المال بلغة جرهم"[٣].

قال ابن كثير:" فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير : { مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ } أي : إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه ، كما قال سليمان عليه السلام : { أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ } [النمل : ٣٦] وهكذا قال ذو القرنين : الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه"[٤].

قرأ ابن كثير وحده :«ما مكننى»، بنونين وكذلك هى فى مصاحف أهل مكة، وقرأ الباقون: {ما مكني} مدغما[٥].

قوله تعالى:{فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} [الكهف : ٩٥]، أي:" فأعينوني بقوة منكم أجعل بينكم وبينهم سدًا"[٦].

قال ابن كثير:" ولكن ساعدوني بعملكم وآلات البناء "[٧].

قال الطبري:" أعينوني بفَعَلة وصناع يُحسنون البناء والعمل، أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما. و«الردم»: حاجز الحائط والسدّ، إلا أنه أمنع منه وأشد، يقال: رَدَّم ثوبه يردمه، وهو ثوب مُرَدّم: إذا كان كثير الرقاع، ومنه قول عنترة[٨]:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ... أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهْمِ"[٩].

قال الزجاج:" «الردم»: في اللغة أكثر مِنَ السد، لأنَّ الردم ما جُعِلَ بعضه على بعْضٍ يقال: ثوبٌ مُرَدَّمٌ، إذا كان قد رُقِعَ رُقعة فوق رُقعَة"[١٠].

عن مجاهد:" {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ}، قال: برجال"[١١].

عن ابن عباس، قوله :"{ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا}، قال: هو كأشد الحجاب"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٢) تفسير الطبري:١١٢/١٨.
(٣) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٤.
(٤) تفسير ابن كثير:١٩٦/٥.
(٥) انظر: السبعة في القراءات:٤٠٠.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٧) تفسير ابن كثير:١٩٦/٥.
(٨)البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي، من معلقته المشهورة (انظره في شرح الزوزني للمعلقات السبع، وشرح التبريزي للقصائد العشر، ومختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي ص ٣٦٩) قال شارحه: متردم: موضع يسترقع ويستفلح لوهنه ووهيه، من قولهم: ردمت الشيء إذا أصلحته، وقويت ما وهي منه. ويروى: مترنم، من الترنم، وهو ترجيع الصوت مع تحزين. يقول: هل ترك الشعراء موضعا مسترقعا إلا وقد أصلحوه، أو هل تركت الشعراء شيئًا إلا رجعوا نغماته بإنشاء الشعر في وصفه؟ والمعنى: لم يترك الأول للآخر شيئا. ثم أضرب عن ذلك، وسأل نفسه: هل عرفت دار عشيقتك، بعد شكك فيها؟ وفي (اللسان: ردم) : والمتردم الموضع الذي يرقع. ويقال: تردم الرجل ثوبه: أي رقعه يتعدى، ولا يتعدى. ابن سيده: ثوب مردم، ومرتدم، ومتردم، وملوم: خلق مرقع؛ قال عنترة: * هل غادر الشعراء من متردم *
. . . البيت ". معناه أي مستصلح. قال ابن سيده: أي من كلام يلصق بعضه ويلبق: أي قد سبقونا إلى القلم فلم يدعوا مقالا لقائل.
(٩) تفسير الطبري:١١٢/١٨-١١٣.[ملخصا]
(١٠) معاني القرآن:٣١١/٣.
(١١) أخرجه الطبري:١١٣/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:١١٣/١٨.

قال قتادة:" ذكر لنا أن رجلا قال: يا نبي الله قد رأيت سدّ يأجوج ومأجوج، قال انْعَتْهُ لي قال: كأنه البرد المحبَّر، طريقة سوداء، وطريقة حمراء، قالَ قَدْ رأيتَهُ"[1].

القرآن

{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)} [الكهف : ٩٦]

التفسير:

أعطوني قطع الحديد، حتى إذا جاؤوا به ووضعوه وحاذوا به جانبي الجبلين، قال للعمال: أجّجوا النار، حتى إذا صار الحديد كله نارًا، قال: أعطوني نحاسًا أُفرغه عليه.

قوله تعالى:{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} [الكهف : ٩٦]، أي:" أعطوني قطع الحديد"[2].

قال الطبري:" أي جيئوني بِزُبَرِ الحديد، وهي جمع زُبْرة، والزُّبْرة: القطعة من الحديد"[3].

وفي قوله تعالى:{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} [الكهف : ٩٦]، وجوه:

أحدها : أنها قطع الحديد ، قاله ابن عباس[4]، ومجاهد[5]، وقتادة-في رواية-[6]، ومقاتل[7]، وأبو وأبو عبيدة[8]، ومنه قوله: {فتقطعوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً}، يعني: "قطعا"[9].

قال الزجاج:" واحد «الزبَر»: «زُبَرَة»، وهى: القطعة العظيمة"[10].

الثاني : أنه فلق الحديد ، قاله قتادة[11].

الثالث : أنه الحديد المجتمع ، ومنه:«الزَّبور»، لاجتماع حروفه في الكتابة ، حكاه الماوردي[12]، وأنشد قول تبع اليماني[13]:

ولقد صبرت ليعلموه وحولهم ... زبر الحديد عشيةً ونهاراً

قال أبو هلال العسكري:" أصل «الزبر»: الكتب في الحجر، ثم كثر حتى جعل كل كتابة زبرا، يقال: زبرت الكتاب كتبته، وزبرته قرأته، والزبور فعول، بمعنى مفعول، أي: هو مزبور، كما قيل: ركوية وحلوبة، وقد يقال: ركوبة، قال الله تعالى: {فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ} [يس : ٧٢].

وأصل الكلمة «الاجتماع»، ومنه قيل: زبرت البئر، إذا طويتها بالحجارة بجمعك الحجارة فيها، وزبرة الأسد الشَّعْر المجتمع على كاهله، وأسد أزبر ومزبر عظيم الزبرة، والزبرة القطعة من الحديد، قال الله: {آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ}.

وروى الفقير الذي لا زبر له، أي: ليس له معتمد يجمع أمره، ومن ثم سُمي: الزبير، وأخذت الشيء بزوبره، أي: بأجمعه، والواو زائدة، ويجوز أن يكون أصل الكلمة الغلظ، ومنه قولهم: زبره إذا أغلظ له القول.

و«الزبر»، في القرآن على ثلاثة أوجه:

---

(١) اخرجه الطبري:١١٣/١٨.

(٢) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٣) تفسير الطبري:١١٤/١٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري:١١٤/١٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري:١١٤/١٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري:١١٤/١٨.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠١/٢.

(٨) انظر: مجاز القرآن:٤١٤/١.

(٩) انظر: **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٢٤٢**.

(١٠) معاني القرآن:٣١١/٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري:١١٤/١٨.

(١٢) انظر: النكت والعيون:٣٤٣/٣.

(١٣) انظر: النكت والعيون:٣٤٣/٣.

الأول: الكتب، قال الله: {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ} [آل عمران : ١٨٤]، أي: أرسلناهم بالعلامات البينات، و«الزبر»، يعني: الكتب المضمنة للأمر والنهي، وقوله: {وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ} [الشعراء : ١٩٦].

وقال بعض المفسرين: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ} [الأنبياء : ١٠٥] أنه يعني: بالزبور الكتب كلها، وليس بالوجه؛ لأن الظاهر لا يترك إلا بدليل، ولا دليل إلا أن يكون القراءة في الزبور، جمع زبر مثل سفر وسفور، وليس ذلك المشهور، ولا ينبغي القراءة به عندنا.

الثاني: اللوح المحفوظ، قال الله: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ} [القمر : ٥٢]، هكذا جاء في التفسير.

الثالث: قوله تعالى: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا } [المؤمنون : ٥٣]، ومن قرأ: «زبرا»، أراد قطعا، الواحدة زبرة، ومنه: {آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ}، ومن قرأ «زبرا»، أي: جعلوا دينهم كتبا مختلفة"(١).

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} [الكهف : ٩٦]، أي:" حتى إذا جاؤوا به ووضعوه وحاذوا به جانبي الجبلين"(٢).

قال الطبري:" يقول عزّ ذكره: فآتو زُبَر الحديد، فجعلها بين الصدفين حتى إذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زُبر الحديد، ويقال: سوّى"(٣).

قال مقاتل:" يعني: حشى بين الجبلين بالحديد، والصدفين الجبلين وبينهما واد عظيم"(٤).

عظيم"(٤).

قال أبو عبيدة: «بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ»:" ما بين الناحيتين من الجبلين، وقال(٥):

قدْ أخَذَتْ ما بينَ عَرْضِ الصُّدُفَيْنِ ... ناحِيَتَيْها وأعالي الرُّكْنَيْن"(٦).

عن ابن عباس، قوله :"{بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}، يقول: بين الجبلين"(٧).

عن مجاهد، قوله: "{الصَّدَفَيْنِ}، رؤوس الجبلين"(٨).

عن الضحاك: قوله :"{بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}، يعني الجبلين، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان"(٩).

عن قتادة :"{حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}، وهما الجبلان"(١٠).

عن إبراهيم أنه قرأها :"{ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}، منصوبة الصاد والدال، وقال: بين الجبلين"(١١).

قال الزجاج "وتقرأ :«الصُّدُفَيْنِ» و«الصُّدْفَينِ»(١٢).

قوله تعالى:{قَالَ انْفُخُوا} [الكهف : ٩٦]، أي:" قال للعمال: أجّجوا النار"(١٣).

قال الطبري:" انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد"(١٤).

قال الزجاج:" وهو أن أخذ قِطعَ الحديد العِظَامِ وجعل بينها الحطب والفَحْمَ ووضع

---

(١) الأشباه والنظائر:٢٤٠-٢٤١.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٣) تفسير الطبري:١١٤/١٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠١/٢.
(٥) حانظر: مجاز القرآن:٤١٤/١، و تفسير الطبري:١١٤/١٨.
(٦) مجاز القرآن:٤١٤/١.
(٧) أخرجه الطبري:١١٥/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:١١٥/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:١١٥/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:١١٥/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:١١٥/١٨.
(١٢) انظر: معاني القرآن للزجاج:٣١١/٣.
(١٣) التفسير الميسر:٣٠٣.
(١٤) تفسير الطبري:١١٦/١٨.

عليها المنافيخ حتى إذا صارت كالنار"[1].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا} [الكهف : ٩٦]، أي:" حتى إذا صار الحديد كله نارًا"[2].

قال الطبري:" في الكلام متروك، وهو فنفخوا، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا "[3].

قال الزجاج: " الحديد إِذَا أُحْمِيَ بالفحم والمِنْفَاخ صارَ كالنَّار"[4].

قوله تعالى:{قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا} [الكهف : ٩٦]، أي:" قال: أعطوني نحاسًا أُفرغه عليه"[5].

قال الطبري:" يقول: أصبّ عليه قِطرا، والقِطْر: النحاس"[6].

قال الزجاج: " المعنى: أعطوني قِطْراً وهو النحاس. فصب النحاس المُذَابَ على الحديد الذي قد صار كالزيت فاختلط ولَصِقَ بعْضُه ببعض حتى صار جبلاً صَلْداً من حديد ونحاسٍ. ويقال إنه بناحية أرْمِينية"[7].

وفي قوله تعالى:{قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا}[الكهف : ٩٦]، وجوه:

أحدها : أن القطر النحاس ، قاله ابن عباس[8]، ومجاهد[9]، وقتادة[10]، والضحاك[11]، وعكرمة[12].

قال قتادة:" أي: النحاس ليلزمه به"[13].

قال عكرمة:" نحاسا ليلزم بعضه بعضا"[14].

الثاني : أنه الرصاص . حكاه ابن الأنباري[15].

الثالث : أنه الصفر المذاب ، قاله مقاتل[16]، ومنه قول الشاعر[17]:

فألقى في مراجل من حديد ... قدور القطر ليس من البراة

الرابع : أنه الحديد المذاب ، قاله أبو عبيدة[18]، وأنشد[19]:

حُساما كَلَوْنِ المِلْحِ صَافٍ حَديدُه ... جُزَارًا مِنْ أَقْطارِ الحَديدِ المُنَعَّت

قوله«أقطار»: جمع «قطر».

---

(١) معاني القرآن:٣١١/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٣) تفسير الطبري:١١٦/١٨.
(٤) معاني القرآن:٣١١/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٦) تفسير الطبري:١١٦/١٨.
(٧) معاني القرآن:٣١١/٣-٣١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١١٦/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١١٦/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١١٧/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١١٧/١٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٨٠):ص٢٣٨٩/٧.
(١٣)أخرجه الطبري:١١٧/١٨ .
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٨١):ص٢٣٨٩/٧.
(١٥) انظر: النكت والعيون:٣٤٣/٣.
(١٦) انظر تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٢/٣.
(١٧) البيت غير منسوب في مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس - رضي الله عنه وعن أبيه: ٢١٦، والإتقان:٩٩/٢، وهو للحطيئة في النكت والعيون:٣٤٣/٣.
(١٨) انظر: مجاز القرآن:٤١٥/١.
(١٩)البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٤١٥، والطبري: في تفسيره:١١٧/١٨، اللسان: قطر) والقطر بالكسر: النحاس الذائب، وقيل ضرب منه أه. وفي (اللسان: جرز) : وسيف جراز: قاطع: ويقال: سيف جراز: إذا كان مستأصلا. والجراز من السيوف: الماضي النافذ.

قال الماوردي:"وكان حجارته الحديد وطينه النحاس"(١).

القرآن

{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)} [الكهف : ٩٧]

التفسير:

فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد؛ لارتفاعه وملاسته، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وقوته.

قوله تعالى:{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ} [الكهف : ٩٧]، أي:" فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد؛ لارتفاعه وملاسته"(٢).

قال الطبري:" يقول: فما اسطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا الردم الذي جعله ذو القرنين حاجزا بينهم، وبين من دونهم من الناس، فيصيروا فوقه وينزلوا منه إلى الناس"(٣).

قال الزجاج:" أي: ما قَدَرُوا أن يعلو عليه لارتفاعه وامْلِسَاسِه"(٤).

عن قتادة:"{ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ}، قال: ما استطاعوا أن ينزعوه"(٥).

وعن قتادة:" {أَنْ يَظْهَرُوهُ}، قال: أن يرتقوه"(٦).

عن ابن جريج :{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ}، قال: يعلوه"(٧).

قوله تعالى:{وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف : ٩٧]، أي:" وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وقوته"(٨).

قال الطبري:" يقول: ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله"(٩).

قال الزجاج: أي: "وما استطاعوا أنْ يَنْقُبُوه"(١٠).

عن قتادة:"{ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}، أي: من أسفله"(١١).

عن ابن جريج :{وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}، أي: ينقبوه من أسفله"(١٢).

القرآن

{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)} [الكهف : ٩٨]

التفسير:

قال ذو القرنين: هذا الذي بنيته حاجزًا عن فساد يأجوج ومأجوج رحمة من ربي بالناس، فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهدمًا مستويًا بالأرض، وكان وعد ربي حقًّا.

قوله تعالى:{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي} [الكهف : ٩٨]، أي:" قال ذو القرنين: هذا الذي بنيته حاجزًا عن فساد يأجوج ومأجوج رحمة من ربي بالناس"(١٣).

---

(١) النكت والعيون:٣٤٤/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٣) تفسير الطبري:١١٧/١٨.
(٤) معاني القرآن:٣١٢/٣.
(٥) أخرجه الطبري:١١٧/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:١١٨/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:١١٨/١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٩) تفسير الطبري:١١٧/١٨.
(١٠) معاني القرآن:٣١٢/٣.
(١١) أخرجه الطبري:١١٧/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:١١٨/١٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣٠٤.

قال النحاس:" أي: هذا الفعل نعمة من الله عز وجل، والرحمة من الله جل وعز هي النعمة والإحسان"[١].

قال الطبري:" يقول عزّ ذكره: فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بنى من الردم، ولا يقدرون على نقبه، قال: هذا الذي بنيته وسويته حاجزا بين هذه الأمة، ومن دون الردم رحمة من ربي رحم بها من دون الردم من الناس، فأعانني برحمته لهم حتى بنيته وسوّيته ليكفّ بذلك غائلة هذه الأمة عنهم"[٢].

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ} [الكهف : ٩٨]، أي:" فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهدمًا مستويًا بالأرض"[٣].

قا الطبري:" يقول: فإذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم. {جعله دكاء}، يقول: سواه بالأرض، فألزقه بها"[٤].

وفي قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي} [الكهف : ٩٨]، وجهان:

أحدهما : يوم القيامة ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[٥].

الثاني : هو الأجل الذي يخرجون فيه. قاله مقاتل[٦]، والنحاس[٧].

قال مقاتل:" يعني: الردم وقع فيخرجون إلى أرض المسلمين"[٨].

وفي قوله تعالى:{جَعَلَهُ دَكَّاءَ} [الكهف : ٩٨]، وجوه:

أحدها : أرضاً ، قاله قطرب[٩].

الثاني : قطعاً ، قاله الكلبي[١٠].

الثالث : جعله طريقا كما كان. قاله عكرمة[١١].

الرابع: معناه: لاصقا بالأرض، يقال: ناقة دكّاء أي لا سنام لها مستوية الظهر، قاله أبو عبيدة[١٢] ، والطبري[١٣]، وابن قتيبة[١٤]، والنحاس[١٥]، ومنه قول الأغلب[١٦]:

هل غير غادٍ غاراً فانهدم

روي عن قتادة، قوله :"{فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء}، قال: لا أدري الجبلين يعني به، أو ما بينهما"[١٧].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر {دكا} منونا غير مهموز ولا ممدود وقرأ حمزة والكسائى {دكاء} ممدودا مهموزا بلا تنوين، وهبيرة عن حفص عن عاصم {دكا} منونا غير ممدود، وقال غير هبيرة عن حفص عن عاصم {دكاء} ممدودا[١].

---

(١) إعراب القرآن:٣٠٨/٢.
(٢) تفسير الطبري:١١٨/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٤) تفسير الطبري:١١٨/١٨.
(٥) انظر: النكت والعيون:٣٤٥/٣.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٣/٢.
(٧) انظر: إعراب القرآن:٣٠٨/٢.
(٨)تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٣/٢.
(٩)انظر: النكت والعيون:٣٤٥/٣.
(١٠)انظر: النكت والعيون:٣٤٥/٣.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٨٦):ص٢٣٨٩/٧.
(١٢) مجاز القرآن:٤١٥/١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١١٨/١٨.
(١٤) انظر: غريب القرآن:٢٧١.
(١٥) انظر: معاني القرآن:٢٩٦/٤.
(١٦)هو الأغلب بن جشم العجلى مخضرم. انظر ترجمته فى المؤتلف ٢٢، والأغانى ١٨/ ١٦٤ والسمط: ٨٠١. ولعل الشطر من كلمة بعضها فى حماسة ابن الشجري ٣٧، وهو من شواهد أبي عبيدة في المجاز:٤١٥/١.
(١٧)أخرجه الطبري:١١٩/١٨ .

قوله تعالى:{وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف : ٩٨]، أي:" وكان وعده تعالى بخراب السدِّ وقيام الساعة كائناً لا محالة"(٢).

قال الطبري:" يقول: وكان وعد ربي الذي وعد خلقه في دك هذا الردم، وخروج هؤلاء القوم على الناس، وعيثهم فيه، وغير ذلك من وعده حقا، لأنه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن"(٣).

قال مقاتل:" فإذا خرجوا هرب ثلث أهل الشام، ويقاتلهم الثلث، ويستسلم لهم الثلث"(٤).

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ " لقيت ليلة الإسراء إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة، وردوا الأمر إلى إبراهيم فقال إبراهيم: لا علم لي بها، فردوا الأمر إلى موسى، فقال موسى: لا علم لي بها، فردوا الأمر إلى عيسى؛ قال عيسى: أما قيام الساعة لا يعلمه إلا الله، ولكن ربي قد عهد إلي بما هو كائن دون وقتها، عهد إلي أن الدجال خارج، وأنه مهبطي إليه، فذكر أن معه قصبتين، فإذا رآني أهلكه الله، قال: فيذوب كما يذوب الرصاص، حتى إن الحجر والشجر ليقول: يا مسلم هذا كافر فاقتله، فيهلكهم الله، ويرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون، لا يأتون على شيء إلا أكلوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه، فيرجع الناس إلي، فيشكونهم، فأدعو الله عليهم فيميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم، فينزل المطر، فيجر أجسادهم، فيلقيهم في البحر، ثم ينسف الجبال حتى تكون الأرض كالأديم، فعهد إلي ربي أن ذلك إذا كان كذلك، فإن الساعة منهم كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها، ليلا أو نهارا"(٥).

عن السدي قال: قال علي بن أبي طالب: "إن يأجوج ومأجوج خلف السد، لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف لصلبه، وهم يغدون كل يوم على السد فيلحسونه وقد جعلوه مثل قشر البيض، فيقولون: نرجع غدا ونفتحه، فيصبحون وقد عاد إلى ما كان عليه قبل إن يلحس، فلا يزالون كذلك حتى يولد فيهم مولود مسلم، فإذا غدوا يلحسون قال لهم: قولوا بسم الله، فإذا قالوا بسم الله فأرادوا إن يرجعوا حين يمسون، فيقولون: نرجع غدا فنفتحه. فيصبحون وقد عاد إلى ما كان عليه فيقول: قولوا: إن شاء الله. فيقولون: إن شاء الله. فيصبحون وهو مثل قشر البيض فينقبونه فيخرجون منه على الناس، فيخرج أول من يخرج منهم سبعون ألفا عليهم التيجان، ثم يخرجون من بعد ذلك أفواجا فيأتون على النهر مثل نهركم هذا- يعني الفرات- فيشربونه حتى لا يبقى منه شيء، ثم يجيء الفوج منهم حتى ينتهوا إليه فيقولون: لقد كان هاهنا ماء مرة، وذلك قول الله :«فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء» و«الدك»: التراب، {وكان وعد ربي حقا}"(٦).

قال كعب: "إن يأجوج ومأجوج ينقرون السد بمناقرهم، حتى إذا كادوا إن يخرقوه قالوا: نرجع إليه غدا فنفرغ منه، فيرجعون إليه وقد عاد كما كان، فيرجعون فهم كذلك، وإذا بلغ الأمر ألقي على بعض ألسنتهم يقولون: نأتي إن شاء الله غدا، فنفرغ منه فيأتونه وهو كما هو فيخرقونه فيخرجون، فيأتي أولهم على البحيرة فيشربون ما كان فيها من ماء، ويأتي أوسطهم عليها فيلحسون ما كان فيها من الطين، ويأتي آخرهم عليها فيقولون: قد كان هاهنا مرة ماء. فيرمون بسهامهم نحو السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون: قهرنا من في الأرض، وظهرنا على من في السماء، فيدعو عليهم عيسى بن مريم فيقول: اللهم لا طاقة لنا بهم ولا يد، فاكفناهم بما شئت. فيبعث الله عليهم دودا يقال له النغف، فيأخذهم في أقفائهم فيقتلهم حتى تنتن الأرض من ريحهم،

---

(١) انظر: السبعة في القراءات:٤٠٢.
(٢) صفوة التفاسير:١٨٩/٢.
(٣) تفسير الطبري:١٢٠/١٨.
(٤)تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٣/٢.
(٥) أخرجه الطبري:١١٨/١٨.
(٦) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٩٨٨):ص٢٣٩٠/٧.

ثم يبعث الله عليهم طيرا فتنقل أبدانهم إلى البحر، ويرسل الله إليهم السماء أربعين يوما فينبت الأرض، حتي إن الرمانة لتشبع أهل البيت"(١).

القرآن

{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)} [الكهف : ٩٩]

التفسير:

وتركنا يأجوج ومأجوج -يوم يأتيهم وَعْدُنا- يموج بعضهم في بعض مختلطين؛ لكثرتهم، ونفخ في «القرن» للبعث، فجمعنا الخلق جميعًا للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ} [الكهف : ٩٩]، أي:" وتركنا يأجوج ومأجوج -يوم يأتيهم وَعْدُنا- يموج بعضهم في بعض مختلطين؛ لكثرتهم"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذي وعدناهم، بأنا ندكّ الجبال ونَنْسِفها عن الأرض نسفا، فنذرها قاعا صفصفا، بعضهم يموج في بعض، يقول: يختلط جنهم بإنسهم"(٣).

قال ابن كثير:" أي : الناس يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم"(٤).

وفي قوله تعالى:{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ} [الكهف : ٩٩]، ثلاثة أقوال(٥): أقوال(٥):

أحدها : أنهم القوم الذين ذكرهم ذو القرنين يوم فتح السد يموج بعضهم في بعض.

قال يحيى بن سلام:" يوم يخرجون من السد"(٦).

وقال مقاتل:" يعني: يوم فرغ ذو القرنين من الردم «يموج في بعض» يعني من وراء الردم لا يستطيعون الخروج منه"(٧).

الثاني : الكفار في يوم القيامة يموج بعضهم في بعض .

الثالث : أنهم الإنس والجن عند فتح السد.

قال ابن زيد:" هذا أول القيامة، ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا"(٨).

قال الزجاج:" معنى: «يموجون في الشيء»: يخوضون فيه ويكثرون القول، فجائز أن يكون يعنى بـ«يومئذٍ»: يوم القيامة، ويكون الدليل على ذلك: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}. ويجوز أن يكون {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ}، أي: يوم انقضاء أمر السَّدِّ، وقوله {يَمُوجُ}، ماجوا متعجبين مِنَ السَّد"(٩).

أخرج الطبري عن هارون بن عنترة، عن شيخ من بني فزارة، في قوله :{وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض}، قال: إذا ماج الجن والإنس، قال إبليس: فأنا أعلم لكم علم هذا الأمر، فيظعن إلى المشرق، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض، ثم يظعن إلى المغرب، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض، ثم يصعد يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض، فيجد الملائكة قطعوا الأرض، فيقول: ما من محيص، فبينا هو كذلك، إذ عرض له طريق كالشراك، فأخذ عليه هو

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٨٩):ص٧/٢٣٩٠-٢٣٩١.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٣) تفسير الطبري:١٢٠/١٨.
(٤) تفسير ابن كثير:١٩٩/٥.
(٥) انظر: النكت والعيون:٣٤٥/٣-٣٤٦.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٢٠٩/١.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٣/٢.
(٨) أخرجه الطبري:١٢١/١٨.
(٩) معاني القرآن:٣١٣/٣.

وذريته، فبينما هم عليه، إذ هجموا على النار، فأخرج الله خازنا من خزان النار، قال: يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك، ألم تكن في الجنان؟ فيقول: ليس هذا يوم عتاب، لو أن الله فرض علي فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه، فيقول: فإن الله قد فرض عليك فريضة، فيقول: ما هي؟ فيقول: يأمرك أن تدخل النار، فيتلكأ عليه، فيقول به وبذريته بجناحيه، فيقذفهم في النار، فتزفر النار زفرة فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه"(١).

وفيه وجهان :

أحدهما : يختلط بعضهم ببعض .

الثاني : يدفع بعضهم بعضاً ، مأخوذ من موج البحر .

قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} [الكهف : ٩٩]، أي:" ونفخ في «القرن» للبعث، فجمعنا الخلق جميعًا للحساب والجزاء"(٢).

قال الطبري:" يقول: فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعا"(٣).

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ :"أن أعرابيا سأله عن الصور، قال:«قرن ينفخ فيه»"(٤).

قال الزجاج:" قال أهل اللغة: الصور جمع صورة. والذي جاء في التفسير أن الصور قرن يَنْفُخ فيه إسرافيل - والله أعلم - إلا إن حملته أنه عند ذلك النفِخْ يكون بعث العباد ونشرهم"(٥).

عن يحيى بن أبي بكير، قال: "كنت في جنازة عمر بن ذر فلقيت مالك بن مغول، فحدثنا عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ:«كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم وحنى الجبهة، وأصغى بالأذن متى يؤمر، فشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قولوا حسبنا الله وعلى الله توكلنا، ولو اجتمع أهل منى ما أقالوا ذلك القرن» كذا قال، وإنما هو ما أقلوا"(٦).

وفي رواية:" كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى ظهره وجحظ بعينيه، قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله، توكلنا على الله"(٧).

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: " كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ فيه، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فكيف نقول؟ قال: تقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله"(٨).

وعن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله ﷺ: لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض، خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو وضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر، قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الصور؟ قال: قرن، قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين"(٩).

القرآن

{وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠)} [الكهف : ١٠٠]

---

(١) تفسير الطبري:١٢٠/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٣) تفسير الطبري:١٢٢/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:١٢١/١٨.
(٥) معاني القرآن:٣١٣/٣.
(٦) أخرجه الطبري:١٢١/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:١٢١/١٨-١٢٢.
(٨) أخرجه الطبري:١٢٢/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:١٢٢/١٨.

التفسير:
وعرضنا جهنم للكافرين، وأبرزناها لهم لنريهم سوء عاقبتهم.
قال الطبري:" يقول: وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور، فأظهرناها للكافرين بالله، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب"[1].
قال أبو هلال العسكري:" أي: فهيأناها لهم، ويجوز أن يكون المراد إنا أظهرناها لهم"[2].
قال الزجاج: أي:"أظهرنا لهم جهنم حتى شاهدوها ورأوها"[3].
قال الزمخشري:أي:" وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها"[4].
عن أبي الزعراء، عن عبد الله، قال: "يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور، قيام رجل واحد، ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه، قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ قال: فيقولون: نعبد عزيرا، قال: فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون نعم، فيريهم جهنم وهي كهيئة سراب، ثم قرأ {وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا}، ثم يلقى النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد المسيح، فيقول: هل يسركم الماء، فيقولون نعم، قال: فيريهم جهنم وهي كهيئه السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا، ثم قرأ عبد الله {وقفوهم إنهم مسئولون}"[5].
فوائد الآيات:[٩٤-١٠٠]:
١- مشروعية الجعالة للقيام بالمهام من الأعمال.
٢- فضيلة التبرع بالجهد الذاتي والعقلي.
٣- مشروعية التعاون على ما هو خير، أو دفع للشر.
٤- تقرير وجود أمة يأجوج ومأجوج، وأن خروجهم من أشراط الساعة.
٥- تقرير البعث والجزاء.

القرآن
{الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)} [الكهف : ١٠١]
التفسير:
الذين كانت أعينهم في الدنيا في غطاء عن ذكري فلا تبصر آياتي، وكانوا لا يطيقون سماع حججي الموصلة إلى الإيمان بي وبرسولي.
قوله تعالى:{الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي} [الكهف : ١٠١]، أي:" الذين كانت أعينهم في الدنيا في غطاء عن ذكري فلا تبصر آياتي"[6].
قال الطبري:" يقول تعالى: وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله، فيتفكرون فيها ولا يتأملون حججه، فيعتبرون بها، فيتذكرون وينيبون إلى توحيد الله، وينقادون لأمره ونهيه"[7].
قال الزمخشري: {عن ذكري}، أي:" عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم. أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها، ونحوه : {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} [البقرة : ١٧١]"[8].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/١٢٢-١٢٣.
(٢) الوجوه والنظائر:٣٥٥.
(٣) معاني القرآن:٣/٣١٣.
(٤) الكشاف:٢/٧٤٩.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/١٢٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٧) تفسير الطبري:١٨/١٢٣-١٢٤.
(٨) الكشاف:٢/٧٤٩.

قوله تعالى:{وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا} [الكهف : ١٠١]، أي:" ، وكانوا لا يطيقون سماع حججي الموصلة إلى الإيمان بي وبرسولي"[١].

قال الطبري:" وكانوا لا يستطيعون سمعا، يقول: وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكرهم به، وبيانه الذي بينه لهم في آي كتابه، بخذلان الله إياهم، وغلبة الشقاء عليهم، وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان، فيتعظون به، ويتدبرون، فيعرفون الهدى من الضلالة، والكفر من الإيمان"[٢].

قال الزمخشري: "يعنى: وكانوا سمعا عنه، إلا أنه أبلغ، لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به، وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم[٣] فلا استطاعة بهم للسمع"[٤].

عن مجاهد، قوله :"{لا يستطيعون سمعا}، قال: لا يعقلون"[٥].

قال ابن زيد:" هؤلاء أهل الكفر"[٦].

القرآن

{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)} [الكهف : ١٠٢]

التفسير:

أفظن الذين كفروا بي أن يتخذوا عبادي آلهة من غيري؛ ليكونوا أولياء لهم؟ إنا أعتدنا نار جهنم للكافرين منزلا.

قوله تعالى:{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ} [الكهف : ١٠٢]، أي:" أفظن الذين كفروا بي أن يتخذوا عبادي آلهة من غيري؛ ليكونوا أولياء لهم؟"[٧].

قال مقاتل:" يعنى: بالآلهة بأن ذلك نافعهم وأنها تشفع لهم"[٨].

قال الزجاج:" تأويله: أفحسبوا أن ينفعهم اتخاذهم عبادي أولياء"[٩].

قال الطبري:" يقول عز ذكره: أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح، أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء، يقول كلا بل هم لهم أعداء"[١٠].

قال ابن جريج:" يعني: من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة، وهم عباد الله، ولم يكونوا للكفار أولياء"[١١].

قرأ الأعشى عن أبي بكر: «أفَحَسْبُ الذين» ساكنة السين، مضمومة الباء، وهى قراءة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وعكرمة ومجاهد. وقرأ الباقون «أفَحَسِبَ الذين كفروا» بكسر السين، وفتح الباء[١٢].

قال أبو منصور: مَنْ قَرَأَ :«أفَحَسِبَ الذين»، فمعناه: أفَظَن الذين كفروا، من حَسِبَ يَحْسَبُ ويحْسِبُ.

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٤.

(٢) تفسير الطبري:١٢٤/١٨.

(٣)قوله «كأنهم أصميت أسماعهم» في الصحاح في مادة صمم: أصمه الله فصم. وفي مادة صما بالألف: أصميت الصيد إذا رميته فقتلته، فقوله: أصميت، لعله بمعنى أهلكت بالمرة بحيث لا يمكن أن تسمع.

(٤) الكشاف:٧٤٩/٢.

(٥) اخرجه الطبري:١٢٣٤/١٨.

(٦) اخرجه الطبري:١٢٣٤/١٨.

(٧) التفسير الميسر:٣٠٤.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٤/٢.

(٩) معاني القرآن:٣١٤/٣.

(١٠) تفسير الطبري:١٢٤/١٨.

(١١) أخرجه الطبري:١٢٤/١٨.

(١٢) تفسير الطبري:١٢٥/١٨.

ومن قرأ :«أفَحَسْبُ الذين كفروا»، فمعناه: أَفَيَكْفِيهم أن يتخذوا العبادَ أولياءَ من دون الله، ثم بَيَّن جزاءهم فقال: {إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا}.

قال الطبري:" أي أفكفاهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء من عباداتي وموالاتي"(١). وموالاتي"(١).

قال الزجاج:" وقرئت - وهي جيدة – «أَفَحَسبَ الَّذِينَ كَفَرُوا»، تأويله: أفيكفيهم أن يتخذوا العباد - أولياء من دون الله"(٢).

ومن قرأ:«أفَحَسِبَ»، فمعناه: أفَحَسِبُوا أن ينفعهم اتخَاذُهم عبادِي أولياء(٣).

قوله تعالى:{إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا} [الكهف : ١٠٢]، أي:" إنا أعتدنا نار جهنم للكافرين منزلا"(٤).

قال الطبري:" يقول: أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلا"(٥).

قال البغوي:" أي: منزلا، قال ابن عباس: هي مثواهم. وقيل: النزل ما يهيأ للضيف يريد هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف"(٦).

القرآن

{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)} [الكهف : ١٠٣ - ١٠٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للناس محذرًا: هل نُخبركم بأخسر الناس أعمالا؟ إنهم الذين ضلَّ عملهم في الحياة الدنيا -وهم مشركو قومك وغيرهم ممن ضلَّ سواء السبيل، فلم يكن على هدى ولا صواب- وهم يظنون أنهم محسنون في أعمالهم.

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا}[الكهف:١٠٣]، أي:" قل -أيها الرسول- للناس محذرًا: هل نُخبركم بأخسر الناس أعمالا؟"(٧).

قال السعدي:" أي: قل يا محمد، للناس -على وجه التحذير والإنذار-: هل أخبركم بأخسر الناس أعمالا على الإطلاق؟"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {قل} يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود، والنصارى {هل ننبئكم} أيها القوم {بالأخسرين أعمالا}، يعني: بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبتغون به ربحا وفضلا فنالوا به عطبا وهلاكا ولم يدركوا طلبا، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلا وربحا، فخاب رجاؤه. وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله"(٩).

قوله تعالى:{الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف : ١٠٤]، أي:" إنهم الذين ضلَّ عملهم في الحياة الدنيا"(١٠).

قال السعدي:" أي: بطل واضمحل كل ما عملوه من عمل"(١١).

---

(١) تفسير الطبري:١٢٥/١٨.
(٢) معاني القرآن:٣١٤/٣.
(٣) انظر: معاني القراءات للأزهري:١٢٧/٢.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٥) تفسير الطبري:١٢٥/١٨.
(٦) تفسير البغوي:٢١٠/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٨) تفسير السعدي:٤٨٧.
(٩) تفسير الطبري:١٢٥/١٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٤.
(١١) تفسير السعدي:٤٨٧.

قوله تعالى:{وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف : ١٠٤]، أي:" وهم يظنون أنهم محسنون في أعمالهم"(١).

قال الزجاج:" أي: يظنون أنهم بصدهم عن النبي - ﷺ - أنهم يحسنون صنعا"(٢).

قال السعدي:" يحسبون أنهم محسنون في صنعه، فكيف بأعمالهم التي يعلمون أنها باطلة، وأنها محادة لله ورسله ومعاداة؟ "(٣).

وفي المعنيين بقوله تعالى:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا}[الكهف:١٠٣]، ، أقوال:

أحدها : أنهم القسيسون والرهبان، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٤)، وسعد بن أبي وقاص-في أحد قوليه-(٥)، والضحاك(٦).

قال علي-رضي الله عنه-:" هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع"(٧).

عن مصعب بن سعد، قال: "قلت لأبي {وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا}، أهم الحرورية؟ قال: هم أصحاب الصوامع"(٨).

الثاني : أنهم الكتابيون اليهود والنصارى ، وهذا مروي أيضا عن علي بن أبي طالب(٩)، وسعد بن أبي وقاص(١٠).

قال علي-رضي الله عنه- في رواية راذان:"هم كفرة أهل الكتاب، كان أوائلهم على حق، فأشركوا بربهم، وابتدعوا في دينهم، الذي يجتهدون في الباطل، ويحسبون أنهم على حق، ويجتهدون في الضلالة، ويحسبون أنهم على هدى، فضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ثم رفع صوته، فقال: وما أهل النار منهم ببعيد"(١١).

قال مصعب بن سعد: "سألت أبي عن هذه الآية {قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا} أهم الحرورية؟ قال: لا هم أهل الكتاب، اليهود والنصارى. أما اليهود فكذبوا بمحمد. وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية {الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون} فكان سعد يسميهم الفاسقين"(١٢).

الثالث : هم أهل حروراء من الخوارج ، وهذا مروي عن علي رضي الله عنه(١٣).

عن أبي الطفيل، قال: "سأل عبد الله بن الكواء عليا عن قوله :{قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا}، قال: أنتم يا أهل حروراء"(١٤).

وفي رواية:" أنت وأصحابك"(١٥).

وفي رواية: "ويلك أهل حروراء منهم"(١٦).

الرابع : هم أهل الأهواء(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢) معاني القرآن:٣/٣١٤.
(٣) تفسير السعدي:٤٨٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٢٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٢٦.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٢٦.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/١٢٦.
(٨) أخرجه الطبري:١٨/١٢٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٢٦-١٢٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٢٦.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/١٢٧.
(١٢) أخرجه الطبري:١٨/١٢٦.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٢٧.
(١٤) أخرجه الطبري:١٨/١٢٧.
(١٥) أخرجه الطبري:١٨/١٢٧.
(١٦) أخرجه الطبري:١٨/١٢٧.

الخامس : أنهم من يصطنع المعروف ويمن عليه[٢].
السادس : أنهم المنافقون بأعمالهم المخالفون باعتقادهم. أفاده الماوردي[٣].
السابع : أنهم طالبو الدنيا وتاركو الآخرة. أفاده الماوردي[٤].

والصواب-والله أعلم- أنه عني به "كل عامل عملا يحسبه فيه مصيبا، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الإجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة، من أهل أي دين كانوا"[٥].

قال صاحب المنار في تفسير هذه الآية:" لو كان التقليد عذرا مقبولا لكان أكثر كفار الأرض في جميع الأزمنة والأمكنة معذورين ناجين كالمؤمنين. ألم تر أن التقليد قد أضل الألوف التي لا تحصى من المسلمين الذين صدق عليهم الحديث الصحيح :«لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع»[٦]، فتركوا هداية الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، واتبعوا البدع المستحدثة، فإذا دعوا إلى الله ورسوله قالوا: قال الشيخ فلان، وفعل الولي الصالح فلان، وهؤلاء أعلم وأهدى منا بالسنة والقرآن. وإنما أمرهم الله أن يتبعوا ما أنزله إليهم ونهاهم أن يتبعوا من دونه أولياء كما تقدم في صدر هذه السورة، وما أضيع البرهان عند المقلد"[٧].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٣/٣٤٧.
(٢) انظر: النكت والعيون:٣/٣٤٧.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣/٣٤٧.
(٤) انظر: النكت والعيون:٣/٣٤٧.
(٥) تفسير الطبري:١٨/١٢٨.
(٦)أخرجه البخاري في موضعين من " صحيحه ":
الأول: في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٦/ ٤٩٥/ ٣٤٥٦).
والموضع الأخر: في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ١٣/ ٣٠٠/ ٧٣٢٠)، ومسلم في (كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ٤/ ٢٠٥٤/ ٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وأما رواية أبي هريرة، فأخرجها البخاري في الموضع الثاني برقم (٧٣١٩).
(٧) تفسير المنار:٨/٣٣٥-٣٣٦.

القرآن
{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)} [الكهف : ١٠٥]
التفسير:
أولئك الأخسرون أعمالا هم الذين جحدوا بآيات ربهم وكذَّبوا بها، وأنكروا لقاءه يوم القيامة، فبطلت أعمالهم؛ بسبب كفرهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة قدرًا.
قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ} [الكهف : ١٠٥]، أي:" أولئك الأخسرون أعمالا هم الذين جحدوا بآيات ربهم وكذَّبوا بها، وأنكروا لقاءه يوم القيامة"[(١)].
قال أبو الليث السمرقندي:" أي: بمحمد ﷺ والقرآن ولقائه، أي: البعث بعد الموت"[(٢)].
قال السعدي:" أي: جحدوا الآيات القرآنية والآيات العيانية، الدالة على وجوب الإيمان به، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر"[(٣)].
قوله تعالى:{فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} [الكهف : ١٠٥]، أي:" فبطلت أعمالهم بسبب كفرهم"[(٤)].
كفرهم"[(٤)].
قال أبو الليث السمرقندي:" أي: بطلت حسناتهم"[(٥)].
قوله تعالى:{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف : ١٠٥]، أي:" فلا نقيم لهم يوم القيامة قدرًا"[(٦)].
قال النسفي:أي:" فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار"[(٧)].
قال مقاتل:" من خير قدر مثقال جناح بعوضة"[(٨)].
قال أبو الليث السمرقندي:" أي: لا توزن أعمالهم مثقال ذرة، ويقال: لا نقيم لأعمالهم ميزانا"[(٩)].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلا نجعل لهم ثقلا. وإنما عنى بذلك: أنهم لا تثقل بهم موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة، فتثقل به موازينهم"[(١٠)].
قال السعدي:" لأن الوزن فائدته، مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان، كما قال تعالى : {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه : ١١٢]، لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها، ويخزون بها على رءوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها"[(١١)].
وفي قوله تعالى:{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف : ١٠٥]، وجوه[(١٢)]:
أحدها : لهوانهم على الله تعالى بمعاصيهم التي ارتكبوها يصيرون محقورين لا وزن لهم .
الثاني : أنهم لخفتهم بالجهل وطيشهم بالسفه صاروا كمن لا وزن لهم .
الثالث : أن حسناتهم تُحبَط بالكفر فتبقى سيئاتهم . فيكون الوزن عليهم لا لهم .
الرابع : أن المعاصي تذهب بوزنهم حتى لا يوازنوا من خفتهم شيئاً .

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢) بحر العلوم:٣٦٤/٢.
(٣) تفسير السعدي:٤٨٧.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٥) بحر العلوم:٣٦٤/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٧) تفسير النسفي:٣٢٢/٢.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٤/٢.
(٩) بحر العلوم:٣٦٤/٢.
(١٠) تفسير الطبري:١٢٩/١٨.
(١١) تفسير السعدي:٤٨٧.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٣٤٧/٣-٣٤٨.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول ﷺ " يؤتى بالأكول الشروب الطويل، فيوزن فلا يزن جناح بعوضة" ثم قرأ :{فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا}"[١].

قال عبيد بن عمير: "يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب، فلا يزن جناح بعوضة"[٢].

قال كعب: "يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل، فلا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا :{فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا}"[٣].

قال عثمان بن العفان-رضي الله عنه-:" الربا سبعون بابا أهونهن مثل نكاح الرجل أمه. قال: وأربى الربى عرض أخيك المسلم تشتمه. قال: ويؤتى يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكول الشروب الذي يشرب الظرف في المجلس فيوزن فلا يعدل جناح بعوضة، خاب ذلك وخسر، ثم تلا هذه الآية: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا"[٤].

(١) أخرجه الطبري:١٢٩/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٣١٠/١٢.
(٣) أخرجه الطبري:٣١٠/١٢.
(٤) أخرجه الثعلبي في التفسير:٢٠١/٦.

القرآن
{ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)} [الكهف : ١٠٦]
التفسير:
ذلك الجزاء المعد لهم لحبوط أعمالهم هو نار جهنم؛ بسبب كفرهم بالله واتخاذهم آياته وحجج رسله استهزاءً وسخرية.
قوله تعالى:{ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا} [الكهف : ١٠٦]، أي:" ذلك الجزاء المعد لهم لحبوط أعمالهم هو نار جهنم؛ بسبب كفرهم بالله"[١].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله"[٢].
قال أبو الليث السمرقندي:" أي: هكذا عقوبتهم. جهنم بما كفروا"[٣].
قال السعدي:" أي:حبوط أعمالهم، وأنه لا يقام لهم يوم القيامة، {وزنا} لحقارتهم وخستهم، بكفرهم بآيات الله"[٤].
قوله تعالى:{وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا} [الكهف : ١٠٦]، أي:"وبسبب اتخاذهم آياته وحجج رسله استهزاءً وسخرية"[٥].
قال الطبري:" وباتخاذهم آيات كتابه، وحجج رسله سخريا، واستهزائهم برسله"[٦].
قال أبو الليث السمرقندي:" أي: القرآن ومحمدا ﷺ استهزاء"[٧].
قال الثعلبي:{ هُزُوًا}" يعني: سخرية"[٨].
قال السعدي:" واتخاذهم آياته ورسله، هزوا يستهزئون بها، ويسخرون منها، مع أن الواجب في آيات الله ورسله، الإيمان التام بها، والتعظيم لها، والقيام بها أتم القيام، وهؤلاء عكسوا القضية، فانعكس أمرهم، وتعسوا، وانتكسوا في العذاب"[٩].
فوائد الآيات:[١٠٣-١٠٦]:
١- تقرير شرك من يتخذ الملائكة أو الأنبياء أو أحدا من الخلق آلهة يعبدوهم تحت شعار التقرب إلى الله تعالى.
٢- تقرير هلاك أصحاب الأهواء الذين يعبدون الله تعالى بغير ما شرع ويتوسلون إليه بغير ما جعله وسيلة لرضاه وجنته. كالخوارج والرهبان من النصارى والمبتدعة الروافض والإسماعيلية، والنصيرية والدروز
٣- لا قيمة ولا ثقل ولا وزن لعمل لا يوافق رضا الله تعالى وقبوله له، كما لا وزن عند الله تعالى لصاحبه، وإن مات خوفا من الله أو شوقا إليه.

القرآن
{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧)} [الكهف : ١٠٧]
التفسير:
إن الذين آمنوا بي، وصدَّقوا رسلي، وعملوا الصالحات، لهم أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً.

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢) تفسير الطبري:١٢٩/١٨.
(٣) بحر العلوم:٣٦٤/٢.
(٤) تفسير السعدي:٤٨٧.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٦) تفسير الطبري:١٢٩/١٨.
(٧) بحر العلوم:٣٦٤/٢.
(٨) الكشف والبيان:٢٠١/٦.
(٩) تفسير السعدي:٤٨٧.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الكهف : ١٠٧]، أي:" إن الذين آمنوا بي، وصدَّقوا رسلي، وعملوا الصالحات"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وأقروا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته"(٢).

قوله تعالى:{كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف : ١٠٧]، أي:" لهم أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً"(٣).

قال الطبري:أي: " كانت لهم بساتين الفردوس"(٤)، "«نزلا» يقول: منازل ومساكن، والمنزل: من النزول، وهو من نزول بعض الناس على بعض، و«الفردوس»: معظم الجنة، كما قال أمية(٥):

كانَتْ مَنازِلُهُمْ إذْ ذاكَ ظاهِرَةً ... فِيها الفَراديسُ والفُومانُ والبَصَلُ"(٦).

قال شمر:"خلق الله جنة الفردوس بيده، فهو يفتحها في كل يوم خميس، فيقول: ازدادي طيبا لأوليائي، ازدادي حسنا لأوليائي"(٧).

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة، وأن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش»(٨).

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الفردوس مقصورة الرحمن، فيها خيار الأنهار والأثمار»(٩).

وفي تفسير:«الْفِرْدَوْسِ»، أقوال:

أحدها : أن «الفردوس»: أفضل الجنة وأوسطها، قاله قتادة(١٠).

قال قتادة:" الفردوس: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها"(١١).

وعن أبي أمامة الباهلي، قال: " الفردوس: هي سرة الجنة "(١٢).

الثاني : أن «الفردوس»: ربوة الجنة العليا التي هي أوسطها وأحسنها. رواه سمرة بن جندب مرفوعا(١٣).

عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: " الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة، والفردوس من فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢) تفسير الطبري:١٣٠/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٤) تفسير الطبري:١٣٠/١٨.
(٥)البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي (اللسان: فوم) . قال: وقال أمية في جمع الفوم: " كانت لهم جنة إذ ذاك ظاهرة ". . . البيت. قال: ويروى الفراريس. قال أبو الإصبع الفراريس: البصل. وقال. الزجاج: الفوم الحنطة ويقال الحبوب، لا اختلاف بين أهل اللغة أن الفوم الحنطة وسائر الحبوب التي تختبز يلحقها اسم الفوم، قال: من قال: الفوم هاهنا الثوم، فإن هذا لا يعرف. وقال أبو منصور: فإن قرأها ابن مسعود بالثاء، فمعناه الفوم وهو الحنطة. وفي (اللسان: فردس) الفردوس: البستان. قال الفراء: هو عربي. وقال ابن سيده: الفردوس: الوادي الخصيب عند العرب، البستان وهو بلسان الروم: البستان. والفردوس: الروضة عن السيرافي. والفردوس: خضرة الأعناب. قال الزجاج: وحقيقته: أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين، وكذلك هو عند أهل كل لغة. والفردوس: حديقة في الجنة. والفردوس: أصله رومي عرب، وهو البستان.
(٦) تفسير الطبري:١٣٤/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:١٣٢/١٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٠٤):ص٢٣٩٣/٧.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٠٧):ص٢٣٩٣/٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٣٠/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:١٣٠/١٨.
(١٢) تفسير مجاهد:٤٥١.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠٠٦):ص٢٣٩٣/٧.

عن أبي هريرة، أو أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقها عرش الرحمن تبارك وتعالى، ومنه تفجر أنهار الجنة"(٢).

عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال " إن في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنه، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس"(٣).

وقال كعب:" ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، وفيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر"(٤).

الثالث : أنه البستان بالرومية ، قاله مجاهد(٥).

الرابع : أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، قاله الزجاج(٦).

الخامس : أنه البستان الذي فيه الأعناب ، قاله كعب(٧).

واختلف في لفظ«الفردوس»،على أربعة أقوال:

أحدها : أنه عربي وقد ذكرته العرب في شعرها ، قاله ثعلب(٨).

الثاني : أنه بالرومية ، ومعناه«البستان». قاله مجاهد(٩).

الثالث : انه «الكرم» بالنبطية، وأصله «فرداساً»، قاله السدي(١٠).

الرابع : بالسريانية ، قاله أبو صالح(١١).

القرآن

{خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)} [الكهف : ١٠٨]

التفسير:

خالدين فيها أبدًا، لا يريدون عنها تحوُّلا؛ لرغبتهم فيها وحبهم لها.

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [الكهف : ١٠٨]، أي:" ماكثين فيها أبداً"(١٢).

قال الطبري:" يقول: لابثين فيها أبدا"(١٣).

قوله تعالى:{لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف : ١٠٨]، أي:" لا يريدون عنها تحوُّلا؛ لرغبتهم فيها وحبهم لها"(١٤).

قال الطبري:" يقول: لا يريدون عنها تحولا"(١٥).

وفي قوله تعالى:{لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف : ١٠٨]، وجوه:

أحدها : بدلاً ، قاله الضحاك(١٦).

---

(١) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٨.
(٦) انظر: معاني القرآن:٣١٥/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٨.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٤٨/٣.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠٠٨):ص٢٣٩٤/٧.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠٠٩):ص٢٣٩٤/٧.
(١١) انظر: النكت والعيون:٣٤٨/٣.
(١٢) صفوة التفاسير:١٩٠/٢.
(١٣) تفسير الطبري:١٣٤/١٨.
(١٤) التفسير الميسر:٣٠٤.
(١٥) تفسير الطبري:١٣٤/١٨.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٣٤٩/٣.

الثاني : تحولاً إلى غيرها، قاله مقاتل(١)، والفراء(٢)، وأبو عبيدة(٣)، وابن قتيبة(٤).
قال أبو عبيدة:أي:" لا يريدون ولا يحبّون عنها تحويلا"(٥).
الثالث : متحولا. قاله مجاهد(٦).
الرابع: حيلة ، أي: لا يحتالون منزلاً غيرها. حكاه الماوردي(٧).
روي مخلد بن الحسين عن بعض أصحاب أنس، قال: "يقول أولهم دخولا إنما أدخلني الله أولهم، لأنه ليس أحد افضل مني، ويقول آخرهم دخولا إنما أخرني الله، لأنه ليس أحد أعطاه الله مثل الذي أعطاني"(٨).

القرآن
{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)} [الكهف : ١٠٩]
التفسير:
قل -أيها الرسول-: لو كان ماء البحر حبرًا للأقلام التي يكتب بها كلام الله من علمه وحكمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله، لنفِد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله، ولو جئنا بمثل البحر بحارًا أخرى مددًا له.
سبب النزول:
قال ابن عباس: "قالت اليهود لما قال لهم النبي ﷺ: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا: كيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا؟ فنزلت: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} ... الآية"(٩).
قوله تعالى:{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} [الكهف : ١٠٩]، أي:" قل -أيها الرسول-: لو كان ماء البحر حبرًا للأقلام التي يكتب بها كلام الله من علمه وحكمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله"(١٠).
قال الطبري:" يقول عز ذكره لنبيه محمد ﷺ: {قل} يا محمد: {لو كان البحر مدادا} للقلم الذي يكتب به"(١١).
عن مجاهد: قوله: "{قل لو كان البحر مدادا}،قال:«يعني: للقلم»(١٢).
وفي قوله تعالى:{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} [الكهف : ١٠٩]، ثلاثة وجوه:
أحدها : أنه وعد بالثواب لمن أطاعه ، ووعيد بالعقاب لمن عصاه ، ومثله: {لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي}. حكاه الماوردي عن ابن بحر(١).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٤/٢.
(٢) انظر: معاني القرآن:١٦١/٢.
(٣) انظر: مجاز القرآن:٤١٦/١.
(٤) انظر: غريب القرآن:٢٧١.
(٥) مجاز القرآن:٤١٦/١.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠١٠):ص٢٣٩٤/٧.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣٤٩/٣.
(٨) أخرجه الطبري:١٣٣/١٨.
(٩)أخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٩٦/١٨ - ح: ٣٣٢) والترمذي (٣٠٤/٥ - ح: ٣١٤٠) والحاكم (لباب (لباب النقول: ١٤٤) وابن أبي حاتم (فتح الباري: ٤٤٥/١٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
قال الحافظ ابن حجر: رجاله رجال مسلم (فتح الباري: ٤٠١/٨) .
وذكره الواحدي في أسباب النزول:٣٠٧. واللفظ له.
تنبيه: هذا الحديث تكملة لحديث ابن عباس السابق في السؤال عن الروح: [الإسراء: ٨٥].
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٤.
(١١) تفسير الطبري:١٣٣/١٨.
(١٢) تفسير مجاهد:٤٥٢.

الثالث : أنه تبعيد على خلقه أن يُحصواْ أفعاله ومعلوماته –سبحانه وتعالى-، وإن كانت عنده ثابتة محصية. وهذا معنى قول ومقاتل[٢]، ويحيى بن سلام[٣].

قال مقاتل:" يخبر الناس أنه لا يدرك أحد علم الله- عز وجل"[٤].

قال يحيى بن سلام:" {قُل لَّوْ كَانَ البحر مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي} يعني لعلم ربِّي وعجائبه، {لَنَفِدَ البحر قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي} يعني علم ربِّي. وعجائبه"[٥].

قال سهل بن عبدالله:" إن من علمه كتابه، لو أن عبدا أعطي لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهايته علم الله فيه، لأنه كلامه القديم، وكلامه صفته، ولا نهاية لصفاته، كما لا نهاية له، وإنما يفهم على قدر ما يفتح الله على قلوب أوليائه من فهم كلامه"[٦].

عن عمرو بن مالك ، قال: "سمعت أبا الجوزاء ، يقول في قوله تعالى: {قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي} [الكهف: ١٠٩] ، قال: «لو كان كل شجرة في الأرض أقلاما ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر لو كان مدادا لنفد الماء ، وتكسرت الأقلام قبل أن تنفد كلمات ربي»[٧].

قوله تعالى:{لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي} [الكهف : ١٠٩]، أي:" لنفِد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله"[٨].

قال الطبري:" يقول: ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا، من قول القائل: جئتك مددا لك، وذلك من معنى الزيادة"[٩].

قال قتادة:" ينفد ماء البحر قبل إن ينفد كلام الله وحكمته"[١٠].

قوله تعالى:{وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف : ١٠٩]، أي:" ولو جئنا بمثل البحر بحارًا أخرى مددًا له"[١١].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٣٤٩/٣.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٥/٢.

(٣) **انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٣٠٣.**

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٥/٢.

(٥)**التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٣٠٣.**

(٦) تفسير التستري:٩٨.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٧٢٧):ص٣٤٧/٢.

(٨) التفسير الميسر:٣٠٤.

(٩) تفسير الطبري:١٣٣/١٨.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠١٢):ص٢٣٩٤/٧.

(١١) التفسير الميسر:٣٠٤.

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف : ١١٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ من ربي أنما إلهكم إله واحد، فمَن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه، فليعمل عملا صالحًا لربه موافقًا لشرعه، ولا يشرك في العبادة معه أحدًا غيره.

في سبب نزول أقوال:

أحدها: روي طاوس، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: "قال رجل: يا رسول الله، إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئا حتى نزلت: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}"[١].[صحيح]

الثاني: قال مجاهد: "جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله سبحانه وتعالى فيذكر ذلك مني وأحمد عليه، فيسرني ذلك، وأعجب به، فسكت رسول الله - ﷺ - ولم يقل شيئا فأنزل الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}"[٢].[مرسل]

الثالث: وقال مجاهد:" كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب إن يرى مكانه فأنزل الله فمن كان يرجوا لقاء ربه الآية"[٣].

وريو عن كثير بن زياد قال: "قلت للحسن قول الله: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، قال: في المؤمن نزلت. قلت: أشرك بالله؟ قال: لا، ولكن أشرك بذلك العمل عملا يريد الله به والناس، فذلك يرد عليه"[٤].

الرابع: قال ابن عباس: "كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لقالة الناس، فلا يريد به الله، فنزلت الآية" [٥].[ضعيف]

الخامس: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قوله: "{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ}، قال: الآية نزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله إلها غيره، وليست هذه في المؤمنين"[٦].

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف : ١١٠]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ من ربي أنما إلهكم إله واحد"[١].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك(٢٥٢٧):ص١٢٢/٢. وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»

[التعليق - من تلخيص الذهبي] ٢٥٢٧ – "على شرط البخاري ومسلم".

وأخرجه ابن جرير ١٣٦/١٨، وابن أبي حاتم (١٣٠١٣):ص٢٣٩٤/٧، وعبدالرزاق(١٧٢٨):ص٣٤٧/٢، بنحوه، وعزاه في الدر (٤/ ٢٥٥) لعبد الرزاق وابن أبي الدنيا في الإخلاص وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم عن طاوس (٤/ ٣٢٩) .

وقال السيوطي: أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي موصولا عن طاوس عن ابن عباس.

(٢) أسباب النزول للواحدي:٣٠٧، وعزاه في الدر (٤/ ٢٥٥) لهناد في الزهد.

(٣) تفسير ابن ابي حاتم(١٣٠١٥):ص٢٣٩٤/٧.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠١٨):ص٢٣٩٥/٧.

(٥)أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم في "الصحابة" وابن عساكر (فتح القدير: ٣١٨/٣) من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا إسناد لا يصح عن ابن عباس، أبو صالح ضعيف، وراويته الكلبي، وهو متروك ممن يضع الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في كتابه " أسباب النزول ": أبو صالح ضعيف، والكلبي متهم بالكذب، والسدي الصغير كذاب".

وهذا الإسناد أطلق عليه الحفاظ: "سلسلة الكذب". انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٥٦.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠١٣):ص٣٣٩٤/٧.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إلي أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك"(٢).

قال النحاس:" أي: لست أقدر على أن أكرهكم ولا أن أجبركم على ما أدعوكم إليه"(٣).

قوله تعالى:{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ} [الكهف : ١١٠]، أي:" فمَن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه"(٤).

قال الطبري:" يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته"(٥).

عن سعيد بن جبير :"{فمن كان يرجوا لقاء ربه}، قال: ثواب ربه"(٦).

وفي قوله تعالى:{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ} [الكهف : ١١٠]، وجهان:

أحدهما: معناه: فمن كان يخاف لقاء ربه، ومثله: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح : ١٣]، أي: ما لكم لا تخافون لله عظمة. قاله ابن قتيبة(٧)، وحكاه الزجاج عن بعضهم(٨)، ومنه قول الهذلي(٩):

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ... وحَالَفَهَا في بيتِ نُوبٍ عَوَامِلِ

أي: لم يخف لسعها.

الثاني: معناه: فمن كان يرجو الثواب وصلاح المنقلب عند ربه، وهذا قول سعيد بن جبير(١٠).

قال الزجاج:" فإذا رجاه خاف أيضا عذاب ربه"(١١).

قوله تعالى:{فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} [الكهف : ١١٠]، أي:" فليعمل عملا صالحًا لربه موافقًا لشرعه"(١٢).

قال الطبري:" يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية"(١٣).

قال سهل بن عبدالله:" العمل الصالح: ما كان خاليا عن الرياء مقيدا بالسنة، والله سبحانه وتعالى أعلم"(١٤).

قوله تعالى:{وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف : ١١٠]، أي:" ولا يشرك في العبادة معه أحدًا غيره"(١٥).

قال الطبري:" يقول: ولا يجعل له شريكا في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلا له شريكا بعبادته إذا راءى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره"(١٦).

قال الماتريدي:" جعل الإشراك في الألوهية والربوبية، والإشراك في العبادة واحدا؛ كله شرك بالله"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢) تفسير الطبري:١٣٥/١٨.
(٣) إعراب القرآن:٣٠٩/٢.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٥) تفسير الطبري:١٣٥/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:١٤٥/١٨.
(٧) انظر: غريب القرآن:٢٧١.
(٨) انظر: معاني القرآن:٣١٦/٣.
(٩)البيت لأبي ذؤيب الهذلي، كما في ديوانه ١٤٣ وانظر تخريجه في تأويل مشكل القرآن ١٤٧.
(١٠) انظر: الطبري:١٤٥/١٨.
(١١) معاني القرآن:٣١٦/٣.
(١٢) التفسير الميسر:٣٠٤.
(١٣) تفسير الطبري:١٣٥/١٨.
(١٤) تفسير التستري:٩٨.
(١٥) التفسير الميسر:٣٠٤.
(١٦) تفسير الطبري:١٣٥/١٨.

وفي قوله تعالى:{وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف : ١١٠]، وجهان:
أحدهما : أن الشرك بعبادته «الكفر»، ومعناه: ولا يشرك بالله جل وعز أحدا فيعبده معه، وهذا معنى قول ابن عباس[٢].

قال ابن عباس:" نزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله إلها غيره، وليست هذه في المؤمنين"[٣].

الثاني : أنه الرياء، ومعناه :يخلص لله العمل ولا يرائي بعمله أحداً، قاله سعيد بن جبير[٤]، ومجاهد[٥]، وسفيان[٦].

قال سعيد بن جبير:" من كان يخشى البعث في الآخرة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا من خلقه"[٧].

عن عبد الواحد بن زيد قال: "قلت للحسن: أخبرني عن الرياء، أشرك هو؟ قال: نعم يا بني، وما تقرأ: {فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}؟"[٨].

عن شداد ابن أوس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أخاف على أمتي الشرك والشهوة الخفية. قلت: أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: نعم، أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا، ولكن يراءون الناس بأعمالهم. قلت: يا رسول الله، فالشهوة الخفية؟ فقال: يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ويواقع شهوته»[٩].

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربه قال: "«أنا خير الشركاء» ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو الذي أشرك»"[١٠].

عن سعيد بن مسعود، أنبأ يزيد بن هارون ":وتلا {فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} [الكهف: ١١٠]، فقال: أنبأ ابن أبي ذئب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن الوليد بن مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلا قال: يا رسول الله الرجل يجاهد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من الدنيا فقال رسول الله ﷺ: «لا أجر له» فأعظم الناس ذلك فعاد الرجل فقال: «لا أجر له»[١١].

عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه قد أوحي إلي أنه من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا كان له نورا من أبين إلى مكة حشه الملائكة»[١٢].

روي عن عمرو بن قيس الكندي، "أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن"[١٣].

فوائد الآيات:[١٠٧-١١٠]:

---

(١) تاويلات أهل السنة:٣٦٢/٣.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٠١٨):ص٢٣٩٥/٧.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠١٣):ص٣٣٩٤/٧.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠١٦):ص٢٣٩٥/٧.
(٥) انظر: القولين الثاني والثالث في أسباب نزول الآية.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٣٦/١٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠١٧):ص٢٣٩٥/٧.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠١٩):ص٢٣٩٥/٧.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٢٠):ص٢٣٩٥/٧.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٢١):ص٢٣٩٥/٧.
(١١) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣٤٠٤):ص٤٠٣/٢. وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
[التعليق- من تلخيص الذهبي] ٣٤٠٤ - صحيح
(١٢) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣٤٠٣):ص٤٠٢/٢. وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
وفي إسناده أبو قرة، جاء في [تلخيص الذهبي] ٣٤٠٣ – "أبو قرة فيه جهالة ولم يضعف".
(١٣) أخرجه الطبري:١٣٦/١٨.

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
٢- بيان أفضل الجنان وهو الفردوس الأعلى.
٣- علم الله غير متناهي لأن كلماته غير متناهية.
٤- تقرير صفة الكلام لله تعالى، كما يليق بجلاله وكماله.
٥- تقرير بشرية النبي ﷺ.
٦- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك.
٧- تقرير أن الرياء شرك لما ورد أن الآية نزلت في بيان حكم المرء يجاهد١ يريد وجه الله ويرغب أن يرى مكانه بين الناس، يصلي ويصوم ويحب أن يثنى عليه بذلك.

«آخر تفسير سورة (الكهف)، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة « مريم»

سورة «مريم»: هي السورة «التاسعة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «فاطر»[(١)]، وعدد آياتها: (٩٩) تسع وتسعون، وكلماتها: (١١٩٢) ألف ومائة واثنتان وتسعون ، وحروفها: (٣٨٠٢) ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان[(٢)].

والآيات المختلف فيها ستة: (ع ص)، {فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ} [مريم : ٤١]، {الرَّحْمَنُ مَدًّا} [مريم : ٧٥][(٣)].

ومجموع فواصل آياتها «مدن»، الآية الأولى على الدال «صاد»[(٤)]، وما قبل «ألف» كل كل آية آخرها على «الألف» حروف «زيد»[(٥)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «مريم»:**

إن اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير واكثر كتب السنة: سورة«مريم»، وهو الاسم المشهور به، ورويت هذه التسمية عن رسول الله -ﷺ-، فيما رواه أبو مريم الغساني، قال:" أتيت النبى - ﷺ - فقلت له إنى ولدت لى الليلة جارية، فقال النبى - ﷺ -: «والليلة أنزلت على سورة مريم، فسمها مريم»"[(٦)]، فكان يكنى بأبى مريم"[(٧)].

كما جاءت تسميتها بذلك في كلام بع الصحابة-رضوان الله عليهم- وفي كلام السلف:

- عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- قالت: "نزلت سورة مريم بمكة"[(٨)].
- عن ابن الزبير-رضي الله عنهما-: قال: نزلت سورة مريم بمكة"[(٩)].
- عن مورق العجلي قال: صليت خلف ابن عمر الظهر فقرأ بسورة مريم"[(١٠)].
- عن أبي هريرة قال: قدمت المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر فوجدت رجلا من غفار يؤم الناس في صلاة الفجر فسمعته يقرأ في الركعة الأولى سورة مريم وفي الثانية ويل للمطففين"[(١١)].

- **وجه التسمية:**

سميت سورة «مريم»، "لاشتمالها على قصتها مفصلة"[(١٢)]، إذ اشتملت على قصة حمل السيدة مريم، وولادتها عيسى عليه السلام، من غير أب، وأصداء ذلك الحمل، وما تبعه ورافق ولادة عيسى من أحداث عجيبة، من أهمها كلامه وهو طفل في المهد[(١٣)].

---

(١) انظر: الكشاف:٣/٣.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٠٥.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤){كهيعص (١)} [مريم : ١].

(٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٦)المعجم الكبير للطبراني، ٣٣٢/٢٢ رقم٨٣٤، وأخرجه ابن عساكر (٢٤٦/٥٤)، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٤٧٦/٥، وزاد نسبته إلى أبي نعيم والديلمي.

وذكره البيهقي في مجمع الزوائد(١٢٨٨٩):ص٥٥/٨، وقال:" رواه الطبراني، وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك".

(٧)أخرجه ابن عساكر (٢٤٦/٥٤).

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن ابي شيبة.

(١١) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٧/٥، وعزاه إلى ابن سعد.

(١٢) انظر: البصائر:٣٠٥/١.

(١٣) انظر:التفسير المنير:٤٦/١٦.

قال المهايمي:" لأن قصتها تشير إلى أن من اعتزل من اهله لعبادة الله، وطلب بها إشراق نوره يرجى أن يكشف له صفات الحق وعن عالم الملكوت، وتظهر له الكرامات العجيبة، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"(١).

وقد تكرر اسم «مريم» في القران الكريم(٣٤) مرة، منها (٣) مرات في سورة«مريم»(٢)، وأكثر سورة ورد فيها اسم «مريم»، هي سورة «المائدة»، إذ تكرر فيها (١٠) مرات(٣).

وقد جاء ذكر اسمها بصورة كاملة (مريم ابنة عمران) مرة واحدة فقط وذلك في الآية الاخيرة من سورة التحريم: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم : ١٢].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: سورة«كهيعص»:**

كتبت هذه التسمية في مصحف نسخ في القرن الثاني عشر الهجري في شمال إفريقيا، وهو مخطوط على الورق بالخط الكوفي المغربي(٤).

وهي تسمية اجتهادية من وضع الصحابة-رضوان الله عليهم-كما رويت عنهم، وذلك كما ياتي:

- ذكرت ام سلمة-رضي الله عنها-: "فقال النجاشي: هل معك مما جآء به عن الله من شئ؟ قالت: فقال جعفر: نعم. فقال النجاشي: اقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من سورة (كهيعص) قالت: فبكى وألف الله النجاشي، حتى أخضل لحيته، وبكت الأساقفة حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة...."(٥)، الحديث.
- وأخرج النحاس عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال:" أنزلت بمكة سورة «كهيعص»"(٦).
- عن مجاهد، قال:"سمعت عبدالله بن عمر يقرأ في الظهر بـ«كهيعص»"(١).

---

(١) تفسير المهايمي:٢/٢.
(٢) انظر الآيات: (١٦، ٢٧، ٤٦) من السورة.
(٣)جاءت هذه التكرارات (٣٤) في عدد (١٢) سورة فقط، وعلى النحو التالي:
١- البقرة (٢)
٢- آل عمران (٧)
٣- النساء (٤)
٤- المائدة (١٠)
٥- التوبة(١)
٦- مريم (٣)
٧- المؤمنون (١)
٨- الأحزاب (١)
٩- الزخرف (١)
١٠- الحديد (١)
١١- الصف (٢)
١٢- التحريم (١).
(٤) المصحف من مخطوطات بيت القرآن في البحرين.
(٥)أخرجه احمد في المسند(١٧٤٠):ص٢٦٤/٣-٢٦٨. وهو في "السيرة" لابن هشام ٣٥٧/١-٣٦٢ عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.
وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" ١١٥/١-١١٦ مختصرا من طريق إبراهيم بن سعد، به.
وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" ٣٠١/٢- ٣٠٤ من طريق يونس بن بكير، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (١٩٤) من طريق جرير بن حازم كلاهما عن محمد بن إسحاق، به.
وأخرج قسما منه الطبراني (١٤٧٩) من طريقين عن ابن إسحاق، به.
(٦) الناسخ والمنسوخ:٥٠١/٢.

وكذلك وقعت تسميتها في "صحيح البخاري في "كتاب التفسير"[٢]. وعدّها الألوسي الاسم الثاني للسورة،[٣] وذكرها السخاوي[٤]، والفيروزآبادي[٥].

في حين لم يعدها السيوطي في كتابه "الإتقان" في عداد السور المسماة باسمين، ولعله لم ير الثاني اسماً لها.

- **وجه التسمية:**

وسميت سورة «كهيعص»؛ لافتتاحها بها، وذلك في قوله: {كهيعص (١)} [مريم : ١][٦].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٧]، وابن الزبير[٨]، وعائشة[٩]، وبه قال يحيى بن سلام[١٠]، والماتريدي[١١]، وأبو الليث السمرقندي[١٢]، وابن أبي زمنين[١٣]، والثعلبي[١٤]، ومكي بن ابي طالب[١٥]، والواحدي[١٦]، وعبدالقاهر الجرجاني[١٧]، والسمعاني[١٨]، والبغوي[١٩]، والرازي[٢٠]، وابن كثير[٢١]، والسيوطي[٢٢].

قال مكي:" سوره «مريم»: مكية، وكان نزولها قبل أن يهاجر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة، لأنهم قرأوا صدرها على النجاشي بعد هجرتهم إلى أرض الحبشة"[٢٣].

قال ابن كثير:" روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة : أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه"[٢٤].

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعا"[٢٥].

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم من غير خلاف علمناه"[١].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الصلوات، باب«القراءة في الظهر قدر كم»:٣٥٦/١.
(٢) انظر: ٢٨٦/٥.
(٣) روح المعاني:٥٦/١٥.
(٤) انظر: جمال القراء: ٣٧/١.
(٥) انظر: البصائر:٣٠٥/١.
(٦) انظر: البصائر:٣٠٥/١.
(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس:٥٠١/٢.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى لنحاس وابن مردويه.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢١٣/١.
(١١) انظر: تأويلات أهل السنة:٢١٨/٧.
(١٢) انظر: بحر العلوم:٣٦٧/٢.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٨٧/٣.
(١٤) انظر: الكشف والبيان:٢٠٥/٦.
(١٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٤٨٧/٧.
(١٦) انظر: التفسير الوسيط:١٧٤/٣.
(١٧) انظر: درج الدرر:١١٦٧/٣.
(١٨) انظر: تفسير السمعاني:٢٧٦/٣.
(١٩) انظر: تفسير البغوي:٢١٥/٥.
(٢٠) انظر: مفاتيح الغيب:٥٠٥/٢١.
(٢١) انظر: تفسير ابن كثير:٢١١/٥.
(٢٢) انظر: الدر المنثور:٤٧٦/٥.
(٢٣) الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٤٨٧/٧.
(٢٤) تفسير ابن كثير:٢١١/٥.
والحديث رواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة (٢٩٠/٥) ومن حديث ابن مسعود (٤٦١/١)
(٢٥) البصائر:٣٠٥/١.

الثاني: أنها مكية إلا آية سجدتها فإنها مدنية، وهي الآية (٥٨) من السورة، وتمامها قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم : ٥٨]. وهذا قول مقاتل(٢).

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع إلا السجدة منها، فقالت فرقة هي مكية وقالت فرقة هي مدنية"(٣).

الثالث: أنها مكية إلا آيتي: (٥٨ و ٧١)(٤)، فمدنيتان. قاله الزمخشري(٥)، والمراغي(٦).

الرابع: أنها مكية غير آيتي: (٥٩ و ٦٠)(٧)، فمدنيتان . حكاه ابن الجوزي عن هبة الله المفسر(٨).

- **مناسبة سورة«مريم» مع سورة «الكهف»:**

اشتملت السورتان على قصص عجيبة، فسورة الكهف اشتملت على قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة، بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من المثيرات، وقصة ذي القرنين.

وسورة مريم فيها أعجوبتان: قصة ولادة يحيى بن زكريا عليه السلام حال كبر الوالد وعقم الوالدة أي بين شيخ فان وعجوز عاقر، وقصة ولادة عيسى عليه السلام من غير أب(٩).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

نزلت هذه السورة للرد على اليهود -أخزاهم الله- فيما اقترفوه من القول الشنيع في حق مريم وابنها عيسى عليهما السلام، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران، وقداستهم في الخير.

وقد اشتملت السورة على ثلاثة مقاصد أسياسية، هي:

أولا:- إثبات وحدانيته سبحانه.

ثانيا:- تنـزيه سبحانه عن الولد.

ثالثا:- إثبات البعث يوم القيامة.

وقد اشتملت السورة -إضافة إلى هذه المقاصد الأساسية- المقاصد التالية:

١- عرض قصة زكريا عليه السلام، التي بينت قدرته سبحانه؛ حيث رزقه الولد في سنٍّ ليس من المعتاد أن يولد فيها للإنسان؛ وذلك عندما يبلغ به السن مبلغاً كبيراً. وفي هذا كرامة لزكريا عليه الصلاة والسلام علاوة على ما تقدم.

٢- خطاب النبي يحيى عليهما السلام بأن يأخذ ما علمه سبحانه من الكتاب{بقوة}،أي: بجد وحرص واجتهاد، وهو في الوقت نفسه أمر لعموم المؤمنين بأن يأخذوا أمور الدين والدنيا بجد وحرص واجتهاد، قال تعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم : ١٢].

٣- عرض قصة مريم وعيسى عليهما السلام، فأكدت قدرته سبحانه على الخلق من غير سبب، حيث خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وأقدره على الكلام، وهو لا يزال في

---

(١) زاد المسير:١١٦/٣.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦١٩/٢.
(٣) المحرر الوجيز:٣/٤.
(٤) وهما قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)} [مريم : ٥٨]، {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)} [مريم : ٧١].
(٥) انظر: الكشاف:٣/٣.
(٦) انظر: تفسير المراغي:٣٢/١٦.
(٧) وهما قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠)} [مريم : ٥٩ - ٦٠].
(٨) زاد المسير:١١٦/٣.
(٩) انظر: تفسير المراغي:٣/١٥، والتفسير المنير للزحيلي:٤٦/١٦.

المهد. وأثبتت طهارة مريم وعفافها، وفي هذا كرامة لمريم عليها السلام بخارق العادة في حملها وقداسة ولدها. وجاء التعقيب على هذه القصة بالفصل في قضية عيسى عليه السلام التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.

٤- عرضت السورة قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، واعتزاله لملة الشرك، والمنّ عليه بالذرية الصالحة.

٥- التنويه بجمع من الأنبياء والمرسلين ومن اهتدى بهديهم. وتوجيه اللوم لبعض خَلَفِهم ، الذين لم يكونوا على سَنَنهم في الخير من أهل الكتاب والمشركين، وأتوا بفاحش من القول؛ إذ نسبوا لله ولداً، وأنكر المشركون منهم البعث، وأثبت النصارى ولداً لله تعالى.

٦- بيان ربوبيته سبحانه لكل ما في السماوات والأرض، والأمر بعبادته وحده سبحانه بلا شريك، مع الأمر بالصبر على طاعته عز وجل، {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)} [مريم : ٦٥].

٧- حكاية إنكار المشركين البعث، وتبجحهم على المسلمين بمقامهم، {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦)} [مريم : ٦٦].

٨- الإنذار مما حلَّ بالمكذبين من الأمم من الاستئصال وغير ذلك من أنواع العذاب .

٩- وصف الجنة وأهلها، {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢)} [مريم : ٦١ - ٦٢].

١٠- إنذار المشركين أن أصنامهم التي اعتزوا بها سيندمون على اتخاذها، {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)} [مريم : ٨١ - ٨٢].

١١- وعده سبحانه عباده المؤمنين بأن يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة، وهذا أمر لا بد منه، ولا محيد عنه، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم : ٩٦].

١٢- الجدل حول قضية البعث، واستعراض بعض مشاهد القيامة، {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)} [مريم : ٨٥ - ٨٦]، وعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك، {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠)} [مريم : ٨٨ - ٩٠].

١٣- التنويه بالقرآن، وأنه بشير لأوليائه المتقين، ونذير لأعدائه المعاندين، كما هلكت قرون قبلهم {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مريم : ٩٧].

١٤- تكررت في هذه السورة صفة (الرحمن) ست عشرة مرة، وذُكر اسم (الرحمة) أربع مرات، فأرشد هذا إلى أن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة (الرحمن). والرد على المشركين الذين كابروا في إنكار هذا الوصف.

١٥- ختمت السورة مقاصدها بمشهد مؤثر عميق من مصارع الأمم السابقة، {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم : ٩٨] (١) .

- **فضائل السورة:**

ومما وردت من فضائل هذه السورة:

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: **"**قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي**"**(٢).

---

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

(٢)صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.

- جاء في فضائل هذه السورة ما رواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة هجرتهم إلى الحبشة و النجاشي، وفيه: "فقال له النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من {كهيعص} [مريم: ١]، قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة "(١).
- عن بكر بن عبد الله المزني قال: "نزلت هذه الآية: {وإن منكم إلا واردها} [مريم: ٧١] ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت امرأته فبكت، فجاءت الخادم فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرته، قال: «يا أهلاه، ما الذي أبكاكم؟» قالوا: لا ندري، ولكن رأيناك بكيت فبكينا، قال: «إنه أنزلت على رسول الله آية ينبئني فيها ربي عز وجل أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها(٢)، فذلك الذي أبكاني»"(٣).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

يعني قوله (من تلادي) أي مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث
(١)أخرجه أحمد ٢٠١/١ (١٧٤٠) و٢٩٠/٥ (٢٢٨٦٥) قال: حدثنا يعقوب، قال: حدثنا أبي. و"ابن خزيمة" ٢٢٦٠، قال: حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا سلمة، يعني ابن الفضل.
(٢)صَدَر عن المكان: رجع وانصرف.
(٣) الزهد لابن المبارك(٣٠٩):ص١٠٤/١.

القرآن

{كهيعص (١)} [مريم : ١]

التفسير:

{كهيعص} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

قرأ حمزة: {كهيعص}، بفتح الهاء، وكسر الياء ، وقرأ عاصم بكسرهما، وقرأ السحن بضمهما [١].

ولأهل التفسير في قوله تعالى: {كهيعص} [مريم : ١]، أقوال:

أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة[٢].

الثاني : أنه اسم من أسماء الله ، قاله علي -كرم الله وجهه-[٣]، وابن عباس[٤].

عن فاطمة ابنة عليّ قالت: كان عليّ يقول: "يا {كهيعص}: اغفر لي"[٥].

قال ابن عباس:" فإنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله"[٦].

الثالث : أنه استفتاح السورة ، قاله زيد بن أسلم[٧].

الرابع : أنه اسم السورة ، قاله الحسن[٨].

الخامس : أنه من حروف الجُمل تفسير:«لا إله إلا الله»، لأن «الكاف» عشرون، و«الهاء» خمسة، و«الياء» عشرة، و«العين» سبعون، و«الصاد» تسعون . كذلك عدد حروف: «لا إله إلا الله» ، حكاه أبان بن تغلب[٩].

السادس : أنها حروف أسماء الله.

عن أبي العالية، قال: "{كهيعص}، ليس منها حرف إلا وهو اسم"[١٠].

وتعددت أقوال المفسرين في ذلك كما يلي:

أ- فأما «الكاف» فقد اختلفوا فيها من أي اسم هي على ثلاثة أقوال:

أحدها : أن «الكاف» من ذلك حرف من حروفه اسمه الذي هو «كبير»، قاله ابن عباس[١١]، وسعيد بن جبير-في رواية-[١٢].

الثاني : أنها حرف من حروفه اسمه الذي هو «كاف». قاله سعيد بن جبير[١٣]، والضحاك[١٤]، والكلبي[١٥].

الثالث : أنها حرف من حروف اسمه الذي هو «كريم»، سعيد بن جبير[١٦].

ب- وأما «الهاء»، فإنها من «هادٍ». قاله ابن عباس[١]، وسعيد بن جبير[٢]، والضحاك[٣]، والضحاك[٣]، والكلبي[٤].

---

(١) انظر: الكشاف:٣/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٤١-١٤٢.
(٣) انظر تفسير الطبري:١٨/١٤١.
(٤) انظر تفسير الطبري:١٨/١٤١.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/١٤١.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/١٤١.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣/٣٥٢.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣/٣٥٢.
(٩) انظر: النكت والعيون:٣/٣٥٢-٣٥٣.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/١٤١.
(١١) انظر تفسير الطبري:١٨/١٣٧.
(١٢) انظر تفسير الطبري:١٨/١٣٧.
(١٣) انظر تفسير الطبري:١٨/١٣٧.
(١٤) انظر تفسير الطبري:١٨/١٣٨.
(١٥) انظر تفسير الطبري:١٨/١٣٨.
(١٦) انظر تفسير الطبري:١٨/١٣٨.

ت- وأما «الياء»، ففيها أربعة أقوال :
أحدها : أنها من «يمن»، قاله ابن عباس[٥]، وسعيد بن جبير[٦].
الثاني : من «حكيم». قاله سعيد بن جبير[٧].
الثالث : أنها من «ياسين». حكاه سالم[٨].
الرابع : أنها من «يا» للنداء، وفيه على هذا وجهان :
أحدهما : «يا من يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه». لما تعقبه من دعاء زكريا[٩].
الثاني : «يا من يجير ولا يجار عليه»، قاله الربيع بن أنس[١٠].
قال إبراهيم بن الضريس: "سمعت الربيع بن أنس في قوله {كهيعص}، قال: يا من يجير ولا يجار عليه"[١١].
ث- وأما «العين»، ففيها ثلاثة أقوال:
أحدها : حرف من حروف اسمه الذي هو: «عزيز» ، قاله ابن عباس[١٢]، وسعيد بن جبير[١٣].
الثاني : أنها من «عالم»، قاله ابن عباس[١٤]، وسعيد بن جبير[١٥]، والكلبي[١٦]، ورواه العلاء بن المسيب بن رافع عن أبيه[١٧].
الثالث : أنها من اسمه «عدل»، قاله الضحاك بن مزاحم[١٨].
ج- وأما «الصاد»، فإنها من «صادق». قاله ابن عباس[١٩]، وسعيد بن جبير[٢٠]، والضحاك[٢١]، والكلبي[٢٢].
فهذا بيان للقول السادس .
القول السابع: أنها حروف من كلام أغمضت معانيه ونبه على مراده فيه يحتمل أن يكون : كفى وهدى من لا يعص، فتكون «الكاف» من «كفى» و«الهاء» من «هدى»، والباقي حروف كلمة: «يعصى»، لأن ترك المعاصي يبعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، فصار

---

(١) انظر تفسير الطبري:١٣٨/١٨.
(٢) انظر تفسير الطبري:١٣٨/١٨.
(٣) انظر تفسير الطبري:١٣٨/١٨.
(٤) انظر تفسير الطبري:١٣٨/١٨.
(٥) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.
(٦) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.
(٧) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٥٣/٣.
(٩) انظر: النكت والعيون:٣٥٣/٣.
(١٠) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:١٣٩/١٨.
(١٢) انظر تفسير الطبري:١٤٠/١٨.
(١٣) انظر تفسير الطبري:١٤٠/١٨.
(١٤) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.
(١٥) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.
(١٦) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.
(١٧) انظر تفسير الطبري:١٤٠/١٨.
(١٨) انظر تفسير الطبري:١٤٠/١٨.
(١٩) انظر تفسير الطبري:١٤٠/١٨-١٤١.
(٢٠) انظر تفسير الطبري:١٤١/١٨.
(٢١) انظر تفسير الطبري:١٤١/١٨.
(٢٢) انظر تفسير الطبري:١٤١/١٨.

تركها كافياً من العقاب وهادياً إلى الثواب وهذا أوجز وأعجز من كل كلام موجز، لأنه قد جمع في حروف كلمة معاني كلام مبسوط وتعليل أحكام وشروط. قاله الماوردي[1].

قال الإمام ابن جرير الطبري-بعد أن سرد أقوال أهل التفسير-:" والقول في ذلك عندنا نظير القول في : {الم} [البقرة : ١]، وسائر فواتح سور القرآن التي افتتحت أوائلها بحروف المعجم، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع"[2].

قال ابن قتيبة:" ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن، ونرجو ألا يكون ما أريد بالحروف خارجا منها، إن شاء الله"[3].

القرآن

{ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢)} [مريم : ٢]

التفسير:

هذا ذِكْر رحمة ربك عبده زكريا، سنقصه عليك، فإن في ذلك عبرة للمعتبرين.

قال المراغي:" أي: مما نقص عليك ذكر رحمة ربك عبده زكريا"[4].

الآية تحتمل وجهين من التفسير[5]:

أحدهما: على الأمر، أي: اذكر لهم رحمة ربك عبده زكريا بالإجابة له عند سؤاله الولد في الوقت الذي أيس عن الولد في ذلك الوقت؛ فيكون فيه دلالة رسالته، حيث ذكر لهم رحمة ربه على زكريا، وأخبرهم على ما في كتبهم.

والثاني: {ذكر رحمت ربك}: هذا ذكر رحمة ربك لعبده زكريا في دعائه، وعلى هذا التأويل يكون الذكر هو القرآن، وقد سمى الله القرآن: ذكرا في غير آي من القرآن.

قال صاحب التسهيل:" وصفه بالعبودية تشريفا له، وإعلاما له بتخصيصه وتقريبه"[6].

ومما يسأل عنه هاهنا أن يقال: بم ارتفع {ذِكْرُ رَحْمَتِ}؟

وفيه وجوه[7]:

أحدها: أن يكون مرفوعا بقوله:«كهيعص». قاله الفراء[8].

قال الزجاج: "هذا محال، لأن «كهيعص» ليس هو مما أنبأنا الله جل وعز به عن زكرياء، وقد خبر الله جل وعز عنه وعما بشره به وليس «كهيعص» من قصته"[9].

الثاني: أنه مرتفع بالمضَمر، المعنى: هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك عبده بالرحمة، لأن ذكر الرحمن إياه لا يكون إلا باللَّه - عزَّ وجلَّ -. قاله الزجاج[10].

الثالث: التقدير: فيما نقص عليكم ذكر رحمة ربك. قاله الأخفش[11].

ونصب {عَبْدَهُ} بـ«رحمة».

وقرئ «ذكر رحمة» على الماضي، و«ذكر» على الأمر[12].

القرآن

---

(١) انظر: النكت والعيون:٣/٣٥٣-٣٥٤.
(٢) تفسير الطبري:١٨/١٤٢.
(٣) تاويل مشكل القرآن:١٨٢.
(٤) تفسير المراغي:١٦/٣٤.
(٥) انظر: تأويلات أهل السنة:٧/٢١٩.
(٦) التسهيل:١/٤٧٧.
(٧) انظر: معاني القرآن للفراء:٢/١٦١، ومعاني القرآن للأخفش:٢/٤٣٧، والنكت في القرآن الكريم:٣٠٩.
(٨) انظر: معاني القرآن:٢/١٦١.
(٩) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن:٣/٤.
(١٠) انظر: معاني القرآن:٣/٣١٨.
(١١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن:٣/٤.
(١٢) انظر: تفسير البيضاوي:٤/٥.

{إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)} [مريم : ٣]
التفسير:
إذ دعا ربه سرًا؛ ليكون أكمل وأتم إخلاصًا لله، وأرجى للإجابة.
قال الطبري:" يقول حين دعا ربه، وسأله بنداء خفي، يعنى: وهو مستسرّ بدعائه ومسألته إياه ما سأل، كراهة منه للرياء"[١].
قال الزمخشري:" راعى سنة الله في إخفاء دعوته، لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان، فكان الإخفاء أولى، لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص"[٢].
قال السدي:" رغب زكريا في الولد، فقام فصلى، ثم دعا ربه سرّا، فقال: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} .... إلى {وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}"[٣].
وفي تفسير الآية أقوال:
أحدها : معناه: سراً لا رياء فيه. قاله ابن جريج[٤].
قال قتادة :" أي: سرّا، وإن الله يعلم القلب النقيّ، ويسمع الصوت الخفي"[٥].
الثاني : معناه: إذ دعا ربه دعاء سرا، وإنما دعا ربه- عز وجل- سرا لئلا يقول الناس انظروا إلى هذا الشيخ الكبير يسأل الولد على كبره. قاله مقاتل[٦].
الثالث : أن إخفاء الدعاء أخلص للدعاء وأرجى للإجابة للسنة الواردة فيه : «إن ربكم ليس بأصم»[٧]. أفاده الماوردي[٨].
الرابع: أنه أسره من مواليه الذين خافهم. حكاه الزمخشري[٩].
الخامس: أنه خفت صوته لضعفه وهرمه، كما جاء في صفة الشيخ: صوته خفات، وسمعه تارات. حكاه الزمخشري[١٠].
قال ابن العربي:" فأما دعاء زكريا فإنما كان خفيا، وهي:
المسألة الثانية: لوجهين:
أحدهما: أنه كان ليلا.
والثاني: لأنه ذكر في دعائه أحوالا تفتقر إلى الإخفاء، كقوله: {وإني خفت الموالي من ورائي}. وهذا مما يكتم ولا يجهر به، وقد أسر مالك القنوت، وجهر به الشافعي، والجهر أفضل؛ لأن النبي - ﷺ - كان يدعو به جهرا حسبما ورد في الصحيح. والله أعلم"[١١].

القرآن
{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)} [مريم : ٤]
التفسير:
قال: رب إني كَبِرْتُ، وضعف عظمي، وانتشر الشيب في رأسي، ولم أكن من قبل محرومًا من إجابة الدعاء.

---
(١) تفسير الطبري:١٤٢/١٨.
(٢) الكشاف:٣/٣.
(٣) أخرجه الطبري:١٤٣/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٤٢/١٨-١٤٣.
(٥) أخرجه الطبري:١٤٢/١٨.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٠/٢.
(٧) أخرجه الترمذي(٣٤٦١):ص٥٠٩/٥. حكم الألباني: صحيح.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٥٤/٣.
(٩) انظر: الكشاف:٣/٣.
(١٠) انظر: الكشاف:٣/٣.
(١١) احكام القرآن:٢٤٦/٣.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} [مريم : ٤]، أي:" قال: رب إني كَبِرْتُ، وضعف عظمي"[١].
قال الطبري:يعني"ضعف ورقّ [عظمي] من الكبر"[٢].
قال قتادة: أي: ضعف العظم مني"[٣].
قال مجاهد:" نحل العظم"[٤].
قوله تعالى:{وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} [مريم : ٤]، أي:" وانتشر الشيب في رأسي"[٥].
قال الثوري:" بلغني أن زكريا كان ابن سبعين سنة"[٦].
قوله تعالى:{وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} [مريم : ٤]، أي:" ولم أكن من قبل محرومًا من إجابة الدعاء"[٧].
قال مقاتل:" يعني: خائبا فيما خلا، كنت تستجيب لي فلا تخيبني في دعائي إياك بالولد"[٨].
قال الفراء:" يقول: لم أشق بدعائك، أجبتني إذ دعوتك"[٩].
قال الطبري:" يقول: ولم أشق يا رب بدعائك، لأنك لم تخيب دعائي قبل إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك"[١٠].
قال ابن جريج:" يقول: قد كنت تعرّفني الإجابة فيما مضى"[١١].

القرآن
{وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥)} [مريم : ٥]
التفسير:
وإني خفت أقاربي وعصبتي مِن بعد موتي أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وكانت زوجتي عاقرًا لا تلد، فارزقني مِن عندك ولدًا وارثًا ومعينًا.
قوله تعالى:{وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي} [مريم : ٥]، أي:" وإني خفت أقاربي وعصبتي مِن بعد موتي أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك"[١٢].
قال الطبري:" يقول: وإني خفت بني عمي وعصبتي من ورائي: يقول: من بعدى أن يرثوني"[١٣].
وفي قوله تعالى:{وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي} [مريم : ٥]، أقوال:
أحدها : العصبة ، قاله مجاهد[١٤]، وقتادة[١٥]، والسدي[١٦]، وأبو صالح -في رواية-[١٧].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٢) تفسير الطبري:١٤٣/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:١٤٣/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:١٤٣/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٦) أخرجه الطبري:١٤٣/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٠/٢.
(٩) معاني القرآن:١٦١/٢.
(١٠) تفسير الطبري:١٤٣/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:١٤٣/١٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣٠٥.
(١٣) تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٨.

الثاني : الكلالة ، قاله ابن عباس[1]، وأبو صالح[2]، ومقاتل[3].
قال ابن عباس:" يعني بـ«الموالي»: الكلالة الأولياء أن يرثوه، فوهب الله له يحيى"[4].
قال مقاتل:" يقول: خفت الكلالة -وهم العصبة- من بعد موتي أن يرثوا مالي"[5].
الثالث : الأولياء أن يرثوا علمي دون من كان من نسلي. حكاه الماوردي[6]، وأنشد قول لبيد[7]: لبيد[7]:
ومَوْلَىً قد دَفَعْتُ الضَّيْمَ عنهُ ... وقد أمْسَى بمنزلةِ المَضِيْمِ
الرابع : بنو العم، قاله الفراء[8]، لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل.
قال الماوردي :"وسموا «موالي»، لأنهم يلونه في النسب لعدم الصلب"[9].
وفيما خافهم عليه قولان[10] :
أحدهما : أنه خافهم على الفساد في الأرض.
الثاني : أنه خافهم على نفسه في حياته وعلى أشيائه بعد موته .
قال الماوردي :"ويجوز أن يكون خافهم على تبديل الدين وتغييره"[11].
روى كثير ابن كلثمة أنه سمع علي بن الحسين عليهما السلام يقرأ:«وَإِنِّي خِفْتُ» بالتشديد بمعنى :قلّت[12].
قوله تعالى:{وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا} [مريم : ٥]، أي:" وكانت زوجتي عاقرًا لا تلد"[13].
قال الطبري:" يقول: وكانت زوجتي لا تلد، يقال منه: رجل عاقر، وامرأة عاقر بلفظ واحد، كما قال الشاعر[14]:
لَبِئسَ الفَتى أنْ كُنْتُ أعْوَرَ عاقِرً ا ... جبَانا فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلّ مَحْضَر "[15].
قوله تعالى:{فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} [مريم : ٥]، أي:" فارزقني مِن عندك ولدًا وارثًا ومعينًا"[16].

القرآن
{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)} [مريم : ٦]
التفسير:
يرث نبوَّتي ونبوة آل يعقوب، واجعل هذا الولد مرضيًا منك ومن عبادك.
قوله تعالى:{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} [مريم : ٦]، أي:" يرث نبوَّتي ونبوة آل يعقوب"[17].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٤٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٤٤.
(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٦٢٠.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/١٤٤.
(٥)تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٦٢٠.
(٦) انظر: النكت والعيون:٣/٣٥٥.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣/٣٥٥، والبحر المحيط في التفسير:٧/٢٤٠، واللباب في علوم الكتاب:١٣/٩.
(٨) انظر: معاني القرآن:٢/١٦١.
(٩) النكت والعيون:٣/٣٥٥.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٣/٣٥٥.
(١١) النكت والعيون:٣/٣٥٥.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٣/٣٥٥.
(١٣) التفسير الميسر:٣٠٥.
(١٤)البيت في ديوان عامر بن الطفيل، طبعة ليدن سنة ١٩١٣. والرواية فيه " فبئس " في مكان: " لبئس " وفي اللسان: العاقر التي لا تحمل، ورجل عاقر: لا يولد له، ونساء عقر، بضم العين وتشديد القاف المفتوحة.
(١٥) تفسير الطبري:١٨/١٤٥.
(١٦) التفسير الميسر:٣٠٥.
(١٧) التفسير الميسر:٣٠٥.

قال الطبري:" يقول: يرثني من بعد وفاتي مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب"[١].

وفي قوله تعالى:{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} [مريم : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة ، قاله أبو صالح[٢].

قال أبو صالح:" يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة"[٣].

قال أبو صالح:" يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء"[٤].

الثاني : يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة ، قاله الحسن[٥].

الثالث : يرثني العلم ويرث من آل يعقوب الملك ، قاله ابن عباس[٦].

الرابع : يرثني النبوة ويرث من آل يعقوب الأخلاق ، قاله عطاء[٧].

قال مجاهد:" كان وراثته علما، وكان زكريا من ذرية يعقوب"[٨].

وقال السدي:" يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب"[٩].

وعن الضحاك قوله: "{ويرث من ال يعقوب}، قال: السنة، والعلم"[١٠].

قال الكلبي : "وكان آل يعقوب أخواله وهو يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك ، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى"[١١].

قال مقاتل :" يرث مالي ويرث من آل يعقوب ابن ماثان علمهم ورياستهم في الأحبار ، وكان يعقوب وعمران «أبو مريم» أخوين ابنا ماثان ومريم ابنة عمران بن ماثان"[١٢].

وروى قتادة أن النبي -ﷺ- قال:« يرحم الله زكريا ما كان عليه من ورثة، ويرحم الله لوطا إن كان ليأوي إلى ركن شديد»[١٣].

قوله تعالى:{وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} [مريم : ٦]، أي:" واجعل هذا الولد مرضيًا منك ومن عبادك"[١٤].

قال مقاتل:" يعني: صالحا"[١٥].

قال الطبري:" يقول: واجعل يا رب الولي الذي تهبه لي مرضيا ترضاه أنت ويرضاه عبادك دينا وخلقا وخلقا"[١٦].

عن محمد بن كعب قال: "قال داود عليه السلام: «يا رب هب لي ابنا» فولد له ابن خرج عليه، فبعث إليه داود جيشا فقال: «إن أخذتموه سليما فابعثوا إلي رجلا أعرف السرور في وجهه، وإن قتلتموه فابعثوا إلي رجلا أعرف الشر في وجهه» فقتلوه فبعثوا إليه رجلا أسود،

---

(١) تفسير الطبري:١٤٥/١٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٤٥-١٤٦.

(٣) أخرجه الطبري:١٤٥/١٨.

(٤) أخرجه الطبري:١٤٦/١٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري:١٤٦/١٨.

(٦) انظر: النكت والعيون:٣٥٦/٣.

(٧) انظر: النكت والعيون:٣٥٦/٣.

(٨) أخرجه الطبري:١٤٦/١٨.

(٩) أخرجه الطبري:١٤٧/١٨.

(١٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٤٠):ص٢٣٩٨/٧.

(١١) النكت والعيون:٣٥٦/٣.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٦٢٠-٦٢١.

(١٣)أخرجه ابن عساكر (١٧٢/٦٤) . وأخرجه أيضا: ابن جرير فى التفسير:١٤٦/١٨.

(١٤) التفسير الميسر:٣٠٥.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢١/٢.

(١٦) تفسير الطبري:١٤٧/١٨.

فلما رآه علم أنه قتل، فقال: رب سألت إن تهب لي ابنا، فخرج علي؟! فقال: إنك لم تستثن. قال محمد بن كعب: لم يقل كما قال زكريا: {واجعله رب رضيا}"[١].

القرآن
{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧)} [مريم : ٧]
التفسير:
يا زكريا إنَّا نبشرك بإجابة دعائك، قد وهبنا لك غلامًا اسمه يحيى، لم نُسَمِّ أحدًا قبله بهذا الاسم.
قوله تعالى:{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى} [مريم : ٧]، أي:" يا زكريا إنَّا نبشرك بإجابة دعائك، قد وهبنا لك غلامًا اسمه يحيى"[٢].
قال الطبري:" فاستجاب له ربه، فقال له: يا زكريا إنا نبشرك بهبتنا لك غلاما اسمه يحيى"[٣].
قال مقاتل:" فاستجاب الله- عز وجل- لزكريا في الولد، فأتاه جبريل -وهو يصلي- فقال: {يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى}"[٤].
قال قتادة: " إن الملائكة شافهته بذلك مشافهة، وبشرته بيحيى"[٥].
عن قتادة، قوله "{يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى}، عبد أحياه الله للإيمان"[٦].
قوله تعالى:{لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} [مريم : ٧]، أي:" لم نُسَمِّ أحدًا قبله بهذا الاسم"[٧].
وفي قوله تعالى:{لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} [مريم : ٧]، ثلاثة أقوال:
أحدها : معناه: لم تلد العواقر مثله ولدا قط، قاله ابن عباس[٨].
قال الماوردي :"فيكون المعنى لم نجعل له مثلاً ولا نظيراً"[٩] .
الثاني : مثلا عدلا شبها. رواه ابن ابي نجيح عن مجاهد[١٠].
وقال سعيد بن جبير: شبيها"[١١].
الثالث : أي لم يسم قبله أحد بهذا الاسم، قاله ابن عباس-في رواية-[١٢]، قتادة[١٣]، وابن جريج[١٤]، والسدي[١٥]، وابن زيد[١٦]، وبه قال الفراء[١٧]، وابن قتيبة[١٨]، والطبري[١٩].
قال مقاتل:" لم يكن أحد من الناس فيما خلا يسمى يحيى، وإنما سماه: «يحيى»، لأنه أحياه من بين شيخ كبير وعجوز عاقر"[٢٠].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٤١):ص٢٣٩٨/٧.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٣) تفسير الطبري:١٤٧/١٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢١/٢.
(٥) أخرجه ابن المنذر(٤١٠):ص١٨٦/١.
(٦) أخرجه الطبري:١٤٧/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٨.
(٩) النكت والعيون:٣٥٧/٣.
(١٠) انظر: تفسير سفيان الثوري(٥٥٥: ٥: ١٨):ص١٨٢.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٤٦):ص٢٣٩٩/٧.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠٤٣):ص٢٣٩٩/٧.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٨.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٨.
(١٧) انظر: معاني القرآن:١٦٢/٢.
(١٨) انظر: غريب القرآن:٢٧٢.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:١٤٩/١٨.
(٢٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢١/٢.

قال الفراء:" لم يسم أحد بيحيى قبل يحيى بن زكريا"[1].
واختار الطبري القول الأخير، وقال :بأنه" أشبه بتأويل ذلك، وإنما معنى الكلام: لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحدا مسمى باسمه، والسمي: فعيل صرف من مفعول إليه"[2].
فوائد البيات:[١-٧]:
١- تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره بهذا الذي أخبر به عن زكريا عليه السلام.
٢- استحباب السرية في الدعاء لأنه أقرب إلى الاستجابة.
٣- وجود العقم في بعض النساء.
٤- قدرة الله تعالى فوق الأسباب وإن شاء تعالى أوقف الأسباب وأعطى بدونها.
٥- تقرير مبدأ أن الأنبياء لا يورثون فيما يخلفون من المال كالشاه والبعير١ وإنما يورثهم الله أولادهم في النبوة والعلم والحكمة.
٦- مشروعية تبشير الانسان بما يسره.

القرآن
{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨)} [مريم : ٨]
التفسير:
قال زكريا متعجبًا: ربِّ كيف يكون لي غلام، وكانت امرأتي عاقرًا لا تلد، وأنا قد بلغت النهاية في الكبر ورقة العظم؟
قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ} [مريم : ٨]، أي:" قال زكريا متعجبًا: ربِّ كيف يكون لي غلام"[3].
قال الصابوني:" وهو استفهام تعجب وسرور بالأمر العجيب"[4].
قال الطبري:يقول:" ومن أي وجه يكون لي ذلك"[5].
قال السدي:" يقول: من أين"[6].
وقال الربيع بن انس:" كيف يكون لي"[7].
قال يحيى بن سلام: قال الحسن:" أراد زكرياء أن يعلم كيف ذلك "[8].
قال البيضاوي:" استبعاداً من حيث العادة، أو استعظاماً أو تعجبا أو استفهاماً عن كيفية حدوثه"[9].
قوله تعالى:{وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا} [مريم : ٨]، أي:" وكانت امرأتي عاقرًا لا تلد"[10].
قال الطبري:يقول:" وامرأتي عاقر لا تحبل"[11].
قال أهل التفسير: "«العاقر»: من النساء، هي التي لا تلد، وهو القطع، لأنها ذات عقر من الأولاد، يقال منه: امرأة عاقر، ورجلٌ عاقرٌ ، ومنه قول عامر بن الطفيل[12]:
لَبِئْسَ الفَتَى! إنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِرًا جَبَانًا ، فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ مَحْضَرِ!!"[1] .

---

(١) معاني القرآن:١٦٢/٢ .
(٢) تفسير الطبري:١٤٩/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٤) صفوة التفاسير:١٩٤/٢.
(٥) تفسير الطبري:١٤٩/١٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧١):٦٤٤/٢.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧٢):٦٤٤/٢.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٢١٥/١.
(٩) تفسير البيضاوي:١٦/٢.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٥.
(١١) تفسير الطبري:١٤٩/١٨.
(١٢)ديوانه ١١٩ ، ومجاز القرآن ١ : ٩٢ ، وحماسة الشجري : ٧ وغيرها.

قوله تعالى:{وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا} [مريم : ٨]، أي:" وأنا قد بلغت النهاية في الكبر ورقة العظم؟"[٢].

قال البيضاوي:أي وقد" دركني كبر السن وأثر فيّ، وكان له تسع وتسعون ولامرأته ثمان وتسعون سنة"[٣].

قال أبو عبيدة:" أي: بلغت الكبر، والعرب تصنع مثل هذا تقول: هذا القميص لا يقطعني"[٤].

قال الطبري:" يقول: وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظام يابسها"[٥]،

قال مقاتل:" وكان زكريا يومئذ ابن خمس وسبعين سنة"[٦] .

وفي قوله تعالى:{وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا} [مريم : ٨]، أقوال:

أحدها : يعني: الكبر في السن، قاله ابن عباس[٧]، وقتادة[٨]، والضحاك[٩].

قال ابن كثير:" الظاهر أنه أخص من الكبر"[١٠].

قال قتادة : يقول: "هرما"[١١]، قال قتادة: "وكان ابن بضع وسبعين سنة"[١٢].

وقال مقاتل: "وكان زكريا يومئذ ابن خمس وسبعين سنة"[١٣].

الثاني : أنه نحول العظم ، قاله مجاهد[١٤].

الثالث : يعني: بؤسا من الكبر. قاله ابن عباس[١٥]، ومقاتل[١٦].

الرابع: أن «العتي»: الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له. قاله ابن زيد[١٧].

الخامس: أنه الذي غيره طول الزمان إلى اليبس والجفاف ، حكاه الماوردي عن ابن عيسى[١٨]، وأنشد قول الشاعر[١٩]:

إنما يعذر الوليد ولا يعذر ... من كان في الزمان عتياً

وقرأ ابن عباس : «عِسِيّاً»[٢٠]، وهي كذلك في مصحف أبيّ، من قولهم للشيخ إذا كبر :" قد عسا وعتا ومعناهما واحد"[٢١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٣٨١/٦، وتفسير البيضاوي:١٦/٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٣) تفسير البيضاوي:١٦/٢.
(٤) تفسير ابن المنذر(٤٣٤):ص١٩٢/١.
(٥) تفسير الطبري:١٤٩:١٨.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢١/٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٢١٥/٥.
(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٨٢/٥. وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(١٢)أخرجه الطبري:١٥٠/١٨ .
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢١/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٨.
(١٥) انظر: أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٨٢/٥، وعزاه إلى ابن الأنباري في "الوقف والابتداء"، والحاكم عن ميمون بن مهران عن نافع بن الأزرق عن ابن عباس.
(١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢١/٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٨.
(١٨) انظر: النكت والعيون:٣٥٧/٣.
(١٩) انظر: النكت والعيون:٣٥٧/٣، وتفسير العز بن عبدالسلام:٢٧٠/٢، وتفسير القرطبي:٨٣/١١، والدر المنثور:٤٨٢/٥، والبيت غير منسوب في تلك المصادر.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٨.
(٢١) النكت والعيون:٣٥٧/٣.

قال الطبري:" وكل متناه إلى غايته في كبر أو فساد، أو كفر، فهو عات وعاس"[١].

قال ابن عباس:" قد علمت السنة كلها، غير أني لا أدري أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف :{وقد بلغت من الكبر عتيا}، أو «عسيا»"[٢].

وقد ذكر أهل العلم في سبب قول زكريا-عليه السلام- :{رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ}[آل عمران:٤٠]، وجوها:

أحدها: أنه راجع ليعلم على أي حال يكون منه الولد ، بأن يُرَدّ هو وامرأته إلى حال الشباب ، أم على حال الكبر ، فقيل له : كذلك الله يفعل ما يشاء ، أي على هذه الحال ، وهذا قول الحسن[٣].

قال ابن عطية:" وهذا تأويل حسن يليق بزكرياء -عليه السلام-"[٤].

الثاني :لما نادى جبرائيل زكريا :{إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا}، فلما سمع النداء، جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله، إنما هو من الشيطان يسخر بك، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر، فشك وقال :{أنى يكون لي غلام}، يقول: من أين يكون {وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر}. قاله السدي[٥]، وعكرمة[٦].

الثالث: أنه قال ذلك استعظاماً لمقدور الله وتعجباً [٧].

الرابع: أنه إنما سأل لأنه نسي دعاءه لطول المدة بين الدعاء والبشارة وذلك أربعون سنة. قاله مكي[٨].

قال ابن عطية:" وهذا قول ضعيف المعنى"[٩].

قال الطبري:"يستثبت [زكريا] ربه الخبر، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد، الذي بشره الله به، لا إنكارا منه ﷺ حقيقة كون ما وعده الله من الولد، وكيف يكون ذلك منه إنكارا لأن يرزقه الولد الذي بشره به، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك بقوله: {فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب}، بعد قوله {إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا}"[١٠].

قال ابن كثير:" هذا تعجب من زكريا ، عليه السلام ، حين أجيب إلى ما سأل ، وبُشِّر بالولد ، ففرح فرحًا شديدًا ، وسأل عن كيفية ما يولد له ، والوجه الذي يأتيه منه الولد ، مع أن امرأته كانت عاقرًا لم تلد من أول عمرها مع كبرها ، ومع أنه قد كبر وعتا ، أي عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع"[١١].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أنه لا حرج على الإنسان في طلب ما تطمئن به نفسه، فزكريا-عليه السلام- لم يشكّ في خبر الله، لكن أراد أن يتقدم إليه الفرح والاستبشار بقوة البراهين، وخبر الله لاشك أنه برهان، لكن كلما ازدادت البراهين ازدادت قوة اليقين.

٢- جواز وصف الانسان بما يكره لغرض البيان لا القدح والعيب، لقوله:{ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ}.

٣- إثبات المشيئة لله تعالى، وهي مقرونة بالحكمة، لقوله: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان : ٣٠].

---

(١) تفسير الطبري:١٤٩/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:١٥٠/١٨.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣٩٢/١، وتفسير يحيى بن سلام:٢١٥/١.
(٤) المحرر الوجيز: ٤٣١/١.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/ ١٤٩، والمصدر نفسه(٧٠٠١):ص٣٨٢/٦.
(٦)انظر: تفسير الطبري(٧٠٠٢):ص٣٨٢/٦.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣٩٢/١.
(٨) انظر: المحرر الوجيز: ٤٣١/١.
(٩)المحرر الوجيز: ٤٣١/١.
(١٠) تفسير الطبري:١٤٩/١٨.
(١١) تفسير ابن كثير:٢١٤/٥.

القرآن

{قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩)} [مريم : ٩]

التفسير:

قال المَلَك مجيبًا زكريا عمَّا تعجَّب منه: هكذا الأمر كما تقول مِن كون امرأتك عاقرًا، وبلوغك من الكبر عتيًا، ولكنَّ ربك قال: خَلْقُ يحيى على هذه الكيفية أمر سهل هيِّن عليَّ، ثم ذكر الله سبحانه لزكريا ما هو أعجب مما سأل عنه فقال: وقد خلقتك أنت من قبل يحيى، ولم تكُ شيئًا مذكورًا ولا موجودًا.

قوله تعالى:{قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} [مريم : ٩]، أي:" قال المَلَك مجيبًا زكريا عمَّا تعجَّب منه: هكذا الأمر كما تقول مِن كون امرأتك عاقرًا، وبلوغك من الكبر عتيًا، ولكنَّ ربك قال: خَلْقُ يحيى على هذه الكيفية أمر سهل هيِّن عليَّ"(١).

قال مقاتل: " يعني: هكذا قال ربك إنه ليكون لك غلام"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال الله لزكريا مجيبا له {قال كذلك} يقول: هكذا الأمر كما تقول من أن امرأتك عاقر، وإنك قد بلغت من الكبر العتي، ولكن ربك يقول: خلق ما بشرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى علي هين، فهو إذن من قوله {قال ربك هو علي هيّن} كناية عن الخلق"(٣).

قال ابن كثير:" { قَالَ } أي الملك مجيبًا لزكريا عما استعجب منه : { كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ } أي : إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها { هَيِّنٌ } أي : يسير سهل على الله"(٤).

قوله تعالى:{وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا} [مريم : ٩]، أي:" وقد خلقتك أنت من قبل يحيى، ولم تكُ شيئًا مذكورًا ولا موجودًا"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك، وعقم زوجتك بأعجب من خلقك، فإني قد خلقتك، فأنشأتك بشرا سويا من قبل خلقي ما بشرتك بأني واهب لك من الولد، ولم تك شيئا، فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر، مع عتيك ووهن عظامك، واشتعال شيب رأسك"(٦).

قال ابن كثير:" ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه ، فقال : { وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا } كما قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان : ١]"(٧).

القرآن

{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)} [مريم : ١٠]

التفسير:

قال زكريا زيادة في اطمئنانه: ربِّ اجعل لي علامة على تحقُّق ما بَشَّرَتْني به الملائكة، قال: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس مدة ثلاث ليال وأيامها، وأنت صحيح معافى.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً} [مريم : ١٠]، أي:" قال زكريا زيادة في اطمئنانه: ربِّ اجعل لي علامة على تحقُّق ما بَشَّرَتْني به الملائكة"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢١/٢.

(٣) تفسير الطبري:١٥١/١٨.

(٤) تفسير ابن كثير:٢١٥/٥.

(٥) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٦) تفسير الطبري:١٥١/١٨.

(٧) تفسير ابن كثير:٢١٥/٥.

قال مقاتل: " يعني: علما للحبل، فسأل الآية بعد مشافهة جبريل"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال زكريا: يا رب اجعل لي علما ودليلا على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك، ليطمئن إلى ذلك قلبي"[٣].

قال ابن كثير:" أي : علامة ودليلا على وجود ما وعدتني ، لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني كما قال إبراهيم ، عليه السلام : { رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } الآية [البقرة : ٢٦٠]"[٤].

وفي قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً} [مريم : ١٠]، وجهان:

أحدهما : أنه سأل الله آية تدله على البشرى بيحيى منه لا من الشيطان لأن إبليس أوهمه ذلك ، قاله الضحاك .

قال السدي:" قال زكريا: رب فإن كان هذا الصوت منك فـ{اجعل لي آية}، قال: {آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا}"[٥].

قال ابن زيد:" قال: قال رب اجعل لي آية أن هذا منك"[٦].

الثاني : سأله آية تدله على أن امرأته قد حملت[٧].

قوله تعالى:{قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} [مريم : ١٠]، أي:" قال: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس مدة ثلاث ليال وأيامها، وأنت صحيح معافى"[٨].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: علامتك لذلك، ودليلك عليه أن لا تكلم الناس ثلاث ليال وأنت سوي صحيح، لا علة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام"[٩].

قال ابن كثير:" أي : علامتك أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوي من غير مرض ولا علة "[١٠].

قال عبدالرحمن السلمي:" اعتقل لسانه من غير مرض"[١١].

قال السدي:" اعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال"[١٢].

قال قتادة:" وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة، أخذ بلسانه حتى ما كان يفيض الكلام إلا أومأ إيماء"[١٣].

قال الربيع:" : ذكر لنا ، والله أعلم ، أنه عوقب ، لأن الملائكة شافهته مشافهة ، فبشرته بيحيى ، فسأل الآية بعدُ ، فأخِذَ بلسانه"[١٤] .

وفي قوله تعالى:{قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} [مريم : ١٠]، وجهان:

أحدهما : أنه اعتقل لسانه ثلاثاً من غير مرض وكان إذا أراد أن يذكر الله انطلق لسانه وإذا أراد أن يكلم الناس اعتقل ، وكانت هذه الآية ، قاله ابن عباس[١٥].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢١/٢.
(٣) تفسير الطبري:١٥١/١٨.
(٤) تفسير ابن كثير:٢١٥/٥.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧٥):ص٦٤٥/٢، والطبري:١٥١/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:١٥١/١٨.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣٥٨/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٩) تفسير الطبري:١٥١/١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٢١٥/٥.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧٦):ص٦٤٥/٢.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧٧):ص٦٤٥/٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨، والمصدر نفسه: (٧٠٠٥):ص٣٨٦/٦.
(١٤) أخرجه الطبري(٧٠٠٧):ص٣٨٦/٦-٣٨٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٥١/١٨-١٥٢.

قال ابن زيد:" فحبس لسانه، فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا، وهو في ذلك يسبح، ويقرأ التوراة ويقرأ الإنجيل، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم"[١].

قال وهب بن منبه:" أخذ الله بلسانه من غير سوء، فجعل لا يطيق الكلام، وإنما كلامه لقومه بالإشارة، حتى مضت الثلاثة الأيام التي جعلها الله آية لمصداق ما وعده من هبته له"[٢].

الثاني : اعتقل من غير خرس ، قاله قتادة[٣]، والسدي[٤].

قال السدي:" يقول: من غير خرس إلا رمزا، فاعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال"[٥].

وفي قوله تعالى:{سَوِيّاً} [مريم : ١٠]، وجهان من التفسير:

أحدهما : صحيحاً من غير خرس ، قاله ابن عباس[٦]، قتادة[٧]، وعكرمة[٨]، والسدي[٩]، وابن وابن زيد[١٠]، واختاره ابن كثير[١١].

قال مجاهد:" صحيحا لا يمنعك من الكلام مرض"[١٢].

الثاني : معناه: آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات، قاله ابن عباس[١٣].

قال الماوردي:"فيكون «السوي» على الوجه الأول راجعاً إلى لسانه ، وعلى الثاني إلى الليالي"[١٤].

قال مقاتل: " قال جبريل- عليه السلام- آيتك إذا جامعتها على طهر فحبلت، فإنك تصبح تلك الليلة لا تستنكر من نفسك خرسا ولا مرضا ولكن لا تستطيع الكلام، {ثلاث ليال سويا}، أنت فيهن سوي صحيح. فأخذ بلسانه عقوبة حين سأل الآية بعد مشافهة جبريل- عليهما السلام- ولم يحبس الله- عز وجل- لسانه عن ذكره ولا عن الصلاة"[١٥].

القرآن

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)} [مريم : ١١]

التفسير:

فخرج زكريا على قومه مِن مصلاه، وهو المكان الذي بُشِّر فيه بالولد، فأشار إليهم: أن سَبِّحوا الله صباحًا ومساءً شكرًا له تعالى.

قوله تعالى:{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ} [مريم : ١١]، أي:" فخرج زكريا على قومه مِن مصلاه، وهو المكان الذي بُشِّر فيه بالولد"[١٦].

قال ابن جريج:" أشرف على قومه من المحراب"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري:١٥٢/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:١٥٢/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨.
(٤) انظر: الطبري:١٥٢/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٥٢/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٥١/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨.
(١١) انظر: تفسير ابن كثير:٢١٥/٥.
(١٢) أخرجه الطبري:١٥٢/١٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨-١٥٣.
(١٤) النكت والعيون:٣٥٨/٣.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢١/٢-٦٢٢.
(١٦) التفسير الميسر:٣٠٥.
(١٧) أخرجه الطبري:١٥٣/١٨.

قال ابن زيد:" «المحراب»: مصلاه، وقرأ: {فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب}"[١].

قال السعدي: "«المحراب»: محل العبادة"[٢].

قال أبو عبيدة: "«المحراب»: سيد المجالس وأشرفها، وأكرمها، وكذلك هو من المساجد"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد "[٤]، وأما «المحراب»، فهو مقدم كل مجلس ومصلًّى ، وهو سيد المجالس وأشرفُها وأكرمُها ، وكذلك هو من المساجد ، ومنه قول عديّ بن زيد [٥]:

كَدُمَى العَاجِ فِي المَحَارِيبِ أَوْ   كالبَيْضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ

و«المحاريب» جمع «محراب»، وقد يجمع على«محارب»"[٦].

قوله تعالى:{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم : ١١]، أي:" فأشار إلى قومه: أن سَبِّحوا الله صباحًا ومساءً شكرًا له تعالى"[٧].

قال مقاتل:" يقول: كتب كتابا بيده وهو الوحي إليهم أن صلوا بالغداة والعشي"[٨].

قال الطبري:" يقول: أشار إليهم، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك، مما يفهم به عنه ما يريد، وقوله {أن سبحوا بكرة وعشيا}، يجوز في هذا الموضع أن يكون عنى به التسبيح الذي هو ذكر الله، فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح، ويجوز أن يكون عنى به الصلاة، فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين"[٩].

قال الإمام الشافعي:" فأفهمهم ما يقوم مقام الكلام، ولم يتكلم"[١٠].

قال محمد بن كعب القرظي:" أشار إليهم أن صلوا بكرة وعشيا"[١١].

عن مجاهد :"{فأوحى}: فأشار زكريا"[١٢].

قال وهب بن منبه:" الوحي: الإشارة"[١٣].

قال قتادة:" أومى إليهم أن صلوا بكرة وعشيا"[١٤].

وروي عن الحكم :"{فأوحى إليهم}، قال: كتب لهم"[١٥].

وروي عن مجاهد أيضا، قال:" كتب لهم في الأرض"[١٦].

قال السدي:" فكتب لهم في كتاب :{أن سبحوا بكرة وعشيا}"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري:١٥٣/١٨.
(٢) تفسير السعدي:٩٦٦.
(٣) تفسير ابن المنذر(٤٠٩):ص١٨٥/١.
(٤) تفسير الطبري:١٥٣/١٨.
(٥) ديوانه: ٤٥٥.
(٦) تفسير الطبري:٣٥٧/٦-٣٥٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٢/٢.
(٩) تفسير الطبري:١٥٣/١٨.
(١٠) تفسير الإمام الشافعي:١٠٦١/٣.
(١١) تفسير القرآن الجامع لابن وهب(٢٣٣):ص١١٨/٢.
(١٢) اخرجه الطبري:١٥٣/١٨.
(١٣) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.
(١٤) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.
(١٥) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.
(١٦) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.
(١٧) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.

وقال ابن زيد:" ما أدري كتابا كتبه لهم، أو إشارة أشارها، والله أعلم، قال ابن زيد: أمرهم أن سبحوا بكرة وعشيا، وهو لا يكلمهم"[١].

فوائد الآيات:[٩-١١]:

١- طلب معرفة السبب الذي يتأتى به الفعل غير قادح في صاحبه فسؤال زكريا عن الوجه الذي يأتي به الولد، كسؤال إبراهيم عن كيفية إحياء الموتى.
٢- جواز طلب العلامات الدالة على الشيء للمعرفة.
٣- جواز البحث عما يزيد به الإيمان، وإن كان الإيمان موجودا، والانسان مطلوب منه ان يقوي إيمانه بكل وسيلة.
٤- تمام قدرة الله سبحانه وتعالى بخوارق العادات، فإن كون زكريا –عليه السلام- لايكلم الناس إلا رمزا، لكن في باب التسبيح ينطلق لسانه.
٥- أن الإشارة تقوم مقام العبارة، لقوله:{أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}.
٦- فضل التسبيح في الصباح والمساء.

القرآن

{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢)} [مريم : ١٢]

التفسير:

فلما ولد يحيى، وبلغ مبلغًا يفهم فيه الخطاب، أمره الله أن يأخذ التوراة بجدٍ واجتهاد بقوله: يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد بحفظ ألفاظها، وفهم معانيها، والعمل بها، وأعطيناه الحكمة وحسن الفهم، وهو صغير السن.

قوله تعالى:{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} [مريم : ١٢]، أي:" يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد بحفظ ألفاظها، وفهم معانيها، والعمل بها"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فولد لزكريا يحيى، فلما ولد، قال الله له: يا يحيى، خذ هذا الكتاب بقوة، يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى، وهو التوراة {بقوّة}، يقول: بجد"[٣].

قال مجاهد:" يعني: بجد في طاعة الله عز وجل"[٤].

عن قتادة، قوله :{خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ}، قال: بجد"[٥].

قال الزجاج:" أي بجِدٍ وعونٍ من اللَّه - جلَّ وعزَّ –"[٦].

وقال سعيد بن جبير:" يقول: اعمل بما فيه من فرائضه"[٧].

وقال ابن زيد:" القوّة: أن يعمل ما أمره الله به، ويجانب فيه ما نهاه الله عنه"[٨].

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم : ١٢]، أي:" وأعطيناه الحكمة وحسن الفهم، وهو صغير السن"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال"[١٠].

---

(١) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٣) تفسير الطبري:١٥٥/١٨.
(٤) تفسير مجاهد:٤٥٤.
(٥) أخرجه الطبري:١٥٥/١٨.
(٦) معاني القرآن:٣٢١/٣.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٦٠):ص٢٤٠٠/٧.
(٨) أخرجه الطبري:١٥٥/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١٠) تفسير الطبري:١٥٥/١٨.

عبد الله بن المبارك، قال: "أخبرني معمر، ولم يذكره عن أحد في هذه الآية {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}، قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خُلقتُ، فأنزل الله :{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}"[١].

القرآن

{وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣)} [مريم : ١٣]

التفسير:

وآتيناه رحمة ومحبة من عندنا وطهارة من الذنوب، وكان خائفًا مطيعًا لله تعالى، مؤديًا فرائضه، مجتنبًا محارمه.

قوله تعالى:{وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا} [مريم : ١٣]، أي:" وآتيناه رحمة ومحبة من عندنا"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبيا"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا} [مريم : ١٣]، وجوه:

أحدها: معناه: ورحمة من عندنا. قاله ابن عباس[٤]، وقتادة[٥]، وعكرمة[٦]، والضحاك[٧].

قال الضحاك:" رحمة من عندنا لا يملك عطاءها غيرنا"[٨].

الثاني: معناه: ورحمة من عندنا لزكريا، آتيناه الحكم صبيا، وفعلنا به الذي فعلنا. حكاه الطبري عن آخرين[٩].

الثالث: معناه: وتعطفا من عندنا عليه، فعلنا ذلك. وهذا قول مجاهد[١٠].

الرابع: أن الحنان: المحبة. ومعنى الكلام: ومحبة من عندنا فعلنا ذلك. وهذا قلو عكرمة[١١]، وابن زيد[١٢].

الخامس: معناه: معناه تعظيما من لدنا. قاله عطاء بن أبي رباح[١٣].

وروي عن ابن عباس، قال: "والله ما أدري ما {حنانا}"[١٤].

وفي رواية:" لا أدري ما هو، إلا أني أظنه تعطف الله على خلقه بالرحمة"[١٥].

قوله تعالى:{وَزَكَاةً} [مريم : ١٣]، أي:" وآتيناه طهارة من الذنوب"[١٦].

قال الطبري:" هو الطهارة من الذنوب، واستعمال بدنه في طاعة ربه"[١٧].

قال الزجاج:" «الزكاة»: التطهير"[١٨].

عن ابن عباس: {وَزَكاةً}، قال: بركة"[١٩].

---

(١) أخرجه الطبري:١٥٥/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٣) تفسير الطبري:١٥٥/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:١٥٦/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:١٥٧/١٨.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٦٢):ص٢٤٠٠/٧.
(١٦) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١٧) تفسير الطبري:١٥٩/١٨.
(١٨) معاني القرآن:٣٢٢/٣.
(١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٦٤):ص٢٤٠٠/٧.

وروي عن ابن عباس :" يعني بـ«الزكاة»: الطاعة والإخلاص"(١).
عن قتادة، قوله: "{وَزَكَاةً}، قال: الزكاة: العمل الصالح"(٢).
قال ابن جريج:" الزكاة: العمل الصالح الزكيّ"(٣).
قال الضحاك:" يعني العمل الصالح الزاكي"(٤).
وقال الكلبي: يعني: صدقة تصدق الله بها على أبويه"(٥).
قوله تعالى:{وَكَانَ تَقِيًّا} [مريم : ١٣]، أي:" وكان خائفًا مطيعًا لله تعالى، مؤديًا فرائضه، مجتنبًا محارمه"(٦).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكان لله خائفا مؤدّيا فرائضه، مجتنبا محارمه مسارعا في طاعته"(٧).
قال البغوي:" مسلما ومخلصا مطيعا، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها"(٨).
بها"(٨).
عن ابن عباس :"{وَكَانَ تَقِيًّا}، قال: طهر فلم يعمل بذنب"(٩).
عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن قوله: "{وَكَانَ تَقِيًّا}، قال: لم يعصه ولم يهم بها"(١٠).
قال ابن زيد:" أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس"(١١).
قال ابن عباس:" كنا في حلقة في مسجد النبي ﷺ نتذاكر فضائل الأنبياء، فذكرنا نوحا وطول عبادته، وذكرنا إبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تذاكرون بينكم» فذكرنا له، فقال: أما إنه لا ينبغي إن يكون أحد خيرا من يحيى ابن زكريا، أما سمعتم الله كيف وصفه في القرآن يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله: وكان تقيا لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها»"(١٢).
عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب، إلا ما كان من يحيى بن زكريا»(١٣).
عن يحيى بن جعدة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد إن يقول: أنا خير من يحيى بن زكريا، ما هم بخطيئة ولا حاكت في صدره امرأة»(١٤).

القرآن
{وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤)} [مريم : ١٤]
التفسير:
وكان بارًّا بوالديه مطيعًا لهما، ولم يكن متكبرًا عن طاعة ربه، ولا عن طاعة والديه، ولا عاصيًا لربه، ولا لوالديه.
قوله تعالى:{وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ} [مريم : ١٤]، أي:" وكان بارًّا بوالديه مطيعًا لهما"(١).

---

(١) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٢٢٢/٥.
(٢) أخرجه الطبري:١٥٩/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:١٥٩/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:١٥٩/١٨.
(٥) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٢٢٢/٥.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٧) تفسير الطبري:١٥٩/١٨.
(٨) تفسير البغوي:٢٢٢/٥.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٦٤):ص٢٤٠١/٧، وكالطبري:١٥٩/١٨.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٦٥):ص٢٤٠١/٧.
(١١) أخرجه الطبري:١٥٩/١٨.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٦٦):ص٢٤٠١/٧.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٦٧):ص٢٤٠١/٧.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٦٨):ص٢٤٠١/٧.

قال مقاتل:" يقول: وجعلناه مطيعا لوالديه"[٢].
قال السمعاني:" أي: عطوفا"[٣].
قال الزجاج:" أي: وجعلناه براً بوالديه"[٤].
قال الطبري:يقول:" وكان برّا بوالديه، مسارعا في طاعتهما ومحبتهما، غير عاقّ بهما"[٥].
قال الواحدي:" «البر» يعني: البار، كالصب والطب، فعل بمعنى فاعل، والمعنى لطيفا بهما محسنا إليهما"[٦].
قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} [مريم : ١٤]، أي:" ولم يكن متكبرًا عن طاعة ربه، ولا عن طاعة والديه، ولا عاصيًا لربه، ولا لوالديه"[٧].
قال مقاتل:" يعني: متكبرا عن عبادة الله- عز وجل- {عصيا}، يعنى: ولا عاص لربه"[٨].
قال الطبري:يقول:" ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا يأتمر لما أمر به، وينتهي عما نُهِي عنه، لا يَعْصِي ربه، ولا والديه"[٩].

القرآن
{وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)} [مريم : ١٥]
التفسير:
وسلام من الله على يحيى وأمان له يوم وُلِد، ويوم يموت، ويوم يُبعث مِن قبره حيًا.
قوله تعالى:{وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ} [مريم : ١٥]، أي:" وسلام من الله على يحيى وأمان له يوم وُلِد"[١٠].
قال الطبري:" يقول: وأمان من الله يوم ولد، من أن يناله الشيطان من السوء، بما ينال به بني آدم، وذلك أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا[وذلك أنه لم يكن له ما للرجل إلا مثل هذا العود ولذلك سماه الله سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين][١١]»[١٢]"[١٣].
وقال قتادة: "ما أذنب، ولا هم بامرأة"[١٤].
قوله تعالى:{وَيَوْمَ يَمُوتُ} [مريم : ١٥]، أي:" سلام عليه من الله في يوم موته"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٢/٢.
(٣) تفسير السمعاني:٢٨٢/٣.
(٤) معاني القرآن:٣٢٢/٣.
(٥) تفسير الطبري:١٦٠/١٨.
(٦) التفسير الوسيط:١٧٩/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٢/٢.
(٩) تفسير الطبري:١٦٠/١٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١١) زيادة على رواية الطبري.
(١٢)أخرجه الحاكم (٤٠٤/٢، رقم ٣٤١١) ، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وابن عساكر (١٧٤/٦٤).
وأخرجه الطبري:١٦٠/١٨.
وفي رواية أخرى لابن عساكر:١٠٤/٦٤:" ليس أحد من الآدميين إلا قد عمل خطيئة أو هم بها إلا ما كان من يحيى بن زكريا".
(١٣) تفسير الطبري:١٦٠/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:١٦٠/١٨٨.

قال الطبري:" يقول: وأمان من الله تعالى ذكره له من فتاني القبر، ومن هول المطلع"(٢).

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} [مريم : ١٥]، أي:"سلام عليه من الله يوم يُبعث من قبره"(٣).

قال الطبري:" يقول: وأمان له من عذاب الله يوم القيامة، يوم الفزع الأكبر، من أن يروعه شيء، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق"(٤).

قال الحسن:" إن عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له عيسى: أنت خير مني، سلمت على نفسي، وسلم الله عليك، فعرف والله فضلها"(٥).

قوله «سلمت على نفسي»، يعني قوله تعالى: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم : ٣٣]، وقوله :« سلم الله عليك»، يقصد به قوله تعالى: {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ} [مريم : ١٥].

قال سفيان بن عيينة:" أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا، فخصه بالسلام عليه، فقال :{وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا}"(٦).

فوائد الآيات:[١٢-١٥]:

١- وجوب أخذ القرآن بجد وحزم قراءة وحفظا وعملا بما فيه.
٢- صدق قول أهل العلم من حفظ القرآن في سن ما قبل البلوغ فقد أوتي الحكم صبيا.
٣- وجوب البر بالوالدين ورحمتهما والحنان عليهما والتواضع لهما.

القرآن

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦)} [مريم : ١٦]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر مريم إذ تباعدت عن أهلها، فاتخذت لها مكانًا مما يلي الشرق عنهم.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ} [مريم : ١٦]، أي:" واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر مريم"(٧).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك بالحق مريم ابنة عمران"(٨).

قال يحيى بن سلام:" يقول للنبي: أي: اقرأه عليهم يعني أمر مريم"(٩).

قال أبو هلال العسكري:" أي: أذكر أمرها، فإن فيه عجبا"(١٠).

وقال السدي: "يقول: اذكر لأهل مكة أمر مريم"(١١).

---

(١) صفوة التفاسير:١٩٥/٢.
(٢) تفسير الطبري:١٦٠/١٨.
(٣) صفوة التفاسير:١٩٥/٢.
(٤) تفسير الطبري:١٦٠/١٨.
(٥) اخرجه الطبري:١٦٠/١٨-١٦١.
(٦) اخرجه الطبري:١٦٠/١٨-١٦١.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٨) تفسير الطبري:١٦١/١٨.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٢١٨/١.
(١٠) الوجوه والنظائر:٢٢٢.
(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام، انظر: التفسير:٢١٨/١.

قوله تعالى:{إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} [مريم : ١٦]، أي:" إذ تباعدت عن أهلها، فاتخذت لها مكانًا مما يلي الشرق عنهم"[١].

قال الطبري:" حين اعتزلت من أهلها، وانفردت عنهم، فتنحت واعتزلت من أهلها في موضع قبل مشرق الشمس دون مغربها، وقيل: إنها إنما صارت بمكان يلي مشرق الشمس، لأن ما يلي المشرق عندهم كان خيرا مما يلي المغرب، وكذلك ذلك فيما ذكر عند العرب"[٢].

قال قتادة:" أي: انفردت من أهلها"[٣]، "{مكانا شرقيا}، من قبل المشرق"[٤]، " شاسعا متنحيا"[٥].

قال السدي:" خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها، وهو قوله: {فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا}: في شرقي المحراب"[٦].

قال ابن عباس:" خرجت مكانا شرقيا"[٧].

قال ابن عباس:"مكانا أظلتها الشمس أن يراها أحد منهم"[٨].

قال ابن عباس:" إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة، لقول الله: {فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا}، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة"[٩].

وقال ابن عباس:" إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت، والحج لله، وما صرفهم عنهما إلا تأويل ربك {إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا}، فصلوا قبل مطلع الشمس"[١٠].

قال مجاهد:" قالت مريم عليها السلام: كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني، وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر"[١١].

القرآن

{فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)} [مريم : ١٧]

التفسير:

فجعلت مِن دون أهلها سترًا يسترها عنهم وعن الناس، فأرسلنا إليها الملَك جبريل، فتمثَّل لها في صورة إنسان تام الخَلْق.

قوله تعالى:{فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا} [مريم : ١٧]، أي:" فجعلت مِن دون أهلها سترًا يسترها عنهم وعن الناس"[١٢].

قال الطبري:" يقول: فاتخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن الناس، وذكر عن ابن عباس، أنها صارت بمكان يلي المشرق، لأن الله أظلها بالشمس، وجعل لها منها حجابا"[١٣].

عن السدي :"{فاتخذت من دونهم حجابا}، من الجدران"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢) تفسير الطبري:١٦١/١٨-١٦٢.
(٣) أخرجه الطبري:١٦١/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:١٦٢/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٦٢/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:١٦١/١٨-١٦٢.
(٧) أخرجه الطبري:١٦١/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:١٦٢/١٨-١٦٣.
(٩) أخرجه الطبري:١٦٢/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:١٦٢/١٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٧٤):ص٢٤٠٢/٧.
(١٢) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١٣) أخرجه الطبري:١٦٢/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:١٦٣/١٨.

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، أنه قال لعمر بن الخطاب:" لم استحب النصارى الحجب على مذابحهم؟ قال: إنما يستحب النصارى الحجب على مذابحهم ومناسكهم لقول الله سبحانه وتعالى: {فاتخذت من دونهم حجابا}"[١].

قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} [مريم : ١٧]، أي:" فأرسلنا إليها الملَك جبريل"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، واتخذت من دونهم حجابا: جبريل"[٣].

قال قتادة:" أرسل إليها فيما ذكر لنا جبريل"[٤].

قال السدي:" فلما طهرت، يعني مريم من حيضها، إذا هي برجل معها، وهو قوله {فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا}"[٥].

قال سعيد بن جبير:" نفخ جبريل في درعها، فبلغت حيث شاء الله"[٦].

قال أبو صالح:" بعث الله إليها ملكا فنفخ في جيبها، فدخل في الفرج"[٧].

وقرأ أبو نهيك وأبو حيوة: «فأرسلنا إليها روحنا»، بفتح الراء[٨].

قوله تعالى:{فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم : ١٧]، أي:" فتمثَّل لها في صورة إنسان تام الخَلْق"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فتشبه لها في صورة آدمي سوي الخلق منهم، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق"[١٠].

قال وهب بن منبه:" وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا"[١١].

قال أبيّ بن كعب:" تمثل لها روح عيسى في صورة بشر فحملته. قال: حملت الذي خاطبها دخل في فيها"[١٢].

قال ابن عباس: "جاءها في صورة شاب أبيض الوجه جعد قطط حين طر شاربه"[١٣].

قال المفسرون: "إنما تمثل لها في صورة الإنسان لتسأنس بكلامه ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرتْ ولم تقدر على السماع لكلامه"[١٤].

القرآن

{قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨)} [مريم : ١٨]

التفسير:

قالت مريم له: إني أستجير بالرحمن منك أن تنالني بسوء إن كنت ممن يتقي الله.

قال الطبري:" يقول : فخافت مريم رسولنا، إذ تمثل لها بشرا سويا، وظنته رجلا يريدها على نفسها، فقالت: إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك، تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٧٥):ص٢٤٠٢/٧.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٣) تفسير الطبري:١٦٣/١٨.
(٤)أخرجه الطبري:١٦٣/١٨ .
(٥)أخرجه الطبري:١٦٣/١٨ .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٧٨):ص٢٤٠٣/٧.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٧٦):ص٢٤٠٣/٧.
(٨) انظر: زاد المسير:١٢٤/٣.
(٩) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١٠) تفسير الطبري:١٦٣/١٨.
(١١)أخرجه الطبري:١٦٣/١٨ .
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٨٠):ص٢٤٠٣/٧.
(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:١٢٤/٣.
(١٤)صفوة التفاسير:١٩٦/٢ .

مني ما حرمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه؛ لأن من كان لله تقيا، فإنه يجتنب ذلك"(١).

قال الزجاج:" تأويله: إنى أَعُوذُ باللَّهِ مِنكَ، فإن كنت تقياً فَستتعظُ بتعوذي باللَّهِ منك"(٢).

قال ابن جريج:" خشيت أن يكون إنما يريدها على نفسها"(٣).

قال السدي:" فلما رأته فزعت منه"(٤).

عن عطاء بن يسار: "إن جبريل أتاها في صورة رجل فكشف الحجاب فلما رأته تعوذت منه، فنفخ في جيب درعها فبلغت، فذكر ذلك في المدينة، فهجر زكريا وترك، وكان قبل ذلك يستفتى ويأتيه الناس، حتى إن كان ليسلم على الرجل فما يكلمه"(٥).

قال الصابوني: " ودلَّ على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة في الحسن {قَالَتْ إني أَعُوذُ بالرحمن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً}"(٦).

قال الماوردي:" لأن مريم خافت جبريل على نفسها حين دنا فقالت:{إِنِّي أَعُوذُ}، أي: أمتنع {بِالرَّحْمَنِ مِنكَ}، فاستغاثت بالله في امتناعها منه"(٧).

قال القشيري:" ومعنى قولها «بالرحمن»، ولم تقل: «بالله» - أي: بالذي يرحمنى فيحفظنى منك"(٨).

قال الماوردي :"فإن قيل : فلم قالت:{إن كُنتَ تَقِيّاً}، و«التقي» مأمون وإنما يستعاذ من غير التقي ؟

ففيه وجهان :

أحدهما : أن معنى كلامها: إن كنت تقياً لله فستمتنع من استعاذتي وتنزجر عني من خوفه.

قال أبو وائل:" لقد علمت مريم إن التقي ذو نهية"(٩).

قال الجصاص:" لأن التقي هو الذي يعيذ من استعاذ بالله"(١٠).

قال مقاتل:{إن كنت تقيا}" يعني: مخلصا لله- عز وجل- تعبده"(١١).

قال الحسن: "أي: إن كنت تقيا له فاجتنبني"(١٢).

وحكي القشيري:أي:" إن كنت تعرف الله وتكون متقيا مخالفة أمره فإنى أعوذ بالله منك وأحذر عقوبته"(١٣).

قال الزمخشري:" أرادت إن كان يرجى منك أن تتقى الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به، فإنى عائدة به منك كقوله تعالى: {بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [هود : ٨٦]"(١٤).

الثاني : أنه كان اسماً لرجل فاجر من بني إسرائيل مشهور بالعهر يُسَمَّى: تقياً، فخافت أن يكون الذي جاءها هو ذلك الرجل المسمى: تقياً الذي لا يأتي إلا للفاحشة، فقالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، قاله بن عباس(١٥).

---

(١) تفسير الطبري:١٨/١٦٣-١٦٤.
(٢) معاني القرآن:٣/٣٢٣.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/١٦٤.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/١٦٤.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٧٩):ص٧/٢٤٠٣.
(٦)صفوة التفاسير:٢/١٩٦ .
(٧) النكت والعيون:٣/٣٦٣.
(٨) لطائف الإشارات:٢/٤٢٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٨١):ص٧/٢٤٠٣.
(١٠) أحكام القرآن:١/١٩٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٦٢٣.
(١٢)حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٢١٩ .
(١٣) لطائف الإشارات:٢/٤٢٣.
(١٤) الكشاف:٣/٩.
(١٥) انظر: النكت والعيون:٣/٣٦٣. ذكره أيضا ابن الأنباري، كما في زاد المسير:٣/١٢٤.

قال ابن الجوزي:"المعنى: إن كنت تتقي الله، فستنتهي بتعوذي منك، هذا هو القول عند المحققين"[١].

وفي قراءة علي رضي الله عنه، وابن مسعود، وأبي رجاء: «إلا أن تكون تقيا»[٢].

---

(١) زاد المسير:١٢٤/٣.
(٢) انظر: زاد المسير:١٢٤/٣.

القرآن
{قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)} [مريم : ١٩]
التفسير:
قال لها المَلَك: إنما أنا رسول ربك بعثني إليك؛ لأهب لك غلامًا طاهرًا من الذنوب.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فقال لها روحنا: إنما أنا رسول ربك يا مريم أرسلني إليك {لأهب لك غلاما زكيا}"(١).
قال الزمخشري:" أى إنما أنا رسول من استعذت به، لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع"(٢).
عن قتادة قوله: "{ غلاما زكيا}، قال: صالحا"(٣).
قال القشيري:" تعرف جبريل إليها بما سكن روعها، وقرن مقالته بالتبشير لها بعيسى عليه السلام"(٤).
وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء :«ليهب لك غلاما زكيا»، بمعنى: إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاما زكيا(٥).
قال الزجاج:" أكثر القراءة :{لأَهَبَ}، ورُوَيتَ «لِيَهبَ لكَ»، وكذلك قرأ أبو عمرو: «لِيَهَبَ لكِ كُلاماً زَكيا»"(٦).

القرآن
{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠)} [مريم : ٢٠]
التفسير:
قالت مريم للمَلَك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسسني بشر بنكاح حلال، ولم أكُ زانية؟
قوله تعالى:{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ} [مريم : ٢٠]، أي:" قالت مريم للمَلَك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسسني بشر بنكاح حلال"(٧).
قال الزجاج:" أي: لم يَمسَسْني بشر على جهة تَزَويج"(٨).
قال الزمخشري:" جعل «المس»: عبارة عن النكاح الحلال، لأنه كناية عنه، كقوله تعالى: {مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُن} [البقرة : ٢٣٧/ الأحزاب:٤٩]، {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاء} [النساء : ٤٣/ المائدة:٦] والزنا ليس كذلك، إنما يقال فيه: فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك، وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب"(٩).
قوله تعالى:{وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} [مريم : ٢٠]، أي:" ولم أكُ زانية"(١٠).
قال الزجاج:" أي: ولا قَرِبْت على غير حد التزويج"(١١).
عن سعيد بن جبير:" {ولم أك بغيا}، قال: زانية"(١٢).
قال ابن الجوزي:" معنى الآية: ليس لي زوج، ولست بزانية، وإنما يكون الولد من هاتين الجهتين"(١).

---

(١) أخرجه الطبري:١٦٤/١٨.
(٢) الكشاف:١٠/٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٨٢):ص٢٤٠٣/٧.
(٤) لطائف الإشارات:٤٢٣/٢.
(٥) حجة القراءات:٤٤٠، وانظر: تفسير الطبري:١٦٤/١٨.
(٦) معاني القرآن:٣٢٣/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٨) معاني القرآن:٣٢٣/٣.
(٩) الكشاف:١٠/٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١١) معاني القرآن:٣٢٣/٣.
(١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٨٣):ص٢٤٠٣/٧.

قال الزمخشري:" البغى: الفاجرة التي تبغى الرجال"[٢].
قال ابن الأنباري: "وإنما لم يقل: «بغية» لأنه وصف يغلب على النساء، فقلما تقول العرب: رجل بغي، فيجري مجرى حائض، وعاقر. وقال غيره: إنما لم يقل: «بغية» لأنه مصروف عن وجهه، فهو «فعيل» بمعنى: «فاعل»"[٣].

القرآن
{قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١)} [مريم : ٢١]
التفسير:
قال لها المَلَك: هكذا الأمر كما تصفين من أنه لم يمسسك بشر، ولم تكوني بَغِيًّا، ولكن ربك قال: الأمر عليَّ سهل؛ وليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى، ورحمة منَّا به وبوالدته وبالناس، وكان وجود عيسى على هذه الحالة قضاء سابقًا مقدَّرًا، مسطورًا في اللوح المحفوظ، فلا بد مِن نفوذه.
قوله تعالى:{قَالَ كَذَلِكِ} [مريم : ٢١]، أي:" ال لها المَلَك: هكذا الأمر كما تصفين من أنه لم يمسسك بشر، ولم تكوني بَغِيًّا"[٤].
قال الطبري:" قال لها جبريل: هكذا الأمر كما تصفين، من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغيا"[٥].
وقال الزجاج:" أي: الأمر على ما وصفت لكِ"[٦].
قوله تعالى:{قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} [مريم : ٢١]، أي:" ولكن ربك قال: الأمر عليَّ سهل"[٧].
قال الطبري:" ولكن ربك قال: خلق الغلام الذي قلت أن أهبه لك علي هين لا يتعذر علي خلقه، وهبته لك من غير فحل يفتحلك"[٨].
قال ابن الجوزي:" المعنى: أنه يسير علي أن أهب لك غلاما من غير أب"[٩].
قوله تعالى:{وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ} [مريم : ٢١]، أي:" وليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى"[١٠].
قال الطبري:" يقول: وكي نجعل الغلام الذي نهبه لك علامة وحجة على خلقي أهبه لك"[١١].
قال ابن الجوزي:" أي: دلالة على قدرتنا كونه من غير أب"[١٢].
قوله تعالى:{وَرَحْمَةً مِنَّا} [مريم : ٢١]، أي:" ورحمة منَّا به وبوالدته وبالناس"[١٣].
قال الطبري:" يقول: ورحمة منا لك، ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك"[١٤].

---
(١)زاد المسير:١٢٤/٣ .
(٢) الكشاف:١٠/٣.
(٣) زاد المسير:١٢٤/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٥) تفسير الطبري:١٦٥/١٨.
(٦) معاني القرآن٣٢٣/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٨) تفسير الطبري:١٦٥/١٨.
(٩)زاد المسير:١٢٤/٣ .
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١١) تفسير الطبري:١٦٥/١٨.
(١٢)زاد المسير:١٢٤/٣ .
(١٣) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١٤) تفسير الطبري:١٦٥/١٨.

قال مقاتل:" يعني ونعمة منا لمن تبعه على دينه"[١].

قوله تعالى:{وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا} [مريم : ٢١]، أي:" وكان وجود عيسى على هذه الحالة قضاء سابقًا مقدَّرًا، مسطورًا في اللوح المحفوظ، فلا بد مِن نفوذه"[٢].

قال الطبري:" يقول: وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله، ومضى في حكمه وسابق علمه أنه كائن منك"[٣].

قال وهب بن منبه:" أي: أن الله قد عزم على ذلك، فليس منه بد"[٤].

قال مقاتل:" قضى الله- عز وجل- في اللوح المحفوظ أنه كائن لا بد"[٥].

قال الزجاج:" أي: وكانَ أمراً سَابقاً في علم اللَّهِ - عز وجل - أنْ يقعَ"[٦].

قال ابن الجوزي:" أي: وكان خلقه أمرا محكوما به، مفروغا عنه، سابقا في علم الله تعالى كونه"[٧].

فوائد الآيات:[١٦-٢١]:

١- بيان شرف مريم وكرامتها على ربها.
٢- فضيلة العفة والحياء.
٣- كون الملائكة يتشكلون كما أذن الله تعالى لهم.
٤- مشروعية التعوذ بالله من كل ما يخاف من إنسان أو جان.
٥- التقوى مانعة من فعل الأذى بالناس أو إدخال الضرر عليهم.
٦- خلق عيسى آية مبصرة تتجلى فيها قدرة الله تعالى على الخلق بدأ وإعادة.

القرآن

{فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢)} [مريم : ٢٢]

التفسير:

فحملت مريم بالغلام بعد أن نفخ جبريل في جَيْب قميصها، فوصلت النفخة إلى رَحِمِها، فوقع الحمل بسبب ذلك، فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس.

قوله تعالى:{فَحَمَلَتْهُ} [مريم : ٢٢]، أي:" فحملت مريم بالغلام بعد أن نفخ جبريل في جَيْب قميصها، فوصلت النفخة إلى رَحِمِها، فوقع الحمل بسبب ذلك"[٨].

قال ابن جريج: يقولون: إنه إنما نفخ في جيب درعها وكمها"[٩].

قال وهب:" ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت"[١٠].

قال وهب:" لما قال ذلك، يعني لما قال جبريل :{قال كذلك قال ربك هو علي هين} .... الآية استسلمت لأمر الله، فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها"[١١].

قال السدي:" طرحت عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها، فأخذ جبريل بكميها، فنفخ في جيب درعها، وكان مشقوقا من قدامها، فدخلت النفخة صدرها، فحملت، فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها؛ فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكريا: يا مريم أشعرت أني

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٤/٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٣) تفسير الطبري:١٦٥/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:١٦٥/١٨.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٤/٢.
(٦) معاني القرآن٣٢٣/٣.
(٧)زاد المسير:١٢٤/٣ .
(٨) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٩) أخرجه الطبري:١٦٦/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:١٦٦/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:١٦٦/١٨.

حبلى، قالت مريم: أشعرت أيضا أني حبلى، قالت امرأة زكريا: إني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك، فذلك قوله :{مصدقا بكلمة من الله}"[١].

قوله تعالى:{فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا} [مريم : ٢٢]، أي:" فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس"[٢].

قال الطبري:" يقول: فاعتزلت بالذي حملته، وهو عيسى، وتنحت به عن الناس مكانا قصيا يقول: مكانا نائيا قاصيا عن الناس، يقال: هو بمكان قاص، وقصي بمعنى واحد، كما قال الراجز[٣]:

لَتَقْعُدِنَّ مَقْعَدَ القَصِيِّ ... مِنِّي ذي القاذُوَرةِ المَقْلِي"[٤].

عن مجاهد، قوله :"{مَكَانًا قَصِيًّا}، قال: قاصيا"[٥].

قال السدي:" لما بلغ أن تضع مريم، خرجت إلى جانب المحراب الشرقي منه فأتت أقصاه"[٦].

القرآن

{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣)} [مريم : ٢٣]

التفسير:

فألجأها طَلْقُ الحمل إلى جذع النخلة فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم، وكنت شيئًا لا يُعْرَف، ولا يُذْكَر، ولا يُدْرَى مَن أنا؟

قوله تعالى:{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} [مريم : ٢٣]، أي:" فألجأها طَلْقُ الحمل إلى جذع النخلة"[٧].

قال مقاتل:" ألجأها المخاض"[٨].

قال السدي:" ألجأها المخاض إلى جذع النخلة"[٩].

قال قتادة:" اضطرّها إلى جذع النخلة"[١٠].

واختلف أهل العلم في المكان الذي انتبذت مريم بعيسى لوضعه، وأجاءَها إليه المخاض، على قولين:

أحدهما:أنه كان ذلك في أدنى أرض مصر، وآخر أرض الشأم، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت، فتوجهت نحو مصر هاربة منهم. قاله وهب بن منبه[١١].

---

(١) أخرجه الطبري:١٦٦/١٨.

(٢) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٣)البيتان لرؤبة ابن العجاج الراجز (انظر فوائد القلائد في مختصر الشواهد للعيني ص ١١٥ - ١١٦) وبعدهما بيتان آخران وهما: أو تحلفي بربك العلي ... أنى أبو ذيا لك الصبي

ومقعد القصي: إما مفعول مطلق. على أن يكون المقعد بمعنى القعود أو على أنه مفعول فيه، أي في مقعد القصي، أي البعيد، من قصا المكان يقصو: إذا بعد. ويقال رجل قاذورة: أي لا يخالط الناس، لسوء خلقه. والمقلي المبغض من قلاه يقليه قلى بالكسر. وهما صفتان للقصي. وفي (لسان العرب: قصا) قصا عنه قصوا، وقصوا وقصا وقصاء، وقصي (بكسر الصاد) : بعد وقصا المكان يقصو قصوا (على فعول) : بعد. والقصي والقاصي: البعيد، والجمع: أقصاء فيهما، كشاهد وأشهاد، ونصير وأنصار.

(٤) تفسير الطبري:١٦٧/١٨.

(٥) أخرجه الطبري:١٦٧/١٨.

(٦) أخرجه الطبري:١٦٧/١٨.

(٧) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٨) أخرجه الطبري:١٦٨/١٨.

(٩) أخرجه الطبري:١٦٨/١٨.

(١٠) أخرجه الطبري:١٦٨/١٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري:١٦٩/١٨.

قال وهب بن منبه:" لما اشتملت مريم على الحمل، كان معها قَرابة لها، يقال له يوسف النَّجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد، في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما، تحبيره وكناسته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهادًا وعبادة منهما، فكان أوّل من أنكر حمل مريم صاحِبُها يوسف؛ فلما رأى الذي بها استفظعه، وعظم عليه، وفظع به، فلم يدر على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد يوسف أن يتهمها، ذكر صلاحها وبراءتها، وأنها لم تغب عنه ساعة قطّ؛ وإذا أراد أن يبرئها، رأى الذي ظهر عليها؛ فلما اشتدّ عليه ذلك كلمها، فكان أوّل كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته، وقد حَرَصت على أن أميته وأكتمه في نفسي، فغلبني ذلك، فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري، قالت: فقل قولا جميلا قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك، فحدثيني، هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم، قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر؛ أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كلّ واحد منهما وحده، أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون، قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك، ثم تولى يوسف خدمة المسجد، وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه، وذلك لما رأى من رقة جسمها، واصفرار لونها، وكلف وجهها، ونتوّ بطنها، وضعف قوّتها، ودأب نظرها، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك؛ فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن أخرجي من أرض قومك، فإنهم إن ظفروا بك عيروك، وقتلوا ولدك، فأفضت ذلك إلى أختها، وأختها حينئذ حُبلى، وقد بشرت بيحيى، فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما في بطنها خرّ لوجهه ساجدا معترفا لعيسى، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخما لأرض مصر في منقطع بلاد قومها، أدرك مريم النفاس، ألجأها إلى آريّ حمار، يعنى مذود الحمار، وأصل نخلة، وذلك في زمان أحسبه بردا أو حرّا "الشكّ من أبي جعفر"، فاشتدّ على مريم المخاض؛ فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفًا محدقين بها"(١).

وفي رواية أخرى قال وهب بن منبه:" قال: لما حضر ولادُها، يعني مريم، ووجدت ما تجد المرأة من الطلق، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة إليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء، فوضعته عندها"(٢).

الثاني: أنها خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها إلى جانب المحراب الشرقي منه، فأتت أقصاه فألجأها المخاض إلى جِذْع النخلة، وهذا قول السدي(٣).

قال ابن عباس:" ما هي إلا أن حملت فوضعت"(٤).

قوله تعالى:{قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} [مريم : ٢٣]، أي:" فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم"(٥).

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/١٦٩-١٧٠.
(٢) أخرجه الطبري:١٨/١٧٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٦١-١٦٢.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/١٧٠.
(٥) التفسير الميسر:١/٣٠٦.

قال الطبري:" تقول: يا ليتني مِتُّ قبل هذا الكرب الذي أنا فيه، والحزن بولادتي المولود من غير بَعْل"[١].

قال السدي:" قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس"[٢].

قوله تعالى:{وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} [مريم : ٢٣]، أي: وكنت شيئًا لا يُعْرَف، ولا يُذْكَر، ولا يُدْرَى مَن أنا؟"[٣].

قال الطبري:" قالت: ليتني كنت الشيء الذي ألقي، فترك ونسي"[٤].

قال السدي:" أي شيئا لا يعرف ولا يذكر"[٥].

قال قتادة:" لا أعرف ولا يدرى من أنا"[٦].

قال ابن زيد:" لم أكن في الأرض شيئًا قط"[٧].

قال السدي:" يقول: نِسيا: نُسي ذكري، ومنسيا: تقول: نسي أثري، فلا يرى لي أثر ولا عين"[٨].

عن ابن عباس، قوله: "{يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا}، لم أخلق، ولم أك شيئا"[٩].

عن الربيع بن أنس :"{نَسْيًا مَنْسِيًّا}، قال: هو السقط"[١٠].

القرآن

{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)} [مريم : ٢٤]

التفسير:

فناداها جبريل أو عيسى: أن لا تَحزني، قد جعل ربك تحتك جَدْول ماء.

قوله تعالى:{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي} [مريم : ٢٤]، أي:" فناداها جبريل أو عيسى: أن لا تَحزني"[١١].

عن قتادة :"{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا}، أي: من تحت النخلة"[١٢].

قال الضحاك:" يعني: جبرائيل كان أسفل منها"[١٣].

وفي قوله تعالى:{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي} [مريم : ٢٤]، قولان:

أحدهما : أن المنادي لها من تحتها جبريل ، قاله ابن عباس[١٤]، وسعيد بن جبير-في رواية-[١٥]،وقتادة[١٦]، والضحاك[١٧]، والسدي[١٨]، عمرو بن ميمون[١٩]، والبراء[١].

---

(١) تفسير الطبري:١٧١/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:١٧١/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٤) تفسير الطبري:١٧١/١٨.
(٥) اخرجه الطبري:١٧٢/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:١٧٢/١٨.
(٧) اخرجه الطبري:١٧٢/١٨.
(٨) اخرجه الطبري:١٧٢/١٨.
(٩) اخرجه الطبري:١٧٢/١٨.
(١٠) اخرجه الطبري:١٧٢/١٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١٢) أخرجه الطبري:١٧٣/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:١٧٣/١٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٧٢/١٨-١٧٣.
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٠٩٥):ص٢٤٠٤/٧.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٧٣/١٨.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:١٧٣/١٨.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:١٧٣/١٨.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:١٧٣/١٨.

قال ابن عباس:" ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها"[٢].
قال سعيد بن جبير:" جبريل من أسفل الوادي"[٣].
قال قتادة:" أي: الملك من تحت النخلة"[٤].

الثاني : أنه عيسى ابنها ، قاله أبيّ بن كعب، الحسن[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، ومجاهد[٧]، ووهب بن منبه[٨].

قال أبيّ بن كعب:"الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها ودخل من فيها"[٩].

قال ابن جرير الطبري:" وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فردّه على الذي هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذي هو أبعد منه"[١٠].

قال ابن زيد:" قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي، لا ذات زوج فأقول من زوج، ولا مملوكة فأقول من سيدي، أي شيء عذري عند الناس :{يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا}، فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام"[١١].

وفي قوله :{مِنْ تَحْتِهَا}[مريم : ٢٤]، وجهان :

أحدهما : من أسفل منها في الأرض وهي فوقه على رأسه، قاله الكلبي[١٢].

الثاني : من بطنها، بالقبطية. حكاه الماوردي عن بعض المتكلمين[١٣].

ورويعن علقمة أنه قرأ: «فَخَاطَبَهَا مِنْ تَحْتِهَا»[١٤].

وقرئ:« مَنْ تَحْتِهَا»، بفتح الميم[١٥].

قوله تعالى:{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم : ٢٤]، أي:" قد جعل ربك تحتك جَدْول ماء"[١٦].

وفي قوله تعالى:{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم : ٢٤]، قولان:

أحدهما : أن السريّ هو ابنها عيسى، لأن «السري»: هو الرفيع الشريف، مأخوذ من قولهم: فلان من سروات قومه، أي: من أشرافهم ، قاله الحسن[١٧]، وابن زيد[١٨].

فعلى هذا يكون عيسى هو المنادي من تحتها: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}.

قال ابن عباس:" السريّ: النهر الذي كان تحت مريم حين ولدته كان يجري يسمى سَرِيا"[١٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٠٩٤):ص٢٤٠٤/٧.
(٢) أخرجه الطبري:١٧٣/١٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٩٥):ص٢٤٠٤/٧.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٩٨):ص٢٤٠٤/٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٧٤/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٧٤/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٧٤/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٧٤/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:١٧٤/١٨.
(١٠) تفسير الطبري:١٧٤/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:١٧٥/١٨.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٣٦٤/٣.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٣٦٥/٣.
(١٤) أخرجه الطبري:١٧٣/١٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٧٥/١٨.
(١٦) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٠٠):ص٢٤٠٥/٧وانظر: النكت والعيون:٣٦٥/٣.
(١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣١٠٢):ص٢٤٠٥/٧.
(١٩) أخرجه الطبري:١٧٦/١٨.

قال ابن زيد:" "يريد نفسه، أي: سرى أسرى منه، قيل: فالذين يقولون «السري»: البحر، قال: ليس كذلك، لو كان كذلك لكان يكون إلى جنبها ولا يكون النهر تحتها"[١].
الثاني : أن «السريّ»: هو النهر ، قاله ابن عباس[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة، والضحاك[٥]، وإبراهيم[٦]، والسدي[٧]، معمر[٨]، وابن جريج[٩]، وعمرو بن ميمون الأوْدِيّ[١٠].
الأوْدِيّ[١٠].
وذلك لتكون النخلة لها طعاماً ، والنهر لها شراباً، وعلى هذا يكون جبريل هو المنادي لها {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}.
وروي عن وهب بن منبه، قال:" يعني: ربيع الماء"[١١].
قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قيل من قال: عنى به الجدول-أي النهر الصغير-، وذلك أنه أعلمها ما قد أتاها الله من الماء الذي جعله عندها، وقال لها {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي} من هذا الرطب {وَاشْرَبي} من هذا الماء {وَقَرِّي عَيْنًا} بولدك، والسريّ معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير؛ ومنه قول لبيد[١٢]:
فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وَصَدَّعا ... مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلامُها
ويُروى:فينا مسجورة، ويُروى أيضًا: فغادرا"[١٣].
وفي قوله تعالى {سَرِيًّا} [مريم : ٢٤]، قولان:
احدهما: أنه لفظ أعجمي.
عن مجاهد: قوله: "{سريا}، قال: نهرا بالسريانية"[١٤].
عن الضحاك، قال: "جدول صغير بالسريانية"[١٥].
وعن سعيد بن جبير قوله: "{سريا}، قال: نهرا بالقبطية"[١٦].
الثاني: أنه عربي مشتق من :«السراية»، فَسُمِّيَ: «السريّ»، لأنه يجري فيه، ومنه قول الشاعر[١٧]:

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٠٢):ص٧/٢٤٠٥.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٠٣):ص٧/٢٤٠٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٧٦.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٠٤):ص٧/٢٤٠٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٧٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٧٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٧٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٧٧.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٧٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٧٦.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/١٧٧.
(١٢)البيت للبيد بن ربيعة العامري، من معلقته المشهورة (انظره في شرح الزوزني على المعلقات السبع، وفي شرح التبريزي على القصائد العشر، وفي جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ - ٧٤) . قال صاحب الجمهرة: توسطا؛: أي دخلا وسطه. وعرض السري: أي ناحية النهر، وأهل الحجاز. يسمون النهر سريا. وصدعا: أي فرقا. ومسجورة: أي عينا مملوءة؛ قال الله تعالى: (والبحر المسجور) وأقلامها، ويروى قلامها، وهو ضرب من الشجر الحمض، والأقلام: قصب اليراع. وقال الزوزني يقول: فتو سط العير والأتان جانب النهر الصغير، وشقا عينا مملوءة ماء، قد تجاوز قلامها، أي قد كثر هذا الضرب من النبت عليها. وتحرير المعنى: أنهما قد ورد عينا ممتلئة ماء، فدخلا فيها من عرض نهرها، وقد تجاور نبتها. والشاهد في قوله " السري " وهو اسم للنهر الصغير.
(١٣) .تفسير الطبري:١٨/١٧٧-١٧٨
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٠٤):ص٧/٢٤٠٥.
(١٥)أخرجه الطبري:١٨/١٧٧ .
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٠٥):ص٧/٢٤٠٥.
(١٧) انظر: مسائل نافع بن الأزرق:١١٦، و الإتقان : ١/ ١٢٧، والنكت والعيون:٣/٣٦٦.
الخليقة: السليقة والطبيعة والعادة.

سهل الخليقة ماجد ذو نائل ... مثل السريّ تمدّه الأنهار

قال قتادة:"«السريّ»: هو الجدول، تسميه أهل الحجاز"[1].

قال الماوردي:" وقيل : إن اسم السري يطلق على ما يعبره الناس من الأنهار وثباً، وروى أبان بن تغلب في تفسيره القرآن خبراً عن عدد لم يسمهم أن رسول الله -ﷺ- بعث شداد بن ثمامة مصدقاً لبني كعب بن مذحج وكتب له كتاباً : «عَلَى مَا سَقَتْهُ المَرَاسِمُ وَالجَدَاوِلُ وَالنَّوَاهِرُ وَالدَّوَافِعُ العُشْرُ وَنِصْفُ العشر بقيمة عَدْلٍ إلاَّ الضَّوَامَرَ وَاللَّوَاقِحَ وَمَا أَطل الصور من الجفن . وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ شَاةً شَاةٌ إلاَّ العَقِيلَ وَالأَكِيلَ وَالربِيَّ . ومن كل ثلاثين بقرةً جِذْعٌ أَوْ جِذْعَةٌ إلاَّ العَاقِرَ وَالنَّاشِطَ وَالرَّاشِحَ . وَمِن كُلِّ خَمْسٍ مِنَ الإبِلِ المُوَّبلَةِ مُسِنَّةٌ مِنَ الغَنَمِ . وَلاَ صَدَقَةَ فِي الخَيلِ وَلاَ فِي الإبِلِ العَامِلَةِ . شَهِدَ جرِيرٌ بِن عَبدِ اللَّهِ بن جَابرٍ البَجْلِي وَشَدَّادُ بن ثُمَامَةَ وَكَتَبَ المُغِيرَةُ بن شُعْبَةِ»[2].

قال المارودي :"فالمراسل العيون ، والجداول الأنهار الصغار ، والنواهر الدوالي ، والدوافع الأودية ، والضوامر ما لم تحمل من النخل ، واللواقح الفحول ، والجفن الكرم ، وما أطلاه من الزرع عفو ، والعقيل فحل الغنم والأيل الذي يُرَبَّى للأكل . والربي التي تربي ولدها والعاقر من البقر التي لا تحمل ، والناشط الفحل الذي ينشط من أرض إلى أرض والراشح الذي يحرث الأرض"[3].

القرآن

{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)} [مريم : ٢٥]

التفسير:

وحَرِّكي جذع النخلة تُسَاقِطْ عليك رطبًا غَضًّا جُنِيَ مِن ساعته.

قوله تعالى:{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ} [مريم : ٢٥]، أي:" وحَرِّكي جذع النخلة"[4].

قال الطبري:" ذكر أن الجذع كان جذعًا يابسًا، وأمرها أن تهزّه، وذلك في أيام الشتاء، وهزّها إياه كان تحريكه"[5].

عن ابن زيد:"{ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ}، قال: حركيها"[6].

قال ابن عباس:" كان جذعًا يابسًا، فقال لها: هزّيه :{تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}"[7].

وروي عن مجاهد:"{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ}، قال: النخلة"[8]، وفي رواية قال:"العجوة؟"[9].

قوله تعالى:{تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [مريم : ٢٥]، أي:" تُسَاقِطْ عليك رطبًا غَضًّا جُنِيَ مِن ساعته"[10].

قال وهب:" فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء"[11].

قال السدي:" وكان جذعا منها مقطوعا فهزّته، فإذا هو نخلة، وأجري لها في المحراب نهر، فتساقطت النخلة رطبًا جنيا فقال لها :{فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا}"[1].

الماجد: الشريف الخيّر، والحسن الخلق السّمح: الجمع: أمجاد وماجدون ومجدة. النائل: ما ينال والجود والعطاء.

(١) أخرجه الطبري:١٨/١٧٧.

(٢) النكت والعيون:٣/٣٦٦.

(٣) النكت والعيون:٣/٣٦٦.

(٤) التفسير الميسر:١/٣٠٦.

(٥) تفسير الطبري:١٨/١٧٨.

(٦) أخرجه الطبري:١٨/١٧٨.

(٧) أخرجه الطبري:١٨/١٧٨.

(٨) أخرجه الطبري:١٨/١٧٩.

(٩) أخرجه الطبري:١٨/١٧٩.

(١٠) التفسير الميسر:١/٣٠٦.

(١١) أخرجه الطبري:١٨/١٧٨.

عن عمرو بن ميمون، أنه تلا هذه الآية:{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}، فقال: "ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب"[٢].

---

(١) أخرجه الطبري:١٧٨/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:١٧٨/١٨.

القرآن

{فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦)} [مريم : ٢٦]

التفسير:

فكلي من الرطب، واشربي من الماء وطيبي نفسًا بالمولود، فإن رأيت من الناس أحدًا فسألك عن أمرك فقولي له: إني أَوْجَبْتُ على نفسي لله سكوتًا، فلن أكلم اليوم أحدًا من الناس.

قوله تعالى:{فَكُلِي وَاشْرَبِي} [مريم : ٢٦]، أي:" فكلي من الرطب، واشربي من الماء"(١).

قال الطبري:" فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك، واشربي من ماء السريّ الذي جعله ربك تحتك، لا تخشي جوعًا ولا عطشًا"(٢).

قوله تعالى:{وَقَرِّي عَيْنًا} [مريم : ٢٦]، أي:" وطيبي نفسًا بالمولود"(٣).

قال الطبري:" يقول: وطيبي نفسا وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني، أي: ولتقرِر عينك بولدك"(٤).

قوله تعالى:{فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا} [مريم : ٢٦]، أي:" فإن رأيت من الناس أحدًا فسألك عن أمرك"(٥).

قال الطبري:" يقول: فإن رأيت من بني آدم أحدا يكلمك أو يسائلك عن شيء أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتكه "(٦).

قوله تعالى:{فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا} [مريم : ٢٦]، أي:" فقولي له: إني أَوْجَبْتُ على نفسي لله سكوتًا"(٧).

قال الطبري:" يقول: فقولي: إني أوجبت على نفسي لله صمتا"(٨).

عن أنس بن مالك :"{إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}، صمتا"(٩).

قال ابن عباس:" يعني بالصوم: الصمت"(١٠).

قال قتادة:" أما قوله :{صَوْما}، فإنها صامت من الطعام والشراب والكلام"(١١).

قوله تعالى:{فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} [مريم : ٢٦]، أي:" فلن أكلم اليوم أحدًا من الناس"(١٢).

قال الطبري:" ألا أُكَلِّم أحدًا من بني آدم اليوم"(١٣).

قال الضحاك:" كان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام، إلا مِن ذكر الله، فقال لها ذلك، فقالت: إني أصوم من الكلام كما أصوم مِنْ الطعام، إلا من ذكر الله؛ فلما كلموها أشارت إليه، فقالوا :{كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}، فأجابهم فقال {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ}، حتى بلغ {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ}"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢) تفسير الطبري:١٨١/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٤) تفسير الطبري:١٨١/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٦) تفسير الطبري:١٨١/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٨) تفسير الطبري:١٨١/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:١٨٢/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨٢/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:١٨٣/١٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣٠٧.
(١٣) تفسير الطبري:١٨١/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:١٨٣/١٨.

واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر، على أقوال:
أحدها: أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة، وذلك أنها جاءت وهي أيّم بولد بالكفّ عن الكلام ليكفيها فأمرت الكلام ولدها. وهذا معنى قول عبدالله بن مسعود(١)، وابن زيد(٢)، ووهب بن منبه(٣).

عن حارثة، قال: "كنت عند ابن مسعود، فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر، فقال: ما شأنك؟ فقال أصحابه: حلف أن لا يكلم الناس اليوم، فقال عبد الله: كلم الناس وسلم عليهم، فإن تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدّقها أنها حملت من غير زوج، يعني بذلك: مريم عليها السلام"(٤).

قال ابن زيد :"لما قال عيسى لمريم {لا تَحْزَنِي}، قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي، لا ذات زوج ولا مملوكة، أي شيء عذري عند الناس :{يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا}، فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام: {فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا}، قال: هذا كله كلام عيسى لأمه"(٥).

عن وهب بن منبه :"{فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا}، فإني سأكفيك الكلام"(٦).

الثاني: إنما كان ذلك آية لمريم وابنها. وهذا قول قتادة(٧).

عن قتادة، في قوله :"{إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}، قال في بعض الحروف: «صمتا»، وذلك إنك لا تلقى امرأة جاهلة تقول: نذرت كما نذرت مريم، ألا تكلم يومًا إلى الليل، وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها، ولا يحلّ لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل"(٨).

الثالث: كانت صائمة في ذلك اليوم، والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس، فأذن لمريم في قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهي صائمة. وهذا قول السدي(٩).

قال السدي:" فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي، فقيل لها: لا تزيدي على هذا"(١٠).

الفوائد:

١- من مظاهر قدرة الله تعالى حملها ووضعها في خلال ساعة من نهار.
٢- إثبات كرامات الله لأوليائه إذ أكرم الله تعالى مريم بنطق عيسى ساعة وضعه فأرشدها وبشرها وأذهب عنها الألم والحزن، وأثمر لها النخلة فأرطبت وأجرى لها النهر بعد يبسه.
٣- تقرير نظام الأسباب التي في مكنة الإنسان القيام بها فإن الله تعالى قد أثمر لمريم النخلة إذ هذا لا يمكنها القيام به ثم أمرها أن تحرك النخلة من جذعها ليتساقط عليها الرطب الجني إذ هذا في استطاعتها.
٤- مشروعية النذر إلا أنه بالامتناع عن الكلام منسوخ في الإسلام.
٥- أن السكوت كان تعبدًا في شرعهم، دون شريعة محمد ﷺ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨٣/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨٣/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨٤/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:١٨٣/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٨٣/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:١٨٤/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨٤/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:١٨٤/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨٤/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨٤/١٨.

القرآن

{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)} [مريم : ٢٧]

التفسير:

فأتت مريم قومها تحمل مولودها من المكان البعيد، فلما رأوها كذلك قالوا لها: يا مريم لقد جئت أمرًا عظيمًا مفترى.

قوله تعالى:{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ} [مريم : ٢٧]، أي:" فأتت مريم قومها تحمل مولودها من المكان البعيد"(١).

قال الطبري:" فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها، وسلَّمت لأمر الله، وحملته حتى أتت به قومها"(٢).

قال وهب:" أنساها يعنى مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى، حتى إذا كلَّمها، يعني عيسى، وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به إلى قومها"(٣).

قال السدي:" لما ولدته ذهب الشيطان، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدّون، فدعوها :{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ}"(٤).

قوله تعالى:{قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} [مريم : ٢٧]، أي:" قالوا لها: يا مريم لقد جئت أمرًا عظيمًا مفترى"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلما رأوا مريم، ورأوا معها الولد الذي ولدته، قالوا لها: يا مريم لقد جئت بأمر عجيب، وأحدثت حدثا عظيما. وكل عامل عملا أجاده وأحسنه فقد فراه، كما قال الراجز(٦):

قَدْ أَطْعَمَتنِي دَقَلا حُجْرِيًّا ... قَدْ كُنْتِ تَفْرِينَ بِهِ الفَرِيًّا"(٧).

عن قتادة والسدي، قوله :"{لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا}: عظيما"(٨).

قال وهب:" لما رأوها ورأوه معها، قالوا: يا مريم :{لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا}، أي: الفاحشة غير المقاربة"(٩).

قال سعيد بن جبير:" كان في زمان بني إسرائيل في بيت المقدس عند عين سلوان عين، فكانت المرأة إذا قارفت، أتوها بها فشربت منها، فإن كانت بريئة لم تضرها، وإلا ماتت. فلما حملت مريم أتوها بها على بغلة فعثرت بها فدعت الله إن يعقم رحمها، فعقم من يومئذ، فلما أتتها شربت منها فلم تزدد إلا خيرا، ثم دعت الله إن لا يفضح بها امرأة مؤمنة، فغارت العين"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢) تفسير الطبري:١٨٤/١٨.

(٣) أخرجه الطبري:١٨٤/١٨-١٨٥.

(٤) أخرجه الطبري:١٨٥/١٨.

(٥) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٦)في (اللسان: دقل) : الدقل من التمر: معروف، قيل: هو أردأ أنواعه. وفي (اللسان: فرى) : التهذيب: ويقال للرجل إذا كان جادًّا في الأمر قويا: تركته يفري الفرى ويقد. والعرب تقول: تركته يفري الفرى: إذا عمل العمل أو السقي فأجاد. . . وأنشد الفراء لزرارة بن صعب يخاطب العامرية: قَدْ أَطْعَمَتْنِي دَقَلا حَوْلِيًّا ... مُسَوَّسًا مُدَوَّدًا حَجْرِيًّا

قَدْ كُنْتِ تَفْرِينَ بِهِ الفَرِيًّا

أي كنت تكثرين في القول وتعظمينه. يقال: فلان يفري الفرى: إذا يأتي بالعجب في عمله.

ثم قال: وفي التنزيل العزيز في قصة مريم: (لقد جئت شيئا فريا) . قال الفراء: الفري الأمر العظيم، أي جئت شيئا عظيما. وقيل: جئت شيئا فريا: أي مصنوعا مختلقا.

(٧) تفسير الطبري:١٨٥/١٨.

(٨) أخرجه الطبري:١٨٥/١٨-١٨٦.

(٩) أخرجه الطبري:١٨٦/١٨.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١١٦):ص٢٤٠٧/٧.

القرآن
{يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨)} [مريم : ٢٨]
التفسير:
يا أخت الرجل الصالح هارون ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش، وما كانت أمك امرأة سوء تأتي البِغاء.

قوله تعالى:{يَا أُخْتَ هَارُونَ} [مريم : ٢٨]، أي:" يا أخت الرجل الصالح هارون"(١).

وفي في المراد بـ«هارون» هنا، خمسة أقوال:

أحدها: أنه أخ لها من أمها، وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس(٢).

وقال الضحاك: "كان من أبيها وأمها"(٣).

الثاني: أنها كانت من بني هارون أخي موسى، وهو كما تقول: يا أخا بني فلان. قاله الضحاك عن ابن عباس(٤)، والسدي(٥).

قال علي بن ابي طلحة:"نسبت إلى هارون بن عمران، لأنها كانت من سبطه كقولك يا أخا الأنصار"(٦).

قال السدي:" كانت من سبط هارون، فقيل لها: يا أخت هارون فدعيت إلى سبطه، كالرجل يقول للرجل: يا أخا بني ليث، يا أخا بني فلان"(٧).

الثالث: أنه رجل صالح كان من بني إسرائيل، فشبهوها به في الصلاح، فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا(٨)، وقتادة(٩)، وبه قال الطبري(١٠).

ويدل عليه ما روى المغيرة بن شعبة قال: "بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا: أرأيت ما تقرأون؟ «يا أخت هارون»، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ. فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم»"(١١).

عن محمد بن سيرين، قال: "نبئت أن كعبا قال: إن قوله {يَاأُخْتَ هَارُونَ}، ليس بهارون أخي موسى، قال: فقالت له عائشة: كذبت، قال: يا أمّ المؤمنين، إن كان النبيّ صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر، وإلا فإني أجد بينهما ستّ مئة سنة، قال: فسكتت"(١٢).

قال ابن زيد:" اسم واطأ اسما، كم بين هارون وبينهما من الأمم أمم كثيرة"(١٣).

قال قتادة:" كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح، ولا يُعرفون بالفساد ومن الناس من يُعرفون بالصلاح ويتوالدون به، وآخرون يُعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان هارون مصلحا

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢) انظر: زاد المسير:١٢٩/٣.
(٣) انظر: زاد المسير:١٢٩/٣.
(٤) انظر: زاد المسير:١٢٩/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨٧/١٨.
(٦) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣١١٨):ص٢٤٠٧/٧.
(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣١١٩):ص٢٤٠٧/٧.
(٨) انظر: زاد المسير:١٢٩/٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨٦/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨٨/١٨.
(١١)صحيح. أخرجه مسلم ٢١٣٥ والترمذي ٣١٥٥ والنسائي في «التفسير» ٣٣٥ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٨٢ والطبري (١٨٧/١٨) ، وابن أبي حاتم(١٣١١٧):ص٢٤٠٧/٧ [واللفظ له] من طرق عن المغيرة بن شعبة به.
(١٢) أخرجه الطبري:١٨٦/١٨-١٨٧.
(١٣) أخرجه الطبري:١٨٧/١٨.

محببا في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر. قال: وذُكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل"(١).
الرابع: أن قوم هارون كان فيهم فساق وزناة، فنسبوها إليهم، قاله سعيد بن جبير(٢).
الخامس: أنه رجل من فساق بني إسرائيل شبهوها به، قاله وهب بن منبه(٣).
فعلى هذا يخرج في معنى «الأخت» قولان(٤):
أحدهما: أنها الأخت حقيقة.
والثاني: المشابهة، لا المناسبة، كقوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} [الزخرف : ٤٨].
عن أبي بكر بن عيش قال: "في قراءة أبي:« قالوا: يا ذا المهد»"(٥).
قوله تعالى:{مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ} [مريم : ٢٨]، أي:" ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش"(٦).
قال الطبري:" يقول: ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش"(٧).
قوله تعالى:{وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا} [مريم : ٢٨]، أي:" وما كانت أمك امرأة سوء تأتي البِغاء"(٨).
قال الطبري:" يقول: وما كانت أمك زانية"(٩).
عن السدي :"{وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}، قال: زانية"(١٠).

القرآن
{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩)} [مريم : ٢٩]
التفسير:
فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسألوه ويكلموه، فقالوا منكرين عليها: كيف نكلم مَن لا يزال في مهده طفلا رضيعًا؟
قوله تعالى:{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ} [مريم : ٢٩]، أي:" فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسألوه ويكلموه"(١١).
قال وهب:" يقول: أشارت إليه أن كلِّموه"(١٢).
عن ابن جريج: قوله :"{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ}، أن كَلِّموه"(١٣).
قال قتادة:" أمرتهم بكلامه"(١٤).
قال الطبري:" فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقيله لهم، ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلِّموه"(١٥).

---

(١) أخرجه الطبري:١٨٦/١٨.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٢٠):ص٢٤٠٧/٧.
(٣) انظر: زاد المسير:١٢٩/٣.
(٤) انظر: زاد المسير:١٢٩/٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٢١):ص٢٤٠٧/٧.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٧) تفسير الطبري:١٨٨/١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٩) تفسير الطبري:١٨٨/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨٨/١٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٠٧.
(١٢) أخرجه الطبري:١٨٨/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:١٨٨/١٨.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٢٢):ص٢٤٠٧/٧.
(١٥) تفسير الطبري:١٨٨/١٨.

قال السدي:" قالت لهم ما أمرها الله به، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت إليه، إلى عيسى"[١].

قوله تعالى:{قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} [مريم : ٢٩]، أي:" فقالوا منكرين عليها: كيف نكلم مَن لا يزال في مهده طفلا رضيعًا؟"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره، قال قومها لها: كيف نكلم من وُجد في المهد؟"[٣].

عن قتادة:"{في المهد}، قال: في الحجر"[٤].

قال السدي:" لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبيّ أشدّ علينا من زناها :{قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}"[٥].

القرآن

{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)} [مريم : ٣٠]

التفسير:

قال عيسى وهو في مهده يرضع: إني عبد الله، قضى بإعطائي الكتاب، وهو الإنجيل، وجعلني نبيًا.

قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} [مريم : ٣٠]، أي:" قال عيسى وهو في مهده يرضع: إني عبد الله"[٦].

قال الطبري:" فلما قال قوم مريم لها: {كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}، وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم، قال عيسى لها متكلمًا عن أمه: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ}. وكانوا حين أشارت لهم إلى عيسى فيما ذُكر عنهم غضبوا"[٧].

قال وهب:" فأجابهم عيسى عنها فقال لهم :{إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} ... الآية"[٨].

قال الضحاك:" لم يتكلم عيسى إلا عند ذلك حين :{قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}"[٩].

قوله تعالى:{آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [مريم : ٣٠]، أي:" قضى بإعطائي الكتاب، وهو الإنجيل، وجعلني نبيًا"[١٠].

قال الطبري:" معناه: وقضى يوم قضى أمور خلقه إليّ أن يؤتيني الكتاب"[١١].

قال عكرمة:" قضى أن يؤتيني الكتاب فيما مضى"[١٢].

قال مجاهد:" النبيّ وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل"[١٣].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان عيسى بن مريم قد درس الإنجيل وأحكمه في بطن أمه، فذلك قوله: {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا}"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري:١٨٨/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٣) تفسير الطبري:١٨٨/١٨.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٢٢):ص٢٤٠٧/٧.
(٥) أخرجه الطبري:١٨٩/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٧) تفسير الطبري:١٨٩/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:١٨٩/١٨-١٩٠.
(٩) أخرجه الطبري:١٨٩/١٨-١٩٠.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٧.
(١١) تفسير الطبري:١٩٠/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩٠/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:١٩٠/١٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٢٤):ص٢٤٠٨/٧.

القرآن

{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)} [مريم : ٣١]

التفسير:

وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ، وأوصاني بالمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة ما بقيت حيًا.

قوله تعالى:{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} [مريم : ٣١]، أي:" وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ"(١).

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} [مريم : ٣١]، وجوه من التفسير:

أحدها : نفاعا ، قاله مجاهد(٢).

الثاني : آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر.

عن محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي، قال: "سمعت وُهَيْب ابن ابن الورد مولى بني مخزوم، قال: لقي عالم عالما لما هو فوقه في العلم، قال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من علمي، قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده، وقد اجتمع الفقهاء على قول الله: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} وقيل: ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان"(٣).

وقال سهل بن عبدالله:" يعني آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأرشد الضال، وأنصر المظلوم، وأغيث الملهوف"(٤).

الثالث : معلماً للخير ، قاله سفيان(٥)، ومجاهد-في رواية أخرى-(٦).

الرابع : عارفاً بالله وداعياً إليه. حكاه الماوردي(٧).

قوله تعالى:{وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} [مريم : ٣١]، أي:" وأوصاني بالمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة ما بقيت حيًا"(٨).

قال الزجاج:" فإن قال قائل كيف تكون عبادة لغير الحي، أي: كيف يعبد الإنسان وهو ميت؟

فإن مجاز هذا الكلام مجاز «أبدا»، المعنى: اعبد ربك أبدا، واعبده إلى الممات، لأنه لو قيل: اعبد ربك - بغير التوقيت - لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعا، فإذا قال :«حتى يأتيك اليقين»، أي: أبدا وما دمت حيا، فقد أمرت بالإقامة على العبادة"(٩).

قال عبد الرحمن بن القاسم ، عن مالك بن أنس في قوله :"{ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا } قال : أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت ، ما أثبتها لأهل القدر"(١٠).

القرآن

{وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)} [مريم : ٣٢]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٩١/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:١٩١/١٨.
(٤) تفسير التستري:٩٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٩١/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٩١/١٨.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣٧٠/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٩) معاني القرآن:١٨٧/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٢٢٩/٥.

وجعلني بارًّا بوالدتي، ولم يجعلني متكبرًا ولا شقيًا، عاصيًا لربي.

قوله تعالى:{وَبَرًّا بِوَالِدَتِي} [مريم : ٣٢]، أي:" وجعلني بارًّا بوالدتي"(١).

قال ابن كثير:" أي : وأمرني ببر والدتي ، ذكره بعد طاعة الله ربه ؛ لأن الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين ، كما قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء : ٢٣] وقال { أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } [لقمان : ١٤]"(٢).

عن نوف: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي}، أي: ليس لي أب"(٣).

قوله تعالى:{وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} [مريم : ٣٢]، أي:" ولم يجعلني متكبرًا ولا شقيًا، عاصيًا لربي"(٤).

قال ابن كثير:" قال ابن كثير:" أي : وأمرني ببر والدتي ، ذكره بعد طاعة الله ربه ؛ لأن الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين ، كما قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء : ٢٣] وقال { أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } [لقمان : ١٤]"(٥).
"(٦).

عن ابن عباس قوله: "{ولم يجعلني جبارا شقيا}، يقول: عصيا"(٧).

وقال سهل بن عبدالله:" أي: جاهلا بأحكامه متكبرا على عبادته، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الكبرياء رداء الله من نازع الله فيه أكبه على منخره في النار»(٨)"(٩).

قال سفيان:" «الجبار»: الشقي الذي يقبل على الغضب"(١٠).

عن العوام بن حوشب قال :"إنك لا تكاد تجد عاقا، إلا تجده جبارا، ثم قرأ: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}"(١١).

قال قتادة : "ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، في آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن ، فقالت : طوبى للبطن الذي حملك وللثدي الذي أرضعت به ، فقال نبي الله عيسى ، عليه السلام ، يجيبها : طوبى لمن تلا كلام الله ، فاتبع ما فيه ولم يكن جبارًا شقيًّا"(١٢).

القرآن

{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)} [مريم : ٣٣]

التفسير:

والسلامة والأمان عليَّ من الله يوم وُلِدْتُ، ويوم أموت، ويوم أُبعث حيًا يوم القيامة.

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٢٢٩/٥.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٢٦):ص٢٤٠٨/٧.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٥) تفسير ابن كثير:٢٢٩/٥.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٢٩/٥.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٢٧):ص٢٤٠٨/٧.
(٨)المستدرك على الصحيحين ١/ ١٢٩ وسنن أبي داود: باب ما جاء في الكبر، رقم ٤٠٩٠ وسنن ابن ماجة: باب البراءة من الكبر، رقم ٤١٧٤ ومسند أحمد ٢/ ٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢.
(٩) تفسير التستري:٩٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٢٨):ص٢٤٠٨/٧.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٢٩):ص٢٤٠٨/٧.
(١٢) تفسير ابن كثير:٢٣٠/٥.

قوله تعالى:{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ} [مريم : ٣٣]، أي:" والسلامة والأمان عليَّ من الله يوم وُلِدْتُ ويوم أموت"[١].

قال السمعاني: "معناه: التحية والحفظ من الله لي يوم ولدت {ويوم أموت..}، وقال بعضهم: «السلام» بمعنى: السلامة عند الولادة، هو السلامة من طعن الشيطان وهمزه، والسلامة عند الموت هو من الشرك، فإن أكثر الشرك يكون عند الموت، وقيل: السلامة عند الموت من ضغطة القبر، وقيل: سلامة عند الموت بالوصول إلى السعادة"[٢].

قوله تعالى:{وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم : ٣٣]، أي:" وسلام الله عليَّ في يوم خروجي حياً من قبري"[٣].

قال السمعاني: أي:"السلامة يوم القيامة من الأهوال"[٤].

قال الشعبي:"فقرات ابن آدم ثلاث: يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث، وهي التي ذكر عيسى في قوله: {والسلام علي}، الآية"[٥].

قال الصابوني:" وهكذا يعلن عيسى عبوديته لله، فليس هو إلهاً، ولا ابن إله، ولا ثالث ثلاثة كما يزعم النصارى، إنما عبدٌ ورسول، يحيا ويموت كسائر البشر، خلقه الله من أم دون أب ليكون آية على قدرة الله الباهرة"[٦].

قال ابن كثير:" قوله : { وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا } : إثبات منه لعبوديته لله عز وجل ، وأنه مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد ، -صلوات الله وسلامه عليه"[٧].

فوائد الآيات:[٢٧-٣٣]:

١- تقرير نبوة محمد ﷺ وعبودية عيسى ونبوته عليهما السلام.
٢- آية نطق عيسى في المهد وإخباره بما أولاه الله من الكمالات.
٣- وجوب بر الوالدين بالإحسان بهما وطاعتهما والمعروف وكف الأذى عنهما.
٤- التنديد بالتعالى والكبر والظلم والشقاوة التي هي التمرد والعصيان.

القرآن

{ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)} [مريم : ٣٤]

التفسير:

ذلك الذي قصصنا عليك - أيها الرسول - صفتَه وخبرَه هو عيسى ابن مريم، مِن غير شك ولا مرية، بل هو قولُ الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى.

قوله تعالى:{ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} [مريم : ٣٤]، أي:" ذلك الذي قصصنا عليك - أيها الرسول - صفتَه وخبرَه هو عيسى ابن مريم"[٨].

قال مقاتل:" يعنى: هذا عيسى بن مريم"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيَّنت لكم صفته، وأخبرتكم خبره، من أمر الغلام الذي حملته مريم، هو عيسى ابن مريم، وهذه الصفة صفته، وهذا الخبر خبره"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢) تفسير السمعاني:٢٩١/٣.
(٣) صفوة التفاسير:١٩٧/٢.
(٤) تفسير السمعاني:٢٩١/٣.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٣٠):ص٢٤٠٨/٧.
(٦) صفوة التفاسير:١٩٧/٢.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٣٠/٥.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٧/٢.

قال الزجاج:" أي: ذلك الذي: {قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً}، عيسى ابن مريم لا ما يقول النصارى من أنه ابن الله وأنه إله - جل الله وعز"[٢].

قال أبو الليث السمرقندي:" أي: ذلك الذي قال: إني عبد الله، هو عيسى ابن مريم عليه السلام، لا كما يقول النصارى إنه إله"[٣].

قال مكي:" أي: هذا الذي وصفت لكم صفته، وأخبرتكم خبره هو عيسى ابن مريم"[٤].

قوله تعالى:{قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} [مريم : ٣٤]، أي:" هو قولُ الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى"[٥].

قال مقاتل: يعنى: "قول العدل، الذي فيه يشكون في أمر عيسى- صلى الله عليه- وهم النصارى"[٦].

قال الطبري:" يعني: أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحقّ، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره، لا خبر غيره، الذي يقع فيه الوهم والشكّ، والزيادة والنقصان، على ما كان يقول الله تعالى ذكره: فقولوا في عيسى أيها الناس، هذا القول الذي أخبركم الله به عنه، لا ما قالته اليهود، الذين زعموا أنه لغير رشدة، وأنه كان ساحرًا كذّابا، ولا ما قالته النصارى، من أنه كان لله ولدا، وإن الله لم يتخذ ولدا، ولا ينبغي ذلك له"[٧].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: يعني: خبر الصدق "[٨].

قال الحسن: "والحق هو الله"[٩].

قال مجاهد:" الله عز وجل، الحق"[١٠].

قرأ عاصم وابن عامر :«قول الحق»، بنصب اللام، وقرأ الباقون بالضم. فمن قرأ بالنصب فمعناه: أقول قول الحق، ومن قرأ بالضم معناه: وهو قول الحق[١١].

قال مكي:" من رفع :«القول». فعلى خبر الابتداء. أي: هذا الكلام الذي قصصته عليكم قول الحق. أي قول الله، فـ{الحق} هو الله. أي: هو كلامه لا كلام غيره من اليهود والنصارى فيما ادعوا في عيسى من الكذب والبهتان.

ومن نصبه، فعلى المصدر. أي: أقول قول الحق، لا قول اليهود، الذين زعموا أن عيسى عليه السلام كان ساحراً كذاباً. ولا قول النصارى، أنه ولد الله تعالى وجلّ وعزّ عن ذلك"[١٢].

القرآن

{مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)} [مريم : ٣٥]

التفسير:

---

(١) تفسير الطبري:١٩٣/١٨.
(٢) معاني القرآن:٣٢٩/٣.
(٣) بحر العلوم:٣٧٤/٢.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٣٥/٧.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٧/٢.
(٧) تفسير الطبري:١٩٣/١٨.
(٨) بحر العلوم:٣٧٤/٢.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٢٣/١.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٣١):ص٢٤٠٨/٧
(١١) انظر: معاني القرآن للزجاج:٣٢٩/٣، وبحر العلوم، تفسير السمرقندي:٣٧٤/٢.
(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٣٥/٧.

ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ مِن عباده وخَلْقه ولدًا، تنزَّه وتقدَّس عن ذلك، إذا قضى أمرًا من الأمور وأراده، صغيرًا أو كبيرًا، لم يمتنع عليه، وإنما يقول له: «كن» ، فيكون كما شاءه وأراده.

قوله تعالى:{مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ} [مريم : ٣٥]، أي:" ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ مِن عباده وخَلْقه ولدًا"(١).

قال أبو الليث:" يعني: عيسى"(٢).

قال يحيى بن سلام:" ينزه نفسه عما يقولون"(٣).

قال مكي:" هذا تكذيب للذين قالوا: إن عيسى ابن الله. أي: ما يصلح له أن يتخذ ولداً، بل كل شيء خلقه.. وهذا اللفظ ظاهره الحظر، والله لا يحظر عليه شيء، لكنه محمول على معناه. ومعناه النفي، أي: ما كان الله ليتخذ ولداً. فهو نفي عن الله ما لا يليق به وليس فيه في الباطن حظر. ومثله قوله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً} [النساء: ٩٢] معناه النفي، وتقديره: ما كان لمؤمنٍ أن يقتل مؤمناً "(٤).

قال القشيري:" لا يجوز أن يكون له ولد على الحقيقة لأنه واحد، والولد بعض والده، ولأنه لا داعى له إلى صحبة زوجة فيكون له ولد على الحقيقة. ولا يجوز عليه التبني لأحد لعدم الجنسية بينهما "(٥).

قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ} [مريم : ٣٥]، أي:" تنزَّه الله عن الولد والشريك"(٦).

قال الطبري:" يقول: تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله"(٧).

قال ابن كثير:" أي : عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علوًّا كبيرًا"(٨).

قوله تعالى:{إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [مريم : ٣٥]، أي:" إذا قضى أمرًا من الأمور وأراده، صغيرًا أو كبيرًا، لم يمتنع عليه، وإنما يقول له: «كن» ، فيكون كما شاءه وأراده"(٩).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء، وأنشأه إنشاء من غير فحل افتحل أمه، ولكنه قال له {كن فيكون}، لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها، إنما يقول، إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه: كن فيكون موجودا حادثا، لا يعظم عليه خلقه، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة، ولا ينشئه بمعالجة وشدة"(١٠).

قال الصابوني:أي:" ومن كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد؟"(١١).

قال المفسرون: "وهذا كالدليل لما سبق كأنه قال: إن اتخاذ الولد شأن العاجز الضعيف المحتاج الذي لا يقدر على شيء، وأما القادر الغني الذي يقول للشيء {كُن فَيَكُونُ} فلا يحتاج في اتخاذ الولد إلى إحبال الأنثى وحيث أوجده بقوله {كُن} لا يسمى ابناً له بل هو عبده، فهو تبكيتٌ وإلزام لهم بالحجج الباهرة"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢) بحر العلوم:٣٧٤/٢.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٣/١.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٣٧/٧.
(٥) لطائف الإشارات:٤٢٨/٢-٤٢٩.
(٦) صفوة التفاسير:١٩٧/٢.
(٧) تفسير الطبري:١٩٦/١٨.
(٨) تفسير ابن كثير:٢٣٠/٥.
(٩) التفسير الميسر:٣٠٧.
(١٠) تفسير الطبري:١٩٦/١٨.
(١١) صفوة التفاسير:١٩٨/٢.
(١٢) صفوة التفاسير:١٩٨/٢.

القرآن

{وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦)} [مريم : ٣٦]

التفسير:

وقال عيسى لقومه: وإن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه وحده لا شريك له، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، هذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ} [مريم : ٣٦]، أي:" وقال عيسى لقومه: وإن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه وحده لا شريك له، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له"(١).

قال الطبري:يقول:" وإني وأنتم أيها القوم جميعا لله عبيد، فإياه فاعبدوا دون غيره"(٢).

قال ابن كثير:"أي: ومما أمر عيسى به قومه وهو في مهده ، أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربه، وأمرهم بعبادته"(٣).

قال وهب:" عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه: {إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم}، أي: إني وإياكم عبيد الله، فاعبدوه ولا تعبدوا غيره"(٤).

قوله تعالى:{هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [مريم : ٣٦]، أي:" هذا هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه"(٥).

قال الطبري:" يقول: هذا الذي أوصيتكم به، وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم، الذي من سلكه نجا، ومن ركبه اهتدى، لأنه دين الله الذي أمر به أنبياءه"(٦).

قال ابن كثير:" أي : هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم ، أي : قويم ، من اتبعه رشد وهدي ، ومن خالفه ضل وغوى "(٧).

القرآن

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧)} [مريم : ٣٧]

التفسير:

فاختلفت الفِرَق من أهل الكتاب فيما بينهم في أمر عيسى عليه السلام، فمنهم غال فيه وهم النصارى، فمنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة - تعالى الله عما يقولون -، ومنهم جافٍ عنه وهم اليهود، قالوا: ساحر، وقالوا: ابن يوسف النجار، فهلاك للذين كفروا مِن شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى:{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ} [مريم : ٣٧]، أي:" فاختلفت الفِرَق من أهل الكتاب فيما بينهم في أمر عيسى عليه السلام"(٨).

قال قتادة:" اختلفوا فيه فصاروا أحزابا"(٩).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فاختلف المختلفون في عيسى، فصاروا أحزابا متفرقين من بين قومه"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢) تفسير الطبري:١٩٦/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٣٠/٥.
(٤) أخرجه الطبري:١٩٧/١٨.
(٥) صفوة التفاسير:١٩٨/٢.
(٦) تفسير الطبري:١٩٦/١٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٢٣١/٥.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٩) أخرجه الطبري:١٩٨/١٨.
(١٠) تفسير الطبري:١٩٦/١٨.

قال ابن كثير:" أي : اختلفت أقوال أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله ، وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فصَمَّمَت طائفة - وهم جمهور اليهود ، عليهم لعائن الله - على أنه ولد زِنْيَة ، وقالوا : كلامه هذا سحر. وقالت طائفة أخرى : إنما تكلم الله. وقال آخرون : هو ابن الله ، وقال آخرون : ثالث ثلاثة. وقال آخرون : بل هو عبد الله ورسوله. وهذا هو قول الحق ، الذي أرشد الله إليه المؤمنين"[١].

وفي «الاحزاب»، أقوال:

أحدها:عنى بذلك: الجماعة التي تناظرت في أمر عيسى، واختلفت فيه قاله قتادة[٢]، ومقاتل[٣]، ويحيى بن سلام-وحكاه عن السدي[٤].

قال مقاتل:" الأحزاب هم: النسطورية والمار يعقوبية والملكانية تحازبوا من بينهم في عيسى- عليه السلام- فقالت النسطورية: عيسى ابن الله. وقالت المار يعقوبية: إن الله هو المسيح بن مريم، وقالت الملكانية: إن الله ثالث ثلاثة"[٥].

قال قتادة:" اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج من كل قوم عالمهم فتشاوروا في عيسى حين رفع، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحيى من احيى وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية، فقالت الثلاثة: كذبت. ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه. فقال هو ابن الله، وهم النسطورية. فقال اثنان: كذبت. ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه. قال: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وعيسى إله، وأمه إله. وهم الإسرائيلية وهم ملوك النصارى. فقال الرابع: كذبت.. هو عبد الله ورسوله وروحه من كلمته، وهم المسلمون، فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال، فاقتتلوا فظهر على المسلمين. فذلك قوله الله: {وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ}[٦]، قال قتادة: وهم الذين قال الله: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ}[٧]، قال: اختلفوا فيه فيه فصاروا أحزابا، فاختلف القوم، فقال المرء المسلم: أنشدكم ... هل تعلمون إن عيسى كان يطعم الطعام، وأن الله لا يطعم الطعام؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فهل تعلمون إن عيسى كان ينام، وأن الله لا ينام؟ قالوا: اللهم نعم. فخصمهم المسلمون فانسل القوم، فذكر لنا إن اليعقوبية ظهرت يومئذ، وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن: {فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم}"[٨].

قال ابن كثير:" وقد روى ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ، وعن عروة بن الزبير ، وعن بعض أهل العلم ، قريبًا من ذلك. وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم : أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم ، فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا ، فاختلفوا في عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، اختلافًا متباينًا ، فقالت كل شرذمة فيه قولا فمائة تقول فيه قولا وسبعون تقول فيه قولا آخر ، وخمسون تقول فيه شيئًا آخر ، ومائة وستون تقول شيئًا ، ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية منهم ، اتفقوا على قول وصَمَّموا عليه ومال إليهم الملك ، وكان فيلسوفًا ، فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم ، فوضعوا له الأمانة الكبيرة ، بل هي الخيانة العظيمة ، ووضعوا له كتب القوانين ، وشرَّعوا له أشياء وابتدعوا بدعًا كثيرة ، وحَرَّفوا دين المسيح ، وغيروه ، فابتنى حينئذ لهم الكنائس الكبار في مملكته كلها : بلاد الشام ، والجزيرة ، والروم ، فكان مبلغ الكنائس

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٣١/٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٦٣٦/١٨.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٨٠٠/٣-٨٠١.

(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٢٣/١-٢٢٤.

(٥)تفسير مقاتل بن سليمان:٨٠٠/٣-٨٠١.

(٦)[آل عمران: ٢١].

(٧)[مريم: ٣٧].

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٣٢):ص٢٤٠٨/٧، وفي رواية الطبري:١٩٨/١٨:" ذكر لنا أن لما رفع ابن مريم، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم".

في أيامه ما يقارب اثنتي عشرة ألف كنيسة ، وبنت أمه هيلانة قُمَامة على المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي تزعم اليهود والنصارى أنه المسيح ، وقد كذبوا ، بل رفعه الله إلى السماء"[١].

الثاني:أنهم اليهود والنصارى. قاله مجاهد[٢]، والسدي[٣].

الثالث: أنهم الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس. قاله الحسن[٤].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: فاختلف الفرق المختلفون في عيسى ابن مريم من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه من اتقاء الله والعمل بطاعته، وهم اليهود والنصارى، ومن اختلف فيه من النصارى، لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتسلين مختلفي الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه، وقوله لهم: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}"[٥].

قوله تعالى:{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [مريم : ٣٧]، أي:" فهلاك للذين كفروا مِن شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة"[٦].

قال الطبري:" يقول: فوادي جهنم الذي يدعى ويلا للذين كفروا بالله، من الزاعمين أن عيسى لله ولد، وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه، وذلك يوم القيامة"[٧].

وقال قتادة:" شهدوا هولا إذا عظيما"[٨].

قال ابن كثير:" تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله ، وافترى ، وزعم أن له ولدا. ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلمًا وثقة بقدرته عليهم ؛ فإنه الذي لا يعجل على من عصاه ، كما جاء في الصحيحين : «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول الله ﷺ : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } [هود : ١٠٢] وفي الصحيحين أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدا ، وهو يرزقهم ويعافيهم»[٩]. وقد قال الله تعالى : { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ } [الحج : ٤٨] وقال تعالى : { وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ } [إبراهيم : ٤٢] ولهذا قال هاهنا : { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ } أي : يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته ، عن عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله [ورسوله][١٠] وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[١١]"[١٢].

القرآن

{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨)} [مريم : ٣٨]

---

(١) تفسير ابن كثير:٥/٢٣١-٢٣٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٩٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٣٦.
(٤) انظر: الكشاف:٣/١٧.
(٥) تفسير الطبري:١٨/٦٣٦-٦٣٧.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٧) تفسير الطبري:١٨/١٩٦.
(٨) أخرجه الطبري:١٨/١٩٨.
(٩)صحيح البخاري برقم (٦٠٩٩) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٤).
(١٠) زيادة في البخاري ومسلم.
(١١)صحيح البخاري برقم (٣٤٣٥) وصحيح مسلم برقم (٢٩).
(١٢) تفسير ابن كثير:٥/٢٣٢.

التفسير:
ما أشدَّ سمعَهم وبصرهم يوم القيامة، يوم يَقْدُمون على الله، حين لا ينفعهم ذلك!! لكنِ الظالمون اليوم في هذه الدنيا في ذهابٍ بيِّنٍ عن الحق.

قوله تعالى:{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا} [مريم : ٣٨]، أي:" ما أشدَّ سمعَهم وبصرهم يوم القيامة، يوم يَقْدُمون على الله، حين لا ينفعهم ذلك!!"(١).

قال قتادة:" ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر"(٢).

قال ابن زيد:" هذا يوم القيامة، فأما الدنيا فلا كانت على أبصارهم غشاوة، وفي آذانهم وقر في الدنيا؛ فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا، وقرأ: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرًا عن حال الكافرين به، الجاعلين له أندادا، والزاعمين أن له ولدا يوم ورودهم عليه في الآخرة: لئن كانوا في الدنيا عميا عن إبصار الحقّ، والنظر إلى حجج الله التي تدلّ على وحدانيته، صما عن سماع آي كتابه، وما دعتهم إليه رسل الله فيها من الإقرار بتوحيده، وما بعث به أنبياءه، فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة، وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الإبصار والسماع"(٤).

قال الزجاج:" المعنى: مَا أَسْمَعَهمْ وأبصَرَهمْ يوم القيامة، لأنهم شَاهَدوا من البعث وأمْر الله عزَّ وجلَّ ما يسمع ويبصر بغير إعْمالِ فِكْرٍ وَتَرْوِيَةٍ، وما يُدعَوْنَ إليه من طاعة الله - ﷺ - في الدنيا يحتاجون فيه إلى فكر ونظر فضلُّوا عن ذلك في الدنيا وآثروا اللهو والهوى، فقال الله تعالى: {لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"(٥).

قال السمعاني:" وصفهم بهذا؛ لأنه تعالى كان وصفهم بالبكم والعمي والصمم في الدنيا، فأخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة، ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا. ويقال: وصفهم بشدة السمع والبصر في الآخرة بحصول الإدراك بغير رؤية ولا فكر. ويقال قوله: {أسمع بهم وأبصر} تهديد ووعيد ومعناه: أنهم يسمعون ما تصدع قلوبهم، ويرون ما يهلكهم"(٦).

قال ابن كثير:" أي :ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة ، يقول تعالى مخبرًا عن الكفار يوم القيامة أنهم أسْمَعُ شيء وأبْصَرُه كما قال تعالى : {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة : ١٢] أي : يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئًا ، ولو كان هذا قبل معاينة العذاب ، لكان نافعًا لهم ومنقذًا من عذاب الله "(٧).

قوله تعالى:{لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [مريم : ٣٨]، أي:" لكنِ الظالمون اليوم في هذه الدنيا في ذهابٍ بيِّنٍ عن الحق"(٨).

قال السمعاني:" أي: خطأ بين"(٩).

قال ابن كثير:" أي : لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ،[في الدنيا]، فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك "(١٠).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢) أخرجه الطبري:١٩٩/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:١٩٩/١٨.
(٤) تفسير الطبري:١٩٩/١٨.
(٥) معاني القرآن:٣٣٠/٣.
(٦) تفسير السمعاني:٢٩٣/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٢٣٣/٥.[بتصرف]
(٨) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٩) تفسير السمعاني:٢٩٣/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٢٣٣/٥.[بتصرف]

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لكن الكافرون الذين أضافوا إليه ما ليس من صفته، وافتروا عليه الكذب اليوم في الدنيا، في ضلال مبين: يقول: في ذهاب عن سبيل الحقّ، وأخذ على غير استقامة، مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى، لمن تأمله وفكر فيه، فهدي لرشده"[1].

القرآن

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩)} [مريم : ٣٩]

التفسير:

وأنذر - أيها الرسول - الناس يوم الندامة حين يُقضى الأمر، ويُجَاءُ بالموت كأنَّه كبش أملح، فيُذْبَح، ويُفصل بين الخلق، فيصير أهل الإيمان إلى الجنة، وأهل الكفر إلى النار، وهم اليوم في هذه الدنيا في غفلة عمَّا أُنذروا به، فهم لا يصدقون، ولا يعملون العمل الصالح.

قوله تعالى:{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ} [مريم : ٣٩]، أي:" وأنذر - أيها الرسول - الناس يوم الندامة"[2].

قال ابن كثير:" أي: أنذر الخلائق يوم الحسرة"[3].

قال السمعاني:" معناه: يوم الندامة، ويقال: كل الناس يندمون يوم القيامة؛ أما المسيء فيندم هلا أحسن، وأما المحسن فيندم هلا ازداد «حسنا».

وأما قول أكثر المفسرين في الآية: هذه الحسرة حيث يذبح الموت على الصراط"[4].

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : "«إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ قال : "فيشرئبون فينظرون ويقولون : نعم هذا الموت". قال : "فيقال : يا أهل النار ، هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون فينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت" قال : "فيؤمر به فيذبح" قال : "ويقال : يا أهل الجنة ، خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت" قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ } وأشار بيده قال : "أهل الدنيا في غفلة الدنيا»"[5].

عن ابن مسعود في قوله : "{ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأمْرُ } قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، أتي بالموت في صورة كبش أملح ، حتى يوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة ، هذا الموت الذي كان يُميتُ الناس في الدنيا ، فلا يبقى أحد في أهل عليين ولا في أسفل درجة في الجنة إلا نظر إليه ، ثم ينادى : يا أهل النار ، هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا ، فلا يبقى أحد في ضحضاح من نار ولا في أسفل درك من جهنم ، إلا نظر إليه ، ثم يذبح بين الجنة والنار ، ثم ينادى : يا أهل الجنة ، هو الخلود أبد الآبدين ، ويا أهل النار ، هو الخلود أبد الآبدين ، فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتًا من فرح ماتوا ، ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتًا من شهقة ماتوا فذلك قوله : { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأمْرُ } يقول : إذا ذبح الموت"[6].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٢٠٠.

(٢) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٣) تفسير ابن كثير:٥/٢٣٣

(٤) تفسير السمعاني:٣/٢٩٣.

(٥)المسند (٣/٩).

هكذا رواه الإمام أحمد وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، من حديث الأعمش ، به ولفظهما قريب من ذلك.

انظر: صحيح البخاري برقم (٤٧٣٠) وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٩)

(٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٥/٢٣٣-٢٣٤.

قوله تعالى:{إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ} [مريم : ٣٩]، أي:" حين قضي أمرُ الله في الناس"[١].
قال السمعاني:" أي: فرغ من الأمر"[٢].
قال ابن كثير:" أي : فصل بين أهل الجنة وأهل النار ، ودَخل كل إلى ما صار إليه مخلدًا فيه "[٣].
قوله تعالى:{وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم : ٣٩]، أي:" وهم اليوم في هذه الدنيا في غفلة عمَّا أُنذروا به"[٤].
قال السمعاني:" معناه: وهم في غفلة في الدنيا عما يعمل بهم في الآخرة"[٥].
قال ابن كثير:" أي : اليوم { فِي غَفْلَةٍ } عما أنذروا به"[٦].
قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم : ٣٩]، أي:" فهم لا يصدقون، ولا يعملون العمل الصالح"[٧].
قال ابن كثير:" أي : لا يُصَدقون به"[٨].
قال ابن الجوزي:" زعم بعض المغفلين من ناقلي التفسير، أن الإنذار منسوخ بآية السيف[٩]، وهذا تلاعب من هؤلاء بالقرآن ومن أين يقع التنافي بين إنذارهم القيامة، وبين قتالهم قتالهم في الدنيا"[١٠].

القرآن
{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)} [مريم : ٤٠]
التفسير:
إنا نحن الوارثون للأرض ومَن عليها بفنائهم وبقائنا بعدهم وحُكْمنا فيهم، وإلينا مصيرهم وحسابهم، فنجازيهم على أعمالهم.
قوله تعالى:{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا} [مريم : ٤٠]، أي:" إنا نحن الوارثون للأرض ومَن عليها بفنائهم وبقائنا بعدهم وحُكْمنا فيهم"[١١].
قال مقاتل:" يعني: نميتهم ويبقى الرب- ﷻ- ونرث أهل السماء وأهل الأرض"[١٢].
قال يحيى بن سلام:" نهلك الأرض ومن عليها"[١٣].
قال السمعاني:" معناه: إنا نميت سكان الأرض، ونهلكهم، فتكون الأرض ومن عليها لنا وفي حكمنا. ومعنى الإرث: هو أنه لا يبقى لأحد ملك ولا سبب سوى الله"[١٤].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس، بفنائهم منها، وبقائها لا مالك لها غيرنا"[١٥].

---

(١) صفوة التفاسير:١٩٨/٢.
(٢) تفسير السمعاني:٢٩٤/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٣٣/٥
(٤) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٥) تفسير السمعاني:٢٩٤/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٣٣/٥
(٧) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٨) تفسير ابن كثير:٢٣٣/٥
(٩)ذكر النسخ هنا ابن حزم في ناسخه ص: ٣٤٦ - وابن سلامة في ناسخه ص: ٦٢.
(١٠) زاد المسير:٥٠٧/٢.
(١١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٩/٢.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٦/١.
(١٤) تفسير السمعاني:٢٩٤/٣.
(١٥) تفسير الطبري:٢٠٢/١٨.

قال القشيري:" يريد به إذا قبض أرواح بنى آدم بجملتهم، ولم يبق على وجه الأرض منهم واحد، وليس يريد به استحداث ملكه، وهو اليوم مالك الأرض ومن عليها، ومالك الكون وما فيه.

ويقال إن زكريا قال- لما سأل الولد: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب} [مريم : ٦]، وقال تعالى فى صفة بنى إسرائيل: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء : ٥٩]، وقال: {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [الأعراف : ١٢٨]، ولما انتهى إلى هذه الأمة، قال: {إنا نحن نرث الأرض ومن عليها} .. فشتان بين من وارثه الولد وبين من وارثه الأحد!

ويقال: هان على العبد المسلم إذا مات إذا كان الحق وارثه.. وهذا مخلوق يقول فى صفة مخلوق[1]:

فإن يك عتاب مضى لسبيله ... فما مات من يبقى له مثل خالد

ثم قال القشيري: "وقال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء} [آل عمران : ١٦٩]، لماذا؟ لأن وارثهم الله"[2].

قوله تعالى:{وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [مريم : ٤٠]، أي:" وإلينا مصيرهم وحسابهم، فنجازيهم على أعمالهم"[3].

قال السمعاني:" أي: يردون"[4].

قال مقاتل:" يعني: في الآخرة بعد الموت"[5].

قال الطبري:" ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته"[6].

قال حزم بن أبي حزم القُطَعي : "كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة : أما بعد ، فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت ، فجعل مصيرهم إليه ، وقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته على خلقه : أنه يرث الأرض ومن عليها ، وإليه يرجعون"[7].

فوائد الآيات:[٣٤-٤٠]:

١- تقرير أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس كما قال اليهود، ولا كما قالت النصارى.
٢- استحالة اتخاذ الله الولد وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.
٣- تقرير التوحيد على لسان عيسى عليه السلام.
٤- الإخبار بما عليه النصارى من خلاف في شأن عيسى عليه السلام.
٥- بيان سبب الحسرة يوم القيامة وهو الكفر بالله والشرك به.
٦- تقرير فناء الدنيا، ورجوع الناس إلى ربهم بعد بعثهم وهو تقرير لعقيدة البعث والجزاء التي تعالجها السور المكية في القرآن الكريم.

القرآن

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١)} [مريم : ٤١]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - لقومك في هذا القرآن قصة إبراهيم - عليه السلام - إنه كان عظيم الصدق، ومِن أرفع أنبياء الله تعالى منزلة.

---

(١) انظر: لطائف الإشارات:٤٣٠/٢.
(٢) لطائف الإشارات:٤٣٠/٢.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٤) تفسير السمعاني:٢٩٤/٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٩/٢.
(٦) تفسير الطبري:٢٠٢/١٨.
(٧)رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٢٣٤/٥.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ} [مريم : ٤١]، أي:" واذكر - أيها الرسول - لقومك في هذا القرآن قصة إبراهيم - عليه السلام -"(١).

قال الفراء:" اقصص قصة إبراهيم: اتل عليهم"(٢).

قال يحيى بن سلام:" يقول: اذكر لأهل مكة أمر إبراهيم"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه: {واذْكُرْ} يا محمد في كتاب الله {إبراهيمِ} خليل الرحمن، فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه"(٤).

قال القرطبي:" المعنى: واذكر في الكتاب الذي أنزل عليك وهو القرآن قصة إبراهيم وخبره"(٥).

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} [مريم : ٤١]، أي:" إنه كان عظيم الصدق، ومِن أرفع أنبياء الله تعالى منزلة"(٦).

قال الطبري:" يقول: كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب، {نَبِيًّا} يقول: كان الله قد نبأه وأوحى إليه"(٧).

قال البغوي:" «الصديق»: "الكثير الصدق القائم عليه. وقيل: من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق. و«النبي»: العالي في الرتبة بإرسال الله تعالى إياه"(٨).

قال السعدي:" جمع الله له بين الصديقية والنبوة. فـ«الصديق»: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما أمر بالتصديق به،. وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل،. وإبراهيم عليه السلام، هو أفضل الأنبياء كلهم بعد محمد ﷺ، وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة، وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي دعا الخلق إلى الله، وصبر على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه، مهما أمكنه، وذكر الله مراجعته إياه"(٩).

القرآن

{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢)} [مريم : ٤٢]

التفسير:

إذ قال لأبيه آزر: يا أبت لأي شيء تعبد من الأصنام ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يدفع عنك شيئًا من دون الله؟

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ} [مريم : ٤٢]، أي:" إذ قال لأبيه آزر: يا أبت لأي شيء تعبد من الأصنام ما لا يسمع ولا يبصر"(١٠).

قال الطبري:" يقول: ما تصنع بعبادة الوَثَن الذي لا يسمع، {وَلا يُبْصِرُ} شيئا"(١١).

قال مكي:" يعني: الأصنام، لا يسمعك إذا دعوته، ولا يبيصرك إذا أجبته"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢) معاني القرآن:١٦٨/٢.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٦/١.
(٤) تفسير الطبري:٢٠٢/١٨.
(٥) تفسير القرطبي:١١٠/١١.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٧) تفسير الطبري:٢٠٢/١٨.
(٨) تفسير البغوي:٢٣٣/٥-٢٣٤.
(٩) تفسير السعدي:٤٩٤.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٨.
(١١) تفسير الطبري:٢٠٣/١٨.
(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٤٦/٧.

قال السعدي:أي: " لم تعبد أصناما، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر "[1].

قوله تعالى:{وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} [مريم : ٤٢]، أي:" ولا يدفع عنك شيئًا من دون الله؟"[2].

قال مكي:" إن نزل بكل أمر أو ضر لم ينفعك ولا دفع عنك شيئاً"[3].

قال البغوي:" أي: لا يكفيك {شيئا}"[4].

قال الطبري:" يقول: ولا يدفع عنك ضرّ شيء، إنما هو صورة مصوّرة لا تضرّ ولا تنفع، يقول ما تصنع بعبادة ما هذه صفته؟ اعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك، وإذا نزل بك ضرّ دفع عنك"[5].

قال السعدي:" ولا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا وشرعا. ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى"[6].

القرآن

{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣)} [مريم : ٤٣]

التفسير:

يا أبت، إن الله أعطاني من العلم ما لم يعطك، فاقبل مني، واتبعني إلى ما أدعوك إليه، أرشدك إلى الطريق السوي الذي لا تضلُّ فيه.

قوله تعالى:{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ} [مريم : ٤٣]، أي:" يا أبت، إن الله أعطاني من العلم ما لم يعطك"[7].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه: يا أبت إني قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك"[8].

قال مقاتل:" يعني: ما يكون من بعد الموت"[9].

قال مكي:" يعني: الوحي الذي أوحى الله إليه"[10].

قال الزجاج:" وقوله: {إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك}، يدل أنه كان قد أتاه الوحي"[11].

قال السعدي:" أي: يا أبت لا تحقرني وتقول: إني ابنك، وإن عندك ما ليس عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما لم يعطك.. وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى، فإنه لم يقل: «يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل» أو «ليس عندك من العلم شيء»، وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إلي لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها"[12].

---

(١) تفسير السعدي:٤٩٤.

(٢) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٤٦/٧.

(٤) تفسير البغوي:٢٣٤/٥.

(٥) تفسير الطبري:٢٠٣/١٨.

(٦) تفسير السعدي:٤٩٤.

(٧) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٨) تفسير الطبري:٢٠٣/١٨.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٩/٢.

(١٠) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٤٦/٧.

(١١) معاني القرآن:٣٣٢/٣.

(١٢) تفسير السعدي:٤٩٤.

قوله تعالى:{فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} [مريم : ٤٣]، أي:" فاقبل مني، واتبعني إلى ما أدعوك إليه، أرشدك إلى الطريق السوي الذي لا تضلُّ فيه"[١].

قال مقاتل:" {فاتبعني} على ديني، {أهدك} طريقا عدلا، يعني: دين الإسلام"[٢].

قال الطبري:" يقول: فاقبل مني نصيحتي أبصرك هدى الطريق المستوي الذي لا تضلّ فيه إن لزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه"[٣].

قال مكي:" أي: أقبل قولي، وما أدعوك إليه، أبصرك وأرشدك الطريق المستوي الذي لا تضل فيه إن لزمته"[٤].

قال السعدي:" أي: مستقيما معتدلا وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته في جميع الأحوال"[٥].

القرآن

{يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤)} [مريم : ٤٤]

التفسير:

يا أبت، لا تطع الشيطان فتعبد هذه الأصنام؛ إن الشيطان كان للرحمن مخالفًا مستكبرًا عن طاعة الله.

قوله تعالى:{يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ} [مريم : ٤٤]، أي:" يا أبت، لا تطع الشيطان فتعبد هذه الأصنام"[٦].

قال مكي:" أي: لا تطعه فيم أمرك به فتكون بمنزلة من عبده"[٧].

قال ابن أبي زمنين:" أي: إن عبادة الوثن عبادة الشيطان"[٨].

قال ابن الجوزي:" أي: لا تطعه فيما يأمر به من الكفر والمعاصي"[٩].

قال السعدي:" لأن من عبد غير الله، فقد عبد الشيطان، كما قال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يس : ٦٠]"[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} [مريم : ٤٤]، أي:" إن الشيطان كان للرحمن مخالفًا مستكبرًا عن طاعة الله"[١١].

قال مقاتل:" يعني: عاصيا ملعونا"[١٢].

قال الفخر:" أي: لا تطعه لأنه عاص لله فنفره بهذه الصفة عن القبول منه، لأنه أعظم الخصال المنفرة، واعلم أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص لم يذكر من جنايات الشيطان إلا كونه عاصيا لله ولم يذكر معاداته لآدم عليه السلام كأن النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك العصيان غمى فكره وأطبق على ذهنه، وأيضا فإن معصية الله تعالى لا تصدر إلا عن ضعيف الرأي، ومن كان كذلك كان حقيقا أن لا يلتفت إلى رأيه ولا يجعل لقوله وزن"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٩/٢.
(٣) تفسير الطبري:٢٠٣/١٨-٢٠٤.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٤٦/٧-٤٥٤٧.
(٥) تفسير السعدي:٤٩٤.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٤٦/٧-٤٥٤٧.
(٨) تفسير ابن أبي زمنين:٩٧/٣.
(٩) زاد المسير:١٣٣/٣.
(١٠) تفسير السعدي:٤٩٤.
(١١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٢٩/٢.
(١٣) مفاتيح الغيب:٥٤٤/٢١.

قال السعدي:" فمن اتبع خطواته، فقد اتخذه وليا وكان عاصيا لله بمنزلة الشيطان. وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم «الرحمن»، إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها. كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته"(١).

القرآن

{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)} [مريم : ٤٥]

التفسير:

يا أبت، إني أخاف أن تموت على كفرك، فيمَسَّك عذاب من الرحمن، فتكون للشيطان قرينًا في النار.

قوله تعالى:{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ} [مريم : ٤٥]، أي:" يا أبت، إني أخاف أن تموت على كفرك، فيمَسَّك عذاب من الرحمن"(٢).

قال الواحدي:أي:" أخشى أن يصيبك عذاب الله بطاعتك للشيطان"(٣).

قال الطبري:" يقول: يا أبت إني أعلم انك إن متّ على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله، و«الخوف» في هذا الموضع بمعنى: العلم "(٤).

قال يحيى بن سلام:" أي: إنك إذا نزل بك العذاب لم تقبل توبتك، وما لم ينزل العذاب فتوبتك مقبولة إن تبت، وقد كان إبراهيم يرجو أن يتوب. فلما مات على الكفر ذهب ذلك الرجاء"(٥).

قال الماتريدي:" قال بعضهم: قوله: {إني أخاف}: أي: أعلم أنه يمسك عذاب من الرحمن لو دمت على الكفر وختمت به، فإن كان تأويله العلم فهو على هذا الشرط يخرج، ويحتمل أن يكون الخوف في موضع الخوف، أي: {إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن} إن لم تنجز وعدك"(٦).

قوله تعالى:{فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [مريم : ٤٥]، أي:" فتكون للشيطان قرينًا في النار"(٧).

قال مقاتل:" يعني قريبا في الآخرة"(٨).

قال الماتريدي وأبو الليث السمرقندي:" يعني: قرينا في النار"(٩).

قال الطبري:" يقول: تكون له وليا دون الله ويتبرأ الله منك، فتهلك "(١٠).

قال القشيري:" لم يغادر الخليل شيئا من الشفقة على أبيه، ولم ينفعه جميل وعظه، ولم تنجع فيه كثرة نصحه فإن من أقصته سوابق التقدير لم تخلصه لواحق التدبير"(١١).

فوائد الآيات:[٤١-٤٥]:

١- تقرير التوحيد بالدعوة إليه.

٢- كمال إبراهيم بذكره في الكتاب.

٣- بطلان عبادة غير الله تعالى.

---

(١) تفسير السعدي:٤٩٤.

(٢) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٣) التفسير الوسيط:١٨٥/٣.

(٤) تفسير الطبري:٢٠٤/١٨.

(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٧/١.

(٦) تأويلات أهل السنة:٢٣٩/٧.

(٧) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٠/٢.

(٩) انظر: تأويلات أهل السنة:٢٣٩/٧، وبحر العلوم:٣٧٦/٢.

(١٠) تفسير الطبري:٢٠٤/١٨.

(١١) لطائف الإشارات:٤٣٢/٢.

٤- عبادة الأوثان والأصنام وكل عبادة لغير الله تعتبر عبادة للشيطان لأنه الآمر بها والداعي إليها.

القرآن

{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦)} [مريم : ٤٦]

التفسير:

قال أبو إبراهيم لابنه: أمعرض أنت عن عبادة آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته عن سَبِّها لأقتلنَّك رميًا بالحجارة، واذهب عني فلا تلقني، ولا تكلمني زمانًا طويلا من الدهر.

قوله تعالى:{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ} [مريم : ٤٦]، أي:" قال أبو إبراهيم لابنه: أمعرض أنت عن عبادة آلهتي يا إبراهيم؟"[١].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: أتارك أنت عبادة آلهتي؟ يا إبراهيم"[٢].

قال الطبري:" قال أبو إبراهيم لإبراهيم، حين دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان، والبراءة من الأوثان والأصنام :{أَرَاغِبٌ أَنْتَ} يا إبراهيم عن عبادة آلهتي؟"[٣].

قوله تعالى:{لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ} [مريم : ٤٦]، أي:" أي لئن لم تترك شتم وعيب آلهتي لأرجمنك بالحجارة"[٤].

قال مقاتل:" يعني: لئن لم تسكت لأشتمنك"[٥].

قال أبو الليث السمرقندي:" يقول: إن لم تنته عن مقالتك ولم ترجع عنها، لأسبنك وأشتمنك. وكل شيء في القرآن من «الرجم» فهو القتل غير هاهنا، فإن هاهنا أراد به السب والشتم"[٦].

قال الطبري:" {لئن} أنت {لم تنته} عن ذكرها بسوء، لأرجمنك بالكلام، وذلك السبّ، والقول القبيح"[٧].

قال الزجاج:" معناه لأشتمنك، يقال: فلان يرمي فلانا ويرجم فلانا معناه يشتمه، وكذلك قوله عز وجل: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ} [النور : ٤]، معناه: يشتمونهن، وجائز أن يكون {لأرجمنك}، لأقتلنك رجما، والذي عليه التفسير أن الرجم ههنا الشتم"[٨].

عن السدي:"{ لَأَرْجُمَنَّكَ}، بالشتيمة والقول"[٩].

عن ابن جريج:"{لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ}، قال: بالقول؛ لأشتمنك"[١٠].

قوله تعالى:{وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم : ٤٦]، أي:" واذهب عني فلا تلقني، ولا تكلمني زمانًا طويلا من الدهر"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم : ٤٦]، وجوه:

احدها: معناه: واهجرني حينا طويلا ودهرا. لأن معنى «الملّي»: المُلاوة من الزمان، وهو الطويل منه. وهذا قول الحسن[١]، وسعيد بن جبير[٢]، ومجاهد[٣]، وابن إسحاق[٤]، واختاره الفراء[٥]، وأبو عبيدة[٦]، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[٧].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢) بحر العلوم:٣٧٦/٢.
(٣) تفسير الطبري:٢٠٤/١٨-٢٠٥.
(٤) صفوة التفاسير:٢٠٠/٢.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٠/٢.
(٦) بحر العلوم:٣٧٦/٢.
(٧) تفسير الطبري:٢٠٥/١٨.
(٨) معاني القرآن:٣٢٢/٣.
(٩) أخرجه الطبري:٢٠٥/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٠٥/١٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٠٨.

وقال السدي:" أبدا"[٨].
قال مقاتل:" يعني: أيام حياتك"[٩].
قال أبو عبيدة:" أي: دهرا، وتمليت حبيبك، و«الملوان»: النهار والليل كما ترى، قال ابن مقبل[١٠]:
ألا يا ديار الحيّ بالسّبعان ... أملّ عليها بالبلى الملوان
يعنى الليل والنهار، و «أمّل عليها بالبلى» : أي: رجع عليها حتى أبلاها، أي طال عليها"[١١].
الثاني: معناه: سوياً سليماً من عقوبتي ، قاله ابن عباس[١٢]، وقتادة[١٣]، والضحاك[١٤]، وعطية الجدلي[١٥].
واختاره الطبري، وقال:معناه:" واهجرني سويا، سلما من عقوبتي، لأنه عقيب قوله {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ}، وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيئ، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدّم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له"[١٦].
قال ابن عباس:" اجتنبني سالما قبل إن يصيبك مني عقوبة"[١٧].
قال الضحاك:" اجتنبني سالما لا يصيبك مني معرّة"[١٨].
الثالث: حيناً ، قاله عكرمة[١٩].

القرآن
{قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)} [مريم : ٤٧]
التفسير:
قال إبراهيم لأبيه: سلام عليك مني فلا ينالك مني ما تكره، وسوف أدعو الله لك بالهداية والمغفرة. إن ربي كان رحيمًا رؤوفًا بحالي يجيبني إذا دعوته.

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢٠٥/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٠٥/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٨.
(٥) انظر: معاني القرآن:١٦٩/٢.
(٦) انظر: مجاز القرآن:١٠٨/١-١٠٩.
(٧) انظر: زاد المسير:١٣٤/٣.
(٨) أخرجه الطبري:٢٠٦/١٨.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٠/٢.
(١٠)البيت فى الكتاب ٢/ ٣٥١- وإصلاح المنطق ٤٣٦ وتهذيب الألفاظ ٥٠٠ والطبري ٤/ ١٢٣ والسمط ٥٣٣ والروض ١/ ٢٦ والاقتضاب ٤٧٢ والشنتمرى ٢/ ٣٢٢ واللسان (سبع) والعيني ٤/ ٤٥٤، ٥٧٩ والخزانة ٢/ ٢٧٥. ونسبه الحصرى فى زهر الآداب (٤/ ٦٨) إلى أعرابى من بنى عقيل، وياقوت فى معجم البلدان إليه فى قول، وإلى ابن أحمر فى قول آخر ٣/ ٣٣. - والسبعان:
بفتح أوله وضم ثانيه، وآخره نون متصل من تثنية السبع، قال ياقوت: قال أبو منصور هو موضع معروف فى ديار قيس نصر، السبعان: جبل قبل فلج وقيل واد شمالى سلم عنده جبل يقال له العبد.
(١١) مجاز القرآن:١٠٨/١-١٠٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٠٧/١٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٨.
(١٦) تفسير الطبري:٢٠٧/١٨.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٤٠):ص٢٤١٠/٧.
(١٨) أخرجه الطبري:٢٠٧/١٨.
(١٩) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣٧٤/٣.

قوله تعالى:{قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ} [مريم : ٤٧]، أي:" قال إبراهيم لأبيه: سلام عليك مني فلا ينالك مني ما تكره"[١].

قال الطبري:" يقول: أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت، ولدعائك إليّ ما توعدتني عليه بالعقوبة"[٢].

قال مكي:" أي: قال إبراهيم لأبيه حين توعده، وامتنع من الإيمان بما جاء به: سلام عليك " أي: أمنة مني لك ان أعادوك فيما كرهت"[٣].

قال القرطبي:" لم يعارضه إبراهيم عليه السلام بسوء الرد، لأنه لم يؤمر بقتاله على كفره. والجمهور على أن المراد بسلامه المسالمة التي هي المتاركة لا التحية.. وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام.

وقال بعضهم في معنى تسليمه: هو تحية مفارق، وجوز تحية الكافر وأن يبدأ بها. قيل لابن عيينة: هل يجوز السلام على الكافر؟ قال: نعم، قال الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة : ٨]، وقال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ} [الممتحنة : ٤]، الآية، وقال إبراهيم لأبيه:{سلام عليك}.

قلت-القرطبي-: الأظهر من الآية ما قاله سفيان بن عيينة"[٤].

قوله تعالى:{سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} [مريم : ٤٧]، أي:" وسوف أدعو الله لك بالهداية والمغفرة"[٥].

قال الطبري:" يقول: ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن عقوبتك عليها"[٦].

قال مكي:" أي: أسأل لك ربي أن يستر عليك ذنوبك"[٧].

وفي قوله تعالى:{سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} [مريم : ٤٧]، وجهان[٨]:

أحدهما : سأستغفر لك إن تركت عبادة الأوثان .

الثاني : معناه: سأدعوه لك بالهداية التي تقتضي الغفران.

قال يحيى بن سلام:"وأما قوله: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} [مريم: ٤٧]، فهو قوله:{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} [التوبة: ١١٤]"[٩].

قال أحمد الكرجي القصاب:" قوله إخبارًا عن إبراهيم: {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي}، حجة في إجازة السلام على ذي الرحم مِنَ الكفار، فيكون ذلك جائزًا بالقرآن، وعلى الأجنبيين ممنوعا بالسُّنة"[١٠].

قال الجصاص:" هذا سلام متاركة وليس بتحية، وهو نحو قوله: {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما} [الفرقان: ٦٣] وقوله: {واهجرني مليا} [مريم: ٤٦] وقال: إبراهيم {سلام عليك سأستغفر لك ربي} [مريم: ٤٧] . ومن الناس من يظن أن هذا يجوز على جواز ابتداء الكافر بالسلام. وليس كذلك، لما وصفنا من أن السلام ينصرف على معنيين: أحدهما: المسالمة التي هي المتاركة، والثاني: التحية التي هي دعاء بالسلامة والأمن، نحو تسليم المسلمين بعضهم على

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢) تفسير الطبري:٢٩٧/١٨.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٤٩/٧.
(٤) تفسير القرطبي:١١١/١١.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٦) تفسير الطبري:٢٩٧/١٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٤٩/٧.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٧٥/٣.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٨/١.
(١٠) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والاحكام:٢٤١/٢.

بعض، وقوله ﷺ: "للمؤمن على المؤمن ست أحدها أن يسلم عليه إذا لقيه"، وقوله تعالى: {وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها} [النساء: ٨٦] وقوله: {وتحيتهم فيها سلام} [يونس: ١٠]، وقد روي عن النبي ﷺ في الكفار: «لا تبدءوهم بالسلام وإنه إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم»[(١)]"[(٢)].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} [مريم : ٤٧]، أي:" إن ربي كان رحيمًا رؤوفًا بحالي يجيبني إذا دعوته"[(٣)].

قال الطبري:" يقول: إن ربي عهدته بي لطيفا يجيب دعائي إذا دعوته"[(٤)].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} [مريم : ٤٧]، وجوه:

أحدها: لطيفا. قاله ابن عباس[(٥)]، وابن زيد[(٦)]، وبه قال الزجاج[(٧)].

قال ابن زيد:" الحفيّ: اللطيف"[(٨)].

الثاني: معناه: عودني الإجابة. قاله مجاهد[(٩)].

الثالث: بارا، عودني منه الإجابة إذا دعوته. قاله ابن قتيبة[(١٠)].

وقال النحاس:" الحفي اللطيف البار يقال حفي به وتحفى إذا بره أي كان يجيبني إذا دعوته"[(١١)].

الرابع : يعني: لطيفا رحيماً ، قاله مقاتل[(١٢)].

الخامس : كان بي عليماً ، قاله الكلبي[(١٣)].

السادس : كان بي عالما لطيفا يجيب دعائي إذا دعوته. قاله الفراء[(١٤)].

السابع: متحفيا، يقال: تحفيت بفلان. قاله أبو عبيدة[(١٥)].

الثامن: متعهداً . حكاه الماوردي[(١٦)].

التاسع : مُقَرّباً . حكاه الماوردي[(١٧)].

العاشر : مُكْرِماً . حكاه الماوردي[(١٨)].

القرآن

{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)} [مريم : ٤٨]

التفسير:

---

(١) الحديث:« إنا غادون إلى يهود، فلا تبدؤهم بالسلام. فإذا سلموا عليكم، فقولوا: وعليكم». أخرجه أحمد ٣٩٨/٦، والطبرانى فى "المعجم الكبير" ٢٧٧/٢ رقم٢١٦٢.
(٢) أحكام القرآن:٤٥٢/٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٤) تفسير الطبري:٢٩٧/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٠٧/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٠٧/١٨.
(٧) انظر: معاني القرآن:٣٣٣/٣.
(٨) أخرجه الطبري:٢٠٧/١٨.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٤٢):ص٢٤١٠/٧.
(١٠) انظر: غريب القرآن:٢٧٤.
(١١) معاني القرآن:٣٣٦/٤.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٠/٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٣٧٥/٣.
(١٤) انظر: معاني القرآن:١٦٩/٢.
(١٥) انظر: مجاز القرآن:٨/٢.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٣٧٥/٣.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٣٧٥/٣.
(١٨) انظر: النكت والعيون:٣٧٥/٣.

وأفارقكم وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعو ربي مخلصًا، عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، فلا يعطيني ما أسأله.

قوله تعالى:{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [مريم : ٤٨]، أي:" وأفارقكم وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله"(١).

قال يحيى بن سلام:" يعني: أصنامهم"(٢).

قال الطبري:" يقول: وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام"(٣).

قال مقاتل:" فكان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من كوثا فهاجر منها إلى الأرض المقدسة"(٤).

قال الماتريدي:" الاعتزال - هاهنا - اعتزال هجرة إلى أرض الشام، ومفارقته إياهم مفارقة المكان والدار، كقوله: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء : ٧١] ، فقوله: {وَنَجَّيْنَاهُ}، النجاة بالفراق منهم، وقوله: {وما تدعون من دون الله}، أي: وأعتزلكم وما تعبدون من دون الله أيضا، ففيه إخبار عن اعتزاله عنهم بالدار والمكان، وعن فعلهم أيضا، اعتزلهم عن الأمرين جميعا"(٥).

قوله تعالى:{وَأَدْعُو رَبِّي} [مريم : ٤٨]، أي:" وأدعو ربي مخلصًا"(٦).

قال الطبري:" يقول: وأدعو ربي، بإخلاص العبادة له، وإفراده بالربوبية"(٧).

قوله تعالى:{عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا} [مريم : ٤٨]، أي:" عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، فلا يعطيني ما أسأله"(٨).

قال الطبري:" يقول: عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، ولكن يجيب دعائي، ويعطيني ما أسأله"(٩).

قال الفراء:" يقول: إن دعوته لم أشق به"(١٠).

قال مقاتل:" يعني: خائبا بدعائي لك بالمغفرة"(١١).

قال الماتريدي:" أي: أدعو ربي عسى ألا أكون بعبادة غير الله شقيا، كما كان قومه بعبادة غير الله أشقياء"(١٢).

قال السمعاني:" «عسى» من الله واجب، و«الدعاء» بمعنى: العبادة، و«الشقاوة»: الخيبة من الرحمة"(١٣).

قال القرطبي:" قيل: أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلا وولدا يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه. ولهذا قال: {فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب}"(١٤).

القرآن

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٨/١.
(٣) تفسير الطبري:٢٠٨/١٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٠/٢.
(٥) تأويلات أهل السنة:٢٤٠/٧.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٧) تفسير الطبري:٢٠٨/١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٩) تفسير الطبري:٢٠٨/١٨.
(١٠) معاني القرآن:١٦٩/٢.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٠/٢.
(١٢) تأويلات أهل السنة:٢٤١/٧.
(١٣) تفسير السمعاني:٢٩٦/٣.
(١٤) تفسير القرطبي:١١٣/١١.

{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)} [مريم : ٤٩]

التفسير:

فلما فارقهم وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله رزقناه من الولد: إسحاق، ويعقوب بن إسحاق، وجعلناهما نبيَّين.

قوله تعالى:{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [مريم : ٤٩]، أي:" فلما فارقهم وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله"(١).

قال الطبري:" فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان"(٢).

قال ابن كثير:" يقول : فلما اعتزل الخليل أباه وقومه في الله"(٣).

قوله تعالى:{وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [مريم : ٤٩]، أي:" رزقناه من الولد: إسحاق، ويعقوب بن إسحاق"(٤).

قال ابن عباس:" وهبنا له إسحاق ولدا ويعقوب ابن ابنه"(٥).

قال الطبري:يقول" آنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق"(٦).

قال القرطبي:" أي: آنسنا وحشته بولد"(٧).

قال ابن كثير:" أبدله الله من هو خير منهم ، ووهب له إسحاق ويعقوب ، يعني ابنه وابن إسحاق ، كما قال في الآية الأخرى : { وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً } [الأنبياء : ٧٢] ، وقال : { وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ } [هود : ٧١].

ولا خلاف أن إسحاق والد يعقوب ، وهو نص القرآن في سورة البقرة : { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ } [البقرة : ١٣٣]. ولهذا إنما ذكر هاهنا إسحاق ويعقوب ، أي : جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء ، أقر الله بهم عينه في حياته"(٨).

قوله تعالى:{وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا} [مريم : ٤٩]، أي:" وجعلناهما نبيَّين"(٩).

قال البغوي:" يعني: إسحاق ويعقوب"(١٠).

قال ابن كثير:" فلو لم يكن يعقوب قد نُبئ في حياة إبراهيم ، لما اقتصر عليه ، ولذكر ولده يوسف ، فإنه نبي أيضًا كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته ، حين سئل عن خير الناس ، فقال : «يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله»(١١)، وفي اللفظ الآخر : «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم : يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»(١٢)"(١٣).

القرآن

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢) تفسير الطبري:٢٠٨/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٣٦/٥.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم:٢٤١٠/٧. الخبر غير مرقم بالمطبوع!
(٦) تفسير الطبري:٢٠٨/١٨.
(٧) تفسير القرطبي:١١٣/١١.
(٨) تفسير ابن كثير:٢٣٦/٥-٢٣٧.
(٩) التفسير الميسر:٣٠٨.
(١٠) تفسير البغوي:٢٣٦/٥.
(١١)صحيح البخاري برقم (٣٣٧٤) وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٨).
(١٢)صحيح البخاري برقم (٤٦٨٨).
(١٣) تفسير ابن كثير:٢٣٧/٥.

{وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)} [مريم : ٥٠]
التفسير:
ووهبنا لهم جميعا من رحمتنا فضلا لا يحصى، وجعلنا لهم ذكرًا حسنًا، وثناءً جميلا باقيًا في الناس.
قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا} [مريم : ٥٠]، أي:" ووهبنا لهم جميعا من رحمتنا فضلا لا يحصى"(١).
قال الطبري:يقول" يقول جلّ ثناؤه: ورزقنا جميعهم، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا، وكان الذي وهب لهم من رحمته، ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه، وأغناهم بفضله"(٢).
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} [مريم : ٥٠]، أي:" وجعلنا لهم ذكرًا حسنًا، وثناءً جميلا باقيًا في الناس"(٣).
قال ابن عباس:" الثناء الحسن"(٤).
قال ابن قتيبة:" أي: ذكرا حسنا عاليا"(٥).
قال الزجاج:" أي: أبقينا لهم ثناء حسنا"(٦).
وقال النحاس:" أي: أبقينا عليهم ثناء حسنا"(٧).
قال القرطبي:" أي: أثنينا عليهم ثناء حسنا، لأن جميع الملل تحسن الثناء عليهم"(٨).
قال الطبري: ورزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل من الناس، وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلوّ، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم، والعرب تقول: قد جاءني لسان فلان، تعني ثناءه أو ذمه؛ ومنه قول عامر بن الحارث(٩):
إنّي أتَتْنِي لِسانٌ لا أسَرُّ بِهَا ... مِنْ عَلْو لا عَجَبٌ مِنْها وَلا سَخُر
ويروى: لا كذب فيها ولا سَخَر(١٠):
جاءَتْ مُرجَمَّة قد كُنْتُ أحْذَرُها ... لَوْ كانَ يَنْفَعُنِي الإشْفاقُ والحَذَرُ
مرجمة: يظنّ بها"(١١).
فوائد الآيات:[٤٦-٥٠]:

(١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢) تفسير الطبري:٢٠٨/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٤٣):ص٢٤١٠/٧.
(٥) غريب القرآن:٢٧٤.
(٦) معاني القرآن: ٣٣٣/٣.
(٧) معاني القرآن:٣٣٦/٤.
(٨) تفسير القرطبي:١١٣/١١.
(٩)البيت لأعشى باهلة واسمه عامر بن الحارث (جمهرة أشعار العرب ص ١٣٥) وهي إحدى المراثي الجياد. الجياد. وفي (اللسان: لسن) اللسان: جارحة الكلام، وقد يكنى بها عن الكلمة، فيؤنث حينئذ. قال: أعشى باهلة: " إني أتتني لسانه. . . البيت ". قال ابن بري: اللسان هنا: الرسالة والمقالة. وقد يذكر على معنى الكلام. ثم قال: قال اللحياني: اللسان في الكلام يذكر ويؤنث، يقال إن لسان الناس عليك لحسنة وحسن، أي ثناؤهم. أه. واللسان: الثناء، وقوله عز وجل: " واجعل لي لسان صدق في الآخرين": معناه: اجعل لي ثناءً حسنًا باقيًا إلى آخر الدهر. أه. وفي (تاج العروس: علا) : وأن قول أعشى باهلة " من علو " فيروى بضم الواو وفتحها وكسرها، أي أتاني خبر من أعالي نجد. أه. وفي جمهرة أشعار العرب: السخر: الاستهزاء. أه. وقد استشهد المؤلف بالبيت على أن اللسان قد يجيء بمعنى الثناء مع أن اللغويين فسروه بمعنى الخبر أو الرسالة أو المقالة.
(١٠)هذا البيت لأعشى باهلة أيضًا، وهو بعد البيت السابق عليه في القصيدة نفسها، كما في (جمهرة أشعر العرب ص ١٣٦) . ومعنى مرجمة: أي مظنونة، لا يوقف على حقيقتها ويقال: كلام مرجم عن غير يقين. ولعل الشاعر أراد أن الناس كلهم لم يصدقوا خبر هذا الفاجعة التي نزلت بهم، فهم بين مصدق ومكذب.
(١١) تفسير الطبري:٢٠٨/١٨-٢٠٩.

١- بيان الفرق بين ما يخرج من فم المؤمن الموحد من طيب القول وسلامة اللفظ ولين الجانب والكلام، وبين ما يخرج من فم الكافر المشرك من سوء القول وقبح اللفظ وقسوة الجانب وفظاظة الكلام.
٢- مشروعية سلام المتاركة والموادعة وهو أن يقال للسيء من الناس: «سلام عليك» وهو لا يريد بذلك تحيته ولكن تركه وما هو فيه.
٣- مشروعية الهجرة وبيان فضلها وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة كانت في الأرض.

القرآن
{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١)} [مريم : ٥١]
التفسير:
واذكر - أيها الرسول - في القرآن قصة موسى - عليه السلام - إنه كان مصطفى مختارًا، وكان رسولا نبيًا مِن أولي العزم من الرسل.
قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى} [مريم : ٥١]، أي:" واذكر - أيها الرسول - في القرآن قصة موسى - عليه السلام -"[١].
قال يحيى:" يقول: اذكر لأهل مكة أمر موسى"[٢].
قال الطبري:" واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه إليك موسى بن عمران"[٣].
قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا} [مريم : ٥١]، أي:" إنه كان مصطفى مختارًا"[٤].
قال الزجاج:" «المخلص» - بفتح اللام- الذي أخلصه الله جل وعز، أي: جعله مختارا خالصا من الدنس. و«المخلِص» - بكسر اللام -: الذي وحد الله - عز وجل - وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دنسة"[٥].
قوله تعالى:{وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم : ٥١]، أي:" وكان رسولا نبيًا مِن أولي العزم من الرسل"[٦].
قال مجاهد:" النبي وحده الذي تكلم، وينزل عليه ولا يرسل، ولفظ ابن أبي حاتم الأنبياء الذين ليسوا برسل يوحى إلى أحدهم، ولا يرسل إلى أحدهم، والرسل الأنبياء الذين يوحى إليهم ويرسلون"[٧].

القرآن
{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢)} [مريم : ٥٢]
التفسير:
ونادينا موسى من ناحية جبل طور «سيناء» اليمنى من موسى، وقرَّبناه فشرَّفناه بمناجاتنا له.
قوله تعالى:{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} [مريم : ٥٢]، أي:" ونادينا موسى من ناحية جبل طور «سيناء» اليمنى من موسى"[٨].
قال الطبري:يقول:" ونادينا موسى من ناحية الجبل، ويعني بالأيمن: يمين موسى، لأنة الجبل لا يمين له ولا شمال"[٩].

---
(١) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٨/١.
(٣) تفسير الطبري:٢٠٩/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٥) معاني القرآن:٣٢٣/٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٤٤):ص٢٤١١/٧.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٩) تفسير الطبري:٢١٠/١٨.

قال الفراء:" ليس للطور يمين ولا شمال، إنما هو الجانب الذي يلي يمينك كما تقول: عن يمين القبلة وعن شمالها"(١).

عن قتادة، قوله :{مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأيْمَنِ}، قال: جانب الجبل الأيمن"(٢).

قوله تعالى:{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم : ٥٢]، أي:" وقرَّبناه فشرَّفناه بمناجاتنا له"(٣).

قال الطبري:يقول:" وأدنيناه مناجيا، كما يقال: فلان نديم فلان ومنادمه، وجليس فلان ومجالسه. وذُكر أن الله جلّ ثناؤه أدناه، حتى سمع صريف القلم"(٤).

قال يحيى:" حين كلمه الله"(٥).

قال مقاتل:" يعني: كلمناه من قرب، وكان بينهما حجاب خفي سمع صرير القلم ويقال: صريف القلم"(٦).

قال ابن عباس:" أُدْنِيّ حتى سمع صريف القلم"(٧).

قال أبو العالية:" قرّبه منه حتى سمع صريف القلم"(٨).

عن ميسرة :"{وقَرَّبْناهُ نَجِيًّا}، قال: أُدْنِيَ حتى سمع صريف القلم في اللوح، وقال شعبة: أردفه جبرائيل عليه السلام"(٩).

عن ابن أبي نجيح، قال: "أراه عن مجاهد، في قوله :{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}، قال: بين السماء الرابعة، أو قال: السابعة، وبين العرش سبعون ألف حجاب: حجاب نور، وحجاب ظلمة، وحجاب نور، وحجاب ظلمة؛ فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب، وسمع صريف القلم {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ}"(١٠).

قال قتادة:" نجا بصدقه"(١١).

قال سهل بن عبدالله:" هذا مقام من الله للذين صدقوا الله في السر والعلانية"(١٢).

قال عمرو بن معديكرب: "لما قرب الله موسى نجيا بطور سيناء، قال: يا موسى، إذا خلقت لك قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة تعين على الخير، فلم أخزن عنك من الخير شيئا، ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئا"(١٣).

القرآن

{وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣)} [مريم : ٥٣]

التفسير:

ووهبنا لموسى من رحمتنا أخاه هارون نبيًا يؤيده ويؤازره.

قال الطبري:" يقول: ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون {نَبِيًّا} يقول: أيَّدناه بنبوّته، وأعنَّاه بها"(١٤).

قال يحيى:" جعله الله له وزيرا وأشركه معه في الرسالة"(١).

---

(١) معاني القرآن:١٦٩/٢.
(٢) اخرجه الطبري:٢١٠/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٤) تفسير الطبري:٢١٠/١٨.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٩/١.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣١/٢.
(٧) أخرجه الطبري:٢١٠/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٢١١/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٢١١/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٢١٠/١٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٤٥):ص٢٤١١/٧.
(١٢) تفسير التستري:٩٩.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٤٧):ص٢٤١١/٧.
(١٤) تفسير الطبري:٢١١/١٨.

قال مقاتل:" فوهب الله- عز وجل- له أخاه هارون، وذلك حين سأل موسى- عليه السلام- ربه- عز وجل- فقال- {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(٢٩) هَارُونَ أَخِي} [طه : ٢٩-٣٠]، وحين قال: {فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ} [الشعراء : ١٣]"[٢].

قال ابن عباس:" كان هارون أكبر من موسى، ولكن إنما وهب له نبوته"[٣].

فوائد الآيات:[٥١-٥٣]:

١- فضيلة الإخلاص، وهو إرادة الله تعالى بالعبادة ظاهرا وباطنا.
٢- إثبات صفة الكلام والمناجاة لله تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل.
٣- بيان إكرام الله تعالى وإنعامه على موسى إذ أعطاه ما لم يعط أحدا من العالمين باستجابة دعائه بأن جعل أخاه هارون رسولا نبيا.
٤- تقرير أن كل رسول نبيا والعكس لا أي ليس كل نبي رسولا.

القرآن

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤)} [مريم : ٥٤]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إسماعيل عليه السلام، إنه كان صادقًا في وعده فلم يَعِد شيئًا إلا وفَّى به، وكان رسولا نبيًا.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ} [مريم : ٥٤]، أي:" واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إسماعيل -عليه السلام-"[٤].

قال مقاتل:" يعني واذكر لأهل مكة فى القرآن أمر إسماعيل بن إبراهيم لصلبه"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ} [مريم : ٥٤]، أي:" إنه كان صادقًا في وعده فلم يَعِد شيئًا إلا وفَّى به"[٦].

قال الطبري:" فاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده، ولا يخلف، ولكنه كان إذا وعد ربه، أو عبدًا من عباده وعدًا وفّى به"[٧].

قال مقاتل:" وذلك أن إسماعيل- عليه السلام- وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه. فأقام ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع الرجل إليه"[٨].

قال ابن جريج:" لم يعد ربه عِدة إلا أنجزها"[٩].

عن أبان العطار:" أن إسماعيل وعد رجلا موعدا فجاء الموعد فلم يجد الرجل، فأقام في ذلك الموضع حولا ينتظره"[١٠].

قال سفيان الثوري:" بلغني إن إسماعيل وصاحبا له أتيا قرية، فقال له صاحبه: إما إن أجلس وتدخل فتشتري طعاما زادنا، وإما إن أدخل فأكفيك ذلك، فقال له إسماعيل: بلى ادخل أنت وأنا أجلس أنتظرك، فدخل ثم نسي فخرج، فأقام مكانه حتى كان الحول من ذلك اليوم، فمر به الرجل، فقال له: أنت هاهنا حتى الساعة؟ قال: قلت: لك لا أبرح حتى تجيء، فقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ}"[١١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٩/١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣١/٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٤٦):ص٢٤١١/٧.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣١/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٧) تفسير الطبري:٢١١/١٨.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣١/٢.
(٩) أخرجه الطبري:٢١١/١٨.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٩/١.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٤٨):ص٢٤١١/٧.

قوله تعالى:{وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم : ٥٤]، أي:" وكان إسماعيل رسولا نبيًا"[١].
قال ابن كثير:"قوله : {وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا } في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق ؛ لأنه إنما وصف بالنبوة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة. وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل...»[٢]، وذكر تمام الحديث ، فدل على صحة ما قلناه"[٣].

القرآن
{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)} [مريم : ٥٥]
التفسير:
وكان يأمر أهله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان عند ربه عز وجل مرضيًا عنه.
قوله تعالى:{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ} [مريم : ٥٥]، أي:" وكان يأمر أهله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة"[٤].
قال مقاتل:" كقوله- سبحانه- فى طه: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ} [طه : ١٣٢]، يعني: قومك بالصلاة، وفي قراءة ابن مسعود: «وكان يأمر قومه بالصلاة» والزكاة"[٥].
قوله تعالى:{وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم : ٥٥]، أي:" وكان عند ربه عز وجل مرضيًا عنه"[٦].
قال الطبري:أي:" عمله، محمودا فيما كلفه ربه، غير مقصر في طاعته"[٧].
قال يحيى:" قد رضي عنه"[٨].

القرآن
{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦)} [مريم : ٥٦]
التفسير:
واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إدريس عليه السلام، إنه كان عظيم الصدق في قوله وعمله، نبيًا يوحى إليه.
قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ} [مريم : ٥٦]، أي:" واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إدريس -عليه السلام-"[٩].
عن عبد الله بن عمرو بن العاص: "إن إدريس أقدم من نوح، بعثه الله إلى قومه، فأمرهم الله إن يقولوا :«لا إله إلا الله»، ويعملوا بما شاء، فأبوا، فأهلكهم الله"[١٠].
قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} [مريم : ٥٦]، أي:" إنه كان عظيم الصدق في قوله وعمله، نبيًا يوحى إليه"[١١].
قال الطبري:أي:" لا يقول الكذب، {نَبِيًّا}، نوحي إليه من أمرنا ما نشاء"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢)عند مسلم في صحيحه برقم (٢٢٧٦) : "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى من كنانة قريشا" ، والله أعلم.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٣٩/٥-٢٤٠.
(٤) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣١/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٧) تفسير الطبري:٢١٢/١٨.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٩/١.
(٩) التفسير الميسر:٣٠٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٤٩):ص٢٤١١/٧.
(١١) التفسير الميسر:٣٠٩.
(١٢) تفسير الطبري:٢١٢/١٨.

القرآن

{وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)} [مريم : ٥٧]

التفسير:

ورفَعْنا ذِكْره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة.

قال الطبري:أي:" يعني به: إلى مكان ذي علوّ وارتفاع"(١).

قال مجاهد: إدريس رُفع فلم يمت، كما رُفع عيسى"(٢).

قال ابن عباس:" رفع إلى السماء السادسة فمات فيها"(٣).

عن أبي سعيد الخدريّ :"{وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}، قال: في السماء الرابعة"(٤). وروي عن مجاهد نحوه(٥).

عن قتادة، قوله :"{وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}، قال: حدثنا أنس بن مالك أن نبيّ الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال: أتيت على إدريس في السماء الرابعة"(٦).

أخرج الطبري بسنده عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره -شكّ أبو جعفر الرازي- قال: "لما أسري بالنبيّ ﷺ صعد به جبريل إلى السماء الرابعة، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معه؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل، قال: هذا إدريس رفعه الله مكانا عليا"(٧).

قال كعب: أما إدريس، فإن الله أوحى إليه: إني رافع لك كلّ يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحبّ أن تزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة، فقال: إن الله أوحى إليّ كذا وكذا، فكلم لي ملك الموت، فليؤخرني حتى أزداد عملا فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء؛ فلما كان في السماء الرابعة، تلقاهم ملك الموت منحدرا، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قول الله تبارك وتعالى: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}"(٨).

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال: "إدريس هو إلياس"(٩).

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)} [مريم : ٥٨]

التفسير:

هؤلاء الذين قصصتُ عليك خبرهم أيها الرسول، هم الذين أنعم الله عليهم بفضله وتوفيقه، فجعلهم أنبياء من ذرية آدم، ومِن ذرية مَن حملنا مع نوح في السفينة، ومن ذرية إبراهيم، ومن ذرية يعقوب، وممَّن هدينا للإيمان واصطفينا للرسالة والنبُوَّة، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن

---

(١) تفسير الطبري:٢١٢/١٨.

(٢) أخرجه الطبري:٢١٣/١٨.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٠):ص٢٤١٢/٧، والطبري:٢١٣/١٨.

(٤) أخرجه الطبري:٢١٣/١٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٢١٣/١٨.

(٦) تفسير الطبري:٢١٣/١٨.

(٧) تفسير الطبري:٢١٣/١٨.

(٨) أخرجه الطبري:٢١٢/١٨.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره: ٢٤١٢/٧. بسند حسن، وانظر: الدر المنثور: ٥/ ٥١٥- ٥١٦

المتضمنة لتوحيده وحججه خرُّوا ساجدين لله خضوعًا، واستكانة، وبكَوْا من خشيته سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ} [مريم : ٥٨]، أي:" هؤلاء الذين قصصتُ عليك خبرهم أيها الرسول، هم الذين أنعم الله عليهم بفضله وتوفيقه، فجعلهم أنبياء"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين اقتصصتُ عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء"(٢).

قوله تعالى:{مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ} [مريم : ٥٨]، أي:" أي: من نسل آدم"(٣).

قال الطبري:" عنى به : إدريس"(٤).

قوله تعالى:{وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} [مريم : ٥٨]، أي:" ومِن ذرية مَن حملنا مع نوح في السفينة"(٥).

قال الطبري:" عني به : إبراهيم"(٦).

قوله تعالى:{وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ} [مريم : ٥٨]، أي:" أي: ومن نسل إبراهيم"(٧).

قال الطبري:" عني به : إسحاق ويعقوب وإسماعيل"(٨).

قوله تعالى:{وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ} [مريم : ٥٨]، أي:" ومن ذرية إسرائيل وهو «يعقوب»"(٩).

قال الطبري:" عنى به : موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جدّ نوح"(١٠).

قوله تعالى:{وَمِمَّنْ هَدَيْنَا} [مريم : ٥٨]، أي:" وممَّن هدينا للإيمان"(١١).

قال الطبري:يقول:" وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته"(١٢).

قوله تعالى:{وَاجْتَبَيْنَا} [مريم : ٥٨]، أي:" وممَّن اصطفينا للرسالة والنبُوَّة"(١٣).

قال الطبري:" يقول: وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا"(١٤).

عن مجاهد:" {وَاجْتَبَيْنا}، قال: خلصنا"(١٥).

قال أبو عبيدة:" {وَاجْتَبَيْنا}، أي:اخترنا"(١٦).

قوله تعالى:{إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم : ٥٨]، أي:" تتلى عليهم آيات الرحمن المتضمنة لتوحيده وحججه خرُّوا ساجدين لله خضوعًا، واستكانة، وبكَوْا من خشيته سبحانه وتعالى"(١٧).

---

(١) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢) تفسير الطبري:٢١٤/١٨.
(٣) صفوة التفاسير:٢٠٢/٢.
(٤) تفسير الطبري:٢١٤/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٦) تفسير الطبري:٢١٤/١٨.
(٧) انظر: صفوة التفاسير:٢٠٢/٢.
(٨) تفسير الطبري:٢١٤/١٨.
(٩) انظر: صفوة التفاسير:٢٠٢/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٢١٤/١٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٠٩.
(١٢) تفسير الطبري:٢١٤/١٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣٠٩.
(١٤) تفسير الطبري:٢١٤/١٨.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٥١):ص٢٤١٢/٧.
(١٦) مجاز القرآن:٨/٢.
(١٧) التفسير الميسر:٣٠٩.

قال الطبري:" يقول: إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه، خروا لله سجدا، استكانة له وتذللا وخضوعا لأمره وانقيادا، {وَبُكِيًّا}، يقول: خرّوا سجدا وهم باكون"[١].

عن عمر بن الخطاب: "أنه قرأ سورة «مريم» فسجد، ثم قال: هذا السجود فأين البكاء؟"[٢]. وفي رواية:" فأين البكيّ؟"[٣].

فوائد الآيات:[٥٤-٥٨]:

١- تقرير النبوة إذ الذي نبأ هؤلاء وأرسلهم لا ينكر عليه أن ينبىء محمدا ويرسله.
٢- فضيلة الأمر بالصلاة والزكاة.
٣- فضيلة الوفاء بالوعد والصدق في القول والعمل.
٤- سنية السجود لمن تلا هذه الآية أو تليت وهو يستمع إليها. {خروا سجدا وبكيا} .
٥- فضيلة البكاء حال السجود فقد كان عمر إذا تلا هذه الآية سجد ثم يقول هذا السجود فأين البكي يعني البكاء.

(١) تفسير الطبري:٢١٤/١٨.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٥٢):ص٢٤١٢/٧.
(٣) أخرجه الطبري:٢١٥/١٨.

القرآن
{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)} [مريم : ٥٩]
التفسير:
فأتى مِن بعد هؤلاء المنعَم عليهم أتباع سَوْء تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها، واتبعوا ما يوافق شهواتهم ويلائمها، فسوف يلقون شرًا وضلالا وخيبة في جهنم.
قوله تعالى:{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ} [مريم : ٥٩]، أي:" فأتى مِن بعد هؤلاء المنعَم عليهم أتباع سَوْء تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها"[١].
قال الطبري:" فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم، ووصفت صفتهم في هذه السورة، خلْف سوء في الأرض أضاعوا الصلاة"[٢].
قال السدي:" هم اليهود والنصارى"[٣].
واختلف أهل التفسير في صفة إضاعتهم الصلاة، على أقوال:
أحدها: كانت إضاعتهموها تأخيرهم إياها عن مواقيتها، وتضييعهم أوقاتها. قاله القاسم بن مخيمرة[٤]، وعمر بن عبد العزيز[٥].
قال القاسم بن مخيمرة :"أخروا الصلاة عن ميقاتها، ولو تركوها كفروا"[٦].
عن ابن مسعود، أنه قيل له: "إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ} و {عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ} و {عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: على مواقيتها، قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا على الترك، قال: ذاك الكفر"[٧].
عن إبراهيم بن يزيد:" أن عمر بن عبد العزيز بعث رجلا إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين، فخرج إلى حرسه، وقد كان تقدم إليهم أن لا يقوموا إذا رأوه، قال: فأوسعوا له، فجلس بينهم فقال: أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر؟ فقالوا: كلنا نعرفه، قال: فليقم أحدثكم سنا، فليدعه، فأتاه الرسول فقال: لا تعجلني أشدّ عليّ ثيابي، فأتاه فقال: إن اليوم الجمعة، فلا تبرحن حتى تصلي، وإنا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين، فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها، فإنك مصليها لا محالة، ثم قرأ: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}، ثم قال: لم يكن إضاعتهم تركها، ولكن أضاعوا الوقت"[٨]. وفي رواية:" لم يكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا المواقيت"[٩].
قال مسروق: "لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس، فيكتب من الغافلين، وفي إفراطهنّ الهلكة، وإفراطهنّ: إضاعتهنّ عن وقتهنّ"[١٠].
الثاني: أن إضاعتها: تركها. قاله محمد بن كعب[١١].
قال القرظي: "تركوا الصلاة"[١٢].

(١) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢) تفسير الطبري:٢١٥/١٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٣):ص٢٤١٢/٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٢١٥/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢١٥/١٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٤):ص٢٤١٢/٧.
(٧) أخرجه الطبري:٢١٦/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٢١٦/١٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٦):ص٢٤١٢/٧.
(١٠) أخرجه الطبري:٢١٦/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢١٦/١٨، وتفسير ابن ابي حاتم(١٣١٥٤):ص٢٤١٢/٧.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٤):ص٢٤١٢/٧.

واختاره الطبري واحتج: بقول الله تعالى: {إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}، "فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن، وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله، ولا يؤدّون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله، وقد قيل: إن الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان"(١).

عن مجاهد، قوله :"فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}، قال: عند قيام الساعة، وذهاب صالحي أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض في الأزقة. قال محمد بن عمرو: زنا. وقال الحارث: زناة"(٢).

عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبي رباح :"{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} .... الآية، قال: هم أمة محمد"(٣).

قال أبو تميم بن مهاجر "هم في هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر في الطرق، لا يخافون الله في السماء، ولا يستحيون الناس في الأرض"(٤).

الثالث: : أن تكون إضاعتها الإخلال باستيفاء شروطها. أفاده الماوردي(٥).

قوله تعالى:{وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ} [مريم : ٥٩]، أي:" واتبعوا ما يوافق شهواتهم ويلائمها"(٦).

قال ابن الأشعث: "أوحى الله إلى داود عليه السلام: إن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عني محجوبة"(٧).

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم : ٥٩]، أي:" فسوف يلقون شرًا وضلالا وخيبة في جهنم"(٨).

قال الطبري:" يعني أن هؤلاء الخلْف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غيا، وهو اسم واد من أودية جهنم، أو اسم بئر من آبارها"(٩).

وفي قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم : ٥٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه واد في جهنم ، قالته عائشة وابن مسعود(١٠).

قال ابن مسعود:" «الغي»: نهر أو واد في جهنم من قيح بعيد القعر خبيث الطعم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات"(١١).

وعن ابن مسعود :" {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}، قال: واديا في النار"(١٢).

عن عبد الله بن عمرو :"{فسوف يلقون غيا}، قال: واديا في جهنم"(١٣).

عن لقمان بن عامر الخزاعي، قال: "جئت أبا أمامة صديّ بن عجلان الباهلي، فقلت: حدِّثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فدعا بطعام، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا، ثم تنتهي إلى غي وأثام، قال: قلت وما غي وما أثام؟ قال: بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٢١٦-٢١٧.
(٢) اخرجه الطبري:١٨/٢١٧.
(٣) اخرجه الطبري:١٨/٢١٧.
(٤) اخرجه الطبري:١٨/٢١٧.
(٥) انظر: النكت والعيون:٣/٣٧٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٨):ص٧/٢٤١٢.
(٨) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٩) تفسير الطبري:١٨/٢١٧.
(١٠)انظر: تفسير الطبري:١٨/٢١٨.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٢):ص٧/٢٤١٣.
(١٢) اخرجه الطبري:١٨/٢١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:١٨/٢١٨.

أهل النار، وهما اللتان ذكر الله في كتابه :{أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا} ، وقوله في الفرقان :{ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما}"(١).
الثاني : أنه الخسران ، قاله ابن عباس(٢).
الثالث : أنه الشر ، قاله ابن زيد(٣)، ومنه قول الشاعر(٤):
فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَد النَّاس أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيّ لائما
الرابع : أنه السوء. قاله قتادة(٥).

قال الطبري:" وكلّ هذه الأقوال متقاربات المعاني، وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبيّ ﷺ، والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فدخل ذلك، فقد لاقى خسرانا وشرّا، حسبه به شرّا"(٦).
الخامس: الضلال عن الجنة. حكاه الماوردي(٧).
السادس : الخيبة. حكاه الماوردي(٨).

قال كعب:"والله إني لأجد صفة المنافقين في التوراة: شرابين للقهوات، تباعين للشهوات، لعانين للكعبات، رقادين عن العتمات، مفرطين في الغدوات، تراكين للصلوات، تراكين للجمعات، ثم تلا هذه الآية: {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات}"(٩).

عن أبي سعيد الخدري: "سمعت رسول الله ﷺ، وتلا هذه الآية: {فخلف من بعدهم خلف}، فقال: يكون خلف من عبد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم يكون خلف: يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر"(١٠).

روي عن عائشة :"أنها كانت ترسل بالصدقة لأهل الصدقة وتقول: لا تعطوا منها بربريا، ولا بربرية، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: هم الخلف الذين قال الله: فخلف من بعدهم خلف"(١١).

قال ابن الجوزي:" زعم بعض الجهلة أن [قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً}] منسوخ بالاستثناء بعده(١٢)، وقد بينا أن الاستثناء ليس بنسخ"(١٣).

القرآن
{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠)} [مريم : ٦٠]
التفسير:

---

(١) أخرجه الطبري:٢١٧/١٨-٢١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢١٩/١٨، وتفسير ابن أبي حاتم(١٣١٦١):ص٢٤١٣/٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢١٩/١٨.
(٤)البيت للمرقش الأصغر: ربيعة بن سليمان بن سعد بن مالك ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وهو ابن أخي المرقش المرقش الأكبر، وعم طرفة بن العبد (المفضليات، طبع القاهرة ص ١١٨)/ وهو من شواهد الطبري في التفسير:٢١٩/١٨، وفي (اللسان: غوى) قال: الغي: الضلال والخيبة. غوى (بالفتح) غيا، وغوى (بالكسر) غواية. الأخيرة عن أبي عبيد: ضل. ورجل غاو، وغو، وغوى، وغيان: ضال. وأغواه هو. وأنشد للمرقش: " فمن يلق. . . . البيت" .
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٣):ص٢٤١٣/٧.
(٦) تفسير الطبري:٢١٩/١٨.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣٨٠/٣.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٨٠/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٧):ص٢٤١٢/٧.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٩):ص٢٤١٢/٧.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٠):ص٢٤١٣/٧.
(١٢)عد هذه الآية من المنسوخة ابن حزم في ناسخه ٣٤٦،وابن سلامة في ناسخه (٦٢) بلفظ ثم استثنى بقوله: {إلا من تاب}.
(١٣) نواسخ القرآن:٥٠٧/٢.

لكن مَن تاب منهم مِن ذنبه وآمن بربه وعمل صالحًا تصديقًا لتوبته، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويدخلون الجنة مع المؤمنين ولا يُنقَصون شيئًا من أعمالهم الصالحة.

قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [مريم : ٦٠]، أي:" إلا من تاب وأناب وأصلح عمله"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا، إلا الذين تابوا فراجعوا أمرا الله، والإيمان به وبرسوله، وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه، وأدّى فرائضه، واجتنب محارمه من هلك منهم على كفره، وإضاعته الصلاة واتباعه الشهوات"[٢].

عن قتادة: "{إلا من تاب}، قال من ذنبه، {وآمن}، قال: بربه، {وعمل صالحا}، قال: بينه وبين الله"[٣].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم : ٦٠]، أي:" فأولئك يدخلون الجنة مع المؤمنين ولا يُنقَصون شيئًا من أعمالهم الصالحة"[٤].

قال يحيى:" يقول: لا ينقصون شيئا من حسناتهم"[٥].

قال مكي:" أي: ولا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئا"[٦].

قال الطبري:" يقول: ولا يُبْخَسون من جزاء أعمالهم شيئا، ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم، وقبل إنابتهم إلى طاعة ربهم في جهنم، ولكنهم يدخلون مدخل أهل الإيمان"[٧].

قال الزمخشري:" أى: لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه، بل يضاعف لهم، بيانا لأن تقدّم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من ذلك، من قولك: ما ظلمك أن تفعل كذا، بمعنى: ما منعك. أو لا يظلمون البتة، أى: شيئا من الظلم "[٨].

القرآن

{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١)} [مريم : ٦١]

التفسير:

جنات خلد وإقامة دائمة، وهي التي وعد الرحمن بها عباده بالغيب فآمَنوا بها ولم يروها، إن وعد الله لعباده بهذه الجنة آتٍ لا محالة.

قوله تعالى:{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ} [مريم : ٦١]، أي:" جنات خلد وإقامة دائمة، وهي التي وعد الرحمن بها عباده بالغيب فآمَنوا بها ولم يروها"[٩].

قال الطبري:" فأولئك يدخلون الجنة {جَنَّاتِ عَدْنٍ}،أي: بساتين إقامة، هذه الجنات هي الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب، لأنهم لم يروها ولم يعاينوها، فهي غيب لهم"[١٠].

قال البيضاوي:" أي: وعدها إياهم وهي غائبة عنهم، أو وهم غائبون عنها، أو وعدهم بإيمانهم بالغيب"[١١].

---

(١) صفوة التفاسير:٢٠٢/٢.
(٢) تفسير الطبري:٢١٩/١٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٣):ص٢٤١٣/٧.
(٤) التفسير الميسر:٢٠٩.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٣١/١.
(٦) الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٥٦٣/٧.
(٧) تفسير الطبري:٢١٩/١٨-٢٢٠.
(٨) الكشاف:٢٦/٣.
(٩) التفسير الميسر:٢٠٩.
(١٠) تفسير الطبري:٢١٩/١٨-٢٢٠.
(١١) تفسير البيضاوي:١٤/٤.

قال الماتريدي:" يحتمل إيمانهم بالغيب، أي: بالله آمنوا به بالخبر وإن لم يروه، ويحتمل الغيب: الجنة، أي: صدقوا بها وإن لم يروها والنار والبعث بالغيب"[١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا} [مريم : ٦١]، أي:" إن وعد الله لعباده بهذه الجنة آتٍ لا محالة"[٢].

قال مقاتل:" يعني: جائيا لا خلف له"[٣].

قال الماتريدي:" أي: موعودا مأتيا"[٤].

قال البيضاوي:" إن الله {كان وعده} الذي هو الجنة، {مأتيا} يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة، وقيل: هو من أتى إليه إحسانا أي مفعولا منجزا"[٥].

قال الطبري:" إن الله كان وعده، ووعده في هذا الموضع موعوده، وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله"[٦].

قال مكي:" «الوعد» هنا بمعنى: الموعود. كما قالوا: الخلق بمعنى المخلوق"[٧].

قال الزجاج:" «مأتي»: مفعول من الإتيان، لأن كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه وكل ما أتاك فقد أتيته، يقال: وصلت إلى خير فلان ووصل إلي خير فلان وأتيت خير فلان وأتاني خير فلان فهذا على معنى أتيت خير فلان"[٨].

قال الفراء:" العربُ تقول: وَعْدٌ مَاتِيٌّ، و: آتٍ، وقال في موضعٍ آخَرَ: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَءاتٍ}، وهما في المعنى سواءٌ، وهذا على المواقيتِ؛ لأنك إذا أَتَيْتَ على الشيءِ فقد أَتَى عليك"[٩].

القرآن

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢)} [مريم : ٦٢]

التفسير:

لا يسمع أهل الجنة فيها كلامًا باطلا لكن يسمعون سلاما تحية لهم، ولهم رزقهم فيها من الطعام والشراب دائمًا، كلما شاؤوا صباحا ومساء، فهو غير محصور ولا محدد.

قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا} [مريم : ٦٢]، أي:" لا يسمع أهل الجنة فيها كلامًا باطلا لكن يسمعون سلاما تحية لهم"[١٠].

قال الأخفش سعيد: "وهذا على الاستثناء الذي ليس من الأول،: وإن شئت كان بدلا، أي: لا يسمعون إلا سلاما"[١١].

قال الطبري:" لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا، وهو الهَذْي والباطل من القول والكلام {إلا سَلامًا}، وهذا من الاستثناء المنقطع، ومعناه: ولكن يسمعون سلاما، وهو تحية الملائكة إياهم"[١٢].

قال أبو عبيدة:" أي: هذرا وباطلا، {إِلَّا سَلاماً}، فالسلام ليس من اللّغو والعرب تستثنى الشيء بعد الشيء وليس منه وذلك أنها تضمر فيه، فكان مجازه: لا يسمعون فيها لغوا إلّا أنهم يسمعون سلاما، قال[١]:

---

(١) تاويلات أهل السنة:٢٤٧/٧.
(٢) التفسير الميسر:٢٠٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٣/٢.
(٤) تاويلات اهل السنة:٨/٧.
(٥) تفسير البيضاوي:١٤/٤.
(٦) تفسير الطبري:٢١٩/١٨-٢٢٠.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٦٣/٧.
(٨) معاني القرآن:٣٣٦/٣.
(٩) كتاب فيه لغات القرآن:٩١.
(١٠) التفسير الميسر:٢٠٩.
(١١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن:١٦/٣.
(١٢) تفسير الطبري:٢١٩/١٨-٢٢٠.

يا ابن رقيع هل لها من مغبق ... ما شربت بعد طوىّ الكربق
من قطرة غير النجاء الأدفق

فاستثنى «النجاء» من «قطرة الماء» وليس منها، قال أبو جندب الهذليّ[٢]:
نجا سالم والنفس منه بشدقه ... ولم بنج إلّا جفن سيف ومئزرا
وليسا منه"[٣].

عن ابن عباس قوله: "{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا}، قال: باطلا"[٤].

عن مجاهد قوله: "{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا}، قال: لا يستبون"[٥].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم : ٦٢]، أي:" ولهم رزقهم فيها من الطعام والشراب دائمًا، كلما شاؤوا صباحا ومساء، فهو غير محصور ولا محدد"[٦].

قال النحاس:" أي: يقسم لهم في هذين الوقتين ما يحتاجون إليه في كل ساعة"[٧].

وحكي النحاس عن الأخفش:" أي: على مقادير الغداة والعشي مما في الدنيا، لأنه ليس هناك ليل ولا نهار إنما هو نور العرش"[٨].

قال الطبري:" يقول: ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البُكرة ووقت العشيّ من نهار أيام الدنيا، وإنما يعني أن الذي بين غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء احدنا في الدنيا وعشائه، وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار، وذلك كقوله {خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} و{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}، يعني به: من أيام الدنيا"[٩].

قال مجاهد :" ليس فيها بكرة ولا عشي، يؤتون به على النحو الذي يحبون من البكرة والعشي"[١٠].

قال ابن عباس:" يؤتون به في الآخرة على مقدار ما كانوا يؤتون به في الدنيا"[١١].

عن الوليد بن مسلم قال: "سألت زهير بن محمد، عن قوله: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا}، قال: ليس في الجنة ليل ولا شمس ولا قمر، هم في نور أبدا، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاد الحجب، وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب"[١٢].

قال الحسن:" كانوا يعدون النعيم، إن يتغدى الرجل، ثم يتعشى قال الله لأهل الجنة: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا}"[١٣].

---

(١) الشعر لصقر بن حكيم الربعي، انظر: الصحاح:١٥٤٨/٤، واللسان:٣٢٢/١٠، وروايته فيهما:«القربق». بدلا من «الكريق».
.
(٢)فى ديوان الهذليين ٣/ ٢٢ لحذيفة بن أنس وفى أشعار هذيل رقم ٥٦ مرة له ومرة أخرى لأبى خراش رقم ٢٩ وهو فى اللسان والتاج (جفن).
(٣) مجاز القرآن:٨/٢-٩.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٤):ص٢٤١٣/٧.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم :ص٢٤١٣/٧. الخبر بدون ترقيم في المطبوع!
(٦) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٧) إعراب القرآن:١٦/٣.
(٨) إعراب القرآن:١٦/٣.
(٩) تفسير الطبري:٢٢١/١٨.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم :ص٢٤١٣/٧. الخبر بدون ترقيم في المطبوع!
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٥):ص٢٤١٣/٧.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٦):ص٢٤١٣/٧.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٧):ص٢٤١٣/٧.

عن عامر بن يساف، عن يحيى، قال: "كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء، فذاك الناعم في أنفسهم، فأنزل الله: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}: قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلى عشائكم"(١).

قال قتادة:" كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا، قدر ذلك الغداء والعشاء"(٢).

وعن قتادة، قوله :"{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}، فيها ساعتان بكرة وعشيّ، فإن ذلك لهم ليس ثم ليل، إنما هو ضوء ونور"(٣).

القرآن

{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)} [مريم : ٦٣]

التفسير:

تلك الجنة الموصوفة بتلك الصفات، هي التي نورثها ونعطيها عبادنا المتقين لنا، بامتثال أوامرنا واجتناب نواهينا.

قال الطبري:" هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها، هي الجنة التي نورثها، يقول: نورث مساكن أهل النار فيها، من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"(٤).

قال مكي:" أي: الجنة التي وصفت، هي التي تورث مساكن أهل النار فيها، {من مكان تقياً}، أي: من اتقى عقاب الله، فأدى فرائضه واجتنب محارمه.. وقيل: «التقي»: الذي قد أكثر من اتقاء معاصي الله ومحارمه"(٥).

قال إبراهيم بن عرفة: "وعد الله بالجنة كل من اتقى، وأرجو أن يكون كل موحد من أهل التقية - إن شاء الله - ولن يهلك مؤمن بين توحيد الله، وشفاعة نبيه ﷺ"(٦).

عن داود بن أبي هند قوله: "{مَنْ كَانَ تَقِيًّا}، قال: موحدا"(٧).

قال مقاتل: {مَنْ كَانَ تَقِيًّا}، "يعني: مخلصا لله- عز وجل-"(٨).

قال يحيى بن سلام :"حدثني الخليل بن مرة، أن الله تبارك وتعالى قال: «ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم»"(٩).

قال ابن شودب: "ليس من أحد إلا وله في الجنة منزل وأزواج، فإذا كان يوم القيامة، ورث الله المؤمن كذا وكذا منزلا من منازل الكفار. فذلك قوله: {من عبادنا}"(١٠).

فوائد الآيات:[٥٩-٦٣]:

١- التنديد بخلف السوء وهو من يضيع الصلاة ويتبع الشهوات.

٢- الوعيد الشديد لمن ينغمس في الشهوات ويترك الصلاة فيموت على ذلك.

٣- باب التوبة مفتوح والتوبة مقبولة من كل من أرادها وتاب.

٤- بيان نعيم الجنة دار المتقين الأبرار.

٥- تقرير مبدأ التوارث بين أهل الجنة وأهل النار.

---

(١) أخرجه الطبري:٢٢١/١٨.

(٢) أخرجه الطبري:٢٢١/١٨.

(٣) أخرجه الطبري:٢٢١/١٨.

(٤) تفسير الطبري:٢٢٢/١٨.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٦٥/٧.

(٦) حكاه عنه مكي بن أبي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٦٥/٧.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٩):ص٢٤١٤/٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٣/٢.

(٩) تفسير يحيى بن سلام:١٣٣/١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٨):ص٢٤١٣/٧.

٦- بيان أن ورثة الجنة هم الأتقياء، وأن ورثة النار هم الفجار.

القرآن
{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)} [مريم : ٦٤]
التفسير:
وقل - يا جبريل - لمحمد: وما نتنزل - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا، له ما بين أيدينا مما يستقبل من أمر الآخرة، وما خلفنا مما مضى من الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، فله الأمر كله في الزمان والمكان، وما كان ربك ناسيًا لشيء من الأشياء.
سبب النزول:
عن ابن عباس قال: "قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك إن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت الآية"[١].
عن عكرمة قال: "أبطأ جبريل على النبي ﷺ أربعين يوما ثم نزل، فقال له النبي ﷺ «ما نزلت حتى اشتقت إليك»، فقال له جبريل: «أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور»، فأوحى الله إلى جبريل إن قل له: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّك}"[٢].[مرسل]
قوله تعالى:{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ} [مريم : ٦٤]، أي:" وقل - يا جبريل - لمحمد: وما نتنزل - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا"[٣].
قال الفراء:" يعني: الملائكة"[٤].
قال ابن قتيبة:" قول الملائكة، أو قول جبريل -صلى الله عليه-"[٥].
قال ابن عباس:" هذا الجواب لمحمد ﷺ"[٦].
قال مكي:" هذه الآية نزلت لما استبطأ النبي ﷺ الوحي"[٧].
قال مجاهد:" أبطأت الرسل على رسول الله ﷺ، ثم أتاه جبريل فقال: «ما حبسك عني؟» قال: كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم، ولا تنقون براجمكم، ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون وقرأ {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّك}"[٨].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٩):ص٢٤١٤/٧،واللفظ له، وأخرجه الطبري:٢٢٢/١٨.
وأخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢١٨) وفي التفسير (٤٧٣١) وفي التوحيد (٧٤٥٥)، وأخرجه الترمذي في التفسير (٣١٥٨) وقال: هذا حديث حسن غريب.
وأخرجه النسائي في التفسير (٣٣٩) .
وأحمد في مسنده (١/ ٢٣١، ٢٣٣، ٣٥٧)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١١) .
وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ٢٧٨) لمسلم وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٩):ص٢٤١٤/٧.
وفي أسباب النزول للواحدي:٣٠٩:" وقال عكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: احتبس جبريل عليه السلام [عن النبي ﷺ] ، حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريل عليه السلام بجواب [ما سألوه] فأبطأ عليه، فشق على رسول الله ﷺ، مشقة شديدة، فلما نزل جبريل عليه السلام، قال له: أبطأت علي حتى ساء ظني. واشتقت إليك. فقال جبريل عليه السلام: إني كنت إليك أشوق ولكني عبد مأمور: إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست، فأنزل الله تعالى: {وما نتنزل إلا بأمر ربك}".
(٣) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٤) معاني القرآن:١٧٠/٢.
(٥) غريب القرآن:٢٧٤.
(٦) أخرجه الطبري:٢٢٢/١٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٦٦/٧.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٧٢):ص٢٤١٤/٧.

وفي قوله تعالى:{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ} [مريم : ٦٤]، وجهان:
أحدهما : أنه قول أهل الجنة : إننا لا ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله ، قاله ابن بحر.
الثاني : أنه قول جبريل عليه السلام. قاله ابن عباس(١)، مجاهد(٢)، وقتادة(٣)، والضحاك(٤)، والسدي(٥).

قال مجاهد:" لبث جبرائيل عن محمد اثنتي عشرة ليلة، ويقولون: قلي، فلما جاءه قال: أي جبرائيل لقد رثت علي حتى لقد ظن المشركون كل ظن فنزلت :{وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}"(٦).

قال الضحاك:" احتبس عن نبيّ الله ﷺ حتى تكلم المشركون في ذلك، واشتدّ ذلك على نبيّ الله، فأتاه جبرائيل، فقال: اشتدّ عليك احتباسنا عنك، وتكلم في ذلك المشركون، وإنما أنا عبد الله ورسوله، إذا أمرني بأمر أطعته {وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ}، يقول: بقول ربك"(٧).

قال السدي:" احتبس جبريل عن النبي ﷺ بمكة حتى حزن واشتد عليه، فشكا ذلك إلى خديجة، فقالت خديجة: لعل ربك قد ودعك أو قلاك، فنزل جبريل بهذه الآية: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}(٨)، قال: يا جبريل، احتبست عني حتى ساء ظني، فقال جبريل: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّك}"(٩).

قوله تعالى:{لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ} [مريم : ٦٤]، أي:" له ما بين أيدينا مما يستقبل من أمر الآخرة، وما خلفنا مما مضى من الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، فله الأمر كله في الزمان والمكان"(١٠).

وفي قوله تعالى:{لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ} [مريم : ٦٤]، وجوه:
أحدها : {مَا بَيْنَ أَيْدِينَا}: من الدنيا، {وَمَا خلْفَنَا}: من الآخرة، {وَمَا بَيْنَ ذلِكَ}، يعني: ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة، قاله الربيع(١١)، وأبو العالية(١٢)، وبه قال الفراء(١٣).
والثاني : {مَا بَيْنَ أَيْدِينَا}: الآخرة، {وَمَا خلْفَنَا}: الدنيا، {وَمَا بَيْنَ ذلِكَ}، يعني: ما بين الدنيا والآخرة، ابن عباس(١٤)، والضحاك(١٥).

وقال قتادة:" {لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا} مِنَ الآخِرَةِ {وَمَا خَلْفَنَا} مِنَ الدُّنْيَا {وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ} ما بين النفختين"(١٦).
الثالث: {مَا بَيْنَ أَيْدِينَا}، أي: ما مضى أمامنا من الدنيا ، {وَمَا خلْفَنَا}: ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة . {وَمَا بَيْنَ ذلِكَ}: ما مضى من قبل وما يكون من بعد ، قاله ابن جريج(١٧).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢٢٢/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٢٣/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٢٣/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٢٢٣/١٨.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣١٧١):ص٢٤١٤/٧.
(٦)مرسل، أخرجه الطبري:٢٢٣/١٨، وعزاه في الدر (٤/ ٢٧٩) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٧) أخرجه الطبري:٢٢٣/١٨.
(٨)[الضحى : ٣].
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٧١):ص٢٤١٤/٧.
(١٠) التفسير الميسر:٣٠٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٨.
(١٣) انظر: معاني القرآن:١٧٠/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٨.
(١٦) أخرجه الطبري:٢٢٤/١٨.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٨-٢٢٥.

الرابع: {مَا بَيْنَ أَيْدِينَا}، قبل أن نخلق {وَمَا خَلْفَنَا}، ما يكون بعد الموت والفناء، {وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ}: حين كنا ومذ خلقنا. وهذا قول الأخفش(١)، وحكاه الطبري(٢).

الخامس: {مَا بَيْنَ أَيْدِينَا}: السماء، {وَمَا خلْفَنَا}: الأرض. {وَمَا بَيْنَ ذلِكَ}، ما بين السماء والأرض. أفاده الماوردي(٣).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة، لأن ذلك لم يجئ وهو جاء، فهو بين أيديهم، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجئ، وأنه جاء، فلذلك قلنا: ذلك أولى بالصواب. وما خلفنا من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى، فصار خلفهم بتخليفهم إياه، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه، ووراءه وما بين ذلك: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة، لأن ذلك هو الذي بين ذَينك الوقتين.

وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلات به، لأن ذلك هو الظاهر الأغلب، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له. فتأمل الكلام إذن: فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك، فإنا لا نتنزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها، لله ما هو حادث من أمور الآخرة التي لم تأت وهي آتية، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة، بيده ذلك كله، وهو مالكه ومصرّفه، لا يملك ذلك غيره، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمرا إلا بأمره إيانا به"(٤).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم : ٦٤]، أي:" وما كان ربك ناسيًا لشيء من الأشياء"(٥).

قال السمعاني:" أي: ما نسيك ربك، ومعنى «نسيك»، أي: تركك"(٦).

قال البغوي:" أي: ناسيا يقول: ما نسيك ربك، أي: ما تركك و«الناسي»: التارك"(٧).

قال السدي:" ما كان ربك لينساك يا محمد"(٨).

القرآن

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)} [مريم : ٦٥]

التفسير:

فهو الله رب السموات والأرض وما بينهما، ومالك ذلك كله وخالقه ومدبره، فاعبده وحده - أيها النبي - واصبر على طاعته أنت ومَن تبعك، ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

قوله تعالى:{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [مريم : ٦٥]، أي:" فهو الله رب السموات والأرض وما بينهما، ومالك ذلك كله وخالقه ومدبره"(٩).

قال أبو الليث السمرقندي:" أي: خالق السموات والارض وما بينهما من الخلق، ويقال: رب السماوات والأرض أي مالكهما وعالم بهما وما فيهما"(١٠).

---

(١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن:١٦/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٢٥/١٨.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣٨٢/٣.
(٤) تفسير الطبري:٢٢٥/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٦) تفسير السمعاني:٣٠٥/٣.
(٧) تفسير البغوي:٢٤٤/٥.
(٨)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٧٥):ص٢٤١٤/٧ .
(٩) التفسير الميسر:٣١٠.
(١٠) بحر العلوم:٣٨٢/٢.

قال ابن كثير:" أي : خالق ذلك ومدبره ، والحاكم فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لم يكن ربك يا محمد ربّ السماوات والأرض وما بينهما نسيا، لأنه لو كان نسيا لم يستقم ذلك، ولهلك لولا حفظه إياه"[٢].

قوله تعالى:{فَاعْبُدْهُ} [مريم : ٦٥]، أي:" فاعبده وحده - أيها النبي -"[٣].

قال الطبري:" يقول: فالزم طاعته، وذلّ لأمره ونهيه"[٤].

قوله تعالى:{وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} [مريم : ٦٥]، أي:" واصبر على طاعته أنت ومَن تبعك"[٥].

قال الطبري:" يقول: واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه، والعمل بطاعته، تفز برضاه عنك، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله"[٦].

قوله تعالى:{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم : ٦٥]، أي:" هل تعلم له شبيهاً ونظيراً؟"[٧].

قال السمعاني:" أي: مثلا، وقال بعضهم: {سميا}، أي: ولدا"[٨].

قال مقاتل:" هل تعلم من الآلهة من شيء اسمه الله- عز وجل-، لأن الله- تعالى ذكره- يمنعهم من ذلك"[٩].

قال الطبري:" يقول: هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته، والصبر على طاعته مثلا في كرمه وجوده، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ما ذلك بموجود"[١٠].

قال الزجاج:" جاء في التفسير: هل تعلم له مثلا، وجاء أيضا :لم يسم بـ«الرحمن» إلا الله عز وجل. وتأويله - والله أعلم – {هل تعلم له سميا} يستحق أن يقال له: خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون، فذلك ليس إلا من صفة الله تعالى"[١١].

عن ابن عباس، قوله :"{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}، يقول: هل تعلم للربّ مثلا أو شبيها"[١٢].

وقال ابن عباس:" ليس أحد يسمى الرحمن غيره"[١٣].

قال مجاهد:" هل تعلم له شبيها، هل تعلم له مثلا تبارك وتعالى"[١٤].

قال مجاهد:" لا سميّ لله ولا عَدل له، كلّ خلقه يقر له، ويعترف أنه خالقه، ويعرف ذلك، ثم يقرأ هذه الآية :{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}"[١٥].

قال ابن جريج:" يقول: لا شريك له ولا مثل"[١٦].

فوائد الآيتين:[٦٤-٦٥]:

١- تقرير سلطان الله على كل الخلق وعلمه بكل الحلق وقدرته على كل ذلك.

٢- استحالة النسيان على الله عز وجل.

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٥٠/٥.
(٢) تفسير الطبري:٢٢٦/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣١٠.
(٤) تفسير الطبري:٢٢٦/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣١٠.
(٦) تفسير الطبري:٢٢٦/١٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٠٣/٢
(٨) تفسير السمعاني:٣٠٥/٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٤/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٢٢٦/١٨.
(١١) معاني القرآن:٣٣٨/٣.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٢٦/١٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٧٧):ص٢٤١٤/٧.
(١٤) أخرجه الطبري:٢٢٦/١٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٢٢٦/١٨.
(١٦) أخرجه الطبري:٢٢٦/١٨.

٣- تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين، وبذلك وجبت له الألوهية على سائر العالمين.
٤- وجوب عبادة الله تعالى ووجوب الصبر عليها حتى الموت.
٥- نفي التشبيه والمثل والنظير لله إذ هو الله أحد لم يكن له كفوا أحد.

القرآن

{وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦)} [مريم : ٦٦]

التفسير:

ويقول الإنسان الكافر منكرًا للبعث بعد الموت: أإذا ما مِتُّ وفَنِيتُ لسوف أُخرَج من قبري حيًا؟!

سبب النزول:

قال الكلبي: "نزلت في أبي بن خلف. حين أخذ عظاما بالية يفتها بيده، ويقول: زعم لكم محمد أنا نبعث بعد ما نموت"[١].[ضعيف]

قال مقاتل:" يقول ذلك تكذيبا بالبعث"[٢].

قال الزجاج:" يعنى بهذا :الكافر الذي لا يؤمن بالغيب خاصة، ومت ومت"[٣].

قال الواحدي:" يعني: أُبيَّ بن خلف، يقول: هذا استهزاءً وتكذيباً بالبعث يقول: لسوف أخرج حيَّاً من قبري بعد ما مت!؟"[٤].

قال يحيى:" هذا المشرك يكذب بالبعث وقد ذكروا أنه قول أبي بن خلف للنبي عليه السلام حيث جاء بعظم نخر ففته بيده ثم قال: يا محمد أيحيي الله هذا؟"[٥].

القرآن

{أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧)} [مريم : ٦٧]

التفسير:

كيف نسي هذا الإنسان الكافر نفسه؟ أولا يَذْكُر أنا خلقناه أول مرة، ولم يكُ شيئًا موجودًا؟

قال مقاتل:" يقول الله- عز وجل- يعظه ليعتبر :{أولا يذكر الإنسان}، يقول: أو لا يتذكر الإنسان في خلق نفسه {أنا خلقناه أول مرة}، يعني: أول خلق خلقناه {من قبل}ولم يك شيئا-"[٦].

قال يحيى:" فالذي خلقه ولم يك شيئا قادر على أن يبعثه يوم القيامة"[٧].

قال الواحدي:"{أولا} يتذكَّر ويتفكَّر هذا {الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شيئاً} فيعلم أنَّ مَنْ قدر على الابتداء قدر على الإعادة"[٨].

قال الزجاج:" أعلم الله عز وجل أن إعادة الخلق مثل ابتداء خلقهم، وهذا كما قال: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَه} [يس : ٧٨]، الآية، فكان الجواب: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّة} [يس : ٧٩]"[٩].

القرآن

{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨)} [مريم : ٦٨]

---

(١) أسباب النزول للواحدي:٣٠٩. الكلبي متهم بالكذب.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٤/٢.
(٣) معاني القرآن:٣٢٨/٣.
(٤) الوجيز:٦٨٦.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٣٥/١.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٤/٢.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٢٣٥/١.
(٨) الوجيز:٦٨٦.
(٩) معاني القرآن:٣٢٨/٣.

التفسير:
فوربك - أيها الرسول - لنجمعن هؤلاء المنكرين للبعث يوم القيامة مع الشياطين، ثم لنأتين بهم أجمعين حول جهنم باركين على رُكَبهم؛ لشدة ما هم فيه من الهول، لا يقدرون على القيام.

قوله تعالى:{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ} [مريم : ٦٨]، أي:" فوربك - أيها الرسول - لنجمعن هؤلاء المنكرين للبعث يوم القيامة مع الشياطين"[١].

قال يحيى:" ثم أقسم بنفسه فقال: {فوربك لنحشرنهم}، يعني: المشركين، {والشياطين} الذين دعتهم إلى عبادة الأوثان"[٢].

قال الزجاج:" أي فوربك لنبعثنهم ولنحشرنهم مع الشياطين الذين أغووهم"[٣].

قال الواحدي:" يعني: منكري البعث {والشياطين} قرناءهم الذين أضلوا"[٤].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا} [مريم : ٦٨]، أي:" ثم لنأتين بهم أجمعين حول جهنم باركين على رُكَبهم؛ لشدة ما هم فيه من الهول، لا يقدرون على القيام"[٥].

قال يحيى:" وهذا قبل دخولهم النار"[٦].

وفي قوله تعالى:{جِثِيًّا} [مريم : ٦٨]، ثلاثة أقوال:

أحدهما : جماعات جماعات، قاله ابن عباس[٧]، الكلبي[٨]، والأخفش[٩].

وعلى هذا «الجُثَي»: جمع :جَثْوَة وجُثْوَة وهي: المجموع من التراب والحجارة[١٠]، ومنه قول طرفة [١١]:

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا ... صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صفِيْحٍ مُنَضَّد

الثاني : على ركبهم، قاله مجاهد[١٢]، وقتادة[١٣]، وعطية[١٤].

قال الزجاج:أي:" على ركبهم، لا يستطيعون القيام مما هم فيه"[١٥].

الثالث: معناه: قياما. أي: قياما على الركب وذلك لضيق المكان لا يمكنهم أن يجلسوا ولا أن يقوموا أيضا. وهذا قول السدي[١٦].

القرآن

{ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩)} [مريم : ٦٩]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٣١٠.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٢٣٥/١.
(٣) معاني القرآن:٣٢٨/٣.
(٤) الوجيز:٦٨٦.
(٥) التفسير الميسر:٣١٠.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٢٣٥/١.
(٧) انظر: التفسير البسيط للواحدي:١٤/ ٢٨٧، ومعالم التنزيل" ٥/ ٢٤٥، "زاد المسير" ٥/ ٢٥٣، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ١٣٣، "البحر المحيط" ٦/ ٢٠٨.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٣.
(٩) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٣.
(١٠) انظر: التفسير البسيط للواحدي:٢٨٨/١٤.
(١١)هذا بيت لطرفة بن العبد من قصيدة قالها يصف قبري أخوين غني وفقير. انظر: "شرح القصائد العشر" للتبريزي ١٠٨، "تهذيب اللغة" (جثا) ١/ ٥٣٨، "لسان العرب" (جثا) ١/ ٥٤٦، "شرح المعلقات السبع" للزوربي ص ٩٠.
(١٢) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:٣٤٦/٤.
(١٣) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:٣٤٦/٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٣.
(١٥)معاني القرآن:٣٣٨/٣ .
(١٦) انظر: التفسير البسيط للواحدي:١٤، ٢٨٧، ومعالم التنزيل" ٥/ ٢٤٥، "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٤٦، "زاد المسير" ٥/ ٢٥٣، "الدر المنثور" ٤/ ٥٠٤.

ثم لنأخذنَّ مِن كل طائفة أشدَّهم تمردًا وعصيانًا لله، فنبدأ بعذابهم.
قال الطبري:يقول:" ثم لنأخذن من كلّ جماعة منهم أشدّهم على الله عتوّا، وتمرّدًا فلنبدأنّ بهم"[١].
قال الزجاج:" معناه: لننزعن من كل أمة ومن كل فرقة الأعتى فالأعتى منهم، كأنهم يبدأ بتعذيب أشدهم عتيا ثم الذي يليه"[٢].
قال مكي:" أي: ثم لنأخذنّ من كل جماعة أشدهم على الرحمن عتواً وتمرداً. يعني الأكابر فالأكابر جرماً. والجبار فالجبار. والمعنى: نبدأ بتعذيب أعظمهم جرماً ثم الذي يليه ثم الذي يليه"[٣].
قال أبو الأحوص:" نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما"[٤].
قال مجاهد: "{من كل شيعة}: من كل أمة"[٥].
وفي قوله تعالى:{أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا} [مريم : ٦٩]، وجوه:
أحدها : معناه: عصيا. قاله ابن عباس[٦].
قال ابن عباس:"يقول: أيهم أشدّ للرحمن معصية، وهي معصيته في الشرك"[٧].
وقال الكلبي:"أشد معصية"[٨].
الثاني: أن «عتيا»، معناه: كفرا. وهذا قول مجاهد[٩]، وحكاه الماوردي عن الكلبي[١٠].
قال مجاهد :" فلنبدأنّ بهم"[١١].
قال مقاتل:" يعني: عتوا في الكفر، يعني: القادة"[١٢].
الثالث: شدة في القسوة. حكاه يحيى بن سلام عن الحسن[١٣].
الرابع: جرأة ، حكاه الماوردي عن الكلبي[١٤].
الخامس : يعني: أعظم أمرا بلغة قريش. قاله القاسم بن سلام[١٥].
السادس: أهل الإفتراء بلغة بني تميم ، قاله بعض أهل اللغة[١٦].
السابع : تمرداً. حكاه الماوردي[١٧].
الثامن : معصية. حكاه الماوردي[١٨].
قال الطبري:" «الشيعة»: هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور، يقال من ذلك: تشايع القوم: إذا تعاونوا؛ ومنه قولهم للرجل الشجاع: إنه لمشيع: أي معان، فمعنى الكلام: ثم لننزعن من كل جماعة تشايعت على الكفر بالله، أشدّهم على الله عتوّا، فلنبدأنّ بإصلائه جهنم. والتشايع في غير هذا الموضع: التفرّق؛ ومنه قول الله عزّ ذكره: {وَكَانُوا شِيَعًا}، يعني: فرقا؛

(١) تفسير الطبري:٢٢٨/١٨.
(٢) معاني القرآن:٣٣٩/٣.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٧١/٧.
(٤) أخرجه الطبري:٢٢٨/١٨.
(٥) حكاه عنه مكي بن أبي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٧١/٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٢٨/١٨.
(٧) أخرجه تفسير الطبري:٢٢٨/١٨.
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٣٥/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٢٨/١٨.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٣.
(١١) أخرجه تفسير الطبري:٢٢٨/١٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٤/٢.
(١٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٣٥/١.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٣.
(١٥) انظر: لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٣.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٣.
(١٨) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٣.

ومنه قول ابن مسعود أو سعد:«إني أكره أن آتي رسول الله ﷺ، فيقول: شيَّعت بين أمتي»، بمعنى: فرّقت"[1].

القرآن

{ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (٧٠)} [مريم : ٧٠]

التفسير:

ثم لنحن أعلم بالذين هم أَوْلى بدخول النار ومقاساة حرها.

قال الطبري:يقول: " ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كلّ شيعة أولاهم بشدّة العذاب، وأحقهم بعظيم العقوبة"[2].

قال أبو الليث السمرقندي:" أي: أحق بالنار دخولا"[3].

قال يحيى:" يعني: الذين يصلونها، وقال بعضهم: أشد عذابا"[4].

قال مقاتل:" يعني: القادة في الكفر"[5].

قال ابن كثير:" {ثم} –هاهنا- لعطف الخبر على الخبر ، والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلَّد فيها ، وبمن يستحق تضعيف العذاب ، كما قال في الآية المتقدمة : {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ }"[6].

عن ابن جريج :"{ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا}، قال: أولى بالخلود في جهنم"[7].

قال الطبري:" وهذا الذي قاله ابن جريج، قول لا معنى له، لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كلّ شيعة من الكفرة أشدّهم كفرا، ولا شكّ أنه لا كافر بالله إلا مخلَّد في النار، فلا وجه، وجميعهم مخلدون في جهنم، لأن يقال: ثم لنحن أعلم بالذين هم أحقّ بالخلود من هؤلاء المخلدين، ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا. والصلّي: مصدر صليت تصلي صليا، والصليّ: فعول، ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل، فصارت ياء مشدّدة"[8].

القرآن

{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)} [مريم : ٧١]

التفسير:

وما منكم - أيها الناس - أحد إلا وارد النار بالمرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، كل بحسب عمله، كان ذلك أمرًا محتومًا، قضى الله - سبحانه - وحكم أنه لا بد من وقوعه لا محالة.

قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم : ٧١]، أي:" وما منكم - أيها الناس - أحد إلا وارد النار بالمرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، كل بحسب عمله"[9].

قال السمعاني:" معناه: وما منكم إلا واردها"[1].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٢٢٨-٢٢٩.
(٢) تفسير الطبري:١٨/٢٢٩.
(٣) بحر العلوم:٢/٣٨٢.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:١/٢٣٧.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٦٣٥.
(٦) تفسير ابن كثير:٥/٢٥١-٢٥٢.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٢٢٩.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٢٢٩.
(٩) التفسير الميسر:٣١٠.

اختلف أهل التفسير في المراد بـ«الورود في قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم : ٧١]، على أقوال:

أحدها : أن معنى «الورود» الذي ذكره الله في هذا الموضع، هو الدخول فيها. وهذا قول ابن مسعود[٢]، وهو المشهور عن ابن عباس[٣]، والحسن[٤]، وابن جريج[٥]، وبه قال السمعاني[٦].

وقد جاءت لفظة «الورود» في القرآن الكريم -مرادا به الدخول في النار- في ستة مواضع، في قوله تعالى في الآيات الآتية:

١- { وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} [مريم: ٧١].
٢- {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} [هود: ٩٨]
٣- {وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} [هود: ٩٨].
٤- {لَوْ كَانَ هَؤُلاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوها} [الأنبياء: ٩٩]
٥- {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مريم: ٨٦]
٦- {حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء: ٩٨]

وكان ابن عباس يستند إلى هذه الآيات في تفسيره للورود بالدخول في النار.

أخرج الطبري بسنده عن ابن عيينة عن عمرو، قال: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس:"الورود: الدخول، وقال نافع: لا فقرأ ابن عباس: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} أورود هو أم لا؟ وقال {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع"[٧].

عن ابن عباس، قوله "{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}، يعني: البرّ والفاجر، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون :{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ}، وَقَالَ {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا}، فسمى الورود في النار دخولا وليس بصادر"[٨].

أخرج يحيى بن سلام عن بسنده عن الحسن قال: "{وإن منكم إلا واردها}: إلا داخلها فيجعلها الله على المؤمن بردا وسلاما كما جعلها على إبراهيم"[٩].

قال ابن جريج: يقول: الورود الذي ذكره الله في القرآن: الدخول، ليردنها كل برّ وفاجر في القرآن أربعة أوراد {فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} و{حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا}، وقوله {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا}"[١٠].

عن خالد بن معدان، قال: "قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة[أو قال: جامدة]"[١١].

وقال ابن عباس:" والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالمًا، وأدخلني الجنة غانما"[١٢].

---

(١) تفسير السمعاني:٣٠٦/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٣١/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٣٠/١٨.
(٤) اخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٣٨/١.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٣٠/١٨.
(٦) انظر: تفسير السمعاني:٣٠٨/٣.
(٧) تفسير الطبري:٢٣٠/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٢٣٠/١٨.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٢٣٨/١.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٣٠/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٢٣٠/١٨-٢٣١.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٣٠/١٨.

عن أبي خالد قال: "تكون الأرض يومًا نارًا، فماذا أعددتم لها؟ قال: فذلك قول الله {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}"[١].

عن غنيم بن قيس، قال: "ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن إهالة، حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برّهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن أمسكي أصحابك، ودعي أصحابي، قال: فيخسف بكلّ وليّ لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم. قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيره سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدفعة، فيصرع به في النار سبعمائة ألف"[٢].

عن أبي إسحاق، قال: "كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه، قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها"[٣].

عن قيس بن أبي حازم ، قال: "بكى عبد الله بن رواحة في مرضه، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك، قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال ابن رواحة: إني قد علمت إنى وارد النار فما أدري أناج منها أنا أم لا؟"[٤].

وفي رواية: عن قيس بن أبي حازم، قال: "كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله {وإن منكم إلا واروها} فلا أدري أنجو منها، أم لا؟ "[٥].

عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا، لا يأخذه سلطان بحرس، لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم، فإن الله تعالى يقول: {وإن منكم إلا واردها}"[٦].

عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: "من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم" يعني: الورود"[٧].

الثاني : أن «الورود» معناه: الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين. وهذا قول ابن عباس أيضا[٨]، وعكرمة[٩].

قال ابن عباس:" يعني: الكفار، لا يردها مؤمن"[١٠].

قال مكي:" المعنى: وإنّ من هؤلاء القوم، الذين هذا القول المتقدم قولهم في البعث، إلا وارد جهنم {ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتقوا}، أي: اتقوا الشرك، وأمنوا بالبعث، فهي مخصوصة فيمن تقدم ذكره على هذا القول"[١١].

قال السمعاني:" وعلى هذا كثير من أهل العلم، واستدلوا بقوله تعالى: {إن الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها}"[١٢].

وقرىء في الشاذ: «وإن منهم إلا واردها»[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٢٣١.
(٢) أخرجه الطبري:١٨/٢٣١.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٢٣١.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٢٣١.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/٢٣٢.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٢٣٧.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٢٣٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٣٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٣٢.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٢٣٢.
(١١) الهداية إلى بلوغ النهاية:٧/٤٥٧٣.
(١٢)تفسير السمعاني:٣/٣٠٧ .
(١٣) انظر: تفسير السمعاني:٣/٣٠٧.

الثالث: أن الورود عام لكلّ مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول. وهذا قول ابن زيد(١).

قال ابن زيد:" ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها، قال: وقال النبيّ ﷺ: «الزَّالُّونَ والزَّالاتٌ يَومَئِذٍ كَثِيرٌ، وقد أحَاطَ الجِسْرَ سِماطانِ مِنَ المَلائِكَةِ، دَعْوَاهُمْ يَوْمَئِذٍ يا اللهُ سَلِّمْ »"(٢).

الرابع: يراد به المرور عليها؛ أي: فوق الصراط. وهذا قول قتادة(٣).

وروي عن ابن مسعود، قال :"الصراط على جهنم مثل حدّ السيف، فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرّون والملائكة يقولون: اللهمّ سلم سلم"(٤).

عن أمّ مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله ﷺ وهو في بيت حفصة: "لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا والحُدَيْبِيَةَ، قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس الله يقول :{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا} ؟ فقال رسول الله: "فمَهْ {ثُمَّ يُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا}"(٥).

عن أبي سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يوضع الصراط بين ظهري جهنم، عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم ومجروح به، ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا يصلون صلاتهم، ويزكون زكاتهم ويصومون صيامهم، ويحجون حجهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربنا عباد من عبادك كانوا معنا في الدنيا، يصلون صلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا، لا نراهم، فيقول: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته النار إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه ولم تغش الوجوه، فيستخرجونهم منها، فيطرحونهم في ماء الحياة؛ قيل: وما ماء الحياة يا رسول الله؟ قال غسل أهل الجنة، فينبتون كما تنبت الزرعة في غثاء السيل، ثم تشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا، فيستخرجونهم منها، ثم يتحنن الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا أخرجه منها"(٦).

عن أبي الزبير، قال: «سألت جابر بن عبد الله عن الورود، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "هو الدخول، يردون النار حتى يخرجوا منها، فآخر من يبقى رجل على الصراط يزحف، فيرفع الله له شجرة، قال: فيقول: أي رب أدنني منها، قال: فيدنيه الله تبارك وتعالى منها، قال: ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة، قال: فيقول: سل، قال: فيسأل، قال: فيقول: ذلك لك وعشرة أضعافه أو نحوها؛ قال: فيقول: يا رب تستهزئ بي؟ قال: فيضحك حتى تبدو لهواته وأضراسه"»(٧).

الخامس: أن ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمَّى ومرض. وهذا قول مجاهد(٨).

قال مجاهد:" الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا}"(٩).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢٣٣/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٢٣٣/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٣٢/١٨.
(٤)أخرجه الطبري:٢٣٢/١٨ .
(٥) أخرجه الطبري:٢٣٥/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٢٣٥/١٨-٢٣٦.
(٧) أخرجه الطبري:٢٣٦/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٢٣٣/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٢٣٣/١٨.

وعن أبي هريرة قال: "خرج رسول الله ﷺ يعود رجلا من أصحابه وبه وعك وأنا معه، ثم قال: "إِنَّ اللهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي المُؤْمِنُ، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ"[١].

السادس: أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم. وهذا مروي عن ابن مسعود ايضا[٢].

قال مجاهد:" كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل يُقال له أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله :{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}، قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا؟"[٣].

قال جابر بن عبدالله:" نحن يوم القيامة على كوى أو كرى، فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد الأوّل فالأوّل، فينطلق بهم ويتبعونه، قال: ويعطى كلّ إنسان منافق ومؤمن نورا، ويغشى ظلمة ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله، فيطفأ نور المنافق، وينجو المؤمنون، فتنجو أوّل زمرة كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفًا لا حساب عليهم، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحلّ الشفاعة فيشفعون، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ممن في قلبه وزن شعيرة من خير، ثم يلقون تلقاء الجنة، ويهريق عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون نبات الشيء في السيل، ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها"[٤].

عن ابن المبارك، عن الحسن، قال: "قال رجل لأخيه: هل أتاك بأنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رؤي ضاحكا حتى لحق بالله"[٥].

عن عمرو بن الحارث أن بكيرا حدّثه أنه قال لبسر بن سعيد: "إن فلانا يقول: إن ورود النار القيام عليها. قال بسر: أما أبو هريرة فسمعته يقول: "إذا كان يوم القيامة، يجتمع الناس نادى مناد: ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون، فيقوم هذا إلى الحجر، وهذا إلى الفرس، وهذا إلى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله، فيأتيهم الله، فإذا رأوه قاموا إليه، فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط، وفيه عليق، فعند ذلك يؤذن بالشفاعة، فيمرّ الناس، والنبيون يقولون: اللهمّ سلم سلم. قال بكير: فكان ابن عميرة يقول: فناج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش، ثم ناج"[٦].

السابع: أن المراد بالورود هنا هو الإشراف والاطلاع والقرب منها دون الدخول، حيث يكونون وهم في الموقف يشاهدون النار؛ فينجيهم الله مما شاهدوه. وهذا قول الحسن[٧]، وقتادة[٨].

وقد يذكر الورود بمعنى الحضور، قال تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} [القصص : ٢٣]، أي: حضر، فهذا ورود مقاربة وإشراف عليه.

وكذا قوله تعالى: {فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ} [يوسف : ١٩].

ونظيره من كلام العرب: وردت بلد كذا وكذا إذا أشرفت عليه، دخلته أو لم تدخله، قال زهير بن أبي سلمى[٩]:

---

(١) أخرجه الطبري:٢٣٣/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٣٣/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٢٣٣/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٢٣٤/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٢٣٤/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٢٣٤/١٨.
(٧) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٣٠٧/٣.
(٨) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٣٠٧/٣.
(٩)انظر: "ديوان زهير" ص ٧٨، "المحرر الوجيز" ١٠/ ٩١، "البحر المحيط" ٦/ ٢٧٩، "شرح القصائد العشر" للتبريزي ص ١٣٣، "شرح المعلقات السبع" للزوزني ص ١٤١، "تهذيب اللغة" (زرق) ٢/ ١٥٢٥، "لسان العرب" (زرق) ٣/ ١٨٠٢٧.
زرقاء: الزرقة: شدة الصفاء، يقال: ما أزرق إذا اشتد صفاؤه.

فَلَمَّا ورَدْنَ المَاءَ زُرْقًا جِمامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحاضِرِ المُتَخَيَّمِ
المعنى: بلغن إلى الماء، أي أقمن عليه. أفاده الزجاج[1].
الثامن: أن يكون المراد بذلك ورود عرضة القيامة التي تجمع كل بر وفاجر . أفاده
التاسع: القول بالتوقف، ذكره الشوكاني بعد أن نسبه إلى كثير من العلماء، وذلك في قوله: "وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود، وحمله على ظاهره لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء: ١٠١]، قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده عنها"[3].

فسبب توقفهم عن تحقيق القول في الورود: أن الله أخبر أن من سبقت لهم الحسنى لا يردون النار، وأخبر في سورة مريم أنه ما من أحد إلا وسيرد النار؛ فصاروا إلى التوقف.

يتضح مما سبق: أن معنى «الورود» الذي ذكره الله يحتمل معاني كثيرة، ولهذا فقد اختلف كلمة العلماء في تعريفه، والمراد منه، إلى الأقوال التي ذكرناها، والواقع أن تلك الأقوال منها ما هو قريب، ومنها ما هو بعيد إلا أنه يقال: إن القول السادس منها - وهو أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم - وهو الراجح؛ لتصريح الآية به :{وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا(٧١)ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧١-٧٢]، بالإضافة إلى ما ثبت عن رسول الله ﷺ في وصف الصراط ومرور الناس عليه بحسب أعمالهم.

ولهذا يقول الطبري في ترجيحه: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها"[4].

وقال الشوكاني:"ولا يخفى أن القول بأن الورود: هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة، فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة؛ فينبغي حمل هذه الآية على ذلك؛ لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار؛ مع كون الداخل من المؤمنين مبعدا من عذابها، أو يحمله على المضي فوق الجسر المنصوب عليها؛ وهو الصراط"[5].

وقال الزجاج:" الحجة القاطعة في هذا القول ما قال الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا} [الأنبياء : ١٠١-١٠٢]. . فهذا - والله أعلم - دليل أن أهل الحسنى لا يدخلون النار"[6].

وقد ذكر ابن حجر خلافا في الورود المذكور، وصحح القول بأنه الدخول ثم الخروج، أو أنه الممر عليها، واستدل على ذلك، وضعف القول بأنه مختص بالكفار، أو أنه الدنو منها، أو الإشراف عليها، أو أنه ما يصيب المؤمن في الدنيا من الحمى، وذكر الحديث الذي رواه مسلم أن النبي -ﷺ- قال: «لا يدخل أحد شهد الحديبية النار. قالت حفصة: أليس الله يقول: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}؟ فقال: أليس الله يقول: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا}؟»[7][8].

وبكل حال فإذا قيل: إنه الدخول، فإنها لا تضر المؤمن، بل يعبرها ولا يحس بحرارتها، ويبقى فيها من كتب له بعض العذاب، أو كتب أنه مخلد فيها. والله أعلم[9].

جِمَامَة: الجمام جمع جم الماء، وجمته وهو: ما اجتمع منه في البئر والحوض وغيرهما. وضع العصي: كناية عن الإقامة. الحاضر المتخيم: الحاضر النازل على الماء والمتخيم المقيم، وأصله من تخيم إذا نصب الخيمة.
(١) انظر: معاني القرآن/٣/٣٤٢.
(٢) انظر: النكت والعيون:٣/٣٨٥.
(٣) فتح القدير:٣/٤٠٦.
(٤) تفسير الطبري:١٨/٢٣٤.
(٥) فتح القدير:٣/٤٠٦.
(٦) معاني القرآن:٣/٣٤١.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٢٣٥.
(٨)"فتح الباري" (٣/ ١٢٤).
(٩)قال الإمام فخر الدين الرازي ما نصه:

واعلم أنه تعالى لما قال من قبل: {فوربك لنحشرنهم والشياطين} [مريم: ٦٨] ثم قال: {ثم لنحضرنهم حول جهنم} [مريم: ٦٨] أردفه بقوله: {وإن منكم إلا واردها} يعني جهنم واختلفوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة، قالوا: إنه لا يجوز للمؤمنين أن يردوا النار ويدل عليه أمور: أحدها: قوله تعالى: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون} [الأنبياء: ١٠١] والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها.

والثاني: قوله: {لا يسمعون حسيسها} [الأنبياء: ١٠٢] ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها.

وثالثها: قوله: {وهم من فزع يومئذ ءامنون} [النحل: ٨٩] وقال الأكثرون: إنه عام في كل مؤمن وكافر لقوله تعالى: {وإن منكم إلا واردها} فلم يخص.

وهذا الخطاب مبتدأ مخالف للخطاب الأول، ويدل عليه قوله: {ثم ننجى الذين اتقوا} أي من الواردين من اتقى ولا يجوز أن يقال: {ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا} إلا والكل واردون والأخبار المروية دالة على هذا القول، ثم هؤلاء اختلفوا في تفسير الورود فقال بعضهم: الورود الدنو من جهنم وأن يصيروا حولها وهو موضع المحاسبة، واحتجوا على أن الورود قد يراد به القرب بقوله تعالى: {فأرسلوا واردهم} [يوسف: ١٩] ومعلوم أن ذلك الوارد ما دخل الماء وقال تعالى: {ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون} [القصص: ٢٣] وأراد به القرب.

ويقال: وردت القافلة البلدة وإن لم تدخلها فعلى هذا معنى الآية أن الجن والإنس يحضرون حول جهنم: {كان على ربك حتما مقضيا} [مريم: ٧١] أي واجبا مفروغا منه بحكم الوعيد ثم ننجي أي نبعد الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من قوله تعالى: {أولئك عنها مبعدون} [الأنبياء: ١٠١] ومما يؤكد هذا القول ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: " لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة: أليس الله يقول: {وإن منكم إلا واردها} فقال عليه السلام فمه ثم ننجي الذين اتقوا " ولو كان الورود عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازما.

القول الثاني: أن الورود هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر، أما الآية فقوله تعالى: {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون} [الأنبياء: ٩٨] وقال: {فأوردهم النار وبئس الورد المورود} [هود: ٩٨] ويدل عليه قوله تعالى: {أولئك عنها مبعدون} والمبعد هو الذي لولا التبعيد لكان قريبا فهذا إنما يحصل لو كانوا في النار، ثم إنه تعالى يبعدهم عنها ويدل عليه قوله تعالى: {ونذر الظالمين فيها جثيا} وهذا يدل على أنهم يبقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم إنما يبقون في النار فلا بد وأن يكونوا قد دخلوا النار، وأما الخبر فهو أن عبد الله بن رواحة قال: «أخبر الله عن الورود ولم يخبر بالصدور، فقال عليه السلام:

" يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا " وذلك يدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول والنبي صلى الله عليه وسلم ما أنكر عليه في ذلك وعن جابر: " أنه سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما حتى أن للناس ضجيجا من بردها ".

والقائلون بهذا القول يقولون: المؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر ألبتة بل مع الغبطة والسرور وذلك لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم: {لا يحزنهم الفزع الأكبر} [الأنبياء: ١٠٣] ولأن الآخرة دار الجزاء لا دار التكليف، وإيصال الغم والحزن إنما يجوز في دار التكليف، ولأنه صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الملائكة تبشر في القبر من كان من أهل الثواب بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة ويعلمه " وكذلك القول في حال المعاينة فكيف يجوز أن يردوا القيامة وهم شاكون في أمرهم، وإنما تؤثر هذه الأحوال في أهل النار لأنهم لا يعلمون كونهم من أهل النار والعقاب، ثم اختلفوا في أنه كيف يندفع عنهم ضرر النار، فقال بعضهم: البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون في خلالها ما لا نار فيه، ويكون من المواضع التي يسلك فيها إلى دركات جهنم، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يدخل الكل في جهنم فالمؤمنون يكونون في تلك المواضع الخالية عن النار، والكفار يكونون في وسط النار.

وثانيها: أن الله تعالى يخمد النار فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يردونها كأنها إهالة» وعن جابر بن عبد الله: " أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا بأن نرد النار فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة " وثالثها: أن حرارة النار ليست بطبعها فالأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار يجعلها الله عليهم محرقة مؤذية والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين يجعلها الله بردا وسلاما عليهم، كما في حق إبراهيم عليه السلام.

وكما أن الكوز الواحد من الماء كان يشربه القبطي فكان يصير دما ويشربه الإسرائيلي فكان يصير ماء عذبا.

واعلم أنه لا بد من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين، فإن قيل: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم النار فما الفائدة في ذلك الدخول؟ قلنا فيه وجوه: أحدها: أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه.

وثانيها: أن فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم أعداؤهم يتخلصون منها وهم يبقون فيها.

قوله تعالى:{كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} [مريم : ٧١]، أي:" كان ذلك أمرًا محتومًا، قضى الله - سبحانه - وحكم أنه لا بد من وقوعه لا محالة"[١].

وفي قوله تعالى:{كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} [مريم : ٧١]، وجهان:

أحدهما : معناه كان على ربك قضاء مقضيا، قاله مجاهد[٢]، وابن جريج[٣].

الثاني : معناه: كان على ربك قسماً واجباً ، قاله ابن مسعود[٤]، وابن عباس[٥]، وقتادة[٦].

قال ابن عباس:" الحتم: الواجب"[٧].

قال أمية بن أبي الصلت يقول[١]:

وثالثها: أن فيه مزيد غم على أهل النار من حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين بل وعند الأولياء وعند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون إليه.

ورابعها: أن المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبكتونهم فزاد ذلك غما للكفار وسرورا للمؤمنين.

وخامسها: أن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر ويقيمون عليهم صحة الدلائل فما كانوا يقبلون تلك الدلائل، فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم كانوا صادقين فيما قالوا، وأن المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين.

وسادسها: أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة كما قال الشاعر:

وبضدها تتبين الأشياء. فأما الذين تمسكوا بقوله تعالى: {أولئك عنها مبعدون} [الأنبياء: ١٠١] فقد بينا أنه أحد ما يدل على الدخول في جهنم وأيضا فالمراد عن عذابها وكذا قوله: {لا يسمعون حسيسها} [الأنبياء: ١٠٢] فإن قيل: هل ثبت بالأخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها إلى الجنة؟ قلنا: ثبت بالأخبار أن المحاسبة تكون في الأرض أو حيث كانت الأرض ويدل عليه أيضا قوله تعالى: {يوم تبدل الأرض غير الأرض} [إبراهيم: ٤٨] وجهنم قريبة من الأرض والجنة في السماء ففي موضع المحاسبة يكون الاجتماع فيدخلون من ذلك الموضع إلى جهنم ثم يرفع الله أهل الجنة وينجيهم ويدفع أهل النار فيها.

أما قوله: {كان على ربك حتما مقضيا} فالحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى المحتوم بالحتم كقولهم: خلق الله وضرب الأسير، واحتج من أوجب العقاب عقلا فقال: إن قوله: {كان على ربك حتما مقضيا} يدل على وجوب ما جاء من جهة الوعيد والأخبار لأن كلمة على للوجوب والذي ثبت بمجرد الأخبار لا يسمى واجبا.

والجواب أن وعد الله تعالى لما استحال تطرق الخلف إليه جرى مجرى الواجب". أهـ {مفاتيح الغيب حـ ٢١ صـ ٢٠٧ - ٢٠٩}.

وقال السمين الحلبي: "قوله: {وإن منكم إلا}: في هذه الواو وجهان، أحدهما: أنها عاطفة هذه الجملة على ما قبلها. وقال ابن عطية «{وإن منكم إلا واردها} قسم والواو تقتضيه، ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم:» من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم «قال الشيخ:» وذهل عن قول النحويين إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى، إلا إذا كان الجواب باللام أو ب «إن» والجواب هنا على زعمه ب «إن» النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا. وقوله: «والواو تقتضيه» يدل على أنها عنده واو القسم، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو قسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار، ولا يجوز ذلك إلا إن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه، كما أولوا في قولهم: «نعم السير على بئس العير»، أي: على عير بئس العير، وقول الشاعر:

٣٢٥٠ - والله ما ليلى بنام صاحبه. . .

أي: برجل نام صاحبه، وهذه الآية ليست من هذا الضرب؛ إذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه، و«إن» حرف نفي، و«منكم» صفة لمحذوف تقديره: وإن أحد منكم. ويجوز أن يكون التقدير: وإن منكم إلا من هو واردها. وقد تقدم لذلك نظائر، والخطاب في قوله» منكم «يحتمل الالتفات وعدمه. قال الزمخشري:«التفات إلى الإنسان، ويعضده قراءة ابن عباس وعكرمة «وإن منهم» أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور».

والحتم: القضاء والوجوب. حتم، أي: أوجب [وحتمه] حتما، ثم يطلق الحتم على الأمر المحتوم مقوله تعالى:» هذا خلق الله «و» هذا درهم ضرب الأمير و«على ربك» «متعلق بـ«حتم»، لأنه في معنى اسم المفعول، ولذلك وصفه ب» مقضيا «. اهـ [الدر المصون٧/٦٢٥-٦٢٧].

(١) التفسير الميسر:٣١٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٣٧/١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٣٧/١٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٢٣٧/١٨.

(٥) انظر: مسائل نافع بن الأزرق: (١٦٢) ح ت م [حتما]:ص١٩٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٣٧/١٨.

(٧)مسائل نافع بن الأزرق: (١٦٢) ح ت م [حتما]:ص١٩٣.

عبادك يخطئون وأنت ربّ ... بكفّيك المنايا والحتوم
قال ابن الجوزي:" زعم أن قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا}، نسخت بقوله: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا}، وهذا من أفحش الإقدام على الكلام في كتاب الله سبحانه بالجهل[٢]. وهل بين الآيتين تناف فإن الأولى تثبت أن الكل يردونها، والثانية تثبت أنه ينجو منهم من اتقى، ثم هما خبران والأخبار لا تنسخ"[٣].

القرآن

{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)} [مريم : ٧٢]

التفسير:

ثم ننجي الذين اتقوا ربهم بطاعته والبعد عن معصيته، ونترك الظالمين لأنفسهم بالكفر بالله في النار باركين على رُكَبهم.

قوله تعالى:{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا} [مريم : ٧٢]، أي:" ثم ننجي الذين اتقوا ربهم بطاعته والبعد عن معصيته"[٤].

قال الزجاج:" أي: نخرج المتقين من جملة من ندخله النار"[٥].

قال مجاهد:" يقول: "هنالك ينجي الله الذين اتقوا"[٦].

قال مقاتل:" يعني: أهل التوحيد فنخرجهم منها"[٧].

قوله تعالى:{وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم : ٧٢]، أي:" ونترك الظالمين لأنفسهم بالكفر بالله في النار باركين على رُكَبهم"[٨].

قال مقاتل:" يعني: المشركين في جهنم على الركب"[٩].

قال الطبري:" وندع الذين ظلموا أنفسهم، فعبدوا غير الله، وعصوا ربهم، وخالفوا أمره ونهيه في النار جثيا، يقول: بروكا على ركبهم"[١٠].

عن قتادة :"{وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا، على ركبهم"[١١].

قال ابن زيد:" الجثيّ: شرّ الجلوس، لا يجلس الرجل جاثيا إلا عند كرب ينزل به"[١٢].

قال قتادة:" إن الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم، فأنجوا منها. وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم، واحتبسوا بذنوبهم"[١٣].

فوائد الآيات:[٦٦-٧٢]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بالحشر والإحضار حول جهنم والمرور على الصراط.
٢- تقرير معتقد الصراط في العبور عليه إلى الجنة.
٣- تقديم رؤساء الضلال وأئمة الكفر إلى جهنم قبل الأتباع الضالين.
٤- تقرير حتمية المرور على الصراط.
٥- بيان نجاة الأتقياء، وهلاك الفاجرين الظالمين بالشرك والمعاصي.

---

(١) الديوان:٥٤، ومسائل نافع بن الأزرق:١٩٣، والإتقان:١٣٠/١.
(٢)ذكر النسخ هنا مكي بن أبي طالب في الإيضاح (٣٠١) عن قوم ثم رده بقوله: "إنه خبر لا يجوز نسخه".
(٣) نواسخ القرآن:٥٠٨/٢.[بتصرف]
(٤) التفسير الميسر:٣١٠.
(٥) معاني القرآن:٣٤١/٣.
(٦) تفسير مجاهد:٤٥٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٦/٢.
(٨) التفسير الميسر:٣١٠.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٦/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٢٣٨/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٢٣٨/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٣٨/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٢٣٨/١٨.

القرآن

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣)} [مريم : ٧٣]

التفسير:

وإذا تتلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أفضل منزلا وأحسن مجلسًا؟

قوله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} [مريم : ٧٣]، أي:" وإذا تتلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات"[١].

قال الطبري:" {وإذَا تُتْلَى} على الناس {آياتُنا} التي أنزلناها على رسولنا محمد {بَيِّنَات}، يعني: واضحات لمن تأمَّلها وفكَّر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده"[٢].

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} [مريم : ٧٣]، أي:" قال الكفار بالله للمؤمنين به: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أفضل منزلا وأحسن مجلسًا؟"[٣].

قال الطبري:" قال الذين كفروا للذين آمنوا: أيّ الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا، وأنعم بالا وأفضل مسكنا، وأحسن مجلسا، وأجمع عددا وغاشية في المجلس، نحن أم أنتم؟"[٤].

قال السعدي:" أي: فاستنتجوا من هذه المقدمة الفاسدة، أنهم أكثر مالا وأولادا، وقد حصلت لهم أكثر مطالبهم من الدنيا، ومجالسهم وأنديتهم مزخرفة مزوقة. والمؤمنون بخلاف هذه الحال، فهم خير من المؤمنين، وهذا دليل في غاية الفساد، وهو من باب قلب الحقائق، وإلا فكثرة الأموال والأولاد، وحسن المنظر، كثيرا ما يكون سببا لهلاك صاحبه، وشقائه، وشره"[٥].

وشره"[٥].

عن ابن عباس، قوله :"{خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا}، قال: المقام: المنزل، والنديّ: المجلس"[٦].

عن قتادة: {أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا}، قال: "خير مكانا ، وأحسن مجلسا"[٧].

مجلسا"[٧].

قال قتادة:" رأوا أصحاب محمد ﷺ في عيشهم خشونة، وفيهم قشافة، فعرّض أهل الشرك بما تسمعون. قوله {وَأَحْسَنُ نَدِيًّا}، يقول: مجلسا"[٨].

قال الماتريدي:" كأن هذا القول من الكفرة خرج جواب ما احتج عليهم أهل الإيمان بالآيات التي ذكروا حجاجا عليهم، فيقولون: إنكم تقولون: إن الدنيا والآخرة لله، فقد وسع علينا الدنيا وضيق عليكم، فعلى ذلك يوسع الآخرة علينا ويضيق عليكم كما فعل في الدنيا؛ إذ لا يجوز أن يوالينا في الدنيا ويعادينا في الآخرة، وعلى هذا قولهم: {نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين}، فظنوا أنه لما وسع عليهم وأحسن بهم الندى والمجلس كذلك يكونون في الآخرة، فأكذبهم الله ورد عليهم ذلك"[٩].

---

(١) التفسير الميسر:٣١٠.
(٢) تفسير الطبري:٢٣٨/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣١٠.
(٤) تفسير الطبري:٢٣٩/١٨.
(٥) تفسير السعدي:٤٩٩.
(٦) أخرجه الطبري:٢٣٩/١٨.
(٧) تفسير عبدالرزاق(١٧٨١):ص٣٦٠/٢.
(٨) أخرجه الطبري:٢٤٠/١٨.
(٩) تأولات أهل السنة:٢٥٤/٧.

القرآن
{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (٧٤)} [مريم : ٧٤]
التفسير:
وكثيرًا أهلكنا قبل كفار قومك - أيها الرسول - من الأمم كانوا أحسن متاعًا منهم وأجمل منظرًا.
قال مكي:" أي: وكثيراً يا محمد أهلكنا من القرون هم أحسن أثاثاً ورِئْيا قبل هؤلاء القائلين للمؤمنين: أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً"[١].
قال السعدي:" فإذا كان هؤلاء المهلكون أحسن منهم أثاثا ورئيا، ولم يمنعهم ذلك من حلول العقاب بهم، فكيف يكون هؤلاء، وهم أقل منهم وأذل، معتصمين من العذاب، {أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر} ؟ وعلم من هذا، أن الاستدلال على خير الآخرة بخير الدنيا من أفسد الأدلة، وأنه من طرق الكفار"[٢].
وفي قوله تعالى:{ أَثَاثًا وَرِئْيًا} [مريم : ٧٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن الأثاث : المتاع ، والرئي : المنظر ، قاله ابن عباس[٣] . قال الشاعر[٤] :
أهاجَتْكَ الظَّعائِنُ يَوْمَ بانُوا ... بِذِي الرِّئْيِ الجَمِيلِ مِنَ الأثاث
الثاني : أن الأثاث: أحسن المتاع، والرِّئي: المال. قاله الحسن[٥].
الثالث: معناه: أكثر أموالاً وأحسن صوراً. وهذا قول قتادة[٦].
وروي عن ابن عباس:" الأثاث: المال، والرِّئي: المنظر الحسن"[٧].
وروي عن قتادة ايضا:" أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرا، فأهلك الله أموالهم، وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى"[٨].
الرابع: أن الأثاث ما كان جديداً من ثياب البيت ، والرئي الارتواء من النعمة. حكاه الماوردي[٩].
الخامس : الأثاث المتاع . والرئي: ما يراه الناس. وهذا قول مجاهد[١٠].
السادس : معناه: أكثر أموالاً وأحسن صوراً. قاله قتادة أيضا[١١].
السابع : أن الأثاث ما يعد للاستعمال ، والرئي ما يعد للجمال. أفاده الماوردي[١٢].
قال الماتريدي:" أخبرهم بما عرفوا هم أنهم كانوا أهل السعة والزينة، ثم أهلكوا بتكذيبهم الرسل وعصيانهم ربهم، فلو كان ما ذكر هؤلاء الكفرة لكانوا لا يهلكون؛ فيلزمهم بما ذكر أن

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٧٩/٧.
(٢) تفسير السعدي:٤٩٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٤١/١٨.
(٤)البيت لمحمد بن نمير الثقفي، وكان يشبب بزينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي فتوعده، فهرب منه (خبره في في الكامل للمبرد ٢٨٩) والبيت من كلمة له (الكامل ٣٧٦) ، وفي (اللسان: رأي)، وتفسير الطبري:١٤٣/١٨، قال. قال: الفراء الرئي: المنظر وأهل المدينة يقرءون الآية (وريا) بغير همز. قال: وهو وجه جيد من رأيت، لأنه من آيات لسن مهموزات الأواخر. وقال الجوهري: من همزه جعله من المنظر من رأيت، وهو: ما رأته العين من حال حسنة، وكسوة ظاهرة. وأنشد أبو عبيد لمحمد بن نمير الثقفي: أشاقتك الظعائن يوم بانوا ... بذي الرئى الجميل من الأثاث
ومن لم يهمزه: إما أن يكون على تخفيف الهمزة، أو يكون من رويت ألوانهم وجلودهم، أي امتلأت وحسنت. وأثاثا: أي متاعا. قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١: ٣٦٥).
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٤١/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٤١/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٢٤٢/١٨.
(٨) اخرجه الطبري:٢٤١/١٨.
(٩) انظر: النكت والعيون:٣٨٦/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٤٢/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٤١/١٨.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٣٨٦/٣.

من وسع عليه الدنيا وضيق عليه الآخرة إنما يكون بحق المحنة، لا بحق المنزلة والقدر، وأما الثواب والجزاء فهو بحق القدر والمنزلة والخذلان"[1].

قرأ أكثر القراء بالهمز أي: منظرا من «الرؤية»، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش: «وريا» مشددا بغير همز، وفي الشاذ: «وزيا» بالزاء، حكي هذا عن سعيد بن جبير[2].

القرآن

{قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥)} [مريم : ٧٥]

التفسير:

قل - أيها الرسول - لهم: من كان ضالا عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله، حتى إذا رأى - يقينا - ما توعَّده الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم - حينئذ - مَن هو شر مكانًا ومستقرًا، وأضعف قوة وجندًا.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا} [مريم : ٧٥]، أي:" قل - أيها الرسول - لهم: من كان ضالا عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم، القائلين: إذا تتلى عليهم آياتنا، أيّ الفريقين منا ومنكم خير مقاما وأحسن نديا، من كان منا ومنكم في الضلالة جائرا عن طريق الحقّ، سالكا غير سبيل الهدى، فليطوّل له الله في ضلالته، وليمله فيها إملاء"[4].

قال مجاهد:" فليَدعْه الله في طغيانه"[5].

قال يحيى:" هذا دعاء، فأمد له الرحمن مدا. أمر الله النبي أن يدعو بهذا"[6].

قيل: "نسخ قوله {فليمدد له الرحمان مدا} بآية السيف"[7].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ} [مريم : ٧٥]، أي:" حتى إذا رأى - يقينا - ما توعَّده الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة"[8].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قل لهم: من كان منا ومنكم في الضلالة، فليمدد له الرحمن في ضلالته إلى أن يأتيهم أمر الله، إما عذاب عاجل، أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها، فإنهم إذا أتاهم وعد الله بأحدِ هذين الأمرين"[9].

قال الزجاج:" «الساعة»: يعنى بها يوم القيامة وبما وعدوا به فيها من الخلود في النار"[10].

قوله تعالى:{فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا} [مريم : ٧٥]، أي:" فسيعلم - حينئذ - مَن هو شر مكانًا ومستقرًا، وأضعف قوة وجندًا"[11].

---

(١) تأولات أهل السنة:٢٥٤/٧.
(٢) انظر: تفسير السمعاني:٣٠٩/٣، وتفسير البغوي:٢٥٢/٥.
(٣) التفسير الميسر:٣١٠.
(٤) تفسير الطبري:٢٤٣/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٢٤٣/١٨.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٢٤٠/١.
(٧)صائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٣٠٦/١.
(٨) التفسير الميسر:٣١٠.
(٩) تفسير الطبري:٢٤٤/١٨.
(١٠) معاني القرآن:٣٤٣/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣١٠.

قال الطبري:" {مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا} ومسكنا منكم ومنهم {وَأَضْعَفُ جُنْدًا}، أهم أم انتم؟ ويتبينون حينئذ أيّ الفريقين خير مقاما، وأحسن نديا"(١).

قال الزجاج:" أي: فسيعلمون بالنصر، والقتل أنهم أضعف جندا من جند النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين ويعلمون بمكانهم من جهنم، ومكان المؤمنين من الجنة من هو شر مكانا"(٢).

قال يحيى: أي: إنهم ليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله"(٣).

القرآن

{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦)} [مريم : ٧٦]

التفسير:

ويزيد الله عباده الذين اهتدوا لدينه هدى على هداهم بما يتجدد لهم من الإيمان بفرائض الله، والعمل بها. والأعمالُ الباقيات الصالحات خير ثوابًا عند الله في الآخرة، وخير مرجعًا وعاقبة.

قوله تعالى:{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم : ٧٦]، أي:" ويزيد الله عباده الذين اهتدوا لدينه هدى على هداهم بما يتجدد لهم من الإيمان بفرائض الله، والعمل بها"(٤).

قال الطبري:" ويزيد الله من سلك قصد المحجة، واهتدى لسبيل الرشد، فآمن بربه، وصدّق بآياته، فعمل بما أمره به، وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدّد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه، ويقرّ بلزوم فرضها إياه، ويعمل بها، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه، وذلك نظير قوله :{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}"(٥).

وفي قوله تعالى:{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم : ٧٦]، وجوه من التفسير:

وفي قوله تعالى:{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم : ٧٦]، وجوه من التفسير:

أحدها: ويزيد الله الذين اهتدوا بالتوحيد إيمانا.

قال السدي، ومقاتل:" يزيدهم إيمانا"(٦).

الثاني: يزيدهم بصيرة في دينهم وفي اقتدائهم بمحمد ﷺ، وهو زيادة الهدى والنور المبين. وهذا قول سهل بن عبدالله(٧).

وحكي الماوردي :"يزيدهم هدى بالمعونة في طاعته والتوفيق لمرضاته"(٨).

الثالث: يزيدهم بزيادة الوحي إيمانا، فكلما نزلت سورة زاد إيمانهم. حكاه ابن الجوزي(٩).

الرابع: يزيدهم إيمانا بالناسخ والمنسوخ. حكاه ابن الجوزي(١٠).

الخامس: يزيد الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ. حكاه الطبري(١١)، والزجاج(١٢).

قال الطبري:"قيل: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى بناسخ القرآن ومنسوخه، فيؤمن بالناسخ، كما آمن من قبل بالمنسوخ، فذلك زيادة هدى من الله له على هُدَاه من قبل"(١٣).

---

(١) تفسير الطبري:٢٤٤/١٨.
(٢) معاني القرآن:٣٤٣/٣.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٢٤٠/١.
(٤) التفسير الميسر:٣١٠.
(٥) تفسير الطبري:٢٤٤/١٨.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٧/٢، وحكاه يحيى بن سلام في تفسيره: ٢٤٠/١، عن السدي.
(٧) انظر: تفسير التستري:١٠٠.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٨٧/٣.
(٩) انظ{: زاد المسير:١٤٥/٣.
(١٠) انظ{: زاد المسير:١٤٥/٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٤٤/١٨.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٣٤٤/٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٤٤/١٨.

قال الزجاج:" قيل بالناسخ والمنسوخ نحو ما كان من صوم رمضان من أنه كان يجوز لمن يقدر على الصوم أن يطعم مسكينا ويفطر، فنسخ ذلك بإلزام الصوم"(١).

السادس : معناه: يجعل جزاءهم أن يزيدهم في يقينهم هدى كما أضل الله الفاسق بفسقه. أفاده الزجاج(٢).

السابع: معناه: ويزيد الله الذين اهتدوا إلى طاعته هدى إلى الجنة. أفاده الماوردي(٣).

قوله تعالى:{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا} [مريم : ٧٦]، أي:" والأعمالُ الباقيات الصالحات خير ثوابًا عند الله في الآخرة، وخير مرجعًا وعاقبة"(٤).

قال الطبري:" والأعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم، الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات، خير عند ربك جزاء لأهلها {وَخَيْرٌ مَرَدًّا} عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله، وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا"(٥).

قال الزجاج: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}" معناه: الأعمال الصالحة، وأولها توحيد الله، وهو شهادة أن لا إله إلا الله"(٦).

قال الزمخشري:" «الباقيات الصالحات»: أعمال الآخرة كلها. وقيل: الصلوات. وقيل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أى هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا أى مرجعا وعاقبة، أو منفعة، من قولهم: ليس لهذا الأمر مرد"(٧).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال: " جلس النبي ﷺ ذات يوم، فأخذ عودا يابسا، فحطّ ورقه ثم قال: إنَّ قَوْلَ لا إله إلا اللهُ، واللهُ أكْبَرُ، والحَمْدُ للهِ وسُبْحَانَ اللهِ، تَحطُّ الخَطايا، كمَا تَحُطُّ وَرَقَ هذِهِ الشَّجَرَةِ الرّيحُ، خُذْهُنَّ يا أبا الدَّرْدَاءِ قَبْلَ أنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ، هُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحاتُ، وَهُنَّ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ"، قال أبو سلمة: فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال: لأهللنّ الله، ولأكبرنّ الله، ولأسبحنّ الله، حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون"(٨).

القرآن

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧)} [مريم : ٧٧]

التفسير:

أعَلِمْت - أيها الرسول - وعجبت من هذا الكافر «العاص بن وائل» وأمثاله؟ إذ كفر بآيات الله وكذَّب بها وقال: لأعطينَّ في الآخرة أموالا وأولادًا.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق عن خباب بن الأرت قال: كنت رجلا قينا، أي حدادا، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت، ثم تبعث. قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد، فأعطيتك، فنزلت فيه هذه الآية، إلى قوله عز وجل: {فردا}"(٩).

---

(١)معاني القرآن:٣٤٤/٣.

(٢) انظر: معاني القرآن:٣٤٤/٣.

(٣) انظر: النكت والعيون:٣٨٧/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣١٠.

(٥) تفسير الطبري:٢٤٤/١٨.

(٦) معاني القرآن:٣٤٤/٣.

(٧) الكشاف:٣٨/٣.

(٨) أخرجه الطبري:٢٤٥/١٨.

(٩)صحيح. أخرجه البخاري ٢٢٧٥ و ٤٧٣٢ و ٤٧٣٣ ومسلم ٢٧٩٥ ح ٣٦ والترمذي ٣١٦٢ وأحمد ٥/ ١١٠ وابن حبان ٥٠١٠ من طرق عن سفيان عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ٢٠٩١ و ٢٤٢٥ و ٤٧٣٤ و ٤٧٣٥ ومسلم ٢٧٩٥ والنسائي في «التفسير» ٣٤٢ وأحمد ١/ ١١١ وابن حبان ٤٨٨٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٦١٠ و ٦١١ والطبراني ٣٦٥١ و ٣٦٥٢ و ٣٦٥٤.

وقال الكلبي ومقاتل: " كان خباب بن الأرت قينا وكان يعمل للعاص بن وائل السهمي وكان العاص يؤخر حقه الشيء بعد الشيء إلى الموسم، فكان حسن الطلب فصاغ له بعض الحلي فأتاه يتقاضاه الأجرة فقال العاص: ما عندي اليوم ما أقضيك، فقال له الخباب: لست مفارقك حتى تقضي، فقال له العاص: يا خباب ما لك؟ ما كنت هكذا وإن كنت حسن الطلب والمخالطة، فقال خباب: ذلك أني كنت على دينك فأما اليوم فأنا على الإسلام مفارق لدينك فلا، قال: أفلستم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا؟ قال الخباب: بلى، قال: فأخرني حتى أقضيك في الجنة- استهزاء- فو الله لئن كان ما تقول حقا فإني لأفضل فيها نصيبا منك، فأنزل الله سبحانه :{أفرأيت الذي كفر بآياتنا}، يعني: العاص "(١).

والثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وهذا مروي عن الحسن(٢).

قال ابن الجوزي:" والمفسرون على الأول"(٣).

قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا} [مريم : ٧٧]، أي:" أعَلِمْت - أيها الرسول - وعجبت من هذا الكافر «العاص بن وائل» وأمثاله؟ إذ كفر بآيات الله وكذَّب بها"(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {أَفَرَأَيْتَ} يا محمد {الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا} حججنا فلم يصدّق بها، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر"(٥).

قوله تعالى:{وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} [مريم : ٧٧]، أي:" وقال: لأعطينَّ في الآخرة أموالا وأولادًا"(٦).

قال يحيى:" أي: في الآخرة"(٧).

عن مجاهد، قوله :"{لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا}، قال: العاص بن وائل يقوله"(٨).

قال قتادة:" فذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ، أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه دينا، فقال: أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريرا وذهبا؟ قالوا: بلى، قال فميعادكم الجنة، فوالله لا أومن بكتابكم الذي جئتم به، استهزاء بكتاب الله، ولأُوتينّ مالا وولدا، يقول الله {أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا "(٩).

قرأ حمزة والكسائي: «ووُلْداً» بضم الواو ، وقرأ الباقون بفتحها ، فاختلف في ضمها وفتحها على وجهين(١٠):

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد ، يقال: ولَدَ ووُلْد ، وعَدَم وعُدْم ، وقال الحارث ابن حلزة(١١):

وَلَقَدْ رأيْتُ مَعاشِرًا ... قَدْ ثَمَّرُوا مالا وَوُلْدًا

وقال رُؤْبة(١٢):

الحَمْدُ للهِ العَزِيزِ فَرْدَا ... لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ وُلْدِ شَيْءٍ وُلْدَا

---

(١) الكشف والبيان:٢٢٩/٦، واسباب النزول للواحدي:٣١٠-٣١١، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٧/٢.

(٢) انظر: زاد المسير:١٤٦/٣.

(٣) زاد المسير:١٤٦/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣١١.

(٥) تفسير الطبري:٢٤٥/١٨.

(٦) التفسير الميسر:٣١١.

(٧) تفسير يحيى بن سلام:٢٤١/١.

(٨) أخرجه الطبري:٢٤٦/١٨.

(٩) أخرجه الطبري:٢٤٦/١٨.

(١٠) انظر: معاني القرآن للفراء:٢٧٣/٢، وتفسير الطبري:٢٤٧/١٨، والنكت والعيون:٣٨٧/٣.

(١١)من شواهد (لسان العرب: ولد)، وتفسير الطبري:٢٤٧/١٨، واستشهد به الفراء أيضًا في معاني القرآن ١٧٣/٢، ثم قال: والولد والولد: لغتان مثل ما قالوا: العدم والعدم.

(١٢)البيتان لرؤبة بن العجاج، وهما من مشطور الرجز، والفرد: المتفرد بالربوبية، وبالأمر دون خلقه، وهو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا ثاني. والبيت ساقه الطبري:٢٤٧/١٨، على أن الولد، بضم الواو وسكون اللام، بمعنى الولد، بالتحريك. وأنه مفرد، وقد يجيء بمعنى الجمع.

وقال الشاعر(١):
فَلَيْتَ فُلانا كانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ... وَلَيْتَ فُلانا كانَ وُلْدَ حِمار
والثاني : أن قيساً تجعل «الوُلْد» بالضم جميعاً ، و«الولد» بالفتح واحداً .
فوائد الآيات:[٧٤-٧٦]:
١- الكشف عن نفسيات الكافرين وهي الإعتزاز بالمال والقوة إذا اعتز المؤمنون بالإيمان وثمراته في الدنيا والآخرة من حسن العاقبة.
٢- بيان سنة الله تعالى في امهال الظلمة والإملاء لهم استدراجا لهم حتى يهلكوا خاسرين.
٣- بيان سنة الله تعالى في زيادة إيمان المؤمنين عند سماع القرآن الكريم، أو مشاهدة أخذ الله تعالى للظالمين.
٤- بيان فضيلة الباقيات الصالحات ومنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

القرآن
{أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨)} [مريم : ٧٨]
التفسير:
أطَّلَع الغيب، فرأى أن له مالا وولدًا، أم له عند الله عهد بذلك؟
قوله تعالى:{أَطَّلَعَ الْغَيْبَ} [مريم : ٧٨]، أي:" هل اطَّلع على الغيب الذي تفرَّد به علاّم الغيوب"(٢).
قال الطبري:" يقول عزّ ذكره: أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب، فعلم أن له في الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه"(٣).
قال مكي:" أي: اعلم هذا القائل الغيب فقال ذلك عن علم غيب عنده؟"(٤).
قال يحيى:" على الاستفهام، أي: لم يطلع على الغيب"(٥).
قوله تعالى:{أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم : ٧٨]، أي:" أم أعطاه الله عهداً بذلك فهو يتكلم عن ثقةٍ ويقين؟"(٦).
قال الطبري:" يقول: أم آمن بالله وعمل بما أمر به، وانتهى عما نهاه عنه، فكان له بذلك عند الله عهدا أن يؤتيه ما يقول من المال والولد"(٧).
قال مكي:" أي: أم آمن بالله ورسوله وعمل بطاعته فكان له بذلك عهد عن الله فؤتيه ما يقوله له في الآخرة؟"(٨).
عن قتادة :"{أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا}، بعمل صالح قدّمه"(٩).
القرآن
{كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩)} [مريم : ٧٩]
التفسير:

---
(١)البيت غير منسوب في (اللسان: ولد)، وتفسير الطبري:٢٤٧/١٨. قال ابن منظور: الولد والولد واحد، مثل مثل العرب والعرب، والعجم، والعجم ونحو ذلك. وأنشد الفراء: " فليت فلانا. . . " البيت. فهذا واحد. قال: وقيس تجعل الولد جمعا، والولد (بالتحريك) واحدا. ابن السكيت يقال في الولد: الولد (بكسر أوله) ولا ولد (بضم أوله) . قال: ويكون الولد (بضم أوله) واحدا وجمعا قال: وقد يكون الولد (بالضم) جمع الولد، مثل أسد وأسد.
(٢) صفوة التفاسير:٢٠٦/٢.
(٣) تفسير الطبري:٢٤٨/١٨.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٨٦/٧.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٤٢/١.[بتصرف]
(٦) صفوة التفاسير:٢٠٦/٢.
(٧) تفسير الطبري:٢٤٨/١٨.
(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٨٦/٧.
(٩) أخرجه الطبري:٢٤٨/١٨.

ليس الأمر كما يزعم ذلك الكافر، فلا علم له ولا عهد عنده، سنكتب ما يقول مِن كذب وافتراء على الله، ونزيده في الآخرة من أنواع العقوبات، كما ازداد من الغيّ والضلال.

قوله تعالى:{كَلَّا} [مريم : ٧٩]، أي:" ليس الأمر كما يزعم ذلك الكافر، فلا علم له ولا عهد عنده"(١).

قال الطبري:" ليس الأمر كذلك، ما اطلع الغيب، فعلم صدق ما يقول، وحقيقة ما يذكر، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بطاعته، بل كذب وكفر"(٢).

قوله تعالى:{سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ} [مريم : ٧٩]، أي:" سنكتب ما يقول مِن كذب وافتراء على الله"(٣).

قال الطبري:" أي: سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه، القائل {لأُوتَيَنّ} في الآخرة {مَالا وَوَلَدًا}"(٤).

قوله تعالى:{وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا} [مريم : ٧٩]، أي:" ونزيده في الآخرة من أنواع العقوبات، كما ازداد من الغيّ والضلال"(٥).

قال الطبري:" يقول: ونزيده من العذاب في جهنم بقيله الكذب والباطل في الدنيا، زيادة على عذابه بكفره بالله"(٦).

القرآن

{وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)} [مريم : ٨٠]

التفسير:

ونرثه مالَه وولده، ويأتينا يوم القيامة فردًا وحده، لا مال معه ولا ولد.

قوله تعالى:{وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ} [مريم : ٨٠]، أي:" ونرثه مالَه وولده"(٧).

قال مقاتل:"{ونرثه ما يقول} أنه يعطى في الجنة ما يعطى المؤمنون، فنرثه عنه ويعطاه غيره"(٨).

قال الفراء:" يعني: ما يزعم العاص بن وائل أنه له في الجنة، فتجعله لغيره"(٩).

قال الطبري:" ونسلب هذا القائل: لأوتين في الآخرة مالا وولدا، ماله وولده، ويصير لنا ماله وولده دونه"(١٠).

عن مجاهد، قوله :"{وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ}، ماله وولده، وذلك الذي قال العاص بن وائل"(١١).

عن ابن زيد:{وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ}، قال: ما جمع من الدنيا وما عمل فيها"(١٢).

قوله تعالى:{وَيَأْتِينَا فَرْدًا} [مريم : ٨٠]، أي:" ويأتينا يوم القيامة فردًا وحده، لا مال معه ولا ولد"(١٣).

قال الفراء:" خاليا من المال والولد"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر:٣١١.
(٢) تفسير الطبري:٢٤٨/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣١١.
(٤) تفسير الطبري:٢٤٨/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣١١.
(٦) تفسير الطبري:٢٤٨/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣١١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٨/٢.
(٩) معاني القرآن:١٧١/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٢٤٨/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٢٤٨/١٨.
(١٢)أخرجه الطبري:٢٤٩/١٨ .
(١٣) التفسير الميسر:٣١١.
(١٤) معاني القرآن:١٧١/٢.

قال الطبري:" ويأتينا هو يوم القيامة فردا، وحده لا مال معه ولا ولد"[١].
قال مقاتل:" العاص في الآخرة، ليس معه شيء من دنياه"[٢].
عن ابن زيد:{ وَيَأْتِينَا فَرْدًا}، قال: فردا من ذلك، لا يتبعه قليل ولا كثير"[٣].
قال قتادة:" لا مال له ولا ولد"[٤].

فوائد الآيات:[٧٧-٨٠]:

١- الكشف عن نفسيات الكافرين لاسيما إذا كانوا أقوياء بمال أو ولد أو سلطان فإنهم يعيشون على الغطرسة منه والاستعلاء وتجاهل الفقراء واحتقارهم.
٢- تقرير البعث والحساب والجزاء.
٣- مضاعفة العذاب على الكافرين الظالمين لظلمهم بعد كفرهم.
٤- تقرير معنى آية: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون.

القرآن

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١)} [مريم : ٨١]

التفسير:

واتخذ المشركون آلهة يعبدونها من دون الله؛ لتنصرهم، ويعتزوا بها.

قوله تعالى:{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً} [مريم : ٨١]، أي:" واتخذ المشركون آلهة يعبدونها من دون الله"[٥].

قال مقاتل:" ثم ذكر كفار مكة العاص، والنضر، وأبا جهل، وغيرهم فقال سبحانه: واتخذوا من دون الله آلهة يعني اللات، والعزى، ومناة، وهبل"[٦].

قوله تعالى:{لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} [مريم : ٨١]، أي:" لتنصرهم، ويعتزوا بها"[٧].

قال الفراء:" يقول: ليكونوا لهم شفعاء فى الآخرة"[٨].

قال الزجاج:" أي: أعوانا"[٩].

قال مقاتل:" يعني :منعا يمنعونهم من الله- عز وجل-، نظيرها في «يس» {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} [يس : ٧٤]، يعني: يمنعون"[١٠].

القرآن

{كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)} [مريم : ٨٢]

التفسير:

ليس الأمر كما يزعمون، لن تكون لهم الآلهة عزًا، بل ستكفر هذه الآلهة في الآخرة بعبادتهم لها، وتكون عليهم أعوانًا في خصومتهم وتكذيبهم بخلاف ما ظنوه فيها.

قوله تعالى:{كَلَّا} [مريم : ٨٢]، أي:" ليس الأمر كما يزعمون، لن تكون لهم الآلهة عزًا"[١١].

قال مقاتل:" لا تمنعهم الآلهة من الله"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٢٤٨/١٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٨/٢.
(٣)أخرجه الطبري:٢٤٩/١٨ .
(٤)أخرجه الطبري:٢٤٩/١٨ .
(٥) التفسير الميسر:٣١١.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٨/٢.
(٧) التفسير الميسر:٣١١.
(٨) معاني القرآن:١٧١/٢.
(٩) معاني القرآن:٣٤٥/٣.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٨/٢.
(١١) التفسير الميسر:٣١١.

قوله تعالى:{سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ} [مريم : ٨٢]، أي:" ستكفر هذه الآلهة في الآخرة بعبادتهم لها"[٢].

قال مقاتل:" يقول: ستبرأ الآلهة في الآخرة من كل من كان يعبدها في الدنيا"[٣].

قال مكي:" أي: ستجحد الآلهة يوم القيامة عبادتهم لها. وهو قوله تعالى: {تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كانوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} [القصص: ٦٣] فتبرؤها منهم هو جحدها لعبادتهم إياها"[٤].

قال القشيري:" حكموا بظنهم الفاسد أن أصنامهم تمنعهم، وأن ما عبدوه من دون الله تعالى توجب عبادتهم لهم عند الله تعالى وسيلة.. وهيهات! هيهات أن تكون لمغاليط حسبانهم تحقيق، بل إذا حشروا وحشرت أصنامهم تبرأت أصنامهم منهم، وما أملوا نفعا منها عاد ضررا عليهم، ويقال: طلبوا العز فى أماكن الذل، فأخفقوا فى الطلب، ونفوا عن المراد "[٥].

قوله تعالى:{وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مريم : ٨٢]، أي:" وتكون عليهم أعوانًا في خصومتهم وتكذيبهم بخلاف ما ظنوه فيها"[٦].

قال مقاتل:" يقول تكون آلهتهم يومئذ لهم أعداء"[٧].

قال القاسم بن سلام:"عدوا وخصما بلغة كنانة"[٨].

قال الفراء:" يكونون عليهم أعوانا"[٩].

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣)} [مريم : ٨٣]

التفسير:

ألم تر - أيها الرسول - أنَّا سلَّطْنا الشياطين على الكافرين بالله ورسله؛ لتغويهم، وتدفعهم عن الطاعة إلى المعصية؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله (تَؤُزُّهُمْ) يقول: تحرّكهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها {أزّا} إزعاجا وإغواء"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: تزعجهم إزعاجا وتغريهم إغراء تزين لهم الذي هم عليه من الشرك ويقول إن الأمر الذي أنتم عليه لأمر حق"[١١].

قال الفراء:" تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم بها"[١٢].

قال ابن قتيبة:" تزعجهم وتحركهم إلى المعاصي"[١٣].

قال أبو عبيدة:" أي: تهيّجهم وتغوبهم، قال رؤبة[١٤]:

لا يأخذ التأفيك والتّحزّى ... فينا ولا قذف العدى ذو الأزّ

«العدى» بضم العين: الأعداء، و«العدى» بكسر العين: الغرباء"[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٨/٢.
(٢) التفسير الميسر:٣١١.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٨/٢.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٩٠/٧.
(٥) لطائف الإشارات:٤٤١/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣١١.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٨/٢.
(٨) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.
(٩) معاني القرآن:١٧١/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٢٥١/١٨.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٩/٢.
(١٢) معاني القرىن:١٧٢/٢.
(١٣) غريب القرآن:٢٧٥.
(١٤)فى ديوانه ص ٦٤ والجمهرة ١/ ١٧ واللسان والتاج (أزز).

قال الزجاج:" أي تحملهم على المعاصي حملا شديدا، تزعجهم في شدة الغى. ويجوز إنا جعلنا الشياطين أولياء لفذين لا مهلؤمنون، أيسوينا بين الشياطين والكافرين في الذهاب عن الله. كما قال: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ} [التوبة : ٦٧]"[٢].

عن ابن عباس والضحاك، قوله: "{أَزًّا}، يقول: تغريهم إغراء"[٣].

قال ابن عباس: تؤزّ الكافرين إغراء في الشرك: امض امض في هذا الأمر، حتى توقعهم في النار، امضوا في الغيّ امضوا"[٤].

قال قتادة:" تزعجهم إزعاجا في معصية الله"[٥].

وقال العوفي عن ابن عباس : "تحرضهم على محمد وأصحابه"[٦].

وقال مجاهد : تُشليهم إشلاء"[٧].

وقال سفيان الثوري : تغريهم إغراء وتستعجلهم استعجالا"[٨].

وقال السدي : تطغيهم طغيانا"[٩].

وقال عبد الرحمن بن زيد : "هذا كقوله تعالى : { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } [الزخرف : ٣٦]"[١٠].

قال سهل بن عبدالله:" تزعجهم بالمعاصي إزعاجا، وتدعوهم إليها بما تهوى أنفسهم بترك عصمة الله، كما قال تعالى في قصة اللعين: {وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي} [إبراهيم: ٢٢]، ودعاؤه على مقامات فقد يكون إلى الشر، وقد يكون إلى الخير، كما قال النبي ﷺ: «إن الشيطان ليورد أحدكم سبعين بابا من الخير ليوقعه في باب من الشر فيهلكه»، قال: وإن اللعين يوسوس إلى جميع أهل العبادات وأصحاب الجهد، ولا يبالي منهم إلا من لا يدخل في شيء، حتى يعلم أنه له أو عليه، وإنما وقع المغاليط للعباد والزهاد في العلم لا في الاجتهاد، فلم يكن لهم حال يعرفونها فيما بينهم وبين ربهم، فإن الله تعالى إذا حاسب العبد يوم القيامة فكل فعل عرف صاحبه حاله فيه من طاعة أو معصية ثبت عقله له، وما جهل فيه حاله تحير ودهش لذلك لأنه إذا عرف حاله صحت الطاعة والتوبة بحجة الله، وإذا لم يعرف يتحير ويدهش لأنه عمل بغير حجة.

وسئل سهل عن رجل يذكر الله فيخطر بقلبه: إن الله معك. قال: هو مكلف ثالث، إما أن يكون عدوا فيريد أن يقطعه، وإما أن يكون ذلك نفسه تريد أن تخونه وتخدعه، فلا يلتفتن إلى الخواطر في هذه الحال، والله سبحانه وتعالى أعلم"[١١].

القرآن

{فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)} [مريم : ٨٤]

التفسير:

فلا تستعجل - أيها الرسول - بطلب العذاب على هؤلاء الكافرين، إنما نحصي أعمارهم وأعمالهم إحصاءً لا تفريط فيه ولا تأخير.

---

(١) مجاز القرآن:١١/٢.
(٢) معاني القرآن:٣٣٠/٢.
(٣) أخرجه الطبري:٢٥١/١٨-٢٥٢.
(٤) أخرجه الطبري:٢٥٢/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٢٥٢/١٨.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٦٢/٥.
(٧) تفسير ابن كثير:٢٦٢/٥.
(٨) تفسير ابن كثير:٢٦٢/٥.
(٩) تفسير ابن كثير:٢٦٢/٥.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٥٢/١٨، وتفسير ابن كثير:٢٦٢/٥.
(١١) تفسير التستري:١٠١.

قوله تعالى:{فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ} [مريم : ٨٤]، أي:" فلا تستعجل - أيها الرسول - بطلب العذاب على هؤلاء الكافرين"[١].

قال مقاتل:" يقول للنبي- ﷺ- فلا تستعجل لهم بالعذاب"[٢].

قال الطبري:" يقول عزّ ذكره: فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك، يا محمد "[٣].

قوله تعالى:{إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} [مريم : ٨٤]، أي:" إنما نحصي أعمارهم وأعمالهم إحصاءً لا تفريط فيه ولا تأخير"[٤].

قال الفراء:" يقال: الأيام والليالي والشهور والسنون. وقال بعض المفسرين: الأنفاس"[٥].

قال ابن قتيبة:" أي: أيام الحياة. ويقال: الأنفاس"[٦].

قال مقاتل:" {نعد لهم} آجالهم {عدا} يعني: الأنفاس"[٧].

قال الطبري:" يقول: فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثما، ونحن نعدّ أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم"[٨].

عن ابن عباس، قوله: "{إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا}، يقول: أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا، فهي معدودة كسنهم وآجالهم"[٩].

قال ابن الجوزي:" زعم بعض المفسرين: أن قوله تعالى:[{فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً}] منسوخة بآية السيف[١٠].

وهذا ليس بصحيح، لأنه إن كان المعنى: لا تعجل بطلب عذابهم الذي يكونفي الآخرة فإن المعنى أن أعمارهم سريعةالفناء، فلا وجه للنسخ. وإن كان المعنى: ولا تعجل بطلب قتالهم، فإن هذه السورة نزلت بمكة ولم يؤمر حينئذ بالقتال فنهيه عن الاستعجال بطلب القتال، واقع في موضعه، ثم أمره بقتالهم بعد الهجرة لا ينافي النهي عن طلب القتال بمكة فكيف يتوجه النسخ. فسبحان من قدر وجود قوم جهال يتلاعبون بالكلام في القرآن، ويدعون نسخ ما ليس بمنسوخ، وكل ذلك من سوء الفهم، نعوذ بالله منه"[١١].

القرآن

{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)} [مريم : ٨٥ - ٨٦]

التفسير:

يوم نجمع المتقين إلى ربهم الرحيم بهم وفودًا مكرمين. ونسوق الكافرين بالله سوقًا شديدًا إلى النار مشاة عِطاشًا.

قوله تعالى:{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا}[مريم : ٨٥]، أي:" يوم نجمع المتقين إلى ربهم الرحيم بهم وفودًا مكرمين"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:٣١١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٩/٢.
(٣) تفسير الطبري:٢٥٢/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣١١.
(٥) معاني القرىن:١٧٢/٢.
(٦) غريب القرآن:٢٧٥.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٩/٢.
(٨) تفسير الطبري:٢٥٢/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٢٥٣/١٨.
(١٠)ذكر دعوى النسخ هنا ابن حزم في ناسخه (٣٤٦) وابن سلامة في ناسخه (٦٢).
(١١) نواسخ القرآن:٥٠٨/٢-٥٠٩.
(١٢) التفسير الميسر:٣١١.

قال مقاتل:" يعنى: الموحدين {إلى الرحمن وفدا}على النجائب على رحلاتها منابر الحضر"[١].

قال الطبري:" يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيه، وأدوا فرائضه إلى ربهم {وَفْدًا} يعني بالوفد: الركبان، يقال: وفدت على فلان: إذا قدمت عليه، وأوفد القوم وفدا على أميرهم، إذا بعثوا قبلهم بعثا. والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع، ولكنه واحد، لأنه مصدر واحدهم وافد، وقد يجمع الوفد: الوفود، كما قال بعض بني حنيفة[٢]:

إنّي لَمُمْتَدِحٍ فَمَا هُوَ صَانِعٌ ... رأسُ الوُفُودِ مُزاحِمُ بن جِساس"[٣].

قال عمرو بن قيس الملائي: "إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة، وأطيبها ريحا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني أنت اليوم، وتلا (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا}"[٤].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : "{ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا } قال : ركبانًا"[٥].

وعن أبي هريرة : "{ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا } قال : على الإبل"[٦].

وقال ابن جُريج : "على النجائب"[٧].

وقال الثوري : على الإبل النوق"[٨].

وقال قتادة : "وفدا إلى الجنة"[٩].

عن النعمان بن سعد قال : "كنا جلوسًا عند عليّ ، رضي الله عنه ، فقرأ هذه الآية : { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا } قال : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ، ولا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة"[١٠].

قوله تعالى:{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مريم : ٨٦]، أي:" ونسوق الكافرين بالله سوقًا شديدًا إلى النار مشاة عِطاشًا"[١١].

قال مقاتل:" يرونها فى الدخول وهم عطاش"[١٢].

قال القاسم بن سلام:" حفاة مشاة عطاشا بلغة قريش"[١٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٩/٢.

(٢)البيت لبعض بني حنيفة، كما قال الطبري:٢٥٤/١٨. وفي (تاج العروس: جثث: جساس بوزن كتاب ابن نشبة بن ربيع التيمي، ابن عمرو بن عبد الله بن لؤى بن عمرو بن الحارث بن تيم بن عبد مناة بن أد: أبو قبيلة، من ولده مزاحم بن زفر بن علاج بن الحارث بن عامرو بن جساس عن شعبة عنه أبو الربيع الزهراني، وأخوه عثمان بن زفر، حدث عن يوسف بن موسى القطان وغيره. وفي خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي: مزاحم بن زفر بن الحارث الكوفي، عن عمر بن عبد العزيز؛ وعنه شعبة وسفيان، وثقه ابن معين. وفي اللسان: وفد) قال الله تعالى: (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) : قيل الوفد: الركبان المكرمون. . . وهم الوفد والوفود. فأما الوفد فاسم للجمع، وقيل جمع. وأما الوفود فجمع وافد. . . . وجمع الوفد: أوفاد ووفود.

(٣) تفسير الطبري:٢٥٤/١٨.

(٤) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.

(٥) أخرجه الطبري:١٥٥/١٨.

(٦) أخرجه الطبري:٢٥٤/١٨.

(٧) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.

(٨) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.

(٩) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.

(١٠)زوائد المسند (١٥٥/١) وتفسير الطبري:٢٥٤/١٨.

(١١) التفسير الميسر:٣١١.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٩/٢.

(١٣) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشا"[١].

عن ابن هريرة وابن عباس والحسن وسفيان: قوله:"{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا}، يقول: عطاشا"[٢].

وقال قتادة:" ظماء إلى النار"[٣].

قال قتادة:" سوقوا إليها وهم ظمء عطاش"[٤].

القرآن

{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧)} [مريم : ٨٧]

التفسير:

لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لأحد، إنما يملكها مَنِ اتخذ عند الرحمن عهدًا بذلك، وهم المؤمنون بالله ورسله.

قوله تعالى:{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ} [مريم : ٨٧]، أي:" لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لأحد"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدا الشفاعة، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، فيشفع بعضهم لبعض"[٦].

قوله تعالى:{إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم : ٨٧]، أي:" إنما يملكها مَنِ اتخذ عند الرحمن عهدًا بذلك، وهم المؤمنون بالله ورسله"[٧].

قال الطبري:أي:" في الدنيا {عَهْدًا} بالإيمان به، وتصديق رسوله، والإقرار بما جاء به، والعمل بما أمر به"[٨].

قال ابن كثير:" هذا استثناء منقطع ، بمعنى : لكن من اتخذ عند الرحمن عهدًا ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، والقيام بحقها"[٩].

قال ابن عباس:" العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوّة ولا يرجو إلا الله"[١٠].

قال ابن جريج:" المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء {إلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا}، قال: عملا صالحا"[١١].

قال ابن وهب:" وسمعت الليث يقول في هذه الآية: {لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا}، قال: عهده: حفظ كتبه"[١٢].

عن قتادة، قوله :"{لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} : أي بطاعته، وقال في آية أخرى :{لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا}، ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض، ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إنَّ في أُمَّتِي

---

(١)تفسير الطبري:١٨/٢٥٥ .
(٢) أخرجه الطبري:١٨/٢٥٥.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٢٥٥.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٢٥٥.
(٥) التفسير الميسر:٣١١.
(٦) تفسير الطبري:١٨/٢٥٥.
(٧) التفسير الميسر:٣١١.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٢٥٥.
(٩) تفسير ابن كثير:٥/٢٦٥.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٢٥٥.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/٢٥٦.
(١٢) تفسير القرىن من الجامع لابن وهب(٣٦١):ص١٧٠/٢.

رَجُلا لَيُدْخِلَنَّ اللهُ بِشَفاعَتِهِ الجَنَّةَ أَكْثَرَ مِنْ بني تَمِيمٍ»، وكنا نحدّث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته"[1].

عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ شَفاعَتِي لِمَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللهِ شَيئًا"[2].

عن الأسود بن يزيد قال : "قرأ عبد الله - يعني ابن مسعود - هذه الآية : { إلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا } ثم قال : اتخذوا عند الله عهدًا ، فإن الله يقول يوم القيامة : "من كان له عند الله عهد فليقم" قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، فَعلمنا. قال : قولوا : اللهم ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك إن تكلني إلى عمل تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهدًا تُؤدّيه إلي يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد.

قال المسعودي : فحدثني زكريا ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، أخبرنا ابن مسعود : وكان يُلْحِقُ بهن : خائفًا مستجيرًا مستغفرًا ، راهبًا راغبًا إليك"[3].

فوائد الآيات:[٨١-٨٧]:

١- براءة سائر المعبودات من دون الله من عابديها يوم القيامة خزيا لهم وإحقاقا للعذاب عليهم.
٢- لا عجب مما يشاهد من مسارعة الكافرين إلى الشر والفساد والشهوات لوجود شياطين تحركهم بعنف إلى ذلك وتدفعهم إليه.
٣- لا ينبغي طلب العذاب العاجل لأهل الظلم لأنهم كلما ازدادوا ظلما ازداد عذابهم شدة يوم القيامة إذ كل شيء محصى عليهم حتى أنفاسهم محاسبون عليه ومجزيون به.
٤- بيان كرامة المتقين، ومهانة المجرمين.

القرآن

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨)} [مريم : ٨٨]

التفسير:

وقال هؤلاء الكفار: اتخذ الرحمن ولدًا.

قال مقاتل:" من الملائكة، حين قالوا إنهن بنات الله- تعالى-، منهم: النضر ابن الحارث"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله :{اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا}"[5].

قال القرطبي:" يعني: اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله"[6].

قال السعدي:" وهذا تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين زعموا أن الرحمن اتخذ ولدا، كقول النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزير ابن الله، والمشركين: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا"[7].

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري:٢٥٦/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٢٥٦/١٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٢٦٥/٥، ورواه الحاكم في المستدرك (٣٧٧/٢) من طريق عبد الرحمن بن سعد عن المسعودي عن عون عن الأسود بن يزيد عن ابن مسعود بنحوه ، ولم يذكر أبا فاختة ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٩/٢.
(٥) تفسير الطبري:٢٥٧/١٨.
(٦) تفسير القرطبي:١٥٥/١١.
(٧) تفسير السعدي:٥٠١.

{لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)} [مريم : ٨٩]

التفسير:

لقد جئتم - أيها القائلون - بهذه المقالة شيئا عظيمًا منكرًا.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه: لقد جئتم أيها الناس شيئا عظيما من القول منكرا"[١].

قال السعدي:" أي: عظيما وخيما"[٢].

عن ابن عباس: قوله :{ شَيْئًا إِدًّا}، يقول: قولا عظيما"[٣].

قال ابن عباس:" يقول: لقد جئتم شيئا عظيما وهو المنكر من القول"[٤].

عن مجاهد وقتادة، قوله :"{شَيْئًا إِدًّا}، قال: عظيما"[٥].

قال ابن زيد:" جئتم شيئا كبيرا من الأمر حين دعوا للرحمن ولدا"[٦].

القرآن

{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١)} [مريم : ٩٠ - ٩١]

التفسير:

تكاد السموات يتشقَّقْنَ مِن فظاعة ذلكم القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطًا شديدًا غضبًا لله لِنِسْبَتِهم إليه الولد. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قوله تعالى:{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ} [مريم : ٨٩]، أي:" تكاد السموات يتشقَّقْنَ مِن فظاعة ذلكم القول"[٧].

قال الطبري:" تكاد السماوات يتشققن قطعا من قيلهم"[٨].

قوله تعالى:{وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ} [مريم : ٨٩]، أي:" وتتصدع الأرض غضبا لله"[٩].

قال الطبري:" وتكاد الأرض تنشق، فتنصدع من ذلك"[١٠].

قال السعدي:" أي: تتصدع وتنفطر منه"[١١].

قوله تعالى:{وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} [مريم : ٨٩]، أي:"وتسقط الجبال سقوطًا شديدًا غضبًا لله"[١٢].

قال الطبري:" يقول: وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطا. والهد: السقوط"[١٣].

قال السعدي:" أي: تندك الجبال"[١٤].

قال الفراء:{هَدًّا}:أي: "كسرا"[١٥].

---

(١) تفسير الطبري:٢٥٧/١٨.
(٢) تفسير السعدي:٥٠١.
(٣) أخرجه الطبري:٢٥٧/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٢٥٧/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٢٥٧/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٢٥٧/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣١١.
(٨) تفسير الطبري:٢٥٨/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣١١.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٥٩/١٨.
(١١) تفسير السعدي:٥٠١.
(١٢) التفسير الميسر:٣١١.
(١٣) أخرجه الطبري:٢٥٩/١٨.
(١٤) تفسير السعدي:٥٠١.
(١٥) معاني القرآن:١٧٣/٢.

قال ابو عبيدة:" أي: سقطت"[١].
عن ابن عباس، قوله "{وتخر الجبال هدا}، يقول: هدما"[٢].
قال ابن عباس:" الهد: الانقضاض"[٣].
عن ابن زيد: قوله:"{ وتخر الجبال هدا}، قال: غضبا لله"[٤].
قوله تعالى:{أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} [مريم : ٩٠]، أي:" من أجل أنهم نسبوا إلى الله اتخاذ الولد"[٥].
قال الطبري:" لأن دعوا للرحمن ولدا"[٦].
قال السعدي:" أي: من أجل هذه الدعوى القبيحة تكاد هذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر"[٧].
قال الصابوني:" أي: ما يليق به سبحانه اتخاذ الولد، لأن الولد يقتضي المجانسة ويكون عن حاجة، وهو المنزَّه عن الشبيه والنظير، والغني عن المعين والنصير"[٨].
قال مجاهد:" ذكر لنا أن كعبا كان يقول: غضبت الملائكة، واستعرت جهنم، حين قالوا ما قالوا"[٩].
قال ابن عباس:" إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين. وقال رسول الله ﷺ: "لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمن قالها عند موته وجبت له الجنة" قالوا: يا رسول الله، فمن قالها في صحته؟ قال: تلك أوجب وأوجب". ثم قال: "والذي نفسي بيده لو جيء بالسماوات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن، فوضعن في كفة الميزان، ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى، لرجحت بهن"[١٠].

القرآن
{وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)} [مريم : ٩٢]
التفسير:
وما يصلح للرحمن، ولا يليق بعظمته، أن يتخذ ولدًا؛ لأن اتخاذ الولد يدل على النقص والحاجة، والله هو الغني الحميد المبرأ عن كل النقائص.
قال ابن كثير:" أي : لا يصلح له ، ولا يليق به لجلاله وعظمته ؛ لأنه لا كفء له من خلقه؛ لأن جميع الخلائق عبيد له"[١١].
قال مكي: معناه:" أن الرحمن لا شبيه له، والولد يشبه والده ومن جنسه يكون. فلو كان له ولد لأشبهه، ولكان من جنسه، وهو لا شبيه له وإلا مثل، فهذا أمر لا يتمكن، ولا ينبغي أن يكمون، فهو مستحيل ممتنع سبحانه لا إله إلا هو"[١٢].

---

(١) مجاز القرآن:١٢/٢.
(٢) أخرجه الطبري:٢٥٩/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٢٥٩/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٢٥٩/١٨.
(٥) تفسير المراغي:٨٧/١٦.
(٦) تفسير الطبري:٢٦٠/١٨.
(٧) تفسير السعدي:٥٠١.
(٨) صفوة التفاسير:٢٠٧/٢.
(٩)أخرجه الطبري:٢٥٩/١٨ .
(١٠) أخرجه الطبري:٢٥٨/١٨-٢٥٩.
(١١) تفسير ابن كثير:٢٦٧/٥.
(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٠٠/٧.

قال الطبري:" يقول: وما يصلح لله أن يتخذ ولدا، لأنه ليس، كالخلق الذين تغلبهم الشهوات، وتضطرهم اللذات إلى جماع الإناث، ولا ولد يحدث إلا من أنثى، والله يتعالى عن أن يكون كخلقه، وذلك كقول ابن أحمر[١]:

في رأسِ خَلْقاءَ مِنْ هَنْقاءَ مُشْرِفَةٍ ... ما ينبغي دُونَها سَهْلٌ ولا جَبَلُ

يعني: لا يصلح ولا يكون"[٢].

قال السعدي:" أي: لا يليق ولا يكون {للرحمن أن يتخذ ولدا} وذلك لأن اتخاذه الولد، يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد. والولد أيضا، من جنس والده، والله تعالى لا شبيه له ولا مثل ولا سمي"[٣].

القرآن

{إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣)} [مريم : ٩٣]

التفسير:

ما كل مَن في السموات من الملائكة، ومَن في الأرض من الإنس والجن، إلا سيأتي ربه يوم القيامة عبدًا ذليلا خاضعًا مقرًا له بالعبودية.

قال مقاتل:" من الملائكة وغيرهم وعزير، وعيسى، ومريم، وغيرهم فهؤلاء في الأرض، إلا وهو مقر له بالعبودية"[٤].

قال الطبري:" يقول: ما جميع من في السماوات من الملائكة، وفي الأرض من البشر والإنس والجن، إلا يأتي ربه يوم القيامة عبدا له، ذليلا خاضعا، مقرا له بالعبودية، لا نسب بينه وبينه"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لا يصلح له ، ولا يليق به لجلاله وعظمته ؛ لأنه لا كفء له من خلقه؛ لأن جميع الخلائق عبيد له"[٦].

قال السعدي:" أي: ذليلا منقادا، غير متعاص ولا ممتنع، الملائكة، والإنس، والجن وغيرهم، الجميع مماليك، متصرف فيهم، ليس لهم من الملك شيء، ولا من التدبير شيء، فكيف يكون له ولد، وهذا شأنه وعظمة ملكه؟"[٧].

القرآن

{لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤)} [مريم : ٩٤]

التفسير:

لقد أحصى الله سبحانه وتعالى خَلْقَه كلهم، وعلم عددهم، فلا يخفى عليه أحد منهم.

---

(١)البيت في (اللسان: دعا) . ونسبه إلى ابن أحمر الباهلي. قال: ودعوته بزيد، ودعوته إياه سميته به، تعدى الفعل بعد إسقاط الحرف؛ قال ابن أحمر الباهلي: " أهوى لها. . . " البيت. أي اسميه، وأراد: أهوى لها بمشقص، فحذف الحرف وأوصل وقوله عز وجل (أن دعوا للرحمن ولدا) : أي جعلوا، وأنشد بيت ابن أحمر أيضا وقال: أي كنت أجعل وأسمي؛ ومثله قول الشاعر: " ألا رب من تدعو تصيحا. . . البيت ". والمشقص من النصال: ما كان طويلا غير عريض، فإذا كان عريضا فهو المعبلة (اللسان: شقص) . وسهم محشور وحشر: مستوى قذذ الريش، وكل لطيف دقيق حشر. وشبرقها: مزقها، يقال: ثوب مشبرق: مقطع ممزق. وفي كتاب (المعاني الكبير لابن قتيبة طبع حيدر أباد ص ٩٨٨) : يقول: كنت من إشفاتي عليها أسمي ما يصلحها قذى، فكيف ما يؤذيها. وقوله " أدعو " أي أسمي؛ تقول: ما تدعون هذا فيكم؟ أي ما تسمونه؟ والحشر: السهم الخفيف الريش الذي قد شد قصبه ورصافه. والإثمد: الكحل الأسود والقرد: هو الذي ينقطع في العين؛ وقيل: القرد: الذي لصق بعضه ببعض. والمعنى: كنتم أسمي الإثمد قذى، من حذري عليها.

(٢) تفسير الطبري:١٨/٢٦٠.

(٣) تفسير السعدي:٥٠١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٦٤٠.

(٥) تفسير الطبري:١٨/٢٦١.

(٦) تفسير ابن كثير:٥/٢٦٧.

(٧) تفسير السعدي:٥٠١.

قوله تعالى:{لَقَدْ أَحْصَاهُمْ} [مريم : ٩٤]، أي:" لقد أحصى الله سبحانه وتعالى خَلْقَه كلهم"[١].

قال الطبري:" لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم"[٢].

قال مكي: " أي: علمهم "[٣].

قال السعدي:" أي: لقد أحاط علمه بالخلائق كلهم، أهل السماوات والأرض، وأحصاهم وأحصى أعمالهم، فلا يضل ولا ينسى، ولا تخفى عليه خافية"[٤].

قوله تعالى:{وَعَدَّهُمْ عَدًّا} [مريم : ٩٤]، أي:" وعلم عددهم، فلا يخفى عليه أحد منهم"[٥].

قال الطبري:" فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، وعرف عددهم، فلا يعزب عنه منهم أحد"[٦].

قال مكي: أي:" وعدهم أجمعين، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم"[٧].

القرآن

{وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)} [مريم : ٩٥]

التفسير:

وسوف يأتي كل فرد من الخلق ربه يوم القيامة وحده، لا مال له ولا ولد معه.

قال مقاتل:" يعني: وحده ليس معه من دنياه شيء"[٨].

قال الطبري:" يقول: وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيدا لا ناصر له من الله، ولا دافع عنه، فيقضي الله فيه ما هو قاض، ويصنع به ما هو صانع"[٩].

قال ابن كثير:" أي : لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له ، فيحكم في خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذَرّة ، ولا يظلم أحدا "[١٠].

قال السعدي:" أي: لا أولاد، ولا مال، ولا أنصار، ليس معه إلا عمله، فيجازيه الله ويوفيه حسابه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام : ٩٤] "[١١].

فوائد الآيات:[٨٨-٩٥]:

١- عظم الكذب على الله بنسبة الولد أو الشريك إليه أو القول عليه بدون علم.
٢- بيان أن كل المخلوقات من أجلها إلى أحقرها ليس فيها غير عبد لله فنسبة الإنسان أو الجان أو الملك إلى الله تعالى هي عبد لرب مالك قاهر عزيز حكيم.
٣- بيان إحاطة الله بخلقه ومعرفته لعددهم فلا يغيب عن علمه أحد منهم، ولا يتخلف عن موقف القيامة فرد منهم إذ الكل يأتي الله تعالى يوم القيامة فردا.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)} [مريم : ٩٦]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٣١١.
(٢) تفسير الطبري:٢٦١/١٨.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٠٠/٧.
(٤) تفسير السعدي:٥٠١.
(٥) التفسير الميسر:٣١١.
(٦) تفسير الطبري:٢٦١/١٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٠٠/٧.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٤٠/٢.
(٩) تفسير الطبري:٢٦١/١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٢٦٧/٥.
(١١) تفسير السعدي:٥٠١.

إن الذين آمنوا بالله واتَّبَعوا رسله وعملوا الصالحات وَفْق شرعه، سيجعل لهم الرحمن محبة ومودة في قلوب عباده.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت في علي بن ابي طالب-رضي الله عنه-. قاله ابن عباس(١).

الثاني: أنها نزلت في عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- وذلك أنه:" لما هاجر إلى المدينة، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأميه بن خلف، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [مريم : ٩٦]، أي:" إن الذين آمنوا بالله واتَّبَعوا رسله وعملوا الصالحات وَفْق شرعه"(٣).

قال الطبري: يقول: " إن الذين آمنوا بالله ورسله، وصدقوا بما جاءهم من عند ربهم، فعملوا به، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه"(٤).

قوله تعالى:{سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم : ٩٦]، أي:" سيجعل لهم الرحمن محبة ومودة في قلوب عباده"(٥).

قال الطبري: أي: " في الدنيا، في صدور عباده المؤمنين"(٦).

قال السعدي:" هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم ودا، أي: محبة ووددا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: " إن الله إذا أحب عبدا، نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»(٧)، وإنما جعل الله لهم ودا، لأنهم ودوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبابه"(٨).

قال مجاهد: قوله :"{سيجعل لهم الرحمن ودا}، قال: محبة في المسلمين في الدنيا"(٩).

قال مجاهد:" يحبهم ويحببهم إلى خلقه"(١٠). وفي رواية:" يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين"(١١).

قال ابن عباس: "محبة في الناس في الدنيا"(١٢).

قال ابن عباس:" يحبهم ويحببهم"(١٣).

قال ابن عباس:" الود من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن، واللسان الصادق"(١٤).

قال قتادة:" ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه. وزاده من عنده"(١٥).

---

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:١٤٨/٣.
(٢) أخرجه الطبري:٢٦٣/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣١٢.
(٤) تفسير الطبري:٢٦١/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣١٢.
(٦) تفسير الطبري:٢٦١/١٨.
(٧)أخرجه أحمد (٤١٣/٢، رقم ٩٣٤١) ، ومسلم (٢٠٣٠/٤، رقم ٢٦٣٧) ، وابن حبان (٨٦/٢، رقم ٣٦٥).
(٨) تفسير السعدي:٥٠١.
(٩) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٦١/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٨.

قال قتادة:" ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم"[١].

قال عثمان بن عفان-رضي الله عنه-:"ما من الناس عبد يعمل خيرا ولا يعمل شرا، إلا كساه الله رداء عمله"[٢].

القرآن

{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)} [مريم : ٩٧]

التفسير:

فإنما يسَّرنا هذا القرآن بلسانك العربي أيها الرسول؛ لتبشر به المتقين من أتباعك، وتخوِّف به المكذبين شديدي الخصومة بالباطل.

قوله تعالى:{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ} [مريم : ٩٧]، أي:" فإنما يسَّرنا هذا القرآن بلسانك العربي أيها الرسول لتبشر به المتقين من أتباعك"[٣].

قال الطبري:" فإنما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك، تقرؤه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بالجنة"[٤].

قال السعدي:" يخبر تعالى عن نعمته تعالى، وأن الله يسر هذا القرآن الكريم بلسان الرسول محمد ﷺ، يسر ألفاظه ومعانيه، ليحصل المقصود منه والانتفاع به، {لتبشر به المتقين} بالترغيب في المبشر به من الثواب العاجل والآجل، وذكر الأسباب الموجبة للبشارة"[٥].

قوله تعالى:{وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مريم : ٩٧]، أي:" وتخوِّف به المكذبين شديدي الخصومة بالباطل"[٦].

قال الطبري:" يقول: ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش، فإنهم أهل لدد وجدل بالباطل، لا يقبلون الحق. واللد: شدة الخصومة"[٧].

قال أبو عبيدة:" هو الشديد الخصومة الذي لا يقبل الحق ويدعى الباطل، قال مهلهل[٨]:

إنّ تحت الأحجار حدّا ولينا ... وخصيما ألدّ ذا مغلاق"[٩].

قال ابن عباس:" يقول: لتنذر به قوما ظلمة"[١٠].

عن قتادة: {وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}،" أي: جدالا بالباطل، ذوي لدة وخصومة"[١١]. وقال في رواية:" جدالا بالباطل"[١٢].

عن مجاهد، قوله: "{لدا}، قال: لا يستقيمون"[١٣]، وقال في رواية:" فجارا"[١٤].

عن الحسن: "{وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}، قال: صما عن الحق"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣١٢.
(٤) تفسير الطبري:٢٦٣/١٨.
(٥)تفسير السعدي:٥٠١ .
(٦) التفسير الميسر:٣١٢.
(٧) تفسير الطبري:٢٦٣/١٨.
(٨)فى الكامل ص ٢٥ واللسان والتاج (غلق) ومن كلمة ١٥ بيتا فى العيني ٤/ ٢١٢، وقال المبرد، ويروى «مغلاق» فمن روى ذلك فتأويله أنه يغلق الحجة على الخصم، ومن قال «ذا معلان» فإنما يريد أنه إذا علق خصما لم يتخلص منه.
(٩) مجاز القرن:١٣/٢.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٦٣/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٢٦٣/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٦٤/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٢٦٣/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٢٦٤/١٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٢٦٤/١٨.

قال ابن زيد:" الألد: الظلوم، وقرأ قول الله: {وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}[(١)]"[(٢)].
قال السعدي:" {وتنذر به قوما لدا}، أي: شديدين في باطلهم، أقوياء في كفرهم، فتنذرهم. فتقوم عليهم الحجة، وتتبين لهم المحجة، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة. ثم توعدهم بإهلاك المكذبين قبلهم"[(٣)].

القرآن
{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)} [مريم : ٩٨]
التفسير:
وكثيرًا أهلكنا - أيها الرسول - من الأمم السابقة قبل قومك، ما ترى منهم أحدًا وما تسمع لهم صوتًا، فكذلك الكفار من قومك، نهلكهم كما أهلكنا السابقين من قبلهم. وفي هذا تهديد ووعيد بإهلاك المكذبين المعاندين.
قوله تعالى:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ} [مريم : ٩٨]، أي:" وكثيرًا أهلكنا - أيها الرسول - من الأمم السابقة قبل قومك"[(٤)].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكثيرا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش، من قرن، يعني من جماعة من الناس، إذا سلكوا في خلافي وركوب معاصي مسلكهم"[(٥)].
قال السعدي:أي:" من قوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون، وغيرهم من المعاندين المكذبين، لما استمروا في طغيانهم، أهلكهم الله فليس لهم من باقية"[(٦)].
قوله تعالى:{هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ} [مريم : ٩٨]، أي:" هل ترى منهم أحداً؟"[(٧)].
قال الطبري:" يقول: فهل تحس أنت منهم أحدا يا محمد فتراه وتعاينه"[(٨)].
قال قتادة:" هل ترى عينا"[(٩)].
قال الزجاج:" يقال: هل أحسست صاحبك، أي: هل رأيته، وتقول: قد حسسهم - بغير ألف - إذا قتلهم"[(١٠)].
قوله تعالى:{أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم : ٩٨]، أي:" أو تسمع صوتاً خفياً؟"[(١١)].
قال الطبري:" يقول: أو تسمع لهم صوتا، بل بادوا وهلكوا، وخلت منهم دورهم، وأوحشت منهم منازلهم، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدموه، فكذلك قومك هؤلاء، صائرون إلى ما صار إليه أولئك، إن لم يعالجوا التوبة قبل الهلاك.
قال الطبري: و«الركز» في كلام العرب: الصوت الخفي، كما قال الشاعر[(١٢)]:

---

(١)[البقرة : ٢٠٤].
(٢) أخرجه الطبري:١٨/٢٦٤.
(٣)تفسير السعدي:٥٠١ .
(٤) التفسير الميسر:٣١٢.
(٥) تفسير الطبري:١٨/٢٦٤.
(٦)تفسير السعدي:٥٠١ .
(٧) صفوة التفاسير:٢/٢٠٨ .
(٨) تفسير الطبري:١٨/٢٦٤.
(٩) أخرجه الطبري:١٨/٢٦٥.
(١٠) معاني القرآن:٣/٣٤٧.
(١١) صفوة التفاسير:٢/٢٠٨.
(١٢)البيت من معلقة لبيد بن ربيع العامري (جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ - ٧٤ وشرح الزوزني للمعلقات السبع، وشرح التبريزي للقصائد العشر) . والرواية في الجمهرة: " وتسمعت رجز الأنيس ". قال: والركز الصوت الخفي. قال تعالى: " أو تسمع لهم ركزا ". ويروي رزا بالتشديد. والأنيس: الإنس. عن ظهر غيب: أي مكان خفي. والغيب ما توارى عنك من أرض أو علم. وفي التبريزي: وتسمعت رز الأنيس. قال: ويروى: توجست ركز الأنيس. أي سمعت البقرة صوت الناس. فأفزعها. ولم تر الناس. والرز والركز الصوت الخفي. وقوله " عن ظهر غيب " معناه: من وراء حجاب، أي تسمع من حيث لا ترى. " الأنيس سقامها ": معناه: والأنيس هلاكها، أي يصيدها وراعها أي أفزعها وفاعل تسمعت ضمير البقرة وفاعل راءها: ضمير للرز، وفي

فَتَوجَّسَتْ ذِكْرَ الأنِيسِ فَراعَها ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ والأنِيسُ سَقامُها"[١].

قال القاسم بن سلام:{رِكْزًا}:" صوتا خفيا بلغة قريش"[٢].

قال الفراء:" «الركز»: الصوت"[٣].

قال الزجاج:" «الركز»: الصوت الخفي"[٤].

قال النحاس:" «الركز» في اللغة: الصوت الخفي الذي لا يكاد يتبين"[٥].

قال مقاتل:" يعني: صوتا، يحذر بمثل عذاب الأمم الخالية لئلا يكذبوا محمدا- ﷺ"[٦].

عن ابن عباس والضحاك، قوله :" {أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}، قال: صوتا"[٧].

قال قتادة:" يقول: هل تسمع من صوت"[٨].

قال سفيان:" أو تسمع لهم حسا، و«الركز»: الحس"[٩].

قال السعدي في الآية:"أي: لم يبق منهم عين ولا أثر، بل بقيت أخبارهم عبرة للمعتبرين، وأسمارهم عظة للمتعظين"[١٠].

قال الطحاوي:" فكل مغيب في الأرض مركوز فيها مما غيبه الله عز وجل فيها أو مما غيبه بنو آدم"[١١].

قيل :"كان سلمان إذا مر بخراب قال: يا خرب الخربين أين أهلك الأولون؟"[١٢].

فوائد الآيات:[٩٦-٩٨]:

١- أعظم بشرى تحملها الآية الأولى وهي حب الله وأوليائه لمن آمن وعمل صالحا.

٢- بيان كون القرآن ميسرا أن نزل بلغة النبي ﷺ من أجل البشارة لأهل الإيمان والعمل الصالح والنذارة لأهل الشرك والمعاصي.

٣- إنذار العتاة والطغاة من الناس أن يحل بهم ما حل بمن قبلهم من هلاك ودمار والواقع شاهد أين أهل القرون الأولى؟

«آخر تفسير سورة (مريم)، والحمد لله وحده»

الزوزني وتوجست رز الأنيس، ثم شرح البيت بمثل شرح التبريزي له.

(١) تفسير الطبري:٢٦٤/١٨.

(٢) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.

(٣) معاني القرآن:١٧٤/٢.

(٤) معاني القرآن:٣٤٧/٣.

(٥) معاني القرآن:٣٦٧/٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٤١/٢.

(٧) أخرجه الطبري:٢٦٥/١٨.

(٨) أخرجه الطبري:٢٦٥/١٨.

(٩) أخرجه الطبري:٢٦٥/١٨.

(١٠)تفسير السعدي:٥٠١ .

(١١) أحكام القرآن:٣٣٠/١.

(١٢) النكت في القرآن الكريم:٣٤٣.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة « طه»

سورة «طه»: هي السورة «العشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الأولى من المجموعة الثالثة من قسم المئين، نزلت بعد سورة: «مريم»[1]، وعدد آياتها: (١٤٠) مائة وأربعون عند الشاميين، (١٣٥) ومائة وخمس وثلاثون عند الكوفيين، (١٣٤) ومائة وأربع وثلاثون عند الحجازيين، وكلماتها: (١٣٤١) ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون، وحروفها: (٥٢٤٢) خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا[2].

والآيات المختلف فيها إحدى وعشرون آية: {طه (١)} [طه : ١]، {مَا غَشِيَهُم} [طه : ٧٨]، {رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا} [طه : ٩٢]، درثه[3] موضع : {نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٣]، {وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٤]، {مَحَبَّةً مِنِّي} [طه : ٣٩]، فتونا، لنفسي {وَلَا تَحْزَنَ} [طه : ٤٠]، {أَهْلِ مَدْيَنَ} [طه : ٤٠]، {مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [طه : ٤٧]، ولقد {أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى} [طه : ٧٧] أسفا {وَإِلَهُ مُوسَى} [طه : ٨٨]، {وَعْدًا حَسَنًا } [طه : ٨٦]، {إِلَيْهِمْ قَوْلًا} [طه : ٨٩] {السَّامِرِيُّ}، فنسى، صفصفا {مِنِّي هُدًى} [طه : ١٢٣]، {زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [طه : ١٣١][4].

وفواصل آياتها «يوما»، وعلى الميم { مَا غَشِيَهُمْ} [طه : ٧٨]، وعلى الواو {ضَلُّوا} [طه : ٩٢][5].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «طه»:**

سميت هذه السورة باسم الحرفين «طه» المنطوق بهما في أولها، وقد وردت هذه التسمية عن النبي-ﷺ- كما سيأتي بيانه في فضائل السورة، كما وردت تسميتها في كلام الصحابة-رضي الله عنهم-:

- عن أنس بن مالك ، قال: "خرج عمر متقلدا السيف ، فقيل له: إن ختنك وأختك قد صبوا ، فأتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خباب ، وكانوا يقرؤون طه ، فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم أقرأه وكان عمر يقرأ الكتاب ، فقالت له أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه "[6].
- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال:"نزلت سورة طه بمكة"[7].
- وعن ابن الزبير-رضي الله عنهما-، قال:"نزلت سورة طه بمكة"[8].

وبذلك سميت في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة.

- **وجه التسمية:**

---

(١) انظر: اسرار ترتيب القرآن للسيوطي:١٠٨، الكشاف:٤٩/٣.
قال السيوطي:" روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب النزول: أن طه نزلت بعد سورة مريم".
ونزلت سورة مريم فيما بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء، فيكون نزول سورة طه في ذلك التاريخ أيضا. أي بعد السنة السابعة من البعثة وقبل السنة الحادية عشرة من البعثة. [انظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور:٢٢١/٥]

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٠.

(٣) كذا في البصائر:٣١٠/١. ,هذه الكلمة غير واضحة ، قال المحقق: ويظهر أنها فى الأصل (ترك) أى: ترك ترك موضع لم يعد.

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٦) أخرجه الدارقطني في سننه(٤٤١):ص٢٢١/١. وقال:" القاسم بن عثمان ليس بالقوي".

(٧) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٨) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

سميت سورة «طه» لابتداء السورة بالنداء بها، قال تعالى: {طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢)} [طه : ١ - ٢]، وقد قيل في المراد من هذه التسمية أقوال كثيرة؛ تُعْرَف في كتب التفسير، وكما سياتي بيانه-إن شاء الله-.

قال الزحيلي: "وهو اسم من أسماء النبي ﷺ، وفي ذلك تكريم له، وتسلية عما يلقاه من إعراض قومه"[١].

- **ثانيا:- أسماؤها الإجتهادية:**
- **الاسم الأول: سورة«الكليم»:**

وتسمى ايضا بسورة«الكليم»، كما ذكره السخاوي[٢]، والسيوطي[٣]، وأورده الالوسي في تفسيره[٤]، ولم يرد عن النبي-ﷺ- ما يثبت هذه التسمية. والله أعلم.

- **الاسم الثاني: سورة«موسى»:**

ذكر الهذلي في «كامله» أنها تسمى «سورة موسى»[٥]، وذكرها البقاعي[٦]، والفيروزآبادي[٧]، وعلل تسميتها بذلك لاشتمالها على قصته مفصلة[٨]، فقد تضمنت حديثاً مستفيضاً عن موسى -عليه السلام- وقومه.

ولم يثبت هذا الاسم عن الرسول-ﷺ-، او اصحابه، إنما هو من إجتهاد بعض العلماء من قصة السورة، لأن موسى يطلق على الكليم، والكليم هو موسى-عليه السلام-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[٩]، وابن الزبير[١٠]، ومقاتل[١١]، ويحيى بن سلام[١٢]، وابن قتيبة[١٣]، وابن ابي زمنين[١٤]، ومكي بن ابي طالب[١٥]، والواحدي[١٦]، والسمعاني[١٧]، والبغوي[١٨]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها باجماعهم"[١٩].

قال العزّ بن عبدالسلام:" سورة طه مكية اتفاقا"[٢٠].

---

(١) انظر: التفسير المنير:١٧٤/١٦.
(٢) انظر: جمال القراء:١٩٩/٢.
(٣) انظر: الإتقان:١٩٩/١.
يقول السيوطي في الإتقان ١/ ١٩٩: « في جمال القراء للسخاوي أن سورة «طه» تسمى: «سورة الكليم»، وأعاد السيوطي نقل ذلك عن السخاوي في كتابه: معترك الأقران في إعجاز القرآن:٢٧٨/٢، ١٩٨/٣.
(٤) انظر: روح المعاني:١٤٧/١٥.
(٥) عزاه غليه السيوطي في الإتقان:١٩٩/١، ومعترك الأقران:٢٧٨/٢
(٦) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور:٢٦٧/٢.
(٧) انظر: البصائر:٣١١/١.
(٨) انظر: المصدر نفيه والصحيفة نفسها.
(٩) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(١٠) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٩/٣.
(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٥١/١.
(١٣) انظر: غريب القرآن:٢٧٧.
(١٤) اظر: تفسير الن ابي زمنين:١١٠/٣.
(١٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٠٥/٧.
(١٦) انظر: التفسير الوسيط:١٩٩/٣.
(١٧) انظر: تفسير السمعاني:٣١٨/٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٢٥٩/١٨.
(١٩) زاد المسير:١٥٠/٣.
(٢٠) تفسير العز بن عبدالسلام:٢٩٢/٢.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكّيّة إجماعا"[1].

الثاني: أنها مكية إلا آية {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ } [طه : ١٣٠] الآية نزلت بالمدينة. قاله مرعي الكرمي[2].

الثالث: انها مكّيّة إلّا آيتي :[١٣٠ و ١٣١] [3]، فمدنيتان. قاله الزمخشري[4]، وابن جزي[5]، وذكره المراغي[6].

- **مناسبة سورة«طه» مع سورة «مريم»:**

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- إنه لما ذكر فى سورة «مريم» قصص عدد من الأنبياء والمرسلين، بعضها بطريق البسط والإطناب كقصص زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وبعضها بين البسط والإيجاز كقصص إبراهيم عليه السلام، وبعضها موجز مجمل كقصة موسى عليه السلام، ثم أشار إلى بقية النبيين بالإجمال- ذكر هنا قصة موسى التي أجملت فيما سلف، واستوعبها غاية الاستيعاب، ثم فصل قصة آدم عليه السلام، ولم يذكر فى سورة «مريم» إلا اسمه فحسب.

٢- إنه روى عن ابن عباس أن هذه السورة نزلت بعد سالفتها.

٣- إن أول هذه السورة متصل بآخر السورة السابقة ومناسب له فى المعنى، إذ ذكر فى آخر تلك أنه إنما يسر القرآن بلسانه العربي المبين، ليكون تبشيرا للمتقين وإنذارا للمعاندين، وفى أوائل هذه ما يؤكد هذا المعنى[7].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

افتتحت السورة بملاطفة النبي ﷺ بأن الله لم يُرِد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك، أي تصيبه المشقة، ويُضنيه التعب، ولكن أراد أن يُذّكر بالقرآن من يخاف وعيده. وفي هذا تنويه أيضاً بشأن المؤمنين الذين آمنوا بأنهم كانوا من أهل الخشية، ولولا ذلك لما ادكروا بالقرآن.

وفي هذه الفاتحة تمهيد لما يَرِد من أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالاضطلاع بأمر التبليغ، وبكونه من أولي العزم من الرسل، مثل موسى عليه السلام، وأن لا يكون مفرطاً في العزم، كما كان آدم عليه السلام قبل نزوله إلى الأرض.

فرسالته ﷺ ليست شِقوة كُتبت عليه، وليست عناء يُعَذَّب به، إنما هي الدعوة والتذكرة، وهي التبشير والإنذار. وأَمْرُ الخلق بعد ذلك إلى الله الواحد الذي لا إله غيره، المهيمن على ظاهر الكون وباطنه، الخبير بظواهر القلوب وخوافيها، الذي تخضع له الجباه، ويرجع إليه الناس طائعهم وعاصيهم، فلا على الرسول ممن يكذب ويكفر، ولا يشقى؛ لأنهم يكذبون ويكفرون.

وجاءت خاتمة السورة كأبلغ خواتم الكلام؛ لإيذانها بانتهاء المحاجة، وطيّ بساط المقارعة؛ فانتظمت بما يشبه رد العجز على الصدر؛ فكانت فاتحة السورة قوله سبحانه: {مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)} [طه : ٢ - ٣]؛ وخُتمت بما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ كلَّ ما بعث به من الإرشاد والاستدلال، فإذا لم يهتدوا بهديه، ولم يأتمروا بأمره، فإن في أدائه لرسالة ربه، وتذكيره بإنعامه وفضله ما يثلج صدره.

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٠.

(٢) انظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن:١٣٩.

(٣) وهما: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)} [طه : ١٣٠ - ١٣١].

(٤) انظر: الكشاف:٤٩/٣.

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل:٥/٢.

(٦) انظر: تفسير المراغي:٩٣/١٦.

(٧) انظر: أسرار ترتيب القرآن:١٠٨-١٠٩، وتفسير المراغي:٩٣/١٦، وتفسير الزحيلي:١٧٤/١٦.

وتعرض السورة بين مطلعها وختامها قصة نبي الله موسى عليه السلام من بداية الرسالة إلى وقت اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر، مفصلة مطولة؛ وبخاصة موقف المناجاة بين الله وكليمه موسى، وموقف الجدل بين موسى وفرعون .وموقف المباراة بين موسى والسحرة. وتتجلى في أثناء هذه القصة رعاية الله لموسى الذي صنعه على عينه، واصطفاه لنفسه، وقال له ولأخيه: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه : ٤٦].

وعرضت السورة قصة آدم سريعة قصيرة، برزت فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته، وهدايته له. وترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار .

وتحيط بالقصة مشاهد القيامة، وكأنما هي تكملة لما كان أول الأمر في الملأ الأعلى من قصة آدم، حيث يعود الطائعون إلى الجنة، ويذهب العصاة إلى النار؛ تصديقاً لما قيل لأبيهم آدم ، وهو يهبط إلى الأرض بعد ما كان!

وفي العموم، فإن سياق السورة يمضي وينتظم في شوطين اثنين:

أحدهما: يتضمن مطلع السورة بالخطاب إلى الرسول ﷺ: {مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)} [طه : ٢ - ٣]، تتبعه قصة موسى نموذجاً كاملاً لرعاية الله سبحانه لمن يختارهم من أنبيائه ورسله وأصفيائه لإبلاغ دعوته، فلا يشقون بها، وهم في رعايته وعنايته.

الثاني: يتضمن مشاهد القيامة وقصة آدم، وهما يسيران في اتجاه مطلع السورة وقصة موسى، ثم ختام السورة بما يشبه مطلعها ويتناسق معه ومع جو السورة.

وأكدت السورة في خاتمتها أن الوظيفة الرئيسة للرسل إنما هي الإبلاغ والتذكير لمن تنفعه التذكرة، وليس بعد الإبلاغ إلا انتظار العاقبة، والعاقبة للمتقين.

وقد كانت قصة موسى ونهاية فرعون في خلال هذه السورة تحقيقاً لهذا المعنى، وتأكيداً لفوز المؤمنين ومصرع الكاذبين، وبذلك يتناسق المطلع والختام، وتكون السورة أشبه بموضوع له مقدمة، ثم قصة تؤيد المقدمة، ثم خاتمة تؤكد الموضوع.

ويظهر من خلال قراءة هذه السورة أن ثمة وحدة فكرية بين أجزائها، خلاصتها: شمول فضل الله ورحمته وعطفه لعباده المؤمنين، وإيقاع نقمته على الكافرين، وعذابه للمكذبين.

ويمكن تلخيص أهم موضوعات السورة في المحاور الآتية:

١- التَّنويهُ بعَظَمةِ القُرآنِ الكريمِ وأنَّه منزلٌ مِن الله تعالى.
٢- تفصيلُ الكلامِ عن قصةِ موسَى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وإرسالِه إلى فرعونَ، وما جرَى بينَهما مِن حوارٍ، وأمرِ السحرةِ وما آلَ إليه أمرُهم، وما فعَله بنو إسرائيلَ في غَيبةِ موسَى عنهم، وإضلالِ السامريِّ لهم.
٣- ذِكرُ جَزاءِ المُعرِضينَ عن القرآنِ الكريمِ، وذِكرُ شَيءٍ مِن مشاهِدِ يومِ القيامةِ.
٤- بيانِ مَنزِلةِ القرآنِ، وأنه نزل عربيًّا، وأنَّ الله تعالى صرَّف فيه مِن الوعيدِ.
٥- ذكرُ قصَّةِ خَلقِ آدَمَ.
٦- أمرُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بعدةِ أمورٍ؛ منها: الصبرُ، والإكثارُ مِن ذكرِ الله، وعدمُ التطلُّعِ إلى زهرةِ الحياةِ الدنيا، وأمرُ أهلِه بالصلاةِ.
٧- الردُّ على مزاعمِ المشركين، وتهديدُهم بسوءِ العاقبةِ إذا ما استمرُّوا على ضلالِهم.

- **فضائل السورة:**

ومما وردت من فضائل هذه السورة:

- عن أبي أمامة، يرفعه قال: " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث: في البقرة، وآل عمران، وطه، يعني: الحي القيوم "[(١)].
- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[(٢)].

---

(١) فضائل القرآن للفريابي(٤٧):ص١٥٧، وفضائل القرآن للمستغفري(٨٣٢):ص٥٧٠/٢، و.
(٢)صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا"(١).
- عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: "أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسيم من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة"(٢).
- عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: "كل قرآن يوضع على أهل الجنة فلا يقرؤون منه شيئا إلا طه ويس فإنهم يقرؤون بهما في الجنة"(٣).
- عن المسيب عن زياد، عن النبي ﷺ قال: "لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطه"(٤).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.
يعني قوله (من تلادي) أي مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث
(١) رواه الدارمي (٣٤١٤)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٣٦)، والطبراني في الأوسط (٤٨٧٦)، والبيهقي في الشعب (٢٤٥٠)، وابن عدي في الكامل (١/ ٢١٨)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٦٦). وأورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
والحديث منكر غير ثابت، وانظر: السلسلة الضعيفة (١٢٤٨).
وقال السيوطي:" وأخرج الديلمي عن أنس عن النبي ﷺ نحوه".
(٢)أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣)أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٢٣٥/٦.

القرآن

{طه (١)} [طه : ١]

التفسير:

«طه» سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

في سبب نزول قوله تعالى: {طه} [طه : ١]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يراوح بين قدميه، يقوم على رجل، حتى نزلت هذه الآية، قاله علي -رضي الله عنه-[١].

الثاني: قال الضحاك:" لما نزل القرآن على النبي - ﷺ - قام هو وأصحابه فصلوا، فقال كفار قريش: ما أنزل الله تعالى هذا القرآن على محمد - ﷺ - إلا ليشقى به، فأنزل الله تعالى: {طه} يقول: يا رجل {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}"[٢].

وأخرج الطبري عن ابن عباس، قوله :"{طه مَا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}، فإن قومه قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله تعالى ذكره {طَهَ}، يعني: يا رجل، {مَا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}"[٣].

والثالث: أن أبا جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث والمطعم بن عدي قالوا للنبي- ﷺ-: إنك لتشقى حين تركت دين آبائك فائتنا ببراءة أنه ليس مع إلهك إله، فقال لهم النبي- ﷺ-، بل بعثت رحمة للعالمين، قالوا: بل أنت شقي، فأنزل الله- عز وجل- في قولهم للنبي- ﷺ- «طه». قاله مقاتل[٤].

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {طه (١)} [طه : ١]، على أقوال:

أحدها: أن معناه: يا رجل، رواه العوفي عن ابن عباس[٥]، وبه قال الحسن[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، ومجاهد[٨]، وقتادة[٩]، وعطاء[١٠]، وعكرمة-في رواية-[١١]، ومحمد بن كعب[١٢]، وعطية وعطية العوفي[١٣]، والسدي[١٤]، وابن أبزى[١٥].

قال الأخفش:" منهم من يقول {طه} يعني: يا رجل في بعض لغات العرب"[١].

---

(١)أخرجه البزار ٢٢٣٢ «كشف» وقال الهيثمي في «المجمع» ١١١٦٥: فيه يزيد بن بلال. قال البخاري: فيه نظر. وكيسان بن عمرو، وثقه ابن حبان، وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح اه. فالخبر غير قوي، وهو إلى الضعف أقرب. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٩١.

(٢)أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (٦١٤):ص٣١٢ عن الضحاك مرسلا، ومع إرساله مراسيل الضحاك واهية، والراوي عنه جويبر بن سعيد، وهو متروك الحديث، فالخبر لا شيء.

ويشهد له:

* ما أخرجه ابن جرير (٢٦٦/١٨)-كما سيأتي- وابن مردويه (لباب النقول: ١٤٦) من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه، وإسناه ضعيف.

(٣) تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠/٣، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (٦١٣):ص٣١٢ عن مقاتل بدون سند، ومقاتل متهم، والمتن باطل.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٦٨/١٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٦٨/١٨.

(١٠) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٤١٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٤١٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٤١٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٤١٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

واختلف هؤلاء بأيّ لغة هذه الكلمة، على أربعة أقوال:
أحدها: بالنبطية، قاله ابن عباس[2]، و سعيد بن جبير -في رواية-، وعكرمة –في رواية[3]، والضحاك[4].
والثاني: بلسان عك، رواه أبو صالح عن ابن عباس[5]، وبه قال الكلبي[6].
والثالث: بالسريانية، قاله عكرمة -في رواية-[7]، وسعيد بن جبير -في رواية-[8]، وقتادة[9].
والرابع: بالحبشية، قاله عكرمة -في رواية-[10].
قال ابن الأنباري: "ولغة قريش وافقت هذه اللغة في المعنى"[11].
الثاني: معناه: يا إنسان، بالنبطية. قاله عكرمة[12].
الثالث:معناه: يا فلان. رواه السدي عن ابي مالك وعكرمة[13].
الرابع: أن«طه» حروف من أسماء. ثم فيها قولان:
أحدهما: أنها من أسماء الله تعالى. ثم فيها قولان:
أحدهما: أن الطاء من «اللطيف»، والهاء: من «الهادي»، قاله ابن مسعود[14]، وأبو العالية[15].
والثاني: أن الطاء افتتاح اسمه «طاهر» و«طيب» والهاء افتتاح اسمه «هادي» قاله سعيد بن جبير[16].
والقول الثاني: أنها من غير أسماء الله تعالى. ثم فيه أقوال:
أحدها: أن الطاء من: «طابة»، وهي مدينة رسول الله ﷺ، والهاء من «مكة»، حكاه أبو سليمان الدمشقي[17].
والثاني: أن الطاء: طرب أهل الجنة، والهاء: هوان أهل النار. حكاه الثعلبي[18].
والثالث: أن الطاء: شجرة طوبى، والهاء: هاويه. والعرب تعبر ببعض الشيء عن كله فكأنه أقسم بالجنة والنار. حكاه الثعلبي[19].
الرابع: أن «طه»: طهارة أهل بيت محمد ﷺ، ثم {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب : ٣٣]. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق-رضي الله عنه-[20].
الخامس: أن الطاء في حساب الجمل: تسعة، والهاء: خمسة، فتكون: أربعة عشر. فالمعنى: يا أيها البدر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، حكاه الثعلبي[1].

---

(١) معاني القرآن:٤٤٢/٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.
(٥) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.
(٦) انظر: الكشف والبيان:٢٣٦/٦، وتفسير النيسابوري:٥١٥/٤، وقال:" وهو عك ابن عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن".
(٧) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.
(٩) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٧٨):ص٢٤١٥/٧.
(١١) زاد المسير:١٥١/٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.
(١٣) انظر: الكشف والبيان:٢٣٦/٦.
(١٤) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.
(١٥) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.
(١٦) انظر: الكشف والبيان:٢٣٧/٦.
(١٧) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.
(١٨) انظر: الكشف والبيان:٢٣٧/٦.
(١٩) انظر: الكشف والبيان:٢٣٦/٦.
(٢٠) انظر: الكشف والبيان:٢٣٦/٦.

السادس: الطاء: يا طامع الشفاعة للأمة، والهاء: يا هادي الخلق إلى الملة. حكاه الثعلبي[٢].
السابع: الطاء: من الطهارة، والهاء: من الهداية، وكأنه تعالى يقول لنبيه ﷺ: يا طاهرا من الذنوب، ويا هاديا إلى علام الغيوب. حكاه الثعلبي[٣].
الثامن: الطاء: طبول الغزاة، والهاء: هيبتهم في قلوب الكفار، قال الله تعالى: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} [آل عمران : ١٥١]، وقال: {وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} [الحشر : ٢]. حكاه الثعلبي[٤].
التاسع: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٥].
وقال القرظي: "أقسم الله تعالى بطوله وهدايته، وموضع القاسم قوله :{ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}"[٦].
العاشر: معناه: طأ الأرض بقدميك، قاله مقاتل بن حيان[٧].
قال الثعلبي:" يريد في التهجد"[٨].
قال الزجاج:" يروى أن النبي - ﷺ - كان إذا صلى رفع رجلا ووضع أخرى، فأنزل الله عز وجل: «طاها»، أي: طأ الأرض بقدميك جميعا"[٩].
الحادي عشر: معناه: طهّر، وذلك من وجهين:
أحدها: طهر قلبك من الخوف.
والثاني : طهر أُمَّتَك من الشرك. أفاده الماوردي[١٠].
الثاني عشر: أن «طه»: فواتح السورة. قاله مجاهد[١١].
قال الطبري : "والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه: قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل، أنشدت لمتمم بن نويرة[١٢]:
هَتَفْتُ بِطَهَ فِي القِتالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عَلَيْهِ أنْ يَكونَ مُوَائِلا
وقال آخر[١٣]:
إنَّ السَّفاهَةَ طَهَ مِنْ خَلائِقِكُمْ ... لا بارَكَ اللهُ فِي القَوْمِ المَلاعِينِ
فإذا كان ذلك معروفا فيهم على ما ذكرنا، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين"[١٤].
قرأ ابن كثير، وابن عامر: «طه» بفتح الطاء والهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الطاء والهاء. وقرأ نافع: «طه» بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب

---

(١) انظر: الكشف والبيان:٢٣٧/٦.
(٢) انظر: الكشف والبيان:٢٣٧/٦.
(٣) انظر: الكشف والبيان:٢٣٧/٦.
(٤) انظر: الكشف والبيان:٢٣٧/٦.
(٥) انظر تفسير الطبري:٢٦٨/١٨.
(٦)الكشف والبيان:٢٣٦/٦، وانظر: زاد المسير:١٥١/٣.
(٧) انظر: الكشف والبيان:٢٣٦/٦.
(٨) الكشف والبيان:٢٣٦/٦.
(٩) معاني القرآن:٣٤٩/٣.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٣٩٣/٣.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٨٠):ص٢٤١٥/٧.
(١٢)البيت لمتمم بن نويرة كما قال المؤلف. وفيه (اللسان: طهطه) : الليث في تفسير (طه) مجزومة أنها بالحبشية: يا رجل، قال: ومن قرأ (طه) فحرفان. وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف، حتى قام على أصابع قدميه خوفا، فقال الله عز وجل: (طه) أي اطمئن.
(١٣) البيت غير منسوب في تفسير الطبري:٢٦٩/١٨، والكشف والبيان:٢٣٦/٦، والهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٠٩/٧، والمحرر الوجيز:٣٦/٤، والبحر المحيط في التفسير:٣٠٩/٧، وتفسير الثعالبي:٤٣/٤.
وهو ليزيد بن المهلهل في تفسير القرطبي:١٦٦/١١.
(١٤) تفسير الطبري:٢٦٨/١٨-٢٦٩.

كذلك قال خلف عن المسيبي. وقرأ أبو عمرو: بفتح الطاء وكسر الهاء وروى عنه عباس مثل حمزة، وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية: بكسر الطاء وفتح الهاء. وقرأ الحسن «طه» بفتح الطاء وسكون الهاء، وقرأ الضحاك، ومورق العجلي: «طه» بكسر الطاء وسكون الهاء [(١)].

القرآن

{مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢)} [طه : ٢]

التفسير:

ما أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن؛ لتشقى بما لا طاقة لك به من العمل.

قال الطبري: معناه:" يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل، وذُكِر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النَّصب والعناء والسهر في قيام الليل"[(٢)].

قال ابن الجوزي:"ومعنى قوله تعالى {لتشقى}: لتتعب وتبلغ من الجهد ما قد بلغت، وذلك أنه اجتهد في العبادة وبالغ، حتى إنه كان يرواح بين قدميه لطول القيام، فأمر بالتخفيف"[(٣)].

قال القشيري:" {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}: أي: ليس المقصود من إيجابنا إليك تعبدك، وإنما هذا استفتاح الوصلة، والتمهيد لبساط القربة. ويقال إنه لما قال له: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} [الحجر : ٨٨]، وقف بفرد قدم تباعدا وتنزها عن أن يقرب من الدنيا استمتاعا بها بوجه فقيل له: طأ الأرض بقدميك. لم كل هذا التعب الذي تتحمله؟ فزاد فى تعبده، ووقف، حتى [تورمت][(٤)] قدماه وقال: «أفلا أكون عبدا شكورا»، أي: لما أهلني من التوفيق حتى أعبده"[(٥)].

عن قتادة : "{مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى}: يا رجل، {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}، لا والله ما جعله الله شقيا، ولكن جعله الله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة إلا تذكرة لمن يخشى قال: إن الله أنزل كتابه وبعث رسله رحمة رحم بها ليذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزله الله فيه حلاله وحرامه"[(٦)].

وفي قوله تعالى: {مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى}[طه :٢]، ثلاثة وجوه:

أحدها : بالتعب والسهر في قيام الليل ، قاله مجاهد[(٧)].

عن مجاهد قوله: "{مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى}، يقول: في الصلاة هى مثل قوله: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}[(٨)]، قال: وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة"[(٩)].

الثاني : أنه جواب للمشركين لما قالواْ : إنه بالقرآن شقى ، قاله الحسن[(١٠)].

الثالث : معناه لا تشْقِ بالحزن والأسف على كفر قومك ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[(١١)].

---

(١) انظر: تفسير البغوي:٢٥٩/٥، وزاد المسير:١٥٠/٣.

(٢) تفسير الطبري:٢٦٩/١٨.

(٣) زاد المسير:١٥١/٣.

(٤) في المطبوع: "تقدت". نرجح انها (تورمت قدماه) لأن السياق يذكرنا بالحديث: [إنه كان يصلى حتى تورمت قدماه فقيل له: يا رسول الله» أليس قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا] الشيخان، والنسائي. والترمذي عن المغيرة بن شعبة.

(٥) .

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٨٢):ص٢٤١٥/٧.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٨١):ص٢٤١٥/٧.

(٨)[المزمل : ٢٠].

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٨١):ص٢٤١٥/٧.

(١٠) انظر: النكت والعيون:٣٩٣/٣.

(١١) انظر: النكت والعيون:٣٩٣/٣.

القرآن
{إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)} [طه : ٣]
التفسير:
لكن أنزلناه موعظة؛ ليتذكر به مَن يخاف عقاب الله، فيتقيه بأداء الفرائض واجتناب المحارم.
قال يحيى:" يقول: وإنما أنزله الله تبارك وتعالى تذكرة لمن يخشى الله، وأما الكافر فلم يقبل التذكرة "[١].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ما أنزلنا عليك هذا القرآن إلا تذكرة لمن يخشى عقاب الله، فيتقيه بأداء فرائض ربه واجتناب محارمه "[٢].
قال البغوي:" أي: لكن أنزلناه عظة لمن يخشى"[٣].
قال ابن زيد:" الذي أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى"[٤].
قال قتادة: وإن الله أنزل كتبه، وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه، فقال :{تَنزيلا مِمَّنْ خَلَقَ الأرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلا}"[٥].

القرآن
{تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤)} [طه : ٤]
التفسير:
هذا القرآن تنزيل من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القرآن تنزيل من الربّ الذي خلق الأرض والسموات العلى"[٦].
قال مكي:" أي: نزلناه تنزيلاً من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى"[٧].
قال الماتريدي:" كأن هذا نزل على إثر قول قاله أولئك الكفرة، وهو ما قالوا: إنه ساحر، وإنه مفتر، وإنه شاعر وإنما يعلمه بشر ونحوه، فقال جوابا لقولهم: {تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى}، وليس كما يقول أولئك: إنه ساحر وإنه مفتر وإنما يعلمه بشر، بل تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلا، والله أعلم"[٨].
قال الزمخشري:" وصف السموات بـ«العلى»: دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها"[٩].

القرآن
{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)} [طه : ٥]
التفسير:
الرحمن على العرش استوى أي: علا وارتفع، استواء يليق بجلاله وعظمته.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا"[١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٢٥٢/١.
(٢) تفسير الطبري:٢٦٩/١٨.
(٣) تفسير البغوي:٢٦٣/٥.
(٤) أخرجه الطبري:٢٧٠/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٢٦٩/١٨.
(٦) تفسير الطبري:٢٧٠/١٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦١٠/٧.
(٨) تفسير الماتريدي:٢٦٧/٧.
(٩) الكشاف:٥١/٣.

قال السمعاني:" وقوله: {الرحمن على العرش استوى} اعلم أن مخارج الاستواء في اللغة كثيرة: وقد يكون بمعنى العلو، وقد يكون بمعنى الاستقرار، وقد يكون بمعنى الاستيلاء - على بعد - وقد يكون بمعنى الإقبال.

والمذهب عند أهل السنة: أنه يؤمن به ولا يكيف، وقد رووا عن جعفر بن عبد الله، وبشر الخفاف قالا: كنا عند مالك، فأتاه رجل وسأله عن قوله: {الرحمن على العرش استوى} كيف استوى؟ فأطرق مالك مليا، وعلاه الرحضاء، ثم قال: الكيف غير معقول، والاستواء مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج.

ونقل أهل الحديث عن سفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في الآيات المتشابهة: أمروها كما جاءت [بلا كيف][٢].

وقال بعضهم: تأويله الإيمان به، وأما تأويل الاستواء بالاستقبال، فهو تأويل المعتزلة.

وذكر الزجاج، والنحاس، وجماعة من النحاة من أهل السنة: أنه لا يسمى الاستواء استيلاء في اللغة إلا إذا غلب غيره عليه، وهذا لا يجوز على الله تعالى"[٣].

قال البغوي:" وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى، بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل"[٤].

قال ابن كثير:" أن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل"[٥].

وقرئ: «الرحمن» مجرورا، صفة لمن خلق، والرفع أحسن، لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير: هو الرحمن. وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق[٦].

القرآن

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦)} [طه : ٦]

التفسير:

له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الأرض، خَلْقًا ومُلْكًا وتدبيرًا.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، ملكا له، وهو مدبر ذلك كله، ومصرّف جميعه. ويعني بالثرى: الندى، يقال للتراب الرطب المبتلّ: ثرى منقوص، يقال منه: ثريت الأرض تثرى، ثرى منقوص"[٧].

قال ابن كثير:" أي : الجميع ملكه وفي قبضته ، وتحت تصريفه ومشيئته وإرادته وحكمه ، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه ، لا إله سواه ، ولا رب غيره"[٨].

قال الزجاج:" «الثرى» في اللغة: الندى، وما تحت الأرض ندى، وجاء في التفسير {وما تحت الثرى}: ما تحت الأرض"[٩].

قال قتادة: "و«الثَّرَى»: كلّ شيء مبتلّ"[١٠].

عن الضحاك، قوله:"{وَمَا تَحْتَ الثَّرَى}- ما حفر من التراب مبتلا "[١١].

عن محمد بن كعب :"{وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، قال: الثرى: سبع أرضين"[١].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٢٧٠.
(٢) زيادة في تفسير البغوي:٣/٢٣٦.
(٣) تفسير المسعاني:٣/٣٢٠.
(٤) تفسير البغوي:٣/٢٣٥.
(٥) تفسير ابن كثير:٥/٢٧٣.
(٦) انظر: الكشاف:٣/٥١.
(٧) تفسير الطبري:١٨/٢٧١.
(٨) تفسيرابن كثير:٥/٢٧٣.
(٩) معاني القرآن:٣/٣٥٠.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٢٧١.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/٢٧١.

عن أبي رجاء العطاردي قال: "«الثرى»: الذي تحت الماء، الذي يستقر عليه الماء فهو يعلم ما تحت ذلك الثرى الذي مستقر الماء عليه"(٢).

قال مقاتل:" يعني بـ«الثرى»: الأرض السفلى وتحتها الصخرة والملك والثور والحوت والماء والريح تهب في الهواء "(٣).

وروي عن ابن عباس: "إن الأرضين على ظهر النون، والنون على بحر، ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء، خضرة السماء منها، وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان "فتكن في صخرة" والصخرة على قرن ثور، والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله عز وجل، وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله عز وجل البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور، فإذا وقعت في جوفه يبست"(٤).

وهذه الرواية من الإسرائيليات التي لا يعول عليها في تفسير كتاب الله تعالى، ولو صحت نسبتها لابن عباس رضي الله عنهما، لأن صحة نسبتها إليه لا تعني صحتها في واقع الأمر لأنها متلقاة من الإسرائيليات.

وقال الأوزاعي : "إن يحيى بن أبي كثير حدثه أن كعبًا سُئِل فقيل له : ما تحت هذه الأرض ؟ فقال : الماء. قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض. قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : الماء. قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض ، قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : الماء. قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض ، قيل : وما تحت الأرض ؟ قال الماء. قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض ، قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : صخرة. قيل : وما تحت الصخرة ؟ قال : ملك. قيل : وما تحت الملك ؟ قال : حوت معلق طرفاه بالعرش ، قيل : وما تحت الحوت ؟ قال : الهواء والظلمة وانقطع العلم"(٥).

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، والعليا منها على ظهر حوت ، قد التقى طرفاه في السماء ، والحوت على صخرة ، والصخرة بيد الملك ، والثانية سجن الريح ، والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت جهنم ، والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم ، والسابعة فيها سَقَر ، وفيها إبليس مُصَفَّد بالحديد ، يد أمامه ويد خلفه ، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه"(٦).

قال ابن كثير:" هذا حديث غريب جدًا ورفعه فيه نظر"(٧).

عن جابر بن عبد الله قال : "كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فأقبلنا راجعين في حر شديد ، فنحن متفرقون بين واحد واثنين ، منتشرين ، قال : وكنت في أول العسكر : إذ عارضنا رجل فَسَلَّم ثم قال : أيكم محمد ؟ ومضى أصحابي ووقفت معه ، فإذا رسول الله ﷺ قد أقبل في وسط العَسْكَر على جمل أحمر ، مُقَنَّع بثوبه على رأسه من الشمس ، فقلت : أيها السائل ، هذا رسول الله قد أتاك. فقال : أيهم هو ؟ فقلت : صاحب البَكْر الأحمر. فدنا منه ، فأخذ بخطام راحلته ، فكف عليه رسول الله ﷺ ، فقال: أنت محمد ؟ قال : "نعم". قال : إني أريد أن أسألك عن خصال ، لا يعلمهن أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلان ، فقال رسول الله ﷺ : "سل عما

---

(١) أخرجه الطبري:٢٧١/١٨.
(٢) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢٥٣/١.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢١/٣.
(٤) ذكره البغوي في التفسير:٢٦٣/٥، والقرطبي في التفسير:١٦٩/١١-١٧٠.
(٥) تفسير ابن كثير:٢٧٣/٣.
(٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٢٧٣/٥-٢٧٤، ورواه ابن منده في كتاب التوحيد برقم (٦٣) من طريق حرملة بن يحيى عن عبد الله بن وهب بنحوه. ورواه الحاكم في المستدرك (٥٩٤/٤) من طريق بحر بن نصر عن عبد الله بن وهب عن عبد الله بن عياش عن عبد الله بن سليمان ، عن دراج عن أبي الهيثم عن عيسى بن هلال عن عبد الله بن عمرو بمثله ، فزاد أبو الهيثم في إسناده. وقال : "صحيح ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي. قلت : "بلى منكر فيه عبد الله بن عياش ضعفه أبو داود وعند مسلم أنه : ثقة ، ودراج وهو كثير المناكير".
(٧) تفسير ابن كثير:٢٧٤/٥.

شئت". فقال : يا محمد ، أينام النبي ؟ فقال رسول الله ﷺ : "تنام عيناه ولا ينام قلبه". قال : صدقت. ثم قال : يا محمد ، مِنْ أين يشبه الولد أباه وأمه ؟ قال ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأيّ الماءين غلب على الآخر نزع الولد". فقال صدقت. فقال : ما للرجل من الولد وما للمرأة منه ؟ فقال : "للرجل العظام والعروق والعصب ، وللمرأة اللحم والدم والشعر قال : صدقت. ثم قال : يا محمد ، ما تحت هذه ، يعني الأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خلق". فقال : فما تحتهم ؟ قال : "أرض". قال : فما تحت الأرض ؟ قال "الماء" قال : فما تحت الماء ؟ قال : "ظلمة". قال : فما تحت الظلمة ؟ قال : "الهواء". قال : فما تحت الهواء ؟ قال : "الثرى". قال : فما تحت الثرى ؟ ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ، وقال : "انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق ، أيها السائل ، ما المسئول عنها بأعلم من السائل". قال : فقال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله. فقال رسول الله ﷺ : "أيها الناس ، هل تدرون من هذا ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : "هذا جبريل ﷺ"[1].

قال ابن كثير:" هذا حديث غريب جدًا ، وسياق عجيب ، تفرد به القاسم بن عبد الرحمن هذا ، وقد قال فيه يحيى بن معين : "ليس يساوي شيئًا" وضعفه أبو حاتم الرازي ، وقال ابن عدي : لا يعرف.

قلت-ابن كثير- : وقد خلط في هذا الحديث ، ودخل عليه شيء في شيء ، وحديث في حديث. وقد يُحْتَمل أنه تَعَمَّد ذلك ، أو أدخل عليه فيه ، فالله أعلم "[2].

القرآن

{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)} [طه : ٧]

التفسير:

وإن تجهر - أيها الرسول - بالقول، فتعلنه أو تخفه، فإن الله لا يخفى عليه شيء، يعلم السر وما هو أخفى من السر مما تحدِّث به نفسك.

قال الطبري:" وإن تجهر يا محمد بالقول، أو تخف به، فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض، فإنه لا عليه ما استسررته في نفسك، فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك، ولم تنطق به وأخفى"[3].

قال السمعاني:" معناه: إن جهرت أو أسررت فلا يغيب عن علمه"[4].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه : ٧]، على أقوال:

أحدها : أن «السِّرَّ»: ما حدَّث به العبد غيره في السر. «وأَخْفَى»: ما أضمره في نفسه ، ولم يحدّث به غيره ، قاله ابن عباس[5].

قال أبو عبيدة:" يعنى: والخفىّ الذي حدّثت به نفسك ولم تسرّه إلى أحد"[6].

قال ابن عباس:" قال: السرّ: ما أسرّ ابن آدم في نفسه، وأخفى: قال: ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله، فالله يعلم ذلك، فعلمه فيما مضى من ذلك، وما بقي علم واحد، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة، وهو قوله: {مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ}"[7].

الثاني : أن «السِّرَّ»ما أضمره العبد في نفسه . وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد في نفسه. قاله قتادة[1]، وسعيد بن جبير[2].

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، كما في تفسير ابن كثير:٢٧٤/٥، ورواه ابن مردوية في تفسيره كما في الدر المنثور (٥٥٢/٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٧٤/٥-٢٧٥.

(٣) تفسير الطبري:٢٧١/١٨-٢٧٢.

(٤) تفسير السمعاني:٣٢١/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٧٢/١٨.

(٦) مجاز القرآن:١٦/٢.

(٧) أخرجه الطبري:٢٧٢/١٨.

قال سعيد بن جبير:" السرّ: ما أسررت في نفسك، وأخفى من ذلك: ما لم تحدّث به نفسك"[٣].

قال قتادة:" كنا نحدّث أن السرّ ما حدّثت به نفسك، وأن أخفى من السرّ: ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك"[٤].

الثالث : يعلم أسرار عباده ، وأخفى سر نفسه عن خلقه ، قاله ابن زيد[٥].

الرابع : أن «السِّرَّ»ما أسره الناس، «وأَخْفَى»: الوسوسة ، قاله مجاهد[٦].

وقال عكرمة: {وأَخْفَى}، " أخفى حديث نفسك"[٧].

الخامس : أن «السِّرَّ»ما أسره من علمه وعمله السالف ، «وأَخْفَى»: وما يعلمه من عمله المستأنف ، وهذا معنى قول الكلبي[٨].

السادس : معنى: «أخفى» من السر: ما لم يفكره العبد فيه وهو مفكره نوما. قاله سهل بن عبدالله[٩].

السابع: أن «السر»: ما أكننته في نفسك، و«أخفى»: ما يكون من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. قاله الزجاج[١٠].

الثامن: «السِّرَّ»: العزيمة ، وما هو «وأَخْفَى»: هو الهم الذي دون العزيمة. حكاه الماوردي[١١].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك، قول من قال: معناه: يعلم السرّ وأخفى من السرّ، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام.. تأويل الكلام: فإنه يعلم السرّ وأخفى منه. فإذا كان ذلك تأويله، فالصواب من القول في معنى أخفى من السرّ أن يقال: هو ما علم الله مما أخفى عن العباد، ولم يعلموه مما هو كائن ولم يكن، لأن ما ظهر وكان فغير سرّ، وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء، وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السرّ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله، ثم من أعلمه ذلك من عباده"[١٢].

القرآن

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨)} [طه : ٨]

التفسير:

الله الذي لا معبود بحق إلا هو، له وحده الأسماء الكاملة في الحسن.

قوله تعالى:{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [طه : ٨]، أي:" الله الذي لا معبود بحق إلا هو"[١٣].

قال الطبري:يعني:" المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، يقول: فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان"[١٤].

قوله تعالى:{لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [طه : ٨]، أي:" له وحده الأسماء الكاملة في الحسن"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢٧٣/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٧٣/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٢٧٣/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٢٧٣/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٧٣/١٨-٢٧٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٧٢/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٢٧٣/١٨.
(٨) انظر: النكت والعيون:٣٩٤/٣.
(٩) انظر: تفسير التستري:١٠٢.
(١٠) انظر: معاني القرآن:٣٥٠/٣.
(١١) انظر: النكت والعيون:٣٩٤/٣.
(١٢) تفسير الطبري:٢٧٤/١٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣١٢/١.
(١٤) تفسير الطبري:٢٧٤/١٨.

قال الطبري:يقول:" لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى"[٢].

قال ابن كثير:" أي : الذي أنزل القرآن عليك هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى"[٣].

قال السعدي:" أي له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنى من حسنها أنها كلها أسماء دالة على المدح فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد ومن حسنها أنها ليست أعلاما محضة وإنما هي أسماء وأوصاف ومن حسنها أنها دالة على الصفات الكاملة وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها لأنها وسيلة مقربة إليه يحبها ويحب من يحبها ويحب من يحفظها ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها قال تعالى {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها}"[٤].

عن أبي هريرة، قال، قال رسول الله-ﷺ-: "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر"[٥].

وفي رواية:" "إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة"[٦].

قال الزجاج:" وتأويل :«من أحصاها دخل الجنة»: من وحد الله وذكر هذه الأسماء الحسنى يريد بها توحيد الله وإعظامه دخل الجنة"[٧].

فوائد الآيات:[١-٨]:

١- إبطال نظرية أن التكاليف الشرعية شاقة ومرهقة للعبد.
٢- تقرير عقيدة الوحي وإثبات النبوة المحمدية،
٣- تقرير الصفات الإلهية كالاستواء ووجوب الإيمان بها بدون تأويل أو تعطيل أو تشبيه.
٤- تقرير ربوبية الله لكل شيء.
٥- تقرير التوحيد وإثبات أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى.

القرآن

{وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩)} [طه : ٩]

التفسير:

وهل أتاك - أيها الرسول - خبر موسى بن عمران عليه السلام، وهو قادم من «مدين» إلى «مصر» ؟

قال يحيى:" أي: قد أتاك حديث موسى"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مسليه عما يلقى من الشدّة من مشركي قومه، ومعرفه ما إليه بصائر أمره وأمرهم، وأنه معليه عليهم، وموهن كيد الكافرين، ويحثه على الجدّ في أمره، والصبر على عبادته، وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مُشركي قومه وغيرهم، وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدّوه،

---

(١) التفسير الميسر:٣١٢/١.
(٢) تفسير الطبري:٢٧٤/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٧٥/٥.
(٤) تفسير السعدي:٥٠١.
(٥)أخرجه أحمد (٢٥٨/٢، رقم ٧٤٩٣) ، والبخارى (٢٣٥٤/٥، رقم ٦٠٤٧) ، ومسلم (٢٠٦٢/٤، رقم ٢٦٧٧).
(٦) أخرجه البخاري: الشروط (٢٧٣٦) ، ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٧) ، والترمذي: الدعوات (٣٥٠٨) ، وابن ماجه: الدعاء (٣٨٦٠، ٣٨٦١) ، وأحمد (٢٥٨/٢، ٢٦٧/٢، ٤٢٧/٢، ٤٩٩/٢، ٥٠٣/٢، ٥١٦/٢).
(٧) معاني القرآن:٣٥٠/٣.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٢٥٣/١.

ثم من قومه، ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة طفلا صغيرا، ثم يافعا مترعرعا، ثم رجلا كاملا {وَهَلْ أَتَاكَ} يا محمد {حَدِيثُ مُوسَى} ابن عمران"(١).

قال الثعلبي:" وهل أتاك يا محمد حديث موسى قال أهل المعاني: هو استفهام اثبات، مجازه: أليس قد أتاك؟. وقال بعضهم: معناه: وقد أتاك، وقال: لم يكن قد أتاه ثم أخبره"(٢).

قال القشيري:" سؤال فى صيغة الاستفهام والمراد منه التقرير والإثبات. وأجرى- تعالى- سنته فى كتابه أن يذكر قصة موسى عليه السلام فى أكثر المواقع التي يذكر فيها حديث نبينا ﷺ، فيعقبه بذكر موسى عليه السلام"(٣).

قال الواحدي:" هذا استفهام تقرير بمعنى الخبر، أي: وقد أتاك، ونحو هذا قال ابن عباس: يريد وقد أتاك حديث موسى"(٤).

القرآن

{إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠)} [طه : ١٠]

التفسير:

حين رأى في الليل نارًا موقدة فقال لأهله: انتظروا لقد أبصرت نارًا، لعلي أجيئكم منها بشعلة تستدفئون بها، وتوقدون بها نارًا أخرى، أو أجد عندها هاديًا يدلنا على الطريق.

قوله تعالى:{إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا} [طه : ١٠]، أي:" حين رأى في الليل نارًا موقدة فقال لأهله: انتظروا لقد أبصرت نارًا"(٥).

قال الطبري:" ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلا وأن موسى كان أضلّ الطريق؛ فلما رأى ضوء النار {قَالَ لأهْلِهِ} ما قال"(٦).

عن ابي صالح، قال ابن عباس:" لما قضى موسى الأجل، سار بأهله فضلّ الطريق. قال عبد الله بن عباس: كان في الشتاء، ورُفعت لهم نار، فلما رآها ظنّ أنها نار، وكانت من نور الله :{قَالَ لأهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا}"(٧).

حكي الواحدي عن ابن عباس، قال: "كان موسى رجلا غيورا، لا يحب الرفقة لئلا ترى امرأته، فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة، فرأى نارا من بعيد"(٨).

قال وهب بن منبه:" لما قضى موسى الأجل، خرج ومعه غنم له، ومعه زند له، وعصاه في يده يهشّ بها على غنمه نهارا، فإذا أمسى اقتدح بزنده نارا، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه، فتوكأ على عصاه، فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتداءه فيها بنبوّته وكلامه، أخطأ فيه الطريق حتى لا يدري أين يتوجه، فأخرج زنده ليقتدح نارا لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد زنده فلا يوري له نارا، فقدح حتى أعياه، لاحت النار فرآها، {فَقَالَ لأهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى}"(٩).

---

(١) تفسير الطبري:٢٧٥/١٨.
(٢) الكشف والبيان:٦٢٣٩.
(٣) لطائف الإشارات:٤٤٧/٢.
(٤) التفسير الوسيط:٢٠١/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣١٢.
(٦) تفسير الطبري:٢٧٥/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٢٧٥/١٨-٢٧٦.
(٨) التفسير الوسيط:٢٠١/٣.
(٩) أخرجه الطبري:٢٧٦/١٨.

قوله تعالى:{لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ} [طه : ١٠]، أي:" لعلي أجيئكم منها بشعلة تستدفئون بها، وتوقدون بها نارًا أخرى"[١].

قال الطبري:" يقول: لعلي أجيئكم من النار التي آنست بشعلة. و«القَبَس»: هو النار في طَرَف العود أو القصبة، يقول القائل لصاحبه: أقبسني نارا، فيعطيه إياها في طرف عود أو قصبة، وإنما أراد موسى بقوله لأهله: {لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ} لعلي آتيكم بذلك لتصطلوا به"[٢].

عن وهب بن منبه :"{لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ}، قال: بقبس تَصْطَلون"[٣].

قوله تعالى:{أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى} [طه : ١٠]، أي:" أو أجد عندها هاديًا يدلنا على الطريق"[٤].

قال الطبري:أي:" دلالة تدلّ على الطريق الذي أضللناه، إما من خبر هاد يهدينا إليه، وإما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه"[٥].

عن ابن عباس، قوله :{أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى}، يقول: من يدلّ على الطريق"[٦].

قال مجاهد:" هاديا يهديه الطريق"[٧].

قال قتادة:" أي: هداة يهدونه الطريق"[٨].

قال وهب:" هدى عن علم الطريق الذي أضللنا بنعت من خبر"[٩].

قال ابن عباس:" كانوا أضلوا عن الطريق، فقال: لعلي أجد من يدلني على الطريق، أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون"[١٠].

القرآن

{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢)} [طه : ١١ - ١٢]

التفسير:

فلما أتى موسى تلك النار ناداه الله: يا موسى، إني أنا ربك فاخلع نعليك، إنك الآن بوادي «طوى» الذي باركته، وذلك استعدادًا لمناجاة ربه.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ} [طه : ١١ - ١٢]، أي:" فلما أتى موسى تلك النار ناداه الله: يا موسى، إني أنا ربك"[١١].

قال الطبري:" فلما أتى النار موسى، ناداه ربه :{يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ..}"[١٢].

قوله تعالى:{فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه : ١٢]، أي:" فاخلع نعليك، إنك الآن بوادي «طوى» الذي باركته"[١٣].

قال مقاتل:" يعني: بالوادي المطهر طوى، وهو اسم الوادي"[١٤].

قال يحيى:" المقدس: المبارك"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣١٢.
(٢) تفسير الطبري:٢٧٦/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٢٧٦/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣١٢.
(٥) تفسير الطبري:٢٧٦/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٨.
(١١) التفسير الميسر:٣١٢.
(١٢) تفسير الطبري:٢٧٧/١٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣١٢.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/-٢٢-٢٣.

عن عكرمة:" {بالواد المقدس}، قال: الطاهر"[٢].

قال ابن عباس:" المبارك طوى، قال: اسم الوادي"[٣].

قال وهب:" خرج موسى نحوها، يعني نحو النار، فإذا هي في شجر من العليق، وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استئخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة؛ فلما أراد الرجعة، دنت منه ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله تبارك وتعالى :{يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى}، فخلعها فألقاها"[٤].

واختلف أهل التفسير في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه، على قولين:

أحدهما : ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس، قاله علي بن أبي طالب-في رواية-، والحسن[٥]، ومجاهد-في رواية-[٦]، وعكرمة[٧]، وابن جريج[٨]، وابن ابي نجيح[٩].

قال الجصاص:" يدل عليه قوله عقيب ذلك: {إنك بالواد المقدس طوى} فتقديره: اخلع نعليك؛ لأنك بالوادي المقدس"[١٠].

قال ابن أبي نجيح:" طا الأرض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا، يقول: من بركة: الوادي"[١١].

قال ابن ابي نجيح:" يقول: أفض بقدميك إلى بركة الوادي"[١٢].

قال عكرمة:" كي تمس راحة قدميك الأرض الطيبة"[١٣].

قال الحسن: "كانتا، يعني نعلي موسى من بقر، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض، وكان قد قدس مرتين"[١٤].

قال ابن جُرَيْج: وقيل لمجاهد: زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة، قال: لا ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض"[١٥].

والثاني : لأن نعليه كانتا من جلد حمار ميت، قاله علي بن ابي طالب[١٦]، كعب[١٧]، وقتادة[١٨]، والزهري[١٩]، ومقاتل[٢٠].

قال الزهري:" كانتا من جلد حمار أهلي"[٢١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٢٥٤/١.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٥):ص٢٤١٧/٧.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٤):ص٢٤١٧/٧.
(٤)أخرجه الطبري:٢٧٨/١٨ .
(٥) انظر تفسير الطبري:٢٧٨/١٨-٢٧٩.
(٦)انظر تفسير الطبري:٢٧٩/١٨ .
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٩٣):ص٢٤١٧/٧.
(٨)انظر تفسير الطبري:٢٧٩/١٨ .
(٩)انظر تفسير الطبري:٢٧٩/١٨ .
(١٠) احكام القرآن:٢٨٧/٣.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٨):ص٢٤١٨/٧.
(١٢) اخرجه الطبري:٢٧٩/١٨.
(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٣):ص٢٤١٧/٧.
(١٤) اخرحه الطبري:٢٧٩/١٨.
(١٥) اخرحه الطبري:٢٧٩/١٨.
(١٦) انظر تفسير الطبري:٢٧٨/١٨.
(١٧) انظر تفسير الطبري:٢٧٨/١٨.
(١٨) انظر تفسير الطبري:٢٧٨/١٨.
(١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٩١):ص٢٤١٧/٧.
(٢٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣/-٢٢-٢٣.
(٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩١):ص٢٤١٧/٧.

قال مقاتل:" كانتا من جلد حمار ميت غير ذكى، فخلعهما موسى - عليه السلام- وألقاهما من وراء الوادي"[١].

وقال مجاهد:" كانت نعلا موسي التي قيل له اخلعها من جلد الخنزير"[٢].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان واديا مقدسا، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله: {إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى}، بعقبه دليلا واضحا، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا"[٣].

وفي قوله تعالى:{طُوىً}[طه :١٢]، خسمة وجوه من التفسير:

أحدها : أنه اسم من طوى لأنه مر بواديها ليلاً فطواه ، قاله ابن عباس[٤].

قال ابن عباس:" يعني: الأرض المقدسة، وذلك أنه مر بواديها ليلا فطوي يقال: طويت وادي كذا وكذا، والطاوي من الليل، وارتفع إلى أعلى الوادي: وذلك نبي الله موسى عليه السلام"[٥].

الثاني : سمي طوى لأن الله تعالى ناداه مرتين . وطوى في كلامهم بمعنى: مرتين ، لأن الثانية إذا أعقبتها الأولى صارت كالمطوية عليها، حكاه الطبري[٦]، واستشهد بقول عديّ بن زيد العبادي[٧]:

أعاذِل إنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ... عَليَّ طَوَى مِنْ غَيّكِ المُتَرَدّدِ

الثالث : أنه سمي بذلك لأن الوادي قدس مرتين ، قاله الحسن[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠].

قال الحسن:" واد بفلسطين قدس مرتين"[١١].

قال مجاهد: قُدِّس بُورك مرّتين"[١٢].

الرابع : أن معنى «طوى» : طَإِ الوادي بقدمك ، قاله ابن عباس-في رواية-[١٣]، وبه قال سعيد بن جبير[١٤]، ومجاهد-في رواية-[١٥]، وعكرمة[١٦].

قال سعيد:" طأ الأرض حافيا، كما تدخل الكعبة حافيا، يقول: من بركة الواد"[١٧].

الخامس : أنه الاسم للوادي قديماً. وهذا مروي عن ابن عباس ايضا[١]، ومجاهد-في رواية-[٢]، [٢]، وابن زيد[٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/-٢٢-٢٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٢):ص٧/٢٤١٧.
(٣) تفسير الطبري:٨/٢٧٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٨٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٧):ص٧/٢٤١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٨٠-٢٨١.
(٧)البيت لعدي بن زيد في تفسير الطبري:١٨/٢٨٠، و(اللسان: طوى) . قال: وإذا كان طوى وطوى (بكسر الطاء وضمها) وهو الشيء المطوي مرتين، فهو صفة بمنزلة ثني وثني (بكسر الثاء وضمها) ، وليس بعلم لشيء وهو مصروف لا غير، كما قال عدي بن زيد: " أعاذل " إن اللوم . البيت "، ورأيت في حاشية نسخة من أمالي ابن بري أن الذي في شعر عدي: على ثنى من فيك، أراد اللوم المكرر.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٩٦):ص٧/٢٤١٧.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٨٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٨١.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٦):ص٧/٢٤١٧.
(١٢) أخرجه الطبري:١٨/٢٨٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٨١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٨١-٢٨٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٨٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٨١.
(١٧) اخرجه الطبري:١٨/٢٨٢.

قال ابن زيد:" ذاك الوادي هو طوى، حيث كان موسى، وحيث كان إليه من الله ما كان، قال: وهو نحو الطور"(٤).

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: {طوى اذهب} غير منونة، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى: {طوى اذهب} منونة(٥).

القرآن

{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣)} [طه : ١٣]

التفسير:

وإني اخترتك يا موسى لرسالتي، فاستمع لما يوحى إليك مني.

قوله تعالى:{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ} [طه : ١٣]، أي:" وإني اخترتك يا موسى لرسالتي"(٦).

قال الثعلبي:أي:" اصطفيتك"(٧).

قال ابن ابي زمنين:" أي: لرسالتي ولكلامي"(٨).

قال الطبري:" نودي أنَّا اخترناك. فاجتبيناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه"(٩).

قال ابن كثير:" قوله :{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ} كقوله:{إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي} [الأعراف : ١٤٤]، أي: على جميع الناس من الموجودين في زمانه.

قال ابن كثير:" وقد قيل : إن الله تعالى قال : يا موسى ، أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ قال : لا. قال : لأني لم يتواضع لي أحد تواضعك"(١٠).

ويقرأ :«وأنا اخترناك»، على الاستئناف وعلى معنى الحكاية، لأنه معنى يؤدى: قيل له إنا اخترناك (١١).

قوله تعالى:{فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} [طه : ١٣]، أي:" فاستمع لما يوحى إليك مني"(١٢).

قال الطبري:" يقول: فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعه، واعمل به"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : اسمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك"(١٤).

القرآن

{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)} [طه : ١٤]

التفسير:

إنني أنا الله لا معبود بحق إلا أنا، لا شريك لي، فاعبدني وحدي، وأقم الصلاة لتذكرني فيها.

قوله تعالى:{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} [طه : ١٤]، أي:" إنني أنا الله لا معبود بحق إلا أنا، لا شريك لي"(١٥).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(٤) اخرجه الطبري:٢٨١/١٨.
(٥) انظر: السبعة في القراءات:٦٧١.
(٦) التفسير الميسر:٣١٣.
(٧) الكشف والبيان:٢٤٠/٦.
(٨) تفسير ابن ابي زمنين:١١٢/٣.
(٩) تفسير الطبري:٢٨٣/١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٢٧٧/٥.
(١١) انظر: معاني القرآن للزجاج:٣٥٢/٣.
(١٢) التفسير الميسر:٣١٣.
(١٣) تفسير الطبري:٢٨٣/١٨.
(١٤) تفسير ابن كثير:٢٧٧/٥.
(١٥) التفسير الميسر:٣١٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إلَهَ إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي"(١).

قال مكي:" أي: إني أنا المعبود، لا معبود غيري يستحق العبادة"(٢).

قال ابن كثير:" هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له"(٣).

عن كعب: "أن موسى- عليه السلام- كلمه ربه مرتين، ورأى محمد- ﷺ ربه- ﷻ- مرتين، وعصى آدم- عليه السلام- ربه- تعالى- مرتين"(٤).

قوله تعالى:{فَاعْبُدْنِي} [طه : ١٤]، أي:" فاعبدني وحدي"(٥).

قال الطبري:" يقول: فأخلص العبادة لي دون كلّ ما عبد من دوني"(٦).

قال ابن كثير:" أي : وحدّني وَقُم بعبادتي من غير شريك "(٧).

قال القشيري:" أي: تذلل لحكمى، وأنفذ أمرى، واخضع لجبروت سلطانى"(٨).

قوله تعالى:{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه : ١٤]، أي:" وأقم الصلاة لتذكرني فيها"(٩).

وفي قوله تعالى:{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه : ١٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: وأقم الصلاة لتذكرني فيها، قاله مجاهد(١٠)، ومقاتل(١١)، وابن قتيبة(١٢).

قال الزجاج:" لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله"(١٣).

والثاني : وأقم الصلاة بذكري، لأنه لا يُدْخَلُ في الصلاة إلا بذكره(١٤).

الثالث : وأقم الصلاة حين تذكرها، قاله إبراهيم(١٥).

قال الزجاج:" لأن الله عز وجل لا يؤاخذنا إن تسينا ما لم نتعمد الأشياء التي تشغل وتلهي عن الصلاة، ولو ذكر ذاكر أن عليه صلاة في وقت طلوع الشمس أوعند مغيبها وجب أن يصفيها"(١٦).

وروى سعيد بن المسيب أن رسول الله -ﷺ- قال : «مَنْ نَسِيَ صَلاَةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، قال تعالى {وَأَقِمِ الصَلاَةَ لِذَكرِي}»(١٧).

وعن أنس ، عن النبي ﷺ قال : "إذا رَقَد أحدكم عن الصلاة ، أو غفل عنها ، فليصلها إذا ذكرها ؛ فإن الله تعالى قال : { وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي }"(١٨).

وفي الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : "من نام عن صلاة أو نسيها ، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك"(١٩).

---

(١) تفسير الطبري:٢٨٣/١٨.
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٢١/٧.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٧٧/٥.
(٤) أخرجه مقاتل بن سليمان في التفسير:٢٣/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣١٣.
(٦) تفسير الطبري:٢٨٣/١٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٢٧٧/٥.
(٨) لطائف الإشارات:٤٤٩/٢.
(٩) التفسير الميسر:٣١٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٨٣/١٨.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣/٣.
(١٢) غريب القرآن:٢٧٧.
(١٣) معاني القرآن:٣٥٢/٣.
(١٤) انظر النكت والعيون:٣٩٧/٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٢٨٣/١٨.
(١٦) معاني القرآن:٣٥٢/٣.
(١٧) أخرجه الطبري:٢٨٤/١٨.
(١٨)المسند (١٨٤/٣).
(١٩)صحيح البخاري برقم (٥٩٧) وصحيح مسلم برقم (٦٨٤).

قال الطبري: والصواب تأويل من قال: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها، لأن ذلك أظهر معنييه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكركها"[١].

ويقرأ: «لذكرا»، بالألف[٢].قال الزجاج:" معناه: في وقت ذكرك"[٣].

القرآن

{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥)} [طه : ١٥]

التفسير:

إن الساعة التي يُبعث فيها الناس آتية لا بد من وقوعها، أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها أحد من المخلوقين؛ لكي تُجزى كل نفس بما عملت في الدنيا من خير أو شر.

قوله تعالى:{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} [طه : ١٥]، أي:" إن الساعة التي يُبعث فيها الناس آتية لا بد من وقوعها، أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها أحد من المخلوقين"[٤].

قال مقاتل:" يقول إن الساعة جائية لا بد أكاد أخفيها من نفسي"[٥].

قال الطبري:" إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية، أكاد أخفيها من نفسي، لئلا يطلع عليها أحد"[٦].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} [طه : ١٥]، وجوه من التفسير:

احدها: معناه: أكاد أخفيها من نفسي. وهذا قول ابن عباس[٧]، وسعيد بن جبير[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، وابي صالح[١١].

قال الماوردي:" ويكون المقصود من ذلك تبعيد الوصول إلى علمها . وتقديره : إذا كنت أخفيها من نفسي فكيف أظهرها لك ؟"[١٢].

قال ابن عباس:" يقول: لا أظهر عليها أحدا غيري"[١٣].

قال ابن عباس:" لا تأتيكم إلا بغتة"[١٤].

عن ابن عباس، ومجاهد، قوله {أَكَادُ أُخْفِيهَا}، قالا: "من نفسي"[١٥].

قال أبو صالح:" يخفيها من نفسه"[١٦].

قال قتادة:" ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين، ومن الأنبياء المرسلين"[١٧].

في قراءة أبيّ: «أكاد أخفيها من نفسي»[١٨].

الثاني: معناه: لا أظهر عليها أحداً ، قاله الحسن[١٩]، ويكون «أكاد» بمعنى: أريد.

---

(١) تفسير الطبري:٢٨٤/١٨.
(٢) انظر معاني القرآن للفراء:١٧٦/٢.
(٣) معاني القرآن:٣٥٢/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣١٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣/٣.
(٦) تفسير الطبري:٢٨٥/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٢٨٥/١٨-٢٨٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٢٨٦/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٨٥/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٨٦/١٨.
(١١) اخرجه الطبري:٢٨٥/١٨-٢٨٦.
(١٢) النكت والعيون:٣٩٧/٣.
(١٣) أخرجه الطبري:٢٨٥/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٢٨٥/١٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٢٨٥/١٨.
(١٦) اخرجه الطبري:٢٨٥/١٨-٢٨٦.
(١٧) اخرجه الطبري:٢٨٦/١٨.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٢٨٦/١٨.
(١٩) انظرك النكت والعيون:٣٩٧/٣.

الثالث: معناه: أن الساعة آتية أكاد . انقطع الكلام عند «أكاد» وبعده مضمر: أكاد آتي بها تقريباً لورودها، ثم استأنف : «أخفيها لتجزى كل نفسٍ بما تسعى». حكاه الطبري عن آخرين(١)، والماوردي عن الأنباري(٢)، ومثله قول ضابىء البرجمي(٣):

هَمَمَتُ وَلَمْ أفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِي ... تَرَكْتُ على عثمانَ تَبْكِي أقارِبُهُ

أي: كدت أن أقتله ، فأضمره لبيان معناه .

الرابع : أن معنى – {أخفيها}: أظهرها ، قاله أبو عبيدة(٤)، وأنشد قول امرئ القيس بن عابس الكندي (٥):

وإن تدفنوا الدّاء لا نخفيه ... وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

أي: لا نظهره.

يقال: أخفيت الشيء، أي: أظهرته وأخفيته، إذا كتمته ، كما يقال: أسررت الشيء إذا كتمته ، وأسررته إذا أظهرته .

قال الطبري:" والذي هو أولى بتأويل الآية من القول، قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء، والذي ذُكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا"(٦).

قوله تعالى:{لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} [طه : ١٥]، أي:" لكي تُجزى كل نفس بما عملت في الدنيا من خير أو شر"(٧).

قال الطبري:يقول: " لتثاب كل نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى، يقول: بما تعمل من خير وشرّ، وطاعة ومعصية"(٨).

القرآن

{فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)} [طه : ١٦]

التفسير:

فلا يصرفنَّك - يا موسى - عن الإيمان بها والاستعداد لها مَن لا يصدق بوقوعها ولا يعمل لها، واتبع هوى نفسه، فكذَّب بها، فتهلك.

قال الطبري:يقول: " فلا يردّنك يا موسى عن التأهُّب للساعة، من لا يؤمن بها، يعني: من لا يقرّ بقيام الساعة، ولا يصدّق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، واتبع

(١) انظر: تفسير الطبري:٢٩٠/١٨.

(٢) انظرك النكت والعيون:٣٩٧/٣.

(٣)البيت لضابئ ابن الحارث البرجمي، حبسه الخليفة عثمان، لأنه كان فاحشا، هجا قوما فأراد عثمان تأديبه، فلما دعي ليؤدب، شد سكينا في ساقه، ليقتل بها عثمان، فعثر عليه، ثم ضرب وأعيد إلى السجن حتى مات فيه. والبيت من مقطوعة لأمية له أنشدها أبو العباس المبرد انظر: (رغبة الآمل، بشرح الكامل للمرصفي ٤: ٩١، وتفسير الطبري:٢٩٠/١٨) .

فلا تتبعيني إن هلكت ملامة ... فليس بعار قتل من لا أقاتله

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

والشاهد في قوله: كدت، أي كدت أفعل ما هممت به من قتل عثمان. وهو نظير ما في القرآن (إن الساعة آتية أكاد) ذهب قوم إلى أن معناه: أكاد أن آتي بها. ثم ابتدأ فقال: ولكني أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى.

(٤) انظر: مجاز القرآن:١٦/٢-١٧.

(٥)ديوانه من الستة ص ١٢٣ وفى الطبري ١٦/ ١٠١ والقرطبي ١١/ ١٨٣ واللسان والتاج (خفى) (ص ١٦) ١٦) ١٣- ١ «أنشدنى ... لا نقعد» : روى الطبري هذا الكلام عن أبى عبيدة: ٢٩٠/١٨-٢٩١.

(٦) تفسير الطبري:٢٨٧/١٨.

(٧) التفسير الميسر:٣١٣.

(٨) تفسير الطبري:٢٩١/١٨.

هوى نفسه، وخالف أمر الله ونهيه، فتهلك إن أنت انصددت عن التأهب للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدّ من كفر بها"[١].

قال النحاس:" {فلا يصدنك عنها}، أي: عن الإيمان بها، وبما فيها، {من لا يؤمن بها واتبع هواه}، أي: في الكفر بها، {فتردى}، من: ردي يردى، إذا هلك"[٢].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: لا يصرفنك عن الإقرار بقيام الساعة من لا يصدق بقيام الساعة واتبع هواه، فتهلك، ويقال: الردى، الموت والهلاك"[٣].

قال النسفي:" فلا يصرفنك عن العمل للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به أمته {من لا يؤمن بها} لا يصدق بها {واتبع هواه} في مخالفة أمره {فتردى} فتهلك"[٤].

قال المراغي:" أي: فلا يردنك يا موسى عن التأهب للساعة من لا يقر بقيامها ولا يصدق بالبعث، ولا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، بل يركب رأسه ويخالف أمر ربه ونهيه، فإنك إن فعلت ذلك وقعت فى هاوية الخذلان والعصيان، وهذا الخطاب من وادي قولهم :«إياك أعنى واسمعي يا جاره»، فالمراد بمثل هذا الخطاب جميع المكلفين كما تقدم غير مرة.
وخلاصة ذلك- لا تتبعوا سبل من كذب بالساعة، وأقبل على لذاته فى دنياه، وعصى أمر ربه واتبع هواه، فإن من سلك سبيلهم خاب وخسر كما قال: {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} [الليل : ١١]"[٥].

قال السعدي:" أي: فلا يصدك ويشغلك عن الإيمان بالساعة، والجزاء، والعمل لذلك، من كان كافرا بها، غير معتقد لوقوعها، يسعى في الشك فيها والتشكيك، ويجادل فيها بالباطل، ويقيم من الشبه ما يقدر عليه، متبعا في ذلك هواه، ليس قصده الوصول إلى الحق، وإنما قصاراه اتباع هواه، فإياك أن تصغي إلى من هذه حاله، أو تقبل شيئا من أقواله وأعماله الصادرة عن الإيمان بها والسعي لها سعيها، وإنما حذر الله تعالى عمن هذه حاله لأنه من أخوف ما يكون على المؤمن بوسوسته وتدجيله وكون النفوس مجبولة على التشبه، والاقتداء بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك، وذكر في هذا الإيمان به، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، لأن هذه الأمور الثلاثة أصول الإيمان، وركن الدين، وإذا تمت تم أمر الدين، ونقصه أو فقده بنقصها، أو نقص شيء منها. وهذه نظير قوله تعالى في الإخبار عن ميزان سعادة الفرق، الذين أوتوا الكتاب وشقاوتهم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة : ٦٩] ، وقوله: {فتردى} أي: تهلك وتشقى، إن اتبعت طريق من يصد عنها"[٦].

قال الزجاج:" قوله :{فتردى}، معناه: فتهلك، يقال: ردي يردى ردى، إذا هلك"[٧].

قال البيضاوي:" المراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم: لا أرينك ها هنا، تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها، وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه. واتبع هواه ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها"[٨].

---

(١) تفسير الطبري:٢٩١/١٨.
(٢) إعراب القرآن:٢٥/٣.
(٣) بحر العلوم:٣٩٢/٢.
(٤) تفسير النسفي:٣٦٠/٢.
(٥) تفسير المراغي:١٠١/١٦.
(٦) تفسير السعدي:٥٠٣
(٧) معاني القرآن:٣٥٣/٣.
(٨) تفسير البيضاوي:٢٥/٤.

قال ابن كثير:" المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين ، أي : لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة ، وأقبل على ملاذه في دنياه ، وعصى مولاه ، واتبع هواه ، فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر { فَتَرْدَى } أي : تهلك وتعطب، قال الله تعالى : { وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } [الليل : ١١]"(١).

فوائد الآيات:[٩-١٦]:

١- تقرير النبوة لمحمد ﷺ.
٢- تقرير التوحيد وإثباته، وأن الدعوة إلى لا إله إلا الله دعوة كافة الرسل.
٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى بلا كيف ولا تمثيل.
٤- مشروعية التبرك بما جعله الله تعالى مباركا، والتبرك التماس البركة حسب بيان الرسول وتعليمه.
٥- وجوب إقام الصلاة وبيان علة ذلك وهو ذكر الله تعالى.
٦- بيان الحكمة في إخفاء الساعة مع وجوب إتيانها وحتميته.

القرآن

{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧)} [طه : ١٧]

التفسير:

وما هذه التي في يمينك يا موسى؟

قال الماوردي:" ليس هذا سؤال استفهام ، وإنما هو سؤال تقرير لئلاّ يدخل عليه ارتياب بعد انقلابها حيةً تسعى"(٢).

قال ابن العربي:" قال علماؤنا: إنما سأله عنها لما كان أضمر من الآية له فيها، حتى إذا رجع عليها، وتحقق حالها، وكسيت تلك الحلة الثعبانية بمرأى منه لابتدائها كان تبديلها مع الذكر أوقع في القلب وأيسر له من أن يغفل عنها، فيراها بحلة الثعبانية مكسوة، فيظن أنما عين أخرى سواها"(٣).

القرآن

{قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨)} [طه : ١٨]

التفسير:

قال موسى: هي عصاي أعتمد عليها في المشي، وأهزُّ بها الشجر؛ لترعى غنمي ما يتساقط من ورقه، ولي فيها منافع أخرى.

قوله تعالى:{قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا} [طه : ١٨]، أي:" قال موسى: هي عصاي أعتمد عليها في المشي"(٤).

قال ابن العربي:" قال أرباب القلوب: الجواب المطلق أن يقول هي عصا، ولا يضيف إلى نفسه شيئا، فلما أراد أن يكونا اثنين أفرد عنها بصفة الحية، فبقي وحده لله، كما يحب، حتى لا يكون معه إلا الله، يقول الله: أنت عبدي، ويقول موسى: أنت ربي"(٥).

قوله تعالى:{وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} [طه : ١٨]، أي:" أهزُّ بها الشجر؛ لترعى غنمي ما يتساقط من ورقه"(٦).

وقرأ عكرمة «وأهس»، بسين غير معجمة . وفي «الهش» و«الهس»، وجهان(١):

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٧٨/٥.
(٢) النكت والعيون:٣٩٩/٣.
(٣) أحكام القرآن:٢٥٧/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣١٣.
(٥) أحكام القرآن:٢٥٧/٣.
(٦) التفسير الميسر:٣١٣.

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد .
والثاني : أن معناهما مختلف ، فـ«الهش» بالمعجمة :خبط الشجر، و«الهس» بغير إعجام: زجر الغنم.

قال الفراء:{وأهش بها على غنمي}: " أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه غنمه"[٢].

قال أبو عبيدة:" أي: أختبط بها فأضرب بها الأغصان ليسقط ورقها على غنمى فتأكله، قال[٣]:
أهشّ بالعصا على أغنامى ... من ناعم الأراك والبشام"[٤].

قال ابو قتيبة:" {وأهش بها على غنمي}، أخبط بها الورق"[٥].

قال مقاتل:" يقول أخبط بها الشجر فيتهاش الورق في الأرض فتأكله غنمي إذا رعيتها وكانت صغارا لا تعلون الشجر، وكان موسى- عليه السلام- يضرب بعصاه الشجر فيتهاش الورق في الأرض فتأكله غنمه"[٦].

قوله تعالى:{وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} [طه : ١٨]، أي:" ولي فيها منافع أخرى"[٧].

قال الطبري:" ولي في عصاي هذه حوائج أخرى"[٨].

قال ابن عباس:" حوائج أخرى قد علمتها"[٩].

عن مجاهد :"{وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}، قال: حاجات"[١٠].

قال قتادة:" حاجات ومنافع أخرى"[١١].

قال ابن ابي نجيح:" حاجات ومنافع"[١٢].

قال الضحاك:" حاجات أخرى"[١٣].

قال ابن وهب:" أي: منافع أخرى"[١٤].

قال ابن زيد:" حوائج أخرى سوى ذلك"[١٥].

قال السدي:" يقول: حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء"[١٦].

قال الفراء:{مَآرِبُ}" يعني: حوائج"[١٧].

وفي قوله تعالى:{وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} [طه : ١٨]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنه كان يقتل بها الحيات والعقارب، قاله مقاتل[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٣٩٩/٣.
(٢) معاني القرآن:١٧٧/٢.
(٣)لم أهتد إلى قائله. وذكرته كتب التفسير واللغة بدون نسبة. والأراك، والبَشَام: نوعان من الشجر تأكلهما الماشية، وفي أغصانهما لين، ولهما ريح طيب، ويستاك بهما. انظر: "وتفسير الطبري:" ٢٩٣/١٨، "النكت والعيون" ٣/ ٣٩٩، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ١٨٧، "مجاز القرآن" ٢/ ١٧، "فتح القدير" ٣/ ٥١٧، "تهذيب اللغة" (بشم) ١/ ٣٤٠، "لسان العرب" (أرك) ١/ ٦٤.
(٤) مجاز القرآن: ١٧/٢.
(٥) غريب القرآن: ٢٧٨
(٦) تفسير مقاتل لن سليمان:٢٤/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣١٣.
(٨) تفسير الطبري:٢٩٤/١٨.
(٩) اخرجه الطبري:٢٩٤/١٨.
(١٠) اخرجه الطبري:٢٩٤/١٨.
(١١) اخرجه الطبري:٢٩٤/١٨.
(١٢) اخرجه الطبري:٢٩٤/١٨.
(١٣) اخرجه الطبري:٢٩٥/١٨.
(١٤) اخرجه الطبري:٢٩٥/١٨.
(١٥) اخرجه الطبري:٢٩٥/١٨.
(١٦) اخرجه الطبري:٢٩٤/١٨.
(١٧) معاني القرآن:١٧٧/٢.

الثاني : أنه كان يَقْدَحُ بها النار ، ويستخرج الماء بها. قاله مقاتل ايضا[٢].
الثالث : أنها كانت تضيء له بالليل ، قاله قتادة[٣].
وقال قتادة:" كانت عصا آدم عليه السلام"[٤].
الرابع: أنه كان يحمل عليها المزود والسقاء. قاله السدي[٥].

قال مقاتل:" وكان موسى- عليه السلام- يحمل زاده وسقاءه على عصاه ويضرب الأرض بعصاه فيخرج ما يأكل يومه ويركزها في الأرض فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء وتضيء بالليل في غير قمر ليهتدي بها ويرد بها غنمه عليه فتقيه بإذن الله- عز وجل- من الآفات ويقتل بها الحيات والعقارب بإذن الله- عز وجل-"[٦].

قال سهل بن عبدالله:" أول من ملك العصا آدم، وهي من آس الجنة، ثم انتقلت من نبي إلى نبي حتى صارت إلى شعيب، فلما زوجه بنته أعطاها إياه، فكان موسى عليه السلام يتوكأ عليها، ويهش بها على غنمه، وينثر الورق إلى غنمه، ثم يأخذ بها من الشجر ما يريد، ويرسلها على السباع والوحوش وهوام الأرض فيضربها. وإذا اشتد الحر نصبها في الأرض فتكون كالظلة، وإذا نام حرسته حتى يستيقظ، وإذا كانت له ليلة مظلمة أضاءت له كالسراج، وإذا كان يوم غيم وغم عليه وقت الصلاة بينت له بشعاع طرفها، وإذا جاع غرزها في الأرض فأثمرت من ساعتها، فهذه مآرب عصاه. فقد ذكر موسى عليه السلام من العصا منافع ومآرب ظهرت له، فأراد الله تعالى مآرب ومنافع كانت خافية عليه، كانقلابها ثعبانا، وضربها بالحجر لتنجاش عيون الماء، وضربها بالبحر وغير ذلك، فأراه أن علوم الخلق، وإن كانوا مؤيدين بالنبوة، قاصرة عن علم الحق بالأكوان"[٧].

عن الهذيل، عن مقاتل، قال: "دفع جبريل- عليه السلام- «العصا» إلى موسى- عليه السلام- وهو متوجه إلى مدين بالليل، واسم العصا :«نفعة»"[٨].

قال ابن العربي:" تعرض قوم لتعديد منافع العصا، كأنهم يفسرون بذلك قول موسى {ولي فيها مآرب أخرى} [طه: ١٨]، وهذا مما لا يحتاج إليه في العلم، وإنما ينبغي أن يصرف العصا في حاجة عرضت؛ أما إنه يحتاج إليها في الدين في موضع واحد إجماعا وهو الخطبة، وفي موضع آخر باختلاف وهو التوكؤ عليها في صلاة النافلة. وقد روي أن النبي - ﷺ - أمر به[٩]"[١٠].

قال الحافظ ابن كثير: "وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت، فقيل: كانت تضيء له بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، ويغرسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأقوال الخارقة للعادة. والظاهر: أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعبانا، فما كان يفر منها هاربا. ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية"[١١].

القرآن
{قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩)} [طه : ١٩]
التفسير:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥/٣.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥/٣.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤١٦):ص٢٤٢٠/٧.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤١٦):ص٢٤٢٠/٧.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤١٥):ص٢٤٢٠/٧.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٤/٣-٢٥.
(٧) تفسير التستري:١٠٢.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٤/٣-٢٥.
(٩)رواه أبو داود وغيره.
(١٠) أحكام القرآن:٢٥٧/٣.
(١١) تفسير ابن كثير:٢٧٩/٥.

قال الله لموسى: ألق عصاك.
قال الطبري:" قال الله لموسى: ألق عصاك التي بيمينك يا موسى"(١).
قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: ألق عصاك من يدك"(٢).
قال السمعاني:" أي: انبذها"(٣).

القرآن
{فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠)} [طه : ٢٠]
التفسير:
فألقاها موسى على الأرض، فانقلبت بإذن الله حية تسعى، فرأى موسى أمرًا عظيمًا وولى هاربًا.
قوله تعالى:{فَأَلْقَاهَا} [طه : ٢٠]، أي:" فألقاها موسى على الأرض"(٤).
قال الطبري:" فألقاها موسى"(٥).
قال الحافظ ابن كثير:" فألقاها على وجه الأرض"(٦).
قال أبو الليث السمرقندي:" فظن موسى أنه يأمره بإلقائها على وجه الرفض، فلم يجد بدا فألقاها"(٧).
قوله تعالى:{فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} [طه : ٢٠]، أي:" فانقلبت بإذن الله حية تسعى"(٨).
قال يحيى:" أي: تزحف على بطنها بسرعة"(٩).
قال الطبري:" فجعلها الله حية تسعى، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة، وعصا يتوكأ عليها ويهشّ بها على غنمه، فصارت حية بأمر الله"(١٠).
قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: تسرح وتسير على بطنها رافعة رأسها"(١١).
قال الحافظ ابن كثير:" ثم حانت نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون ، فَدَبّ يلتمس كأنه يبتغى شيئًا يريد أَخْذَه ، يمر بالصخرة مثل الخَلِفَة من الإبل فيلتقمها ، ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، عيناه توقدان نارا ، وقد عاد المحْجَن منها عُرفًا. قيل : شعر مثل النيازك ، وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسع ، فيه أضراس وأنياب ، لها صريف ، فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرًا ولم يُعَقِّب، فذهب حتى أمعن ، ورأى أنه قد أعجَز الحية ، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ، ثم نودي : يا موسى أنْ : ارجع حيث كنت. فرجع موسى وهو شديد الخوف"(١٢).
قال ابن عباس:" لما قيل لموسى: ألقها يا موسى، ألقاها {فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} ولم تكن قبل ذلك حية، قال: فمرّت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعتها، قال: فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها، قال: فولى مدبرا، فنودي أن يا موسى خذها، فلم يأخذها، ثم نودي الثانية: أن {خُذْهَا وَلا تَخَفْ}، فلم يأخذها، فقيل له في الثالثة {إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ} فأخذها"(١٣).

---

(١) تفسير الطبري:٢٩٥/١٨.
(٢) بحر العلوم:٣٩٣/٣.
(٣) تفسير المسعاني:٣٢٦/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣١٣.
(٥) تفسير الطبري:٢٩٥/١٨.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٧٩/٥.
(٧) بحر العلوم:٣٩٣/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣١٣.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٢٥٦/١.
(١٠) تفسير الطبري:٢٩٥/١٨.
(١١) بحر العلوم:٣٩٣/٣.
(١٢) تفسير ابن كثير:٢٧٩/٥-٢٨٠.
(١٣) أخرجه الطبري:٢٩٥/١٨.

عن وهب:" {قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} تهتزّ، لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون، فرأى أمرا فظيعا، {وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} فناداه ربه: {يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ} {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولَى}"[١].

القرآن

{قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١)} [طه : ٢١]

التفسير:

قال الله لموسى: خذ الحية، ولا تَخَفْ منها، سوف نعيدها عصًا كما كانت في حالتها الأولى.

قوله تعالى:{قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ} [طه : ٢١]، أي:" قال الله لموسى: خذ الحية، ولا تَخَفْ منها"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره قال الله لموسى: خذ الحية، ولا تخف من هذه الحية"[٣].
الحية"[٣].

قال ابن كثير:" فقال : { خُذْهَا } بيمينك { وَلا تَخَفْ}"[٤].

قوله تعالى:{سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} [طه : ٢١]، أي:" سوف نعيدها عصًا كما كانت في حالتها الأولى"[٥].

قال الفراء:" أي: طريقتها الأولى. يقول: يردها عصا كما كانت"[٦].

قال الطبري:" يقول: فإنا سنعيدها لهيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية، ونردّها عصا كما كانت"[٧].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: سنجعلها عصا كما كانت أول مرة. وأصل السيرة: الطريقة كما يقال: فلان على سيرة فلان، أي: على طريقته"[٨].

قال ابن كثير:" وعلى موسى حينئذ مِدْرَعة من صوف ، فدخلها بخلال من عيدان ، فلما أمره بأخذها أدلى طرف المدرعة على يده ، فقال له ملك: أرأيت يا موسى ، لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئًا ؟ قال : لا ولكني ضعيف ، ومن ضَعْف خلقت. فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية ، حتى سمع حسّ الأضراس والأنياب ، ثم قَبض فإذا هي عصاه التي عهدها ، وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين ؛ ولهذا قال تعالى : {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولَى } أي : إلى حالها التي تعرف قبل ذلك"[٩].

عن ابن عباس، قوله :"{سِيرَتها الأولى}، يقول: حالتها الأولى"[١٠].

عن مجاهد :"{سِيرَتَهَا الأولَى}، قال: هيئتها"[١١].

قال قتادة:" إلى هيئتها الأولى"[١٢].

قال وهب:" أي: سنردّها عصا كما كانت"[١٣].

---

(١) اخرجه الطبري:١٨/٢٩٥-٢٩٦.
(٢) التفسير الميسر:٣١٣.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٢٩٦.
(٤) تفسير ابن كثير:٥/٢٨٠.
(٥) التفسير الميسر:٣١٣.
(٦) معاني القرآن:٢/١٧٧.
(٧) تفسير الطبري:١٨/٢٩٦.
(٨) بحر العلوم:٣/٣٩٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٥/٢٨٠.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٢٩٦.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/٢٩٦.
(١٢) أخرجه الطبري:١٨/٢٩٦.
(١٣) أخرجه الطبري:١٨/٢٩٦.

القرآن

{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢)} [طه : ٢٢]

التفسير:

واضمم يدك إلى جنبك تحت العَضُد تخرج بيضاء كالثلج من غير برص؛ لتكون لك علامة أخرى.

قوله تعالى:{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ} [طه : ٢٢]، أي:" واضمم يدك إلى جنبك تحت العَضُد"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: واضمم يا موسى يدك، فضعها تحت عضدك، و«الجناحان»: هما اليدان"(٢).

وفي قوله تعالى:{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ} [طه : ٢٢]، ثلاثة وجوه:

أحدها : معناه: اضمم يدك تحت عضدك، قاله مجاهد(٣).

وقال الفراء:" الجناح في هذا الموضع من أسفل العضد إلى الإبط"(٤).

الثاني : إلى جيبك(٥).

الثالث : إلى جنبك، فعبر عن «الجنب» بـ«الجناح»، لأنه مائل في محل الجناح(٦).

قوله تعالى:{تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} [طه : ٢٢]، أي:" تخرج بيضاء كالثلج من غير برص"(٧).

قال الطبري:" ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم، فأدخل يده في جيبه، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، من غير برص، مثل الثلج، ثم ردّها، فخرجت كما كانت على لونه"(٨).

قال الفراء:" {من غير سوء}، أي: برص"(٩).

عن ابن عباس ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، قوله :"{تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}، قال: من غير برص"(١٠).

قال الحسن:" أخرجها الله من غير سوء، من غير برص، فعلم موسى أنه لقي ربه"(١١).

قوله تعالى:{آيَةً أُخْرَى} [طه : ٢٢]، أي:" لتكون لك علامة أخرى"(١٢).

قال الفراء:" المعنى: هي آية أخرى وهذه آية أخرى"(١٣).

وقال يحيى:يعني: " اليد بعد العصا"(١٤).

قال الطبري:" يقول: وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه، ونصب آية على اتصالها بالفعل، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هي"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر:٣١٣.
(٢) تفسير الطبري:١٨/٢٩٦-٢٩٧.
(٣) انظر تفسير الطبري:١٨/٢٩٧.
(٤) معاني القرآن:٢/١٧٨.
(٥) انظر: النكت والعيون:٣/٤٠٠.
(٦) انظر: النكت والعيون:٣/٤٠٠.
(٧) التفسير الميسر:٣١٣.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٢٩٧.
(٩) معاني القرآن:٢/١٧٨.
(١٠) أخرجه عنهم الطبري:١٨/٢٩٧-٢٩٨.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/٢٩٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣١٣.
(١٣) معاني القرآن:٢/١٧٨.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:١/٢٦٧.
(١٥) تفسير الطبري:١٨/٢٩٨.

قال ابن كثير:" وهذا بُرهان ثان لموسى ، عليه السلام ، وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه ، كما صرح به في الآية الأخرى ، وهاهنا عبر عن ذلك بقوله : { وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ } وقال في مكان آخر:{وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ } [القصص : ٣٢]..وذلك أن موسى ، عليه السلام ، كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها ، تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر"[١].

القرآن

{لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣)} [طه : ٢٣]

التفسير:

فعلنا ذلك؛ لكي نريك - يا موسى - من أدلتنا الكبرى ما يدلُّ على قدرتنا، وعظيم سلطاننا، وصحة رسالتك.

قال مقاتل:" يعني: اليد كانت أكبر وأعجب أمرا من العصا"[٢].

قال ابن ابي زمنين:" كانت اليد أكبر من العصا"[٣].

وقال يحيى:يعني: " العصا واليد"[٤].

قال أبو عبيدة:" أي: لنريك الكبرى من عجائبنا"[٥].

قال الطبري:يقول:" كي نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقُدرتنا"[٦].

قال مكي:"أي: لنريك من آياتنا العجائب"[٧].

قال الحسن:" أخرجها كأنها مصباح فعلم موسي أنه قد لقي ربه، ولهذا قال تعالى: {لنريك من آياتنا الكبرى}"[٨].

قال القشيري:" كما أراه آية من خارج أراه آية من نفسه، وهى قلب يده بيضاء إذ جعلها فى جيبه من غير البرص. قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت : ٥٣] "[٩].

القرآن

{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤)} [طه : ٢٤]

التفسير:

اذهب - يا موسى - إلى فرعون؛ إنه قد تجاوز قدره وتمرَّد على ربه، فادعه إلى توحيد الله وعبادته.

قال يحيى:" يعني: إنه كفر"[١٠].

قال الطبري:" يقول: إنه تجاوز قدره، وتمرّد على ربه، وفي الكلام محذوف، والتقدير: فادعه إلى توحيد الله وطاعته، وإرسال بني إسرائيل معك "[١١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٨٠/٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥/٣.
(٣) تفسير ابن ابي زمنين:١١٣/٣.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٧/١.
(٥) مجاز القرآن:١٨/٢.
(٦) تفسير الطبري:٢٩٨/١٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٢٩/٧.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٢١):ص٢٤٢١/٧.
(٩) لطائف الإشارات:٤٥٢/٢.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٢٥٧/١.
(١١) تفسير الطبري:٢٩٩/١٨.[بتصرف]، ونقله مكي:٤٦٣٠/٧، بتمامه.

قال الواحدي:أي:" جاوز القدر في العصيان، وذلك أنه خرج في معصيته إلي فتجاوز به معاصي الناس"(١).

قال الصابوني:" أي: إذهب بما معك من الآيات إلى فرعون إنه تكبَّر وتجبَّر وجاوز الحدِّ في الطغيان حتى ادَّعى الألوهية"(٢).

قال مقاتل:" يقول إنه عصى، فادعوه إلى عبادتي، واعلم أني قد ربطت على قلبه، فلم يؤمن فأتاه ملك خازن من خزان الريح، فقال له: انطلق لما أمرت"(٣).

قال الماتريدي:" الطغيان: هو المجاوزة عن الحدود التي جعلت، كان فرعون قد تعدى، وجاوز الحد في كل شيء، حتى أدعى لنفسه الربوبتة، حيث قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات : ٢٤]"(٤).

فوائد الآيات:[١٧-٢٤]:

١- تقرير نبغ الرسول ﷺ إذ مثل هذه الأخبار لا تصح إلا ممن يوحى إليه.
٢- استحباب تناول الأشياء غير المستقذرة باليمين.
٣- مشروعية حمل العصا.
٤- سنة رعي الغنم للأنبياء.
٥- آية موسى في انقلاب العصا حية وخروج اليد بيضاء كأنها الثلج أو شعاع شمس.
٦- بيان الطغيان: وهو ادعاء العبد ما ليس له كالألوهية ونحوها.

القرآن

{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)} [طه : ٢٥ - ٣٥]

التفسير:

قال موسى: رب وسِّع لي صدري، وسَهِّل لي أمري، وأطلق لساني بفصيح المنطق؛ ليفهموا كلامي. واجعل لي معينا من أهلي، هارون أخي. قَوِّني به وشدَّ به ظهري، وأشركه معي في النبوة وتبليغ الرسالة؛ كي ننزهك بالتسبيح كثيرًا، ونذكرك كثيرا فنحمدك. إنك كنت بنا بصيرًا، لا يخفى عليك شيء من أفعالنا.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} [طه : ٢٥]، أي:" قال موسى: رب وسِّع لي صدري"(٥).

قال مقاتل:"يقول: أوسع لي قلبي"(٦).

قال يحيى:" أي: وسع لي صدري، دعاء أن يشرح له صدره بالإيمان"(٧).

قال الطبري:" يقول: ربّ اشرح لي صدري، لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترئ به على خطاب فرعون"(٨).

عن ابن زيد قوله: "{رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي}، قال: جرأة لي"(٩).

---

(١)التفسير الوسيط:٢٠٥/٣ .
(٢) صفوة التفاسير:٢١٣/٢ .
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦/٣.
(٤) تأويلات أهل السنة:٢٧٧/٧.
(٥) التفسير الميسر:٣١٣.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦/٣.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٢٥٧/١.
(٨) تفسير الطبري:٢٩٩/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٢٩٩/١٨.

قال السعدي:" أي: وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذى القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم"[١].

قال ابن كثير:" هذا سؤال من موسى ، عليه السلام ، لربه عز وجل ، أن يشرح له صدره فيما بعثه به ، فإنه قد أمره بأمر عظيم ، وخطب جسيم ، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك ، وأجبرهم ، وأشدهم كفرًا ، وأكثرهم جنودًا ، وأعمرهم ملكًا ، وأطغاهم وأبلغهم تمردًا ، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ، ولا يعلم لرعاياه إلهًا غيره.

هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليدًا عندهم ، في حجر فرعون ، على فراشه ، ثم قتل منهم نفسا فخافهم أن يقتلوه ، فهرب منهم هذه المدة بكمالها. ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيرًا يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له ؛ ولهذا قال : { رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي }، أي : إن لم تكن أنت عوني ونصيري ، وعضدي وظهيري ، وإلا فلا طاقة لي بذلك"[٢].

قال الزمخشري:" لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح، فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه، ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات "[٣].

قوله تعالى:{وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي} [طه : ٢٦]، أي:" وسَهِّل لي أمري"[٤].

قال مقاتل:" يقول: وهون علي ما أمرتني به من البلاغ إلى فرعون وقومه ولا تعسره علي"[٥].

قال الطبري:" يقول: وسهل عليّ القيام بما تكلفني من الرسالة، وتحملني من الطاعة"[٦].
الطاعة"[٦].

قال مكي:" أي: سهّل عليّ القيام بما كلفتني من الرسالة والطاعة"[٧].

قال الزمخشري: استوهب ربه " أن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب"[٨].

قال الماتريدي:" يحتمل: تبليغ الرسالة إليهم، والقيام بها، أو سأله التيسير بجميع ما أمره به ونهاه عنه"[٩].

قال السعدي:" أي: سهل علي كل أمر أسلكه وكل طريق أقصده في سبيلك، وهون علي ما أمامي من الشدائد، ومن تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله"[١٠].

وقرأ نافع وأبو عمرو:«ويَسِّرْ لي أمْرِي» بالفتح[١١].

قوله تعالى:{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي(٢٨)} [طه : ٢٧-٢٨] ، أي:" وأطلق لساني بفصيح المنطق ليفهموا كلامي"[١٢].

---

(١) تفسير السعدي:٥٠٤.
(٢) تفسير ابن كثير:٢٨٢/٥.
(٣) الكشاف:٦٠/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣١٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦/٣.
(٦) تفسير الطبري:٢٩٩/١٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٣٠/٧.
(٨) الكشاف:٦٠/٣.
(٩) تأويلات أهل السنة:٢٧٨/٧.
(١٠) تفسير السعدي:٥٠٤.
(١١) انظر: معاني القراءات للأزهري:١٤٥/٢.
(١٢) التفسير الميسر:٣١٣.

قال الطبري:" يقول: وأطلق لساني بالمنطق، يفقهوا عني ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام، وكانت فيه فيما ذكر عُجمة عن الكلام الذي كان من إلقائه الجمرة إلى فيه يوم همّ فرعون بقتله، "(١).

قال مقاتل:" كان في لسانه رتة، يعني: الثقل"(٢).

قال الفراء:" كانت في لسانه رتة"(٣).

قال أبو عبيدة:" العقدة فى اللسان: كل ما لم ينطلق بحرف أو كانت منه مسكة من تمتمة أو فأفأة"(٤).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي}، قال: عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون، تردّ به عنه عقوبة فرعون، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل، فقال: هذا عدو لي، فقالت له. إنه لا يعقل"(٥).

عن مجاهد، قوله :"{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي}، قال: عجمة الجمرة نار أدخلها في فيه، عن أمر امرأة فرعون تردّ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته"(٦).

قال السدي:" لما تحرّك الغلام، يعني موسى، أورته أمه آسية صبيا، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، قالت آسية: {لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} إنما هو صبيّ لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى منى أنا أضع له حليا من الياقوت، وأضع له جمرا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنه هو صبيّ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر، فجاء جبرائيل ﷺ، فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله عز وجل: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي}، فزالت عن موسى من أجل ذلك"(٧).

قال ابن كثير:" وذلك لما كان أصابه من اللثغ، حين عرض عليه التمرة والجمرة ، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه ، كما سيأتي بيانه ، وما سأل أن يزول ذلك بالكلية ، بل بحيث يزول العي ، ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة. ولو سأل الجميع لزال ، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ، ولهذا بقيت بقية ، قال الله تعالى إخبارًا عن فرعون أنه قال : { أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ } [الزخرف ٥٢]، أي : يفصح بالكلام"(٨).

عن الحسن البصري : "{ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي }، قال : حل عقدة واحدة ، ولو سأل أكثر من ذلك أعطى"(٩).

وقال ابن عباس : "شكا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل ، وعقدة لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءًا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فآتاه سؤله ، فحل عقدة من لسانه"(١٠).

عن أرطاة بن المنذر، قال:" حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب، عنه قال : أتاه ذو قرابة له فقال له: ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك، فقال القرظي:

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٢٩٩-٣٠٠.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٦.
(٣) معاني القرآن:٢/١٧٨.
(٤) مجاز القرن:٢/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/٢٩٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٢٩٩.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٣٠٠.
(٨) تفسير ابن كثير:٥/٢٨٢.
(٩) حكاه عنه ابن كثير في التفسير:٥/٢٨٢.
(١٠) حكاه عنه ابن كثير في التفسير:٥/٢٨٢.

يا ابن أخي ألست أفهمك إذا حدثتك؟ قال: نعم، قال: فإن موسي عليه السلام إنما سأل ربه إن حل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها"(١).

قوله تعالى:{وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي(٣٠)} [طه : ٢٩-٣٠] } [طه : ٣٥]، أي:" واجعل لي معينا من أهلي، هارون أخي"(٢).

قال مقاتل:" يعني عونا من أهلي، لكي يصدقني فرعون {هارون أخي}"(٣).

قال الطبري:" يقول: واجعل لي عونا من أهل بيتي {هَارُونَ أَخِي}"(٤).

قال ابن كثير:" وهذا أيضًا سؤال من موسى في أمر خارجي عنه ، وهو مساعدة أخيه هارون له"(٥).

قال ابن عباس:" كان هارون أكبر من موسى"(٦).

قوله تعالى:{اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي} [طه : ٣١] } [طه : ٣٥]، أي:" قَوِّني به وشدَّ به ظهري"(٧).

قال مقاتل:" يقول: اشدد به ظهري وليكون عونا لي"(٨).

قال الطبري:" سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون، يعني: قوْ ظهري، وأعني به، يقال منه: قد أزر فلان فلانا: إذا أعانه وشدّ ظهره"(٩).

قال ابن عباس:" يقول: أشدد به ظهري"(١٠).

قال ابن زيد:" يقول: اشدد به أمري، وقوّني به، فإن لي به قوّة"(١١).

وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق :«أَشْدُد بِهِ أَزْرِي» بفتح الألف من: أشدد، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه، أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء(١٢).

قوله تعالى:{وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} [طه : ٣٢] } [طه : ٣٥]، أي:" وأشركه معي في النبوة وتبليغ الرسالة"(١٣).

قال السمعاني:" أي: النبوة وأداء الرسالة"(١٤).

قال الطبري:" يقول: واجعله نبيا مثل ما جعلتني نبيا، وأرسله معي إلى فرعون"(١٥).

قال ابن عباس:" نبئ هارون ساعتئذ حين نبئ موسي عليهما السلام"(١٦).

وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق :«وأُشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» بضم الألف من: أشركه، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه، أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء(١٧).

قوله تعالى:{كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٣] } [طه : ٣٥]، أي:" كي ننزهك بالتسبيح كثيرًا"(١٨).

---

(١) رواه ابن ابي حاتم(١٣٤٢٣):ص٢٤٢١/٧، وكما في تفسير ابن كثير:٢٨٢/٥-٢٨٣.
(٢) التفسير الميسر:٣١٣.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦/٣.
(٤) تفسير الطبري:٣٠٠/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٢٨٣/٥.
(٦) أخرجه الطبري:٣٠٠/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣١٣.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦/٣.
(٩) تفسير الطبري:٣٠١/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٠١/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٣٠١/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٣٠١/١٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣١٣.
(١٤)تفسير السمعاني:٣٢٨/٣ .
(١٥) تفسير الطبري:٣٠١/١٨.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٢٦):ص٢٤٢٢/٧.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٣٠١/١٨.
(١٨) التفسير الميسر:٣١٣.

قال الطبري:" يقول: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيرا"[١].
قال الحسن:" يعني: الصلاة، أي نصلي لك كثيرا"[٢].
قال مقاتل:" في الصلاة"[٣].

قوله تعالى:{وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٤] } [طه : ٣٥]، أي:" ونذكرك كثيرا فنحمدك"[٤].
قال الطبري:" فنحمدك"[٥].
قال مقاتل:" باللسان"[٦].
قال الواحدي:أي:" بحمدك والثناء عليك، بما أوليتنا من نعمك، ومنيت به علينا من تحميل رسالتك"[٧].

قوله تعالى:{إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا} [طه : ٣٥]، أي:" إنك كنت بنا بصيرًا، لا يخفى عليك شيء من أفعالنا"[٨].
قال الطبري:" يقول: إنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شيء"[٩].
قال الواحدي:أي:" عالما إذ خصصتنا بهذه النعمة"[١٠].
قال البغوي:أي:" خبيرا عليما"[١١].
قال مقاتل:" يقول: ما أبصرك بنا"[١٢].

عن عائشة :"أنها خرجت فيما كنت تعتمر فنزلت ببعض الأعراب فسمعت رجلا يقول: أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه. قالوا: والله إنا أدري. قال: ما ندري. قال: فقلت: في نفسي في حفه لا يستثني إنه ليعم أي أخ في الدنيا كان أنفع لأخيه. قال: موسى حين سأل لأخيه النبوة، فقلت: صدق والله، قلت: وفي هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام: {وكان عند الله وجيها}"[١٣].

الفوائد:
١- وجوب اللجأ إلى الله تعالى في كل ما يهم العبد.
٣- مشروعية الأخذ بالأهبة والاستعداد لما يعتزم العبد القيام به.
٤- فضيلة التسبيح والذكر، والتوسل بأسماء الله وصفاته.

القرآن
{قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦)} [طه : ٣٦]
التفسير:
قال الله: قد أعطيتك كل ما سألت يا موسى.
قال ابن قتيبة:" أي: أعطيت [ما] سألت"[١٤].

---
(١) تفسير الطبري:٣٠١/١٨.
(٢) حكاه يحيى بن سلام:٢٥٨/١.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣١٣.
(٥) تفسير الطبري:٣٠١/١٨.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦/٣.
(٧) التفسير الوسيط:٢٠٥/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣١٣.
(٩) تفسير الطبري:٣٠١/١٨.
(١٠) التفسير الوسيط:٢٠٥/٣.
(١١) تفسير البغوي:٢٧٢/٥.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦/٣.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٢٧):ص٢٤٢٢/٧.
(١٤) غريب القرآن:٢٧٨.

قال الطبري:" قال الله لموسى ﷺ: قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك، وحلّ عقدة لسانك، وتصيير أخيك هارون وزيرا لك، وشدّ أزرك به، وإشراكه في الرسالة معك"(١).

قال السمعاني:" أي: أعطيت جميع ما سألت"(٢).

قال الواحدي: أي: "أُعطيت مرادك"(٣).

قال يحيى:" فاستجاب الله تبارك وتعالى له"(٤).

قال السعدي:" أي: أعطيت جميع ما طلبت، فسنشرح صدرك ونيسر أمرك ونحل عقدة من لسانك يفقهوا قولك ونشد عضدك بأخيك هارون"(٥).

قال القرطبي:" لما سأله شرح الصدر، وتيسير الأمر إلى ما ذكر، أجاب سؤله، وأتاه طلبته ومرغوبه، و«السؤل»: الطلبة"(٦).

القرآن

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧)} [طه : ٣٧]

التفسير:

ولقد أنعمنا عليك - يا موسى - قبل هذه النعمة نعمة أخرى، حين كنت رضيعًا، فأنجيناك مِن بطش فرعون.

قال الفراء:يعني:" قبل هذه. وهو ما لطف له إذ وقع إلى فرعون فحببه إليهم حتى غذوه. فتلك المنة الأخرى مع هذه الآية"(٧).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرّة أخرى"(٨).

قال السمعاني:" أي: أنعمنا عليك مرة أخرى سوى هذه المرة"(٩).

قال يحيى:" فذكره النعمة الأولى يعني قوله: {إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى} [طه: ٣٨]"(١٠).

قال القرطبي:" أي قبل هذه، وهي حفظه سبحانه له من شر الأعداء في الابتداء، وذلك حين الذبح. والله أعلم. و«المن»: الإحسان والإفضال"(١١).

القرآن

{إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩)} [طه : ٣٨ - ٣٩]

التفسير:

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٣٠١-٣٠٢.
(٢) تفسير السمعاني:٣/٣٢٩.
(٣) الوجيز:٦٩٤.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:١/٢٥٩.
(٥) تفسير السعدي:٥٠٤.
(٦) تفسير القرطبي:١١/١٩٥.
(٧) معاني القرىن:٢/١٧٩.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٣٠٣.
(٩) تفسير السمعاني:٣/٣٢٩.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:١/٢٥٩.
(١١) تفسير القرطبي:١١/١٩٥.

وذلك حين ألهمْنا أمَّك: أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت، ثم اطرحيه في النيل، فسوف يلقيه النيل على الساحل، فيأخذه فرعون عدوي وعدوه. وألقيت عليك محبة مني فصرت بذلك محبوبًا بين العباد، ولِتربى على عيني وفي حفظي.

قوله تعالى:{إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى} [طه : ٣٨]، أي:" وذلك حين ألهمنا أمَّك ما يُلهم ممّا كان سببا في نجاتك"[١].

قال الطبري:" وذلك حين أوحينا إلى أمك، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها"[٢].

قال ابن قتيبة:" أي قذفنا في قلبها، ومثله: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّين} [المائدة : ١١١]"[٣].

قال الواحدي:" أَيْ: ألهمناها ما يلهم الإنسان من الصَّواب"[٤].

قال القرطبي:" قيل: {أوحينا}: ألهمنا. وقيل: أوحى إليها في النوم. وقال ابن عباس -رضى الله عنهما-: أوحى إليها كما أوحى إلى النبيين"[٥].

قل مقاتل:" اسمها يوخاند"[٦].

قوله تعالى:{أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ} [طه : ٣٩]، أي:" أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت، ثم اطرحيه في النيل"[٧].

قال الطبري:" أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت {فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ} يعني بـ«اليم»: النيل"[٨].

قال مقاتل:" أن اجعليه في التابوت، والمؤمن الذي صنع التابوت اسمه: خربيل بن صابوث، {فاقذفيه في اليم}، يعني: في نهر مصر وهو النيل"[٩].

عن السدي: قوله:"{فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ}، وهو البحر، وهو النيل"[١٠].

قوله تعالى:{فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ} [طه : ٣٩]، أي:" فسوف يلقيه النيل على الساحل"[١١].

قال مقاتل:" على شاطئ البحر"[١٢].

قوله تعالى:{يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ} [طه : ٣٩]، أي:" فيأخذه فرعون عدوي وعدوه"[١٣].

قال مقاتل:" يعني: فرعون عدو الله- عز وجل- وعدو لموسى- عليه السلام-"[١٤].

قال الفراء:" ذكر أن البحر ألقاه إلى مشرعة[١٥] آل فرعون، فاحتمله جواريه إلى امرأته"[١٦].

قال الطبري: " فرعون هو العدوّ، كان لله ولموسى"[١].

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٢١٣.[بتصرف]
(٢) تفسير الطبري:١٨/٣٠٣.
(٣) غريب القرآن:٢٧٨.
(٤) الوجيز:٦٩٤.
(٥) تفسير القرطبي:١١/١٩٥.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٧، وفى مواضع أخرى: «يوكابد».
(٧) التفسير الميسر:٣١٤.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٣٠٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٧.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٣٠٣.
(١١) التفسير الميسر:٣١٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٧.
(١٣) التفسير الميسر:٣١٤.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٧.
(١٥)المشرعة: الموضع من النهر يكون موردا للشاربة.
(١٦) معاني القرىن:٢/١٧٩.

قوله تعالى:{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} [طه : ٣٩]، أي:" وألقيت عليك محبة مني فصرت بذلك محبوبًا بين العباد"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} [طه : ٣٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : حببتك إلى عبادي، قاله سلمى بن كميل[٣].

وقال الحسين بن عليّ الصدائي:" حببتك إلى خلقي"[٤].

قال أبو عبيدة:" جعلت لك محبة منى فى صدور الناس"[٥].

الثاني : يعني: حسناً وملاحة، قاله عكرمة[٦].

الثالث : ألقيت عليك رحمتي، ومن ذلك قول الرجل إذا أحبّ أخاه: ألقيت عليك رحمتى، أى: محبتى. ذكره ابو عبيدة[٧]، ومن ثم الطبري[٨].

الرابع : جعلت من رآك أحبك، قاله ابن عباس[٩].

قال ابن عباس:" كان كل من رآه ألقيت عليه منه محبة"[١٠].

قال الفراء:" حبب إلي من رآه"[١١].

وحكي الماوردي عن ابن زيد:"حتى أحبك فرعون فسلمت من شره وأحبتك آسية بنت مزاحم فتبنتك"[١٢].

الخامس : معناه : وأظهرت عليك محبتي لك وهي نعمة عليك لأن من أحبه الله أوقع في القلوب محبته. أفاده الماوردي[١٣].

قال الطبري: والصواب: "أن الله ألقى محبته على موسى، فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنَّته وغذَّته وربَّته، وإلى فرعون، حتى كفّ عنه عاديته وشرّه"[١٤].

قال ابن قتيبة:" لم يرد في هذا الموضع: أني أحببتك، وإن كان يحبه، وإنما أراد أنه حبّبه إلى القلوب، وقرّبه من النفوس، فكان ذلك سببا لنجاته من فرعون، حتى استحياه في السّنة التي كان يقتل فيها الولدان"[١٥].

قال ابن إسحاق:" لما ولدت موسى أمه أرضعته، حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت إليه، فصنعت به ما أمرها الله تعالى، جعلته في تابوت صغير، ومهدت له فيه، ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه، وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كلّ غداة، فبينا هو جالس، إذ مرّ النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مُزَاحم امرأته جالسة إلى جنبه، فقال: إن هذا لشيء في البحر، فأتوني به، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به، ففتح التابوت فإذا فيه صبيّ في مهده، فألقى الله عليه محبته، وعطف عليه نفسه"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري:٣٠٢/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٣٠٣/١٨.
(٤) اخرجه الطبري:٣٠٣/١٨.
(٥) مجاز القرآن:١٩/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣٠٣/١٨.
(٧) انظر: مجاز القرآن:١٩/٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٣٠٣/١٨.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤٢٨):ص٢٤٢٢/٧.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٢٨):ص٢٤٢٢/٧.
(١١) معاني القرآن:١٧٩/٢، وانظر: تفسير الطبري:٣٠٣/١٨.
(١٢) النكت والعيون:٤٠٢/٣.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٤٠٢/٣.
(١٤) تفسير الطبري:٣٠٣/١٨.[بتصرف]
(١٥) تأويل مشكل القرآن:٥٤ .
(١٦) اخرجه الطبري:٣٠٢/١٨.

قوله تعالى:{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه : ٣٩]، أي:" ولِتربى على عيني وفي حفظي"[١].
حفظي"[١].

قال أبو عبيدة:" ولتغذى ولتربّى على ما أريد وأحب، يقال: اتخذه لى على عينى، أي: على ما أردت وهويت"[٢].

قال ابن قتيبة:" أي: لتربى بمرأى مني، على محبتي فيك"[٣].

قال الطبري:يقول: " ولتغذى على عيني، ألقيت عليك المحبة مني ، وعني بقوله {عَلى عَيْنِي} :بمرأى مني ومحبة وإرادة"[٤].

عن أبي نهيك قوله: "{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، قال: ولتعمل علي عيني"[٥]. وقرأ:ى «وَلِتَصْنَعَ»، بفتح التاء"[٦].

قال أبو عمران الجوني:" تربى بعين الله"[٧].

قال قتادة:"يقول: ولتغذى على عيني"[٨].

قال عبد الرزاق: "هو غذاؤه، ولتغذى على عيني"[٩].

قال ابن زيد:" جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة"[١٠].

قال ابن جريج:" أنت بعيني إذ جعلتك أمك في التابوت، ثم في البحر، و{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ}"[١١].

قال مقاتل:" حين قذف التابوت في البحر وحين التقط وحين غذي فكل ذلك بعين الله-عز وجل-"[١٢].

القرآن

{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠)} [طه : ٤٠]

التفسير:

ومننًّا عليك حين تمشي أختك تتبعك ثم تقول لمن أخذوك: هل أدلكم على من يكفُله، ويرضعه لكم؟ فرددناك إلى أمِّك بعد ما صرتَ في أيدي فرعون؛ كي تطيب نفسها بسلامتك من الغرق والقتل، ولا تحزن على فَقْدك، وقتلت الرجل القبطي خطأ فنجيناك من غَمِّ فِعْلك وخوف القتل، وابتليناك ابتلاء، فخرجت خائفًا إلى أهل «مدين» ، فمكثت سنين فيهم، ثم جئت من «مدين» في الموعد الذي قدَّرناه لإرسالك مجيئًا موافقًا لقدر الله وإرادته، والأمر كله لله تبارك وتعالى.

قوله تعالى:{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ} [طه : ٤٠]، أي:" ومننًّا عليك حين تمشي أختك تتبعك ثم تقول لمن أخذوك: هل أدلكم على من يكفُله، ويرضعه لكم؟"[١].
لكم؟"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣١٤.
(٢) مجاز القرآن:١٩/٢.
(٣) غريب القرآن:٢٧٨.
(٤) تفسير الطبري:٣٩٤/١٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٣٠):ص٢٤٢٢/٧.
(٦) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٨.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٣١):ص٢٤٢٢/٧.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٣٢):ص٢٤٢٢/٧.
(٩) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧/٣.

قال الطبري:أي:" هل أدلكم على من يضمه إليه فيحفظه ويرضعه ويربيه"(٢).

قال أبو عبيدة:" {عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ}، أي: يضمه، وقال الله :{وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا}، أي: ضمها"(٣).

قال الفراء:" ذكر المشي وحده، ولم يذكر أنها مشت حتى دخلت على آل فرعون فدلتهم على الظئر وهذا في التنزيل كثير مثله قوله: {أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون(٤٥) يُوسُفُ} [يوسف : ٤٥] ولم يقل: فأرسل فدخل فقال: يوسف. وهو من كلام العرب: أن تجتزىء بحذف كثير من الكلام وبقليله إذا كان المعنى معروفا"(٤).

قال السدي:" لما ألقته أمه في اليم {قَالَتْ لأخْتِهِ قُصِّيهِ}، فلما التقطه آل فرعون، وأرادوا له المرضعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فقالت أخته: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}؟ فأخذوها وقالوا: بل قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، قالت: ما أعرفه، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون"(٥).

قوله تعالى:{فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ} [طه : ٤٠]، أي:" فرددناك إلى أمِّك بعد ما صرتَ في أيدي فرعون؛ كي تطيب نفسها بسلامتك من الغرق والقتل، ولا تحزن على فَقْدك"(٦).

قال الطبري: يقول: " فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون، كيما تقرّ عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك"(٧).

قال ابن إسحاق:" لما قالت أخت موسى لهم ما قالت، قالوا: هات، فأتت أمه فأخبرتها، فانطلقت معها حتى أتتهم، فناولوها إياه، فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها، وسرّوا بذلك منه، وردّه الله إلى أمه كي تقرّ عينها، ولا تحزن، فبلغ لطف الله لها وله، أن ردّ عليها ولدها وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الأمنة من القتل الذي يتخوف على غيره، فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الأمان والسعة، فكان على فرش فرعون وسرره"(٨).

قوله تعالى:{وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ} [طه : ٤٠]، أي:" وقتلت الرجل القبطي خطأ فنجيناك من غَمِّ فِعْلك وخوف القتل"(٩).

قال الطبري: يعني:" قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي، فوكزه موسى. وقوله {فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ}، يقول تعالى ذكره: فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت، إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم، حتى هربت إلى أهل مدين، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك وكان قتله إياه فيما ذُكر خطأ"(١٠).

عن مجاهد :"{فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ}، قال: من قتل النفس"(١١).

عن قتادة :"{فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ}، النفس التي قتل"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣١٤.
(٢) تفسير الطبري:٣٠٥/١٨.
(٣) مجاز القرآن:١٩/٢.
(٤) معاني القرآن:١٧٩/٢، وانظر: تفسير الطبري:٣٠٣/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٨-٣٠٥.
(٦) التفسير الميسر:٣١٤.
(٧) تفسير الطبري:٣٠٥/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٣٠٥/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣١٤.
(١٠) تفسير الطبري:٣٠٥/١٨-٣٠٤.
(١١) أخرجه الطبري:٣٠٦/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٠٦/١٨.

عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، فقال الله له :{وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}"[١].

قوله تعالى:{وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} [طه : ٤٠]، أي:" وابتليناك ابتلاء عظيماً بأنواعٍ من المِحن"[٢].

قال الفراء:" ابتليناك بالغم: غم القتل ابتلاء"[٣].

قال ابن قتيبة:" أي: اختبرناك"[٤].

قال الماتريدي:" الفتنة في البلايا والشدائد: الغموم التي ذكر أنه نجاه منها. ويحتمل: النعم والخيرات؛ إذ لم يكن الأنبياء في جميع الأوقات في البلاء، ولكن كانوا في وقت في بلاء وشدة، وفي وقت آخر في نعمة وخير، أو فتنه بهما جميعا، على ما أخبر:{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء : ٣٥] "[٥].

قال سهل:" أي: فتنا لنفسك الطبيعية وبيناها حتى لا تأمن مكر الله"[٦].

عن سعيد بن جبير، ومجاهد : قوله: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}، قالا: "أخلصناك إخلاصا"[٧].

قال الطبري:" الفتنة: الابتلاء والاختبار"[٨].

عن ابن عباس: قوله :"{وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}، يقول: اختبرناك اختبارا"[٩].

وقال ابن عباس أيضا: "ابتليت بلاء"[١٠].

قال قتادة:" ابتليناك بلاء"[١١].

قال الضحاك:" هو البلاء على إثر البلاء"[١٢].

عن مجاهد، قوله: "{فُتُونًا} قال: بلاء، إلقاؤه في التابوت، ثم في البحر، ثم التقاط آل فرعون إياه، ثم خروجه خائفا"[١٣].

عن سعيد بن جبير، قال: "سألت عبد الله بن عباس، عن قول الله لموسى {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} فسألته على الفتون ما هي؟ فقال لي: استأنف النهار يا بن جبير، فإن لها حديثا طويلا قال: فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني، قال: فقال ابن عباس:" تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذرّيته أنبياء وملوكا، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب؛ فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فأتمروا بينهم، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه؛ فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، وأن الصغار يذبحون، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاما كلّ مولود ذكر، فيقل أبناؤهم، ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا، فتشبّ الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم، فتخافون مكاثرتهم إياكم، ولن يقلوا بمن تقتلون، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري:٣٠٦/١٨.
(٢) صفوة التفاسير:٢١٤/٢.
(٣) معاني القرىن:١٧٩/٢.
(٤) غريب القرآن:٢٧٩.
(٥) تأويلات أهل السنة:٢٨١/٧.
(٦) تفسير التستري:١٠٢.
(٧) أخرجه الطبري:٣١٠/١٨.
(٨) تفسير الطبري:٣١١/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٣٠٦/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٠٦/١٨.
(١١) اخرجه الطبري:٣١٠/١٨.
(١٢) اخرجه الطبري:٣١٠/١٨.
(١٣) اخرجه الطبري:٣١٠/١٨.

فحملت أمّ موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى، فوقع في قلبها الهمّ والحزن، وذلك من الفتون يا ابن جبير، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به، فأوحى الله إليها {وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم، فلما ولدته فعلت ما أمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس، فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي، فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابه، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جواري آل فرعون، فرأينه فأخذنه، فهممن أن يفتحن الباب، فقال بعضهن لبعض: إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدّقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يحرّكن منه شيئا، حتى دفعنه إليها؛ فلما فتحته رأت فيه الغلام، فألقي عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} من كلّ شيء إلا من ذكر موسى، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم، يريدون أن يذبحوه، وذلك من الفتون يا ابن جُبير، فقالت للذباحين: انصرفوا عني، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فآتي فرعون فأستوهبه إياه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم، فلما أتت به فرعون قالت: {قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ}، قال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لي فيه، فقال: والذي يحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به، لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك، فأرسلت إلى من حولها من كلّ أنثى لها لبن، لتختار له ظئرا، فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها، فلم يقبل من أحد، وأصبحت أمّ موسى، فقالت لأخته: قصيه واطلبيه، هل تسمعين له ذكرا، أحي ابني، أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له، هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك، وذلك من الفتون يا ابن جُبير، فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه، رغبتهم في ظؤورة الملك، ورجاء منفعته، فتركوها، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر، فجاءت، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه، فانطلق البُشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا، فأرسلت إليها، فأتيت بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإني لم أحبّ حبه شيئا قطّ، قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي، فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه، فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي، وذكرت أمّ موسى ما كان الله وعدها، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها، فأنبته الله نباتا حسنا، وحفظه لما قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التي كانت فيهم.

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأمّ موسى: أزيريني ابني فوعدتها يوما تزيرها إياه فيه، فقالت لخواصها وظؤورتها وقهارمتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ليرى ذلك، وأنا باعثة أمينة تحصي كل ما يصنع كلّ إنسان منكم، فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته، وفرحت به، وأعجبها ما رأت من حُسن أثرها عليه، وقالت: انطلقن به إلى فرعون، فلينحله، وليكرمه، فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها، فقال عدوّ من أعداء الله: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا بن جُبَير، بعد كلّ بلاء ابتلي به وأريد به، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الصبيّ الذي قد وهبته لي؟ قال: ألا ترين يزعم أنه سيصرعني ويعلوني، فقالت: اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق، ائت بجمرتين ولؤلؤتين، فقرّبهنّ إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل، وإن تناول

الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين، فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرّب ذلك إليه، فتناول الجمرتين، فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد همّ به، وكان الله بالغا فيه أمره.

فلما بلغ أشدّه، وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة، حتى امتنعوا كلّ امتناع، فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة، إذ هو برجلين يقتتلان، أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتدّ غضبه، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل، وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قِبَل الرضاعة غير أمّ موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره؛ فوكز موسى الفرعوني فقتله، وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: لَا{هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} ثُمَّ قَالَ {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} الأخبار، فأتى فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون، فخُذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه، لأنه لا يستقيم أن يقضي بغير بيّنة ولا ثبت، فطلبوا له ذلك؛ فبينما هم يطوفون لا يجدون ثَبَتا، إذ مرّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى، فغضب موسى، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، قال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} أن يكون إياه أراد، ولم يكن أراده، وإنما أراد الفرعوني، فخاف الإسرائيلي، فحاجز الفرعوني فقال: {يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ} وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، فتتاركا؛ فانطلق الفرعوني إلى قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس؟ فأرسل فرعون الذباحين، فسلك موسى الطريق الأعظم، فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم. وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقًا قريبًا حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر، وذلك من الفتون يا بن جُبير"(١).

قوله تعالى:{فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ} [طه : ٤٠]، أي:" فمكثت سنين عديدة عند شعيب في أرض «مدين»"(٢).

قال الطبري:في الكلام حذف، تقديره" وفتناك فتونا، فخرجت خائفا إلى أهل مدين، فلبثت سنين فيهم"(٣).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخاطبًا لموسى ، عليه السلام : إنه لبث مقيمًا في أهل "مدين" فارًا من فرعون وملئه ، يرعى على صهره حتى انتهت المدة وانقضى الأجل"(٤).

قوله تعالى:{ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} [طه : ٤٠]، أي:" ثم جئت على موعدٍ ووقت مقدر للرسالة والنبوة"(٥).

قال الطبري: يقول:" ثم جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون رسولا ولمقداره، والعرب تقول: جاء فلان على قدر: إذا جاء لميقات الحاجة إليه؛ ومنه قول الشاعر(٦):

---

(١) أخرجه الطبري:٣١٠/١٨.
(٢) صفوة التفاسير:٢١٤/٢.
(٣) تفسير الطبري:٣١١/١٨.
(٤) تفسير ابن كثير:٢٩٤/٥.
(٥) صفوة التفاسير:٢١٤/٢.
(٦)هذا البيت لجرير، من قصيدة عدة تسعة وعشرون بيتا في ديوانه (طبعة الصاوي بالقاهرة ٢٧٤ - ٢٧٦) والرواية فيه: " نال الخلافة " كرواية المؤلف، وفي بعض كتب الشواهد: " جاء الخلافة ". وفي هامش الديوان: ويروى: " عز الخلافة " البيت. ومحل الشاهد في البيت، قوله: " على قدر " فإن معناه: القضاء الموافق. قال في

نالَ الخِلافَةَ أوْ كانَتْ لَهُ قَدَرا ... كَمَا أَتى رَبَّهُ مُوسَى عَلى قَدَرِ"[١].

قال الفراء:" يريد على ما أراد الله من تكليمه"[٢].

قال ابن كثير:" ثم جاء موافقًا لقدر الله وإرادته من غير ميعاد ، والأمر كله لله تبارك وتعالى ، وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء "[٣].

عن مجاهد: {عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى}، قال: علي ذي موعد"[٤].

قال ابن عباس:" يقول: لقد جئت لميقات يا موسى"[٥].

قال قتادة:" قدر الرسالة والنبوّة"[٦].

القرآن

{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١)} [طه : ٤١]

التفسير:

وأنعمتُ عليك - يا موسى - هذه النعم اجتباء مني لك، واختيارًا لرسالتي، والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي.

قال يحيى:"قال: واخترتك لنفسي ولرسالتي"[٧].

قال النحاس:" أي: قويتك وعلمتك لتبلغ عبادي أمري ونهيي"[٨].

قال الطبري:يقول:" أنعمت عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك، واختيارا لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي"[٩].

قال مقاتل:" وهو ابن أربعين سنة يقول واخترتك لنفسي رسولا"[١٠].

قال الواحدي:" اخترتك بالرِّسالة لكي تحبَّني وتقوم بأمري"[١١].

قال ابن كثير:" أي : اصطفيتك واجتبيتك رَسُولا لنفسي ، أي : كما أريد وأشاء"[١٢].

قال الزجاج:" تأويله: اخترتك لإقامة حجتي، وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في الخطاب عني والتبليغ عني بالمنزلة التي أكون بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم"[١٣].

قال سهل:" أي: تفرد إلي بالتجريد لا يشغلك عني شيء"[١٤].

قال القشيري:أي:" استخلصتك لى حتى لا تصلح لأحد غيرى، ولا يتأتى شىء منك غير تبليغ رسالتى، وما هو مرادى منك"[١٥].

قال الجصاص:" «الاصطناع»: الإخلاص بالألطاف ومعنى {لنفسي} لتصرف على إرادتي ومحبتي"[١].

(اللسان: قدر) : يقال: قدر الإله كذا تقديرا؛ وإذا وافق الشيء الشيء قلت: جاء قدره، وقال ابن سيده: القدر والقدر (بسكون الدال وتحريكها) : القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور.

(١) تفسير الطبري:٣١١/١٨.
(٢) معاني القرىن:١٧٩/٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٩٤/٥.
(٤) أخرجه الطبري:٣١١/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٣١١/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٣١١/١٨.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٠/١.
(٨) إعراب القرآن:٢٨/٣.
(٩) تفسير الطبري:٣١٢/١٨.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨/٣.
(١١) الوجيز:٦٩٥.
(١٢) تفسير ابن كثير:٢٩٤/٥.
(١٣) معاني القرىن:٣٦٥/٣.
(١٤) تفسير التستري:١٠٢.
(١٥) لطائف الإمشارات:٤٥٨/٢.

قال ابن جماعة، بدرالدين الكناني:" المراد بقوله تعالى {واصطنعتك لنفسي} المبالغة في الاختصاص والتقريب"(٢).

عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : "التقى آدم وموسى ، فقال موسى : أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : وأنت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه ، وأنزل عليك التوراة ؟ قال : نعم. قال : فوجدتَه قد كتب عَليّ قبل أن يخلقني ؟ قال : نعم. فحَجّ آدم موسى"(٣).

فوائد الآيات:[٣٦-٤١]

١- حمل أم موسى به في السنة التي يقتل فيها أطفال بني إسرائيل.
٢- إلقاء موسى في اليم.
٣- تحريم المراضع على موسى حتى رجع إلى أمه.
٤- أخذه بلحية فرعون وهم فرعون بقتله.
٥- قتل موسى القبطي وائتمار آل فرعون بقتل موسى.
٦- إقامة موسى في مدين وما عاناه من آلام الغربة.
٧- ضلال موسى الطريق بأهله وما أصابه من الخوف والتعب.
٨- ومن الفوائد: أن الرسل طائفة ممتازة من البشر يختارهم الله تعالى بنفسه، ويصنعهم لرسالته، ويربيهم بحكمته، ويعصمهم من الزلل والإثم والفواحش حتى يصلحوا للقيادة بعد نزول الرسالة عليهم.

- قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٣٣]
- وقال لموسى عليه السلام: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} [طه : ٤١].
- وقال لنبينا محمد -ﷺ-: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم : ٤].

القرآن

{اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)} [طه : ٤٢ - ٤٤]

التفسير:

اذهب - يا موسى - أنت وأخوك هارون بآياتي الدالة على ألوهيتي وكمال قدرتي وصدق رسالتك، ولا تَضْعُفا عن مداومة ذكري. اذهبا معًا إلى فرعون؛ إنه قد جاوز الحد في الكفر والظلم، فقولا له قولا لطيفًا؛ لعله يتذكر أو يخاف ربه.

قوله تعالى:{اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي} [طه : ٤٢]، أي:" اذهب - يا موسى - أنت وأخوك هارون بآياتي الدالة على ألوهيتي وكمال قدرتي وصدق رسالتك"(٤).

قال الطبري:" اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرّد في ضلاله وغيه، فأبلغاه رسالاتي"(٥).

قوله تعالى:{وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} [طه : ٤٢]، أي:" ولا تَضْعُفا عن مداومة ذكري"(٦).

قال الطبري:" يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما منِّي عليكما نِعَما جمَّة، ومننا لا تحصى كثرة"(٧).

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} [طه : ٤٢]، وجوه من التفسير:

---

(١) أحكام القرآن:٥٢/٥.
(٢) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل:١٣٢.
(٣)صحيح البخاري برقم (٤٧٣٦).
(٤) التفسير الميسر:٣١٤.
(٥) تفسير الطبري:٣١٢/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣١٤.
(٧) تفسير الطبري:٣١٢/١٨.

أحدها : لا تفترا في ذكري. حكاه الماوردي[١]، وأنشد قول الشاعر[٢]:
فَمَا وَنى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غفر ... لَهُ الإِلهُ ما مَضَى وَما غَبَرْ
الثاني : لا تضعفا، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، والضحاك[٥]، وقتادة[٦].
قال مقاتل:" يقول: ولا تضعفا في أمري"[٧].
وروي عن نافع بن الأزرق، قال :" يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: {وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي}.
قال: أي: لا تضعفا عن أمري، يعني موسى وهارون.
قال: وهل تعرف العرب ذلك؟
قال: نعم، أما سمعت الشاعر وهو يقول[٨]:
إنّي وجدّك ما ونيت ولم أزل ... أبغي الفكاك له بكلّ سبيل"[٩].
الثالث: أن «الواني»: هو الغافل المفرط. قاله ابن زيد[١٠].
الرابع : لا تبطئا، قاله ابن عباس[١١].
الخامس : لا تضعفا في الدعاء إلي والتبليغ عني رسالتي. حكاه يحيى عن الحسن[١٢].
السادس: لا تزالا ، حكاه أبان[١٣]، واستشهد بقول طرفة[١٤]:
كأن القدور الراسيات أمامهم ... قباب بنوها لا تني أبداً تغلي
السابع: معناه: لا تكثر الذكر باللسان، وتغفل عن مراقبة القلب. قاله سهل بن عبدالله[١٥].
قال القرطبي:" الونى الضعف والفتور، والكلال والإعياء، وكله مراد في الآية، وقال امرؤ القيس[١٦]:
مِسَحٍّ إذا ما السّابحاتُ على الونى... أَثَرْنَ غبارا بالكديدِ المُرَكَّلِ "[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٤٠٤/٣.
(٢)هذان بيتان من مشطور الرجز (١٤، ١٥) من أرجوز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج ١٩٠٣ ص ١٥)، ومن شواهد الطبري:٣١٢/١٨، و«الواني»، كما في (اللسان: وفى) الفترة في الأعمال والأمور، وقد وني يني ونيا وونيا (على فعول) . أي ضعف. وتوانى في حاجته قصر. وفي حديث عائشة تصف أباها، رضي الله عنهما: " سبق إذا ونيتم ": أي قصرت وفترتم.
(٣)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٤٤٠):ص٢٤٢٣/٧.
(٤)انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٨، وتفسير مجاهد: ٤٦٢.
(٥)انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٨.
(٦)انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨/٣.
(٨) انظر مسائل نافع بن الأزرق:٤٥، والإتقان: ١/ ١٢١.
أبغي: أبغاه الشيء: طلبه له أو أعانه على طلبه. الفكاك: ما يفكّ به الرّهن أو الأسير ونحوهما من مال وسواه. السبيل: الطريق وما وضع منه والسبب والوصلة والحيلة.
(٩) مسائل نافع بن الازرق:٤٥.
(١٠)انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٤٢٣/١٨.
(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٦٠/١.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٤٠٤/٣.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٤٠٤/٣، وتفسير القرطبي:١٩٩/١١
(١٥) انظر: تفسير التستري:١٠٢.
(١٦)ديوانه: ٥٣، ط. دار صادر.
ومعنى البيت: سح يسح: قد يكون بمعنى صب يصب، وقد يكون بمعنى انصب ينصب، فالمعنى أنه يصب الجري والعدو صبًا بعد صب. السابح من الخيل: الذي يمد يديه في عده شبه بالسابح في الماء، الونى: الفتور .. والفعل ونى يني ونيًا وونى. الكديد: الأرض الصلبة المطمئنة. المركل: من الركل، وهو الدفع بالرجل، والضرب بها.
ومعنى البيت: أن الخيل يجيء يجري بعد جري إذا قلت الخيل السوابح، وأعيت وأثارت الغبار في مثل هذا الموضع. "ديوانه" ٥٣ - ٥٤.

قوله تعالى: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} [طه : ٤٣]، أي:" اذهبا معًا إلى فرعون؛ إنه قد جاوز الحد في الكفر والظلم"(٢).

قال يحيى:" إنه كفر"(٣).

قوله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه : ٤٤]، أي:" فقولا له قولا لطيفًا؛ لعله يتذكر أو يخاف ربه"(٤).

قال الطبري:" فقولا لفرعون قولا ليّنا"(٥).

قال الواحدي:" أي: ادعواه على الرجاء والطمع، لا على اليأس من فلاحه، فوقع التعبد لهما على هذا الوجه، لأنه أبلغ لهما في دعائه إلى الحق"(٦).

قال الحسن:" أعذرا إليه وقولا له إن لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنه ونارا"(٧).

وفي قوله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا} [طه : ٤٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : لطيفاً رقيقاً. حكاه الماوردي(٨).

الثاني : كنّياه ، قاله علي-رضي الله عنه-(٩)، وسفيان(١٠)، والسدي(١١)، ومقاتل(١٢).

قال سفيان:" كنياه يا أبا مرة"(١٣).

قال مقاتل:" يقول: ادعواه بالكنية"(١٤).

قال يحيى:" سمعت بعض الكوفيين يقول: كنياه"(١٥).

الثالث: أن يبدأه بالرغبة قبل الرهبة، ليلين بها فيتوطأ بعدها من رهبة ووعيد. حكاه الماوردي(١٦).

روي عن الفضل بن عيس الرقاشي: "أنه تلا هذه الآية: {فقولا له قولا لينا}، فقال: يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولى ويناديه"(١٧).

قال محمد بن إبراهيم: "حضرت مجلس يحيى بن معاذ، وقرأ رجل هذه الآية: {فقولا له قولا لينا} [طه: ٤٤] فبكى يحيى، ثم قال: إلهي، هذا رفقك بمن يقول: «أنا إله»، فكيف رفقك بمن يقول: «أنت إلهي»، إن قول «لا إله إلا الله»(١٨) يهدم كفر خمسين سنة، فما تصنع بذنوب خمسين سنة"(١٩).

وحكي الماوردي عن بعض المتصوفة : "يا رب هذا رفقك لمن عاداك ، فكيف رفقك بمن والاك ؟"(٢٠).

---

(١) تفسير القرطبي:١٩٩/١١.
(٢) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٠/١.
(٤) التفسير الميسر:٣١٤.
(٥) تفسير الطبري:٣١٣/١٨.
(٦) التفسير الوسيط:٢٠٨/٣.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٤٤):ص٢٤٢٤/٧.
(٨) انظر: النكت والعيوون:٤٠٥/٣.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤٤٢):ص٢٤٢٣/٧.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤٤٣):ص٢٤٢٣/٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٨.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨/٣.
(١٣) تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤٤٣):ص٢٤٢٣/٧.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨/٣.
(١٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٠/١.
(١٦) انظر: النكت والعيوون:٤٠٥/٣.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٤٥):ص٢٤٢٤/٧.
(١٨) في المطبوع«إلا إله إلا الله»!
(١٩) اخرجه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٠٨/٣.
(٢٠) النكت والعيون:٤٠٥/٣.

قال الماوردي :"وقيل: إن فرعون كان يحسن لموسى حين رباه ، فأراد أن يجعل رفقه به مكافأة له حين عجز موسى عن مكافأته"[١].

قال سهل:" حكي عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنه قال: كان موسى عليه السلام إذا دخل على فرعون قال له: يا أبا مصعب قل لا إله إلا الله وإني رسول الله. قال سهل: إن الله تعالى ألبس موسى عليه السلام لبسة المتأوبين، ونفى عنه عجلة المتهجمين لما رآه من الفضل والتمكين، ولم يرد به إيمانا، إذ لو أراد لقال: لعله يؤمن، وإنما أراد الحق عز وجل بذلك ملاطفة موسى عليه السلام بأجمل الخطاب وألين الكلام، لأن ذلك محرك لقلوب الخلائق أجمعين، كما قال النبي ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»[٢]، ليقطع به حجته، ويرغب من علم الله هدايته من السحرة وغيرهم"[٣].

وفي معنى«لعل» في قوله تعالى:{لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه : ٤٤]، وجهان:

احدهما: أنها تفيد الاستفهام، والمعنى: فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه. وهذا قول ابن عباس[٤].

الثاني: انها في معنى«كي»، أي: فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى. حكاه الطبري[٥].

قال الطبري:" لكلا هذين القولين وجه حسن، ومذهب صحيح"[٦].

قال الزجاج:" «لعل» في اللغة: ترج وطمع، تقول: لعلي أصير إلى خير، فمعناه أرجو وأطمع أن أصير إلى خير، والله - عز وجل - خاطب العباد بما يعقلون، والمعنى عند سيبويه فيه: اذهبا على رجائكما وطمعكما. والعلم من الله عز وجل قد أتى من وراء ما يكون. وقد علم الله عز وجل أنه لا يتذكر ولا يخشى، إلا أن الحجة إنما تجب عليه بالإبانة، وإقامتها عليه، والبرهان"[٧].

القرآن

{قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥)} [طه : ٤٥]

التفسير:

قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة، أو أن يتمرد على الحق فلا يقبله.

قوله تعالى:{قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا} [طه : ٤٥]، أي:" قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة"[٨].

قال مقاتل:" يعني: أن يعجل علينا بالقتل "[٩].

قال الطبري:" قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه، أن يعجل علينا بالعقوبة، و«الإفراط:»: هو الإسراف والإشطاط والتعدّي، يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدّى، وأما «التفريط»: فإنه التواني، يقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات: إذا توانى فيه"[١٠].

قال الفراء:" {يفرط}، يريد في العجلة إلى عقوبتنا. والعرب تقول: فرط منه أمر. وأفرط: أسرف، وفرط: توانى ونسي"[١١].

---

(١) النكت والعيون:٣/٤٠٥.
(٢)نوادر الأصول ١/ ١٤٩ وكشف الخفاء ١/ ٣٩٥ ومسند الشهاب ١/ ٣٥٠.
(٣) تفسير التستري:١٠٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣١٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣١٣-٣١٤.
(٦) تفسير الطبري:١٨/٣١٤.
(٧) معاني القرآن:٣/٣٥٧.
(٨) التفسير الميسر:٣١٤.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٨.
(١٠) تفسير الطبري:١٨/٣١٤.
(١١) معاني القرآن:٢/١٨٠.

قال ابو عبيدة: معناه:" أن يقدم علينا ببسط وعقوبة ويعجل علينا، وكل متقدّم أو متعجّل فارط، قال[١]:
قَدْ فَرَط العِلْجُ عَلَيْنَا وَعَجِلْ"[٢].
قال الزجاج:" معنى :{يفرط علينا}: يبادر بعقوبتنا، يقال: قد فرط منه أمر أي قد بدر منه أمر، وقد أفرط في الشيء إذا سقط فيه، وقد فرط في الشيء أي: قصر، ومعناه كله: التقدم في الشيء، لأن «الفرط» في اللغة: المتقدم. ومنه قوله - ﷺ - «أنا فرطكم على الحوض»[٣]"[٤].
عن مجاهد :"{أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا}، قال: عقوبة منه"[٥].
قال ابن زيد:" نخاف أن يعجل علينا إذ نبلغه كلامك أو أمرك، يفرط ويعجل. وقرأ :{لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}"[٦].
قوله تعالى:{أَوْ أَنْ يَطْغَى} [طه : ٤٥]، أي:" أو أن يتمرد على الحق فلا يقبله"[٧].
قال مقاتل:" يعني: يستعصي"[٨].
قال يحيى:" يطغى فيقتلنا"[٩].
عن ابن عباس: قوله: "{أَوْ أَنْ يَطْغَى}، قال: يعتدي"[١٠].

القرآن

{قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨)} [طه : ٤٦ - ٤٨]

التفسير:
قال الله لموسى وهارون: لا تخافا من فرعون؛ فإنني معكما أسمع كلامكما وأرى أفعالكما، فاذهبا إليه وقولا له: إننا رسولان إليك من ربك أن أطلق بني إسرائيل، ولا تكلِّفهم ما لا يطيقون من الأعمال، قد أتيناك بدلالة معجزة من ربك تدل على صدقنا في دعوتنا، والسلامة من عذاب الله تعالى لمن اتبع هداه. إن ربك قد أوحى إلينا أن عذابه على مَن كذَّب وأعرض عن دعوته وشريعته.
قوله تعالى:{قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه : ٤٦]، أي:" قال الله لموسى وهارون: لا تخافا من فرعون؛ فإنني معكما أسمع كلامكما وأرى أفعالكما"[١١].
قال الطبري:" يقول الله تعالى ذكره: قال الله لموسى وهارون {لا تخافا} فرعون {إِنَّنِي مَعَكُمَا} أعينكما عليه، وأبصركما {أَسمَعُ} ما يجري بينكما وبينه، فأفهمكما ما تحاورانه به {وأرَى} ما تفعلان ويفعل، لا يخفى عليّ من ذلك شيء"[١٢].
قال يحيى:" فإنه ليس بالذي يصل إلى قتلكما حتى تبلغا الرسالة"[١٣].

---

(١) مجاز القرآن:٢٠/٢، وتفسير الطبري:٣١٤/١٨.
(٢) مجاز القرآن:١٩/٢-٢٠.
(٣)رواه البخاري في الرقاق باب في الحوض رقم ٦٥٧٥، ٦٥٧٦، ٧٠٤٩. ومسلم في الطهارة رقم (٢٤٩) وابن ماجة في الفتن رقم ٣٩٤٤ وأحمد ١/ ٢٥٧ و ٢/ ٤٠٨ و ٣/ ١٨.
(٤) معاني القرآن:٣٥٨/٣.
(٥) أخرجه الطبري:٣١٤/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٣١٤/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣١٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨/٣.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٣٦١/١.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٤٧):ص٢٤٢٤/٧.
(١١) التفسير الميسر:٣١٤.
(١٢) تفسير الطبري:٣١٥/١٨.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٦١/١.

قال الماتريدي:" أي: اسمع قوله وجوابه إياكما، وأرى ما يفعل، أي: أنصركما فلا تخافا"[١].

قال ابن كثير:" أي : لا تخافا منه ، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه ، وأرى مكانكما ومكانه ، لا يخفى عليّ من أمركم شيء ، واعلما أن ناصيته بيدي ، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري ، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي"[٢].

عن عبد الله قال : "لما بعث اللهُ عزّ وجل موسى إلى فرعون قال : رب ، أيّ شيء أقول ؟ قال قل : هيا شراهيا. قال الأعمش : فَسَّرَ ذلك : الحي قبل كل شيء ، والحي بعد كل شيء"[٣].

قال ابن كثير:" إسناد جيد ، وشيء غريب"[٤].

عن حجاج :"{قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}، ما يحاوركما، فأوحي إليكما فتجاوبانه"[٥].

قال سهل:" أخبر الله أنه معهما بالنظر، مشاهد لكل حال هما عليه بالقوة والمعونة والتأييد، لا تخافا إبلاغ الرسالة بحال"[٦].

قوله تعالى:{فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ} [طه : ٤٧]، أي:" فاذهبا إليه وقولا له: إننا رسولان إليك من ربك أن أطلق بني إسرائيل، ولا تكلِّفهم ما لا يطيقون من الأعمال"[٧].

قال الطبري: يقول:" أرسلنا إليك يأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل، فأرسلهم معنا ولا تعذّبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة"[٨].

قال يحيى:" كان بنو إسرائيل عند القبط بمنزلة أهل الجزية فينا"[٩].

عن ابن عباس:" مكثا على بابه حينًا لا يؤذن لهما ، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد"[١٠].

عن أن موسى وأخاه هارون خرجا ، فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان : إنا رسل رب العالمين ، فآذنوا بنا هذا الرجل ، فمكثا فيما بلغني سنتين يَغْدوان ويروحان ، لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بَطَّال له يلاعبه ويُضْحكه ، فقال له : أيها الملك ، إن على بابك رجلا يقول قولا عجيبًا ، يزعم أن له إلهًا غيرك أرسله إليك. قال : ببابي ؟ قال : نعم. قال : أدخلوه ، فدخل ومعه أخوه هارون وفي يده عصاه ، فلما وقف على فرعون قال : إني رسول رب العالمين. فعرفه فرعون. وذكر السّدّي أنه لما قدم بلاد مصر ، ضاف أمّه وأخاه وهما لا يعرفانه ، وكان طعامهما ليلتئذ الطعثل وهو اللفت ، ثم عرفاه وسلما عليه ، فقال له موسى : يا هارون ، إن ربي قد أمرني أن آتي هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى الله ، وأمر أن تعاونني. قال : افعل ما أمرك ربك. فذهبا ، وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه ، فسمع فرعون فغضب وقال: من يجترئ على هذا الصنيع ؟ فأخبره السدنة والبوابون بأن هاهنا رجلا مجنونًا يقول : إنه رسول الله. فقال : عليّ به. فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله في كتابه"[١١].

---

(١) تأويلات أهل السنة:٢٠٣/٦.
(٢) تفسير ابن كثير:٢٩٦/٥.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٢٩٦/٥.
(٤) تفسير ابن كثير:٢٩٦/٥.
(٥) أخرجه الطبري:٣١٥/١٨.
(٦) تفسير التستري:١٠٣.
(٧) التفسير الميسر:٣١٤.
(٨) تفسير الطبري:٣١٥/١٨.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٣٦١/١.
(١٠) تفسير ابن كثير:٢٩٦/٥.
(١١) حكاه ابن كثير في التفسير: ٢٩٦/٥-٢٩٧.

قوله تعالى:{قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ} [طه : ٤٧]، أي:" قد أتيناك بدلالة معجزة من ربك تدل على صدقنا في دعوتنا"(١).

قال السمعاني:أي:" بدلالة من ربك"(٢).

قال ابن كثير:" أي : بدلالة ومعجزة من ربك"(٣).

قال الطبري:أي: معجزة {مِنْ رَبِّكَ} على أنه أرسلنا إليك بذلك، إن أنت لم تصدّقنا فيما نقول لك أريناكها"(٤).

قال الحسن: "العصا واليد"(٥).

قال الواحدي:" يعني: اليد البيضاء والعصا"(٦).

قوله تعالى:{وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طه : ٤٧]، أي:" والسلامة من عذاب الله تعالى لمن اتبع هداه"(٧).

قال الطبري:" يقول: والسلامة لمن اتبع هدى الله، وهو بيانه"(٨).

قال ابن كثير:" أي : والسلام عليك إن اتبعت الهدى، ولهذا لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم كتابًا ، كان أوله : «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين»(٩).

وكذلك لما كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ كتابًا صُورَتُه : «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك. أما بعد ، فإني قد أشركت في الأمر مَعَكَ ، فلك المدر ولي الوبر ، ولكن قريش قوم يعتدون». فكتب إليه رسول الله ﷺ : «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»(١٠) "(١١).

قال الزجاج: قوله:" {والسلام على من اتبع الهدى}، ليس يعنى به التحية، وإنما معناه: أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله وسخطه، والدليل على أنه ليس بسلام: أنه ليس ابتداء لقاء وخطاب"(١٢).

عن مسلم بن أبي مريم :"أن رسول الله ﷺ كان إذا كتب إلى المشركين كتب: «السلام على من اتبع الهدى»(١٣).

قوله تعالى:{إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [طه : ٤٨]، أي:" إن ربك قد أوحى إلينا أن عذابه على مَن كذَّب وأعرض عن دعوته وشريعته"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر:٣١٤.
(٢) تفسير السمعاني:٣٣٣/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٩٧/٥.
(٤) تفسير الطبري:٣١٥/١٨.
(٥) حكاه عنه يحيى في التفسير:٣٦١/١.
(٦) الوجيز:٦٩٦.
(٧) التفسير الميسر:٣١٤.
(٨) تفسير الطبري:٣١٥/١٨.
(٩)رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب ١.
(١٠)السيرة النبوية لابن هشام (٦٠٠/٢)، ورواه أحمد "٣/ ٤٨٧ و٤٨٨" وأبو داود "٣/ ٨٣-٨٤/ ح٢٧٦١" في الجهاد، باب في الرسل مختصرا. والطبراني كاملا كما في المجمع "٥/ ٣١٨" وسنده صحيح من حديث نعيم بن مسعود رضي الله عنه.
(١١) تفسير ابن كثير:٢٩٧/٥.
(١٢) معاني القرآن:٣٥٨/٣.
(١٣) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦١/١.
(١٤) التفسير الميسر:٣١٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون: قولا لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لا نفاد له، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من توحيد الله وطاعته، وإجابة رسله وأدبر مُعرضا عما جئناه به من الحق"[1].

عن قتادة، قوله :"{أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}، كذب بكتاب الله، وتولى عن طاعة الله"[2].

فوائد الآيات:[٤٢-٤٨]:

١- عظم شأن الذكر بالقلب واللسان والجوارح أي بالطاعة فعلاً وتركاً.
٢- وجوب مراعاة الحكمة في دعوة الناس إلى ربهم.
٣- تقرير معية الله تعالى مع أوليائه وصالح عباده بنصرهم وتأييدهم.
٤- تقرير أن السلامة من عذاب الدنيا والآخرة هي من نصيب متبعي الهدى.
٥- شرعية إتيان الظالم وأمره ونهيه والصبر على أذاه.
٦- عدم المؤاخذة على الخوف حيث وجدت أسبابه.

القرآن

{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى (٤٩)} [طه: ٤٩]

التفسير:

قال فرعون لهما -على وجه الإنكار-: فمَن ربكما يا موسى؟

قال الطبري:في الكلام محذوف، تقديره:"فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته، فقال فرعون لهما: {فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى} فخاطب موسى وحده بقوله: يا موسى، وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه. وإنما فعل ذلك كذلك، لأن المجاوبة إنما تكون من الواحد"[3]. الواحد"[3].

قال الفراء:" يكلم الاثنين ثم يجعل الخطاب لواحد لأن لكلام إنما يكون من الواحد لا من الجميع"[4].

وقال الزمخشري:" خاطب الاثنين، ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى، لأنه الأصل في النبوة، وهرون وزيره وتابعه. ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته[5] على استدعاء كلام موسى موسى دون كلام أخيه، لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى. ويدل عليه قوله: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِين}"[6].

القرآن

{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)} [طه: ٥٠]

التفسير:

قال له موسى: ربنا الذي أعطى كل شيء خَلْقَه اللائق به على حسن صنعه، ثم هدى كل مخلوق الهداية الكاملة إلى الانتفاع بما خلقه الله له.

وفي قوله تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: ٥٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أعطى كل شيء زوجه من جنسه، ثم هداه لنكاحه ، قاله ابن عباس[7]، والسدي[1].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٣١٥-٣١٦.
(٢) أخرجه الطبري:١٨/٣١٦.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٣١٦.
(٤) معاني القرآن:٢/١٨٠.
(٥)أي: فساده وفسقه.
(٦) الكشاف:٣/٦٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣١٦.

قال ابن عباس:" خلق لكل شيء زوجة، ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده"[٢].

وقال ابن عباس:" {ثُمَّ هَدَى}، يعني: هدى بعضهم إلى بعض، ألف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوّج بعضهم بعضا"[٣].

قال السدي:" يقول: أعطى كلّ دابة خلقها زوجا، ثم هدى للنكاح"[٤].

قال الكلبي:" أعطى الرجل المرأة ، والجمل الناقة ، والذكر أعطاه الأنثى، ثم هداه لذلك"[٥].

قال ابن قتيبة: "أي: أعطى كل ذكر خلقا مثله من الإناث، [ثم] هدى الذكر لإتيان الأنثى"[٦].

قال الطبري:"{ أعطى كل شيء خلقه} "يعني: نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم. أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجا، وكالذكور من البهائم، أعطاها نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الإنس، ثم هداهم للمأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب، وغير ذلك"[٧].

عن عكرمة قوله: "{أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}، قال: ألم تر إلى البعير كيف يقوم لصاحبه ينتظره حتي يحيي هذا منه"[٨].

قال سعيد بن جبير:" أعطي كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل الإنسان في خلق الدابة ولا الدابة في خلق الكلب ولا الكلب في خلق الشاة، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح وهيأ كل شيء على ذلك، ليس منها شيء يملك شيئا في فعاله في الخلق والرزق والنكاح ثم هدى قال: هدى كل شيء إلى رزقه وإلى زوجته"[٩].

الثاني : أعطى كل شيء صورته ، ثم هداه إلى معيشته ومطعمه ومشربه، قاله مجاهد[١٠]، قال الشاعر[١١]:

وَلَهُ فِيْ كُلِّ شَيْءٍ خِلْقَةٌ ... وَكَذَلِكَ اللهُ مَا شَاءَ فَعَلْ

يعني: بالـ«خلقة» الصورة[١٢].

قال يحيى:" قوله:{ ثُمَّ هدى}، يعني: ألهمه لمرعاه، فمنها ما يأكل النَّبْت، ومنها ما يأكل الحب، ومنها ما يأكل اللَّحم. وقوله: {خَلْقَهُ} يعني صورته التي تصلح له. قال: {ثُمَّ هدى} يعني ألهمه كيف يأتي معيشته ومرعاه، وذلك قوله في سَبِّح اسم ربِّك الأعلى {والذي قَدَّرَ فهدى} يعني قدَّر الخلق، الذَّكر والأُنثى، {فهدى}، يعني: أَلهَم كيف يأتيها وتأتيه"[١٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣١٦-٣١٧.

(٢) أخرجه الطبري:١٨/٣١٦.

(٣) أخرجه الطبر]:١٨/٣١٧.

(٤) أخرجه الطبري:١٨/٣١٦-٣١٧.

(٥) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٨١٦):ص٢/٣٧٢.

(٦) غريب القرآن:٢٧٩. وقال في تأويل مشكل القرآن:١/٢٤٨:" {أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه}" أي: صورته من الإناث، {ثُمَّ هَدى}، أي: ألهمه إتيان الأنثى".

(٧) تفسير الطبري:١٨/٣١٦.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٥):ص٧/٢٤٢٥.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٣):ص٧/٢٤٢٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣١٧.

(١١) انظر: النكت والعيون:٣/٤٠٦، والبحر المحيط:٧/٣٤٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون:٣/٤٠٦.

(١٣)**التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:١٠٣.**

الثالث : أعطى كلاً ما يصلحه ، ثم هداه له، قاله الحسن[١]، وقتادة[٢].
الرابع : أعطى كل شيءٍ ما ألهمه من علم أو صناعة وهداه إلى معرفته. أفاده الماوردي[٣].

قال الطبري:" الأصوب من معانيه أن يكون موجها إلى أن كلّ شيء أعطاه ربه مثل خلقه، فزوجه به، ثم هداه"[٤].

قال ابن سابط: "ما أبهمت عليه البهائم فلم تبهم، عن أربع تعلم إن الله ربها، ويأتي الذكر الأنثى، وتهتدي لمعايشها وتخاف الموت"[٥].

القرآن

{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١)} [طه: ٥١]

التفسير:

قال فرعون لموسى -على وجه المغالطة والمشاغبة-: فما شأن الأمم السابقة؟ وما خبر القرون الماضية، فقد سبقونا إلى الإنكار والكفر؟

قال قتادة:" فما حال القرون"[٦]. وفي رواية:"أين أعمال القرون الأولى"[٧].

قال أبو عبيدة:" أي: ما خبر الأمم الأولى وما حديثهم"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: فما حالها؟ يقال: أصلح الله بالك؛ أي حالك"[٩].

قال البغوي:" معنى «البال»: الحال، أي: ما حال القرون الماضية والأمم الخالية، مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني إليه فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث؟"[١٠].

قال الطبري:" قال فرعون لموسى، إذ وصف موسى ربه جلّ جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان، وكثرة الإنعام على خلقه والأفضال: فما شأن الأمم الخالية من قبلنا لم تقرّ بما تقول، ولم تصدّق بما تدعو إليه، ولم تخلص له العبادة، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه، إن كان الأمر على ما تصف من أن الأشياء كلها خلقه، وأنها في نِعمه تتقلَّب، وفي مِنَنه تتصرف"[١١].

قال الماوردي:"«القرون»: جمع قرن، و«القرن»: أهل كل عصر مأخوذ من قرانهم فيه"[١٢].

قال الثعلبي:" القرن: أهل كل عصر سموا بذلك لاقترابهم في الوجود أنهم إليهم لا يرجعون"[١٣].

وقال الزجاج : قيل القرن ثمانون سنة وقيل سبعون، والذي يقع عندي - والله أعلم - أن القرن أهل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من أهل العلم. قلّت السنون أو كثرت، والدليل على هذا قول النبي - ﷺ - :«خيركم قرني»، أي: أصحابي-رحمة الله عليهم- «ثم الذين يلونهم»، يعني: التابعين، «ثم الذين يلونهم»[١]، يعني: الذين أخذوا عن التابعين"[٢].

---

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٨١٥):ص٣٧٢/٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٣١٧/١٨-٣١٨.
(٣) انظر: النكت والعيون:٤٠٦/٣.
(٤) تفسير الطبري:٣١٨/١٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٧):ص٢٤٢٥/٧.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٨):ص٢٤٢٥/٧.
(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٢/١، وأخرجه الطبري:٣١٩/١٨. وفيه" فما أعمى" مكان "أين أعمال". فأثبت ما حكاه يحيى بن سلام لوضوح المعنى.
(٨) مجاز القرآن:٢٠/٢.
(٩) غريب القرآن:٢٧٩.
(١٠) تفسير البغوي:٢٧٧/٥.
(١١) تفسير الطبري:٣١٨/١٨.
(١٢) النكت وتالعيون:٤٠٦/٣.
(١٣) الكشف والبيان:١٢٧/٨.

والجمهور على أن القرن مائة سنة، وأكثر المحققين على أنه غير مقدر بزمن معين لا يقع فيه زيادة ولا نقصان، بل المراد أهل كل عصر، فإذا انقضى أكثرهم قيل: قد انقضى القرن[٣].

واختلف في سؤال فرعون عن «القرون» على خمسة وجوه[٤]:
أحدها : أنه سأله عنها فيما دعاه إليه من الإيمان، هل كانوا على مثل ما يدعو إليه أو بخلافه.
الثاني : أنه قال ذلك له قطعاً للاستدعاء ودفعاً عن الجواب .
الثالث : أنه سأله عن ذنبهم ومجازاتهم .
الرابع : أنه لما دعاه إلى الإقرار بالبعث قال : ما بال القرون الأولى لم تبعث.
الخامس: أنه لما سمع فرعون قول مؤمن آل فرعون: {يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ(٣١) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ} [غافر : ٣٠-٣١]، في الهلاك، فقال فرعون لموسى-عليه السلام-:{فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى} [طه : ٥١]، فلم يعلم موسى ما أمرهم؟ لأن التوراة إنما أنزلت على موسى- عليه السلام- بعد هلاك فرعون وقومه، فمن ثم رد عليه موسى فـ {قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ} [طه : ٥٢]، يعنى: اللوح المحفوظ. وهذا قول مقاتل[٥].

القرآن

{قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)} [طه: ٥٢]

التفسير:

قال موسى لفرعون: ما سألت عنه مما نحن بصدده، بل عِلْمُ تلك القرون فيما فَعَلَت من ذلك عند ربي في اللوح المحفوظ، ولا عِلْمَ لي به، لا يضل ربي في أفعاله وأحكامه، ولا ينسى شيئًا ممَّا علمه منها.

قوله تعالى:{قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ} [طه: ٥٢]، أي:" قال موسى لفرعون: ما سألت عنه مما نحن بصدده، بل عِلْمُ تلك القرون فيما فَعَلَت من ذلك عند ربي في اللوح المحفوظ، ولا عِلْمَ لي به"[٦].

قال السمعاني:" أي: علم القرون الأولى عند ربي {في كتاب}"[٧].

قال البغوي:" أي: أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها"[٨].

قال الطبري:" فأجابه موسى فقال: علم هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك، عند ربي في كتاب: يعني في أمّ الكتاب، لا علم لي بأمرها وما كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله"[٩].

قال الزجاج:" معناه: لا يضلها ولا ينساها، ولا يضله ربي ولا ينساه، يعنى به: الكتاب"[١].

---

(١)أخرجه أحمد (٤٢٧/٤، رقم ١٩٨٤٨) ، والبخارى (٩٣٨/٢، رقم ٢٥٠٨) ومسلم (١٩٦٤/٤، رقم ٢٥٣٥) ، وأبو داود (٢١٤/٤ رقم ٤٦٥٧) ، والترمذى (٥٠٠/٤ رقم ٢٢٢٢) وقال: حسن صحيح. والنسائى (١٧/٧، رقم ٣٨٠٩).

(٢)معاني القرآن:٢٢٩/٢ .

(٣) وهذا اختيار الزجاج في "معانيه" ٢/ ٢٢٩، والنحاس ٢/ ٤٠٠، والرازي في "تفسيره" ١٢/ ١٣١، والقرطبي في "تفسيره" ٦/ ٣٩١، وانظر: "معاني الفراء" ١/ ٣٢٨، و"مجاز القرآن" ١/ ١٨٥، و"تفسير غريب القرآن" ص ١٥١، و"تفسير البغوي" ٣/ ١٢٨، وابن عطية ٥/ ١٢٩، وابن الجوزي في "تفسيره" ٣/ ٥، و"البحر" ٤/ ٦٥، و "الدر المصون" ٤/ ٥٣٩.

(٤) انظر: النكت والعيون:٤٠٦/٣-٤٠٧.

(٥) انظرك تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩/٣.

(٦) التفسير الميسر:٣١٥.

(٧) تفسير السمعاني:٣٣٤/٣.

(٨) تفسير البغوي:٢٧٧/٥.

(٩) تفسير الطبري:٣١٨/١٨.

قال مقاتل:" فلم يعلم موسى ما أمرهم؟ لأن التوراة إنما أنزلت على موسى- عليه السلام- بعد هلاك فرعون وقومه، فمن ثم رد عليه موسى فـ {قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ}، يعنى: اللوح المحفوظ"(٢).

قال قتادة:" فوكلها نبي الله موكلا فقال :{عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي} .... الآية، يقول: أي: أعمارها وآجالها"(٣).

قال أبو المليح : "الناس يعيبون علينا الكتاب، وقال الله تعالى: {علمها عند ربي في كتاب}"(٤).

قال أبو هلال:" كنا عند قتادة، فذكروا الكتاب وسألوه عن ذلك، فقال: وما بأس بذلك أليس الله الخبير يخبر قال: {فما بال القرون الأولى} {قال علمها عند ربي في كتاب}"(٥).

قوله تعالى:{لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} [طه: ٥٢]، أي:" لا يضل ربي في أفعاله وأحكامه، ولا ينسى شيئًا ممَّا علمه منها "(٦).

قال ابن عباس:" يقول: لا يخطئ ربي ولا ينسى"(٧).

قال الحسن:" لا يضله فيذهب ولا ينسى ما فيه"(٨).

قال قتادة:" لا يضل ربي الكتاب ولا ينسى ما فيه"(٩).

وقال مجاهد:" {لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}: هما شيء واحد"(١٠).

قال مقاتل:" يعني: لا يخطئ ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه، فلما أنزل الله- عز وجل- عليه التوراة أعلمه وبين له فيها القرون الأولى"(١١).

قال الطبري:" يقول: لا يخطئ ربي في تدبيره وأفعاله، فإن كان عذّب تلك القرون في عاجل، وعجل هلاكها، فالصواب ما فعل، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة، فالحقّ ما فعل، هو أعلم بما يفعل، لا يخطئ ربي {ولا يَنْسَى} فيترك فعل ما فعْله حكمة وصواب"(١٢).

وقرأ الحسن: «لا يضل ربي»، برفع الياء، من :«الإضلال»(١٣).

القرآن

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) } [طه: ٥٣]

التفسير:

هو الذي جعل لكم الأرض ميسَّرة للانتفاع بها، وجعل لكم فيها طرقًا كثيرة، وأنزل من السماء مطرًا، فأخرج به أنواعًا مختلفة من النبات.

قوله تعالى:{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا} [طه: ٥٣]، أي:" هو الذي جعل لكم الأرض ميسَّرة للانتفاع بها"(١).

---

(١) معاني القرآن:٣/٣٥٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٩.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٣١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٦٢):ص٧/٢٤٢٦.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٦٣):ص٧/٢٤٢٦.
(٦) التفسير الميسر:٣١٥.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٣١٩.
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٢٦٢.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٦١):ص٧/٢٤٢٦.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٣١٩.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٩.
(١٢) تفسير الطبري:١٨/٣١٨-٣١٩.
(١٣) انظر تفسير السمعاني:٣/٣٣٤.

قال مقاتل:" يعني: فراشا"[٢].
قوله تعالى:{وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا } [طه: ٥٣]، أي:" وجعل لكم فيها طرقًا كثيرة"[٣].
قال مقاتل:" يعني: طرقا في الأرض"[٤].
قال يحيى:" أي: وجعل لكم فيها طرقا"[٥].
قال الطبري:" يقول: وأنهج لكم في الأرض طرقا"[٦].
عن قتادة :"{وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا}، أي: طرقا"[٧].
قوله تعالى:{وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} [طه: ٥٣]، أي:" وأنزل من السماء مطرًا"[٨].
قال مقاتل:" يعني: بالمطر"[٩].
قوله تعالى:{فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى} [طه: ٥٣]، أي:" فأخرج به أنواعًا مختلفة من النبات"[١٠].
قال مقاتل:" يعني: مختلفا من كل لون من النبات منها للدواب ومنها للناس"[١١].
قال يحيى:" مختلف في لونه وطعمه، وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه «زوج»، قال: فالذي ينبت هذه الأزواج الشتى قادر على أن يبعثكم بعد الموت"[١٢].
قال الأخفش:" يريد: أزواجا شتى من نبات، أو يكون النبات هو شتى. كل ذلك مستقيم"[١٣].
قال الطبري:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله، يقول جلّ ثناؤه: فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا، يعني ألوانا {من نبات شتى}، يعني مختلفة الطعوم، والأراييح والمنظر"[١٤].
عن ابن عباس، قوله :"{مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى}، يقول: مختلف"[١٥].

القرآن
{كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (٥٤)} [طه: ٥٤]
التفسير:
كلوا - أيها الناس - من طيبات ما أنبتنا لكم، وارعوا حيواناتكم وبهائمكم. إن في كل ما ذُكر لَعلامات على قدرة الله، ودعوة لوحدانيته وإفراده بالعبادة، لذوي العقول السليمة.
قوله تعالى:{كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ} [طه: ٥٤]، أي:" كلوا - أيها الناس - من طيبات ما أنبتنا لكم، وارعوا حيواناتكم وبهائمكم"[١٦].

---

(١) التفسير الميسر:٣١٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩/٣.
(٣) التفسير الميسر:٣١٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩/٣.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٣/١.
(٦) تفسير الطبري:٣٢٠/١٨.
(٧) أخرجه الطبر]:٣٢٠/١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣١٥.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩/٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣١٥.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩/٣.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٣/١.
(١٣) معاني القرىن:٤٤٣/٢.
(١٤) تفسير الطبري:٣٢٠/١٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٣٢٠/١٨.
(١٦) التفسير الميسر:٣١٥.

قال يحيى: أي: "من ذلك النبات"(١).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذي أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه، وما هو من أقواتكم وغذائكم، وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم "(٢).
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه: ٥٤]، أي:" إن في كل ما ذُكر لَعلامات على قدرة الله، ودعوة لوحدانيته وإفراده بالعبادة، لذوي العقول السليمة"(٣).
قال ابن كثير:" أي : لدلالات وحججا وبراهين لذوي العقول السليمة المستقيمة ، على أنه لا إله إلا الله ، ولا رب سواه"(٤).
قال مقاتل:" يعني: لذوي العقول في توحيد الله- عز وجل-. هذا قول موسى- عليه السلام- لفرعون"(٥).
قال الفراء:" يقول: في اختلاف ألوانه وطعمه آيات لذوي العقول. وتقول للرجل. إنه لذو نهية إذا كان ذا عقل"(٦).
قال أبو عبيدة: معناه: "لذوى الحجى ،واحدتها: «نهية»، أي: أحلام وعقول، وانتهى إلى عقول أمرهم ورأيهم، ومجاز قولهم: لذى حجى، أي: لذى عقل ولبّ"(٧).
قال ابن قتيبة:" أي أولي العقول. والنهية: العقل. قال ذو الرمة(٨):
[لعرفانها والعهد ناء] وقد بدا ... لذي نهية إلا إلى أم سالم"(٩).
قال الطبري:" يقول: إن فيما وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم، وعظيم سلطانه لآيات: يعني لدلالات وعلامات تدلّ على وحدانية ربكم، وأن لا إله لكم غيره لأهل الحجى والعقول، و«النهى»: جمع نُهية، وخصّ تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولي النُّهَى، لأنهم أهل التفكُّر والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ"(١٠).
قال الزجاج:" يقال: فلان ذو نهية ومعناه ذو عقل ينتهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسن. وقال بعض أهل اللغة: ذو النهية الذي ينتهى إلى رأيه وعقله. وهذا حسن أيضا"(١١).
عن قتادة:{ لِأُولِي النُّهَى}، قال :"لأولي الورع"(١٢).
وقال ابن عباس: "لأولي التقى"(١٣).
وقال الحسن: "لأولي العقول"(١٤).

القرآن
{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)} [طه: ٥٥]
التفسير:

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٣/١.
(٢) تفسير الطبري:٣٢٠/١٨-٣٢١.
(٣) التفسير الميسر:٣١٥.
(٤) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٥.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠/٣.
(٦) معاني القرآن:١٨١/٢.
(٧) مجاز القرىن:٢٠/٢.
(٨)الزيادة من ديوانه ٦١٤ "أراد: أنه لا سبيل إلى أم سالم".
(٩) غريب القرآن:٢٧٩.
(١٠) تفسير الطبري:٣٢١/١٨.
(١١) معاني القرآن:٣٥٩/٣.
(١٢) حكأخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٦٥):ص٢٤٢٦/٧، وحكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٣/١. من طريق سعيد.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٦٤):ص٢٤٢٦/٧.
(١٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٣/١.

من الأرض خَلَقْناكم - أيها الناس -، وفيها نعيدكم بعد الموت، ومنها نخرجكم أحياء مرة أخرى للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ} [طه: ٥٥]، أي:" من الأرض خَلَقْناكم - أيها الناس -"(١).

قال الطبري:يقول: " من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساما ناطقة"(٢).

قال يحيى:" يعني: من الأرض خلقناكم"(٣).

قال الزجاج:" يعنى به الأرض، لأن الله - عز وجل - خلق آدم من تراب"(٤).

قال الحسن: "يعني: خلق آدم"(٥).

قال ابن كثير:" أي : من الأرض مبدؤكم ، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض "(٦).

قوله تعالى:{وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ} [طه: ٥٥]، أي:" وفي الأرض نعيدكم بعد الموت"(٧).

قال الطبري:" وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم، فنصيركم ترابا، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشرا سويا"(٨).

قال ابن كثير:" أي : وإليها تصيرون إذا متم وبليتم"(٩).

قوله تعالى:{وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه: ٥٥]، أي:" ومن الأرض نخرجكم أحياء مرة أخرى للحساب والجزاء"(١٠).

قال الطبري:" يقول: ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء، فننشئكم منها، كما أنشأناكم أول مرة"(١١).

عن ابن زيد :"{تَارَةً أُخْرَى}، قال: مرّة أخرى الخلق الآخر"(١٢).

قال الزجاج: كأنه قال - والله أعلم -: ومنها نخلقكم تارة أخرى، لأن إخراجهم وهم تراب بمنزلة خلق آدم من تراب"(١٣).

قال ابن كثير:" وهذه الآية كقوله تعالى:{ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ } [الأعراف : ٢٥]. وفي الحديث الذي في السنن أن رسول الله ﷺ حضر جنازة ، فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر ثم قال: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ } ثم أخذ أخرى وقال:{وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ }. ثم أخذ أخرى، وقال : {وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}"(١٤).

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده: أن عليا غسل النبى - ﷺ - والعباس يصب الماء وأسامة وشقران يحفظان الباب فلما فرغوا قال العباس محزنة على رسول الله - ﷺ - لا أدفن رسول الله - ﷺ - فى التراب ولكن أعد له صندوقا وأجعله فى بيتى فإذا كربنى أمر نظرت إليه فقال على للعباس يا عم ما رأيت رسول الله - ﷺ - يدفن أولاده ثم تلا هذه الآية {منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى} [طه: ٥٥] ثم تلا {ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا} [المرسلات: ٢٥-٢٦]، فبينما هم كذلك إذ هتف بهم هاتف من ناحية البيت فقال: السلام

---

(١) التفسير الميسر:٣١٥.
(٢) تفسير الطبري:٣٢١/١٨.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٣/١.
(٤) معاني القرآن:٣٥٩/٣.
(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٣/١.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣١٥.
(٨) تفسير الطبري:٣٢١/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٥.
(١٠) التفسير الميسر:٣١٥.
(١١) تفسير الطبري:٣٢١/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٢١/١٨.
(١٣) معاني القرآن:٣٦٠/٣.
(١٤) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٥.

عليكم أهل البيت كل نفس ذائقة الموت وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، فقال على للعباس اصبر يا عم رسول الله فقد ترى ما وعد الله على لسان نبيه فقال العباس يا على إنى سمعت رسول الله - ﷺ – يقول: «تكون قبور الأنبياء فى موضع فرشهم»، قال: فكفنوه فى قميصين، أحدهما أرق من الآخر، وصلى عليه العباس وعلى صفا واحدا وكبر عليه العباس خمسا ودفنوه"(١).

فوائد الآيات:[٤٩-٥٥]:

١- تعين إجابة السائل ولتكن بالعلم الصحيح النافع.

٢- تقرير مبدأ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

٣- تنزه الرب تعالى عن الخطأ والنسيان.

٤- الاستدلال بالآيات الكونية على الخالق عز وجل وقدرته وألوهيته.

٥- احترام العقول وتقديرها لأنها تعقل صاحبها دون الباطل والشر.

٦- تسمية العقل نهية لأنه ينهى صاحبه عن القبائح.

القرآن

{وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦)} [طه : ٥٦]

التفسير:

ولقد أرينا فرعون أدلتنا وحججنا جميعها، الدالة على ألوهيتنا وقدرتنا وصِدْقِ رسالة موسى فكذَّب بها، وامتنع عن قَبول الحق.

قال مقاتل:" يعني: فرعون، الآيات السبع: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والسنين، والعصا، واليد، «فكذب» بها، بأنها ليست من الله- عز وجل- وأبى أن يصدق بها وزعم أنها سحر"(٢).

قال الطبري:" ولقد أرينا فرعون آياتنا، يعني أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا، موسى وهارون إليه كلها {فَكَذَّبَ وَأَبَى} أن يقبل من موسى وهارون ما جاءا به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوّا"(٣).

قال مكي:" أي: أرينا فرعون أدلتنا وحججنا الي أعطينا موسى وهارون كلها عياناً فكذب بها وأبى أن يؤمن، استكباراً وعتوا"(٤).

قال السمعاني:" هي الآيات التسع التي أعطيها موسى عليه السلام، فكذب بالتوحيد، وأبى عن الإيمان"(٥).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى ، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانًا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال : هذا سحر"(٦).

وقال الماتريدي:" ولم يره جميع آياته، إنما أراه بعض آياته، لكن إن كان المراد منها الإعلام له، فقد أعلم الآيات كلها؛ لأنه إنما أراه آية واحدة أو بعض الآيات، فرؤية آية واحدة وبعضها يدل على إعلام غيرها من الآيات، فهو على الإعلام قد أعلمه كلها، وهو ما قال له موسى: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الإسراء : ١٠٢]، علم اللعين أنها الآيات وليست بسحر.

---

(١) جامع الأحاديث(٣٢٥٦٧):ص٢٩/٤٦٣-٤٦٤، كنز العمال (١٨٨١٣):ص٧/٢٥٩، "رواه ابن معروف وفيه عبد الصمد".

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٠.

(٣) تفسير الطبري:١٨/٣٢١-٣٢٢.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٧/٤٦٥٢.

(٥) تفسير السمعاني:٣/٣٣٥.

(٦) تفسير ابن كثير:٥/٢٩٩.

أو أن يكون يريد بالآيات كلها الآيات التي أرسلها إلى موسى، فقد أراه آياته كلها، فكذب بتلك الآيات وأبى أن يصدقها ويقبلها فيسلم"[١].

قال السعدي:" يخبر تعالى، أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع، جميع أنواعها العيانية، والأفقية والنفسية، فما استقام ولا ارعوى، وإنما كذب وتولى، كذب الخبر، وتولى عن الأمر والنهي، وجعل الحق باطلا والباطل حقا، وجادل بالباطل ليضل الناس"[٢].

القرآن

{قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧)} [طه : ٥٧]

التفسير:

قال فرعون: هل جئتنا - يا موسى - لتخرجنا من ديارنا بسحرك هذا؟

قال الطبري:" قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى: أجئتنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئتنا به"[٣].

قال السمعاني:" معناه: لتأخذ رمنا أرضنا؛ فيكون لك الملك والسلطان، وتخرج من تشاء، وتدخل من تشاء"[٤].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى ، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانًا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال : هذا سحر، جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس ، فيتبعونك وتكاثرنا بهم"[٥].

قال السعدي:" زعم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى، سحر وتمويه، المقصود منها إخراجهم من أرضهم، والاستيلاء عليها، ليكون كلامه مؤثرا في قلوب قومه، فإن الطباع تميل إلى أوطانها، ويصعب عليها الخروج منها ومفارقتها، فأخبرهم أن موسى هذا قصده، ليبغضوه، ويسعوا في محاربته"[٦].

قال مقاتل:{بِسِحْرِكَ}، يعني:" اليد والعصا"[٧].

القرآن

{فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨)} [طه : ٥٨]

التفسير:

فسوف نأتيك بسحر مثل سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعدًا محددًا، لا نخلفه نحن ولا تخلفه أنت، في مكان مستوٍ معتدل بيننا وبينك.

قوله تعالى:{فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ} [طه : ٥٨]، أي:" فسوف نأتيك بسحر مثل سحرك"[٨].

قال السمعاني:" يعني: مثل سحرك"[٩].

قال القرطبي:" أي: لنعارضنك بمثل ما جئت به ليتبين للناس أن ما أتيت به ليس من عند الله"[١٠].

---

(١) تأويلات أهل السنة:٢٨٧/٧-٢٨٨.
(٢) تفسير السعدي:٥٠٨.
(٣) تفسير الطبري:٣٢٢/١٨.
(٤) تفسير السمعاني:٣٣٥/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٥-٣٠٠
(٦) تفسير السعدي:٥٠٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣١٥.
(٩) تفسير السمعاني:٣٣٥/٣.
(١٠) تفسير القرطبي:٢١١/١١-٢١٢.

قال ابن كثير:أي:" فإن عندنا سحرًا مثل سحرك ، فلا يغرنك ما أنت فيه "[١].
قال السعدي:أي:" فلنأتينك بسحر مثل سحرك فأمهلنا"[٢].
قوله تعالى:{فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ} [طه : ٥٨]، أي:" فاجعل بيننا وبينك موعدًا محددًا، لا نخلفه نحن ولا تخلفه أنت"[٣].
قال البغوي:" أي: فاضرب بيننا أجلا وميقاتا"[٤].
قال ابن كثير:" أي : يومًا نجتمع نحن وأنت فيه ، فنعارض ما جئت به بما عندك من السحر في مكان معين ووقت معين"[٥].
قال القرطبي:" أي: وعدا. وقيل: الموعد اسم لمكان الوعد، كما قال تعالى:{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: ٤٣] فالموعد ها هنا مكان. وقيل: الموعد اسم لزمان الوعد، كقوله تعالى:{إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ}[هود: ٨١] فالمعنى: اجعل لنا يوما معلوما، أو مكانا معروفا، لا نخلف ذلك الوعد، و«الإخلاف»: أن يعد شيئا ولا ينجزه "[٦].
قوله تعالى:{مَكَانًا سُوًى} [طه : ٥٨]، أي:" في مكان مستوٍ معتدل بيننا وبينك"[٧].
قال الطبري:" يقول: بمكان عدل بيننا وبينك ونَصَف"[٨].
قال السعدي:" أي: مستو علمنا وعلمك به، أو مكانا مستويا معتدلا ليتمكن من رؤية ما فيه"[٩].
عن مجاهد: قوله: "{مَكَانًا سُوًى}، قال: منصفا بينهم"[١٠].
قال قتادة:" أي: عادلا بيننا وبينك"[١١].
وقال قتادة:" نصفا بيننا وبينك"[١٢].
قال السدي:" يقول: عدلا"[١٣].
وقال ابن زيد:" مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه، لا يكون صوب ولا شيء فيغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى"[١٤].
وقرئ:«مَكانا سِوًى»، بكسر السين[١٥].

القرآن
{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)} [طه : ٥٩]
التفسير:
قال موسى لفرعون: موعدكم للاجتماع يوم العيد، حين يتزيَّن الناس، ويجتمعون من كل فج وناحية وقت الضحى.

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٠٠/٥
(٢) تفسير السعدي:٥٠٨.
(٣) التفسير الميسر:٣١٥.
(٤) تفسير البغوي:٢٧٩/٥.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٠/٥
(٦) تفسير القرطبي:٢١٢/١١.
(٧) التفسير الميسر:٣١٥.
(٨) تفسير الطبري:٣٢٢/١٨.
(٩) تفسير السعدي:٥٠٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٣٢٢/١٨.

قوله تعالى:{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ} [طه : ٥٩]، أي:" قال موسى لفرعون: موعدكم للاجتماع يوم العيد"(١).

قال الطبري:" {يَوْمُ الزِّينَةِ}، يعني: يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه"(٢).

قال ابن كثير:" وهو يوم عيدهم ونَوروزُهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم ؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ، ومعجزات الأنبياء ، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية "(٣).

قال السعدي:" وهو عيدهم، الذي يتفرغون فيه ويقطعون شواغلهم"(٤).

قال ابن عباس:" فإنه يوم زينة يجتمع الناس إليه ويحشر الناس له"(٥).

عن سعيد بن جبير :"{يَوْمُ الزِّينَةِ}، قال: يوم السوق"(٦).

عن مجاهد :"{يَوْمُ الزِّينَةِ}، موعدهم"(٧).

قال السدي:" قال موسى :{مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}، وذلك يوم عيد لهم"(٨).

عن قتادة: "{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ}، يوم عيد كان لهم"(٩).

عن ابن زيد، قوله:" {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ}، قال: يوم العيد، يوم يتفرغ الناس من الأعمال، ويشهدون ويحضرون ويرون"(١٠).

قال ابن إسحاق:" يوم عيد كان فرعون يخرج له"(١١).

قال العز بن عبدالسلام:" {يَوْمُ الزِّينَةِ} عيد كان لهم، أو يوم السبت، أو عاشوراء، أو يوم سوق كانوا يتزينون فيه"(١٢).

قال الزمخشري:" وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رءوس الأشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق، ويكل حدّ المبطلين وأشياعهم، ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر"(١٣).

قوله تعالى:{وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى} [طه : ٥٩]، أي:" حين يتزيَّن الناس، ويجتمعون من كل فج وناحية وقت الضحى"(١٤).

قال الطبري:" يقول: وأن يُساق الناس من كلّ فجّ وناحية {ضُحًى}، فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع"(١٥).

قال ابن كثير:"{وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ}، أي : جميعهم {ضُحًى}، أي : ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح ، وهكذا شأن الأنبياء ، كل أمرهم واضح ، بيّن ، ليس فيه خفاء ولا ترويج ؛ ولهذا لم يقل "ليلا" ولكن نهارًا ضحى"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣١٥.
(٢)تفسير الطبري:٣٢٣/١٨ .
(٣) تفسير ابن كثير:٣٠٠/٥.
(٤) تفسير السعدي:٥٠٨.
(٥) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(١٢) تفسير العز بن عبدالسلام:٣٠٢/٢.
(١٣) تلكشاف:٧١/٣.
(١٤) التفسير الميسر:٣١٥.
(١٥)تفسير الطبري:٣٢٣/١٨ .

قال السعدي:" أي: يجمعون كلهم في وقت الضحى، وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى فيه يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره"[٢].

عن قتادة: "قوله: {وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}، يجتمعون لذلك الميعاد الذي وعدوه"[٣].

عن ابن إسحاق: "{وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}، حتى يحضروا أمري وأمرك"[٤].

وروي عن أبي نهيك، قوله: {وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}، قال: " يعني: فرعون يحشر قومه"[٥].

قال القشيري:" فكان فى ذلك اليوم افتضاحهم"[٦].

القرآن

{فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠)} [طه : ٦٠]

التفسير:

فأدبر فرعون معرضًا عما أتاه به موسى من الحق، فجمع سحرته، ثم جاء بعد ذلك لموعد الاجتماع.

قوله تعالى:{فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ} [طه : ٦٠]، أي:" فأدبر فرعون معرضًا عما أتاه به موسى من الحق، فجمع سحرته"[٧].

قال الطبري:" يقول: فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحقّ، فجمع مكره، وذلك جمعه سحرته بعد أخذه إياهم بتعلمه "[٨].

قال ابن عطية:" المعنى: فجمع السحرة ووعدهم وأمرهم بالإعداد لموسى، وروي أمرهم، فهذا هو كيده"[٩].

قال النسفي:أي:" أدبر عن موسى معرضا {فجمع} مكره وسحرته، وكانوا اثنين وسبعين او اربعمائة أو سبعين ألفا"[١٠].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن فرعون أنه لما تواعد هو بموسى عليه السلام ، إلى وقت ومكان معلومين، تولى، أي : شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته ، كل من ينسب إلى سحر في ذلك الزمان. وقد كان السحر فيهم كثيرًا نافقًا جدًا ، كما قال تعالى:{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ } [يونس : ٧٩]"[١١].

قال الشوكاني:" أي: انصرف من ذلك المقام ليهيئ ما يحتاج إليه مما تواعدا عليه، وقيل: معنى «تولى»: أعرض عن الحق، والأول أولى فجمع كيده أي: جمع ما يكيد به من سحره وحيلته، والمراد أنه جمع السحرة، قيل: كانوا اثنين وسبعين، وقيل أربعمائة، وقيل: اثنا عشر ألفا، وقيل: أربعة عشر ألفا، وقال ابن المنذر: كانوا ثمانين ألفا"[١٢].

قال الألوسي:{ فَجَمَعَ كَيْدَهُ}، "أي: ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جمع جنوده وجوز أن يراد جمع أهل مملكته فَنادى في المجمع نفسه أو بواسطة المنادي"[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٠٠/٥.
(٢) تفسير السعدي:٥٠٨.
(٣) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٣٢٥/١٨.
(٦) لطائف الإشارات:٤٦٤/٢.
(٧) التفسير الميسر:٣١٥.
(٨) تفسير الطبري:٣٢٥/١٨.
(٩) المحرر الوجيز:٤٩/٤.
(١٠) تفسير النسفي:٣٧٠/٢.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٠٠/٥.
(١٢) فتح القدير:٤٤٠/٣.
(١٣) روح المعاني:٢٣١/١٥.

قال السعدي:" أي: جميع ما يقدر عليه، مما يكيد به موسى، فأرسل في مدائنه من يحشر السحرة الماهرين في سحرهم، وكان السحر إذ ذاك، متوفرا، وعلمه علما مرغوبا فيه، فجمع خلقا كثيرا من السحرة، ثم أتى كل منهما للموعد، واجتمع الناس للموعد.

فكان الجمع حافلا حضره الرجال والنساء، والملأ والأشراف، والعوام، والصغار، والكبار، وحضوا الناس على الاجتماع، وقالوا للناس: {هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ(٣٩) {لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ} [الشعراء : ٣٩-٤٠]"[١].

قوله تعالى:{ثُمَّ أَتَى} [طه : ٦٠]، أي:" ثم جاء فرعون بعد ذلك لموعد الاجتماع"[٢].

قال النسفي:أي:"للموعد"[٣].

قال الشوكاني:" أي: أتى الموعد الذي تواعدا إليه مع جمعه الذي جمعه"[٤].

قال الطبري:" يقول: ثم جاء للموعد الذي وعده موسى، وجاء بسحرته"[٥].

قال ابن عطية: أي:" ثم أتى فرعون بجمعه وأهل دولته والسحرة معه، وكانت عصابة لم يخلق الله أسحر منها، وجاء أيضا موسى -عليه السلام- ببني إسرائيل معه"[٦].

قال ابن كثير:" أي : اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة ، وجلس فرعون على سرير مملكته، واصطف له أكابر دولته ، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسى ، عليه السلام ، يتوكأ على عصاه ، ومعه أخوه هارون ، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفًا ، وهو يحرضهم ويحثهم ، ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ، ويتمنون عليه ، وهو يعدهم ويمنيهم ، فيقولون : { أَئِنَّ لَنَا لأجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } [الشعراء : ٤١ ، ٤٢]"[٧].

فوائد الآيات:[٥٦-٦٠]:

١- بيان كبر فرعون وصلفه وطغيانه.

٢- للسحر آثار وله مدارس يتعلم فيها ورجال يحذقونه ويعلمونه.

٣- مشروعية المبارزة والمباراة لإظهار الحق وإبطال الباطل.

٤- مشروعية اختيار المكان والزمان اللائق للقتال والمباراة ونحوهما.

القرآن

{قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١)} [طه : ٦١]

التفسير:

قال موسى لسحرة فرعون يعظهم: احذروا، لا تختلقوا على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب مِن عنده ويُبيدكم، وقد خسر من اختلق على الله كذبًا.

قوله تعالى:{قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ} [طه : ٦١]، أي:" قال موسى لسحرة فرعون يعظهم: احذروا، لا تختلقوا على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب مِن عنده ويُبيدكم"[٨].

---

(١) تفسير السعدي:٥٠٨.
(٢) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣) تفسير النسفي:٣٧٠/٢.
(٤) فتح القدير:٤٤٠/٣.
(٥) تفسير الطبري:٣٢٥/١٨.
(٦) المحرر الوجيز:٤٩/٤.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٠١/٥.
(٨) التفسير الميسر:٣١٥.

قال مقاتل:" لقولهم: إن اليد والعصا ليستا من الله- عز وجل- وإنها سحر، {فَيُسْحِتَكُمْ}، فيهلككم جميعا بعذاب"[1].

قال الطبري:" يقول: لا تختلقوا على الله كذبا، ولا تتقوّلوه، فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم، يقال منه: سحت الدهر، وأسحت مال فلان: إذا أهلكه، من الإسحات قول الفرزدق[2]:

وَعَضُّ زَمان يا بنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ ... مِنَ المَالِ إلا مُسْحَتا أوْ مُجلَّف

ويُروى: إلا مسحت أو مجلف"[3].

عن ابن عباس، قوله :"{فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ}، يقول: فيهلككم"[4].

قال الحسن:" فيستأصلكم بعذاب"[5].

قال قتادة:" فيستأصلكم بعذاب فيهلككم"[6].

قال السدي:" يقول: يهلككم بعذاب"[7].

قال ابن زيد:" يهلككم هلاكا ليس فيه بقيَّة، قال: والذي يسحت ليس فيه بقية"[8].

وقرئ: «فَيَسْحَتَكُمْ»، بفتح الياء من: سحت يَسحت[9].

قوله تعالى:{وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى} [طه : ٦١]، أي:" وقد خسر من اختلق على الله كذبًا"[10].

قال مقاتل:" وقد خسر {من افترى}، وقال الكذب على الله- عز وجل-"[11].

قال الطبري:" يقول: لم يظفر من يخلق كذبا، ويقول بكذبه ذلك بحاجته التي طلبها به، ورجا إدراكها به"[12].

القرآن

{فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤)} [طه : ٦٢ - ٦٤]

التفسير:

فتجاذب السحرة أمرهم بينهم وتحادثوا سرًا، قالوا: إن موسى وهارون ساحران يريدان أن يخرجاكم من بلادكم بسحرهما، ويذهبا بطريقة السحر العظيمة التي أنتم عليها، فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه من غير اختلاف بينكم، ثم ائتوا صفًا واحدًا، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة؛ لتَبْهَروا الأبصار، وتغلبوا سحر موسى وأخيه، وقد ظفر بحاجته اليوم مَن علا على صاحبه، فغلبه وقهره.

---

[1] تفسير مقاتل بن سليمان:٣١/٣.

[2]هذا البيت للفرزدق من نقيضته التي مطلعه

* عزفت بأعشاش وما كدت تعزف *

وقبل بيت الشاهد قوله. (انظر ديوانه طبعة الصاوي ص ٥٦٥) :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا ... هموم المنى والوجل المتعسف

ورواية الشاهد عند الطبري موافقة لرواية (اللسان: جلف).

[3] تفسير الطبري:٣٢٥/١٨.

[4] اخرجه الطبري:٣٢٦/١٨.

[5] أخرجه يحى بن سلام في التفسير:٢٦٥/١.

[6] أخرجه الطبري:٣٢٦/١٩٨.

[7] أخرجه الطبري:٣٢٦/١٩٨.

[8] أخرجه الطبري:٣٢٦/١٩٨.

[9] انظر: تفسير الطبري:٣٢٦/١٨.

[10] التفسير الميسر:٣١٥.

[11] تفسير مقاتل بن سليمان:٣١/٣.

[12] تفسير الطبري:٣٢٦/١٨.

قوله تعالى: {فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} [طه : ٦٢]، أي:" فتجاذب السحرة أمرهم بينهم"[١].

قال ابن كثير:" قيل : معناه : أنهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول : ليس هذا بكلام ساحر ، إنما هذا كلام نبي. وقائل يقول : بل هو ساحر. وقيل غير ذلك ، والله أعلم"[٢].

قوله تعالى: {وَأَسَرُّوا النَّجْوَى} [طه : ٦٢]، أي:" وتحادثوا سرًا"[٣].

قال الطبري: يقول:" وأسرّوا السحرة المناجاة بينهم"[٤].

قال ابن كثير:" أي : تناجوا فيما بينهم"[٥].

وفي قوله تعالى: {وَأَسَرُّوا النَّجْوَى} [طه : ٦٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن النجوى التي أسروها أن قالوا : إن كان هذا سحراً فسنغلبه ، وإن كان السماء كما زعم فله أمره ، قاله قتادة[٦].

الثاني : أنه لما قال لهم {وَيْلَكُمْ} الآية . قالوا : ما هذا بقول ساحر ، قاله ابن منبه[٧].

قال وهب:" جمع كلّ ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى المجمع، وفرعون في مجلسه، معه أشراف أهل مملكته، قد استكف له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: {وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى}، فترادّ السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر"[٨].

الثالث : أنه أسروا النجوى دون موسى وهارون بقولهم :{إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ . . . }الآيات، قاله السدي[٩].

الرابع : أنهم أسرواْ النجوى . إن غَلَبَنَا موسى اتبعناه ، قاله ابن عباس[١٠]، والكلبي[١١].

قال الزمخشري:" الظاهر أنهم تشاوروا في السر وتجاذبوا أهداب القول، ثم قالوا: إن هذان لساحران. فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره، خوفا من غلبتهما. وتثبيطا للناس عن اتباعهما"[١٢].

قوله تعالى: {قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا} [طه : ٦٣]، أي:" قالوا: إن موسى وهارون ساحران يريدان أن يخرجاكم من بلادكم بسحرهما"[١٣].

قال ابن كثير:" السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يعنون : موسى وهارون - ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر ، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس ، وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده ، فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم"[١٤].

وقرئ: «إِنْ هَذَيِن لَسَاحِرَانِ»، وهذه اللغة المشهورة ، وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه[١٥].

---

[١] التفسير الميسر:٣١٥.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٠١/٥.
[٣] التفسير الميسر:٣١٥.
[٤] تفسير الطبري:٣٢٧/١٨.
[٥] تفسير ابن كثير:٣٠١/٥.
[٦] أخرجه يحى بن سلام في التفسير:٢٦٥/١.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٣٢٧/١٨.
[٨] أخرجه الطبري:٣٢٧/١٨.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٣٢٧/١٨.
[١٠] حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:٧٢/٣.
[١١] انظر: النكت والعيون:٣٣١/١٨.
[١٢] الكشاف:٧٢/٣.
[١٣] التفسير الميسر:٣١٥.
[١٤] تفسير ابن كثير:٣٠١/٥.
[١٥] انظر: تفسير الطبري:٣٠١/٥.

قوله تعالى:{وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى} [طه : ٦٣]، أي:" ويذهبا بطريقة السحر العظيمة التي أنتم عليها"[١].

قال الطبري:" يقول: ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم، يقال: هو طريقة قومه ونظورة قومه، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه، يقال ذلك للواحد والجمع، وربما جمعوا، فقالوا: هؤلاء طرائق قومهم، ومنه قول الله تبارك وتعالى: {كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا} وهؤلاء نظائر قومهم"[٢].

قال ابن كثير:" أي : ويستبدا بهذه الطريقة ، وهي السحر ، فإنهم كانوا معظَّمين بسببها ، لهم أموال وأرزاق عليها ، يقولون : إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض ، وتفردا بذلك ، وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم "[٣].

عن مجاهد قوله: {ويذهبا بطريقتكم المثلى}، قالوا: أولو العقل والشرف [والأنساب][٤]"[٥].

عن ابن عباس: قوله "{وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى}، يقول: أمثلكم وهم بنو إسرائيل"[٦].

عن أبي صالح:"{ويذهبا بطريقتكم المثلى}، قال: بأشرافكم"[٧].

قال ابن زيد:" يذهبا بالذي انتم عليه"[٨].

قال السدي:" يقول: يذهبا بأشراف قومكم"[٩].

قال قتادة:" وطريقتهم المُثلى يومئذ كانت بنو إسرائيل، وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا، قال عدوّ الله: إنما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما"[١٠].

وقال ابن زيد:" يذهبا بالذي أنتم عليه، يغير ما أنتم عليه، وقرأ :{ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأرْضِ الْفَسَادَ}، قال: هذا قوله: {وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى}، وقال: يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة، فإذا غيرت ذهبت هذه الطريقة"[١١].

وقال علي بن أبي طالب:" يصرفا وجوه الناس إليهما"[١٢].

وقال مقاتل:" يقول: يغلبانكم على الرجال والأمثال، جمع :أمثل، وهو الممتاز من الرجال، من أهل العقول والشرف، فيتبعون موسى وهارون ويتركون فرعون"[١٣].

قال الفراء:" الطريقة: الرجال الأشراف وقوله «المثلى» يريد: الأمثل، يذهبون بأشرافكم"[١٤].

قوله تعالى:{فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا} [طه : ٦٤]، أي:" فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه من غير اختلاف بينكم، ثم ائتوا صفًا واحدًا، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة؛ لتَبْهَروا الأبصار، وتغلبوا سحر موسى وأخيه"[١٥].

قال يحيى:" يعني: سحركم، يقوله بعضهم لبعض، [ثم] تعالوا جميعا"[١].

---

[١] التفسير الميسر:٣١٥.
[٢] تفسير الطبري:٣٣١/١٨.
[٣] تفسير ابن كثير:٣٠١/٥.
[٤] زيادة في الطبري:٣٣١/١٨.
[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٧٣):ص٢٤٢٧.
[٦] أخرجه الطبري:٣٣١/١٨.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٧٤):ص٢٤٢٧.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٧٥):ص٢٤٢٧.
[٩] أخرجه الطبري:٣٣٢/١٨.
[١٠] اخرجه الطبري:٣٣١/١٨-٣٣٢.
[١١] أخرجه الطبري:٣٣٢/١٨.
[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٧٦):ص٢٤٢٧.
[١٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٣١/٣.
[١٤] معاني القرآن:١٨٥/٢.
[١٥] التفسير الميسر:٣١٥.

قال الطبري: أي: "فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه، [ثم] حضروا وجيئوا صفوفا"[٢].
قال البغوي:" أي: اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له، ولا تختلفوا فيختل أمركم، {ثم ائتوا} جميعا"[٣].
قال الصابوني:أي:" أحْكموا أمركم وأعزموا عليه ولا تتنازعوا وارموا عن قوسٍ واحدة، ثم ائتوا إلى الميدان مصطفين ليكون أهيب في صدور الناظرين"[٤].
قال الزمخشري:" أى: أزمعوه واجعلوه مجمعا عليه، حتى لا تختلفوا ولا يخلف عنه واحد منكم، كالمسألة المجمع عليها. أمروا بأن يأتوا صفا لأنه أهيب في صدور الرائين. وروى أنهم كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا إقبالة واحدة. وعن أبى عبيدة أنه فسر «الصف» بالمصلى[٥]، لأن الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين. ووجه صحته أن يقع علما لمصلى بعينه، فأمروا بأن يأتوه. أو يراد. ائتوا مصلى من المصليات"[٦].
وقرئ:« فاجْمِعُوا كَيْدكُمْ» بوصل الألف[٧].
قوله تعالى:{وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى} [طه : ٦٤]، أي:" وقد ظفر بحاجته اليوم مَن علا على صاحبه، فغلبه وقهره"[٨].
قال الطبري:" يقول: قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره"[٩].
عن قتادة، قوله: "{وقد أفلح اليوم من استعلى}، قال: من غلب"[١٠].
قال وهب بن منبه:" جمع فرعون الناس لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال :{ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى}، أي: قد أفلح من أفلج اليوم على صاحبه"[١١].

القرآن
{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥)} [طه : ٦٥]
التفسير:
قال السحرة: يا موسى إما أن تلقي عصاك أولا وإما أن نبدأ نحن فنلقي ما معنا.
قال مقاتل:أي:"ما في أيدينا من الحبال والعصي"[١٢].
قال الطبري:أي:" اختر أن تلقي عصاك، أو نلقي نحن عصينا"[١٣].
قال أبو الليث:" يعني: إما أن تطرح عصاك على الأرض وإما أن نكون نحن الملقين قبل"[١٤].
قال السمعاني:" معناه: اختر، إما أن تلقي أنت أولا، أو نلقي نحن أولا"[١٥].
قال ابن كثير: "هذه مبارزة من السحرة لموسى ، عليه السلام"[١].

---
[١] تفسير يحيى بن سلام:٢٦٦/١.
[٢] تفسير الطبري:٣٣٣/١٨-٣٣٤. [بتصرف]
[٣] تفسير البغوي:٢٨٣/٥.
[٤] صفوة التفاسير:٢١٨/٢.
[٥] قال في المجاز:٢٣/٢: " أي صفوفا وله موضع آخر من قولهم: هل أتيت الصفّ اليوم يعنى المصلّى الذي يصلى فيه. قال أبو عبيدة قال أبو العرب الكليبى ما استطعت أن آتى الصف أمس يعنى المصلّى".
[٦] الكشاف:٧٢/٣-٧٣.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٣٣٣/١٨.
[٨] التفسير الميسر:٣١٥.
[٩] تفسير الطبري:٣٣٤/١٨.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٧٧):ص٢٤٢٧/٧.
[١١] أخرجه الطبري:٣٣٤/١٨.
[١٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤/٢.
[١٣] تفسير الطبري:٢٦/١٣.
[١٤] بحر العلوم:٥٣٩/١.
[١٥] تفسير السمعاني:٣٤٠/٣.

قال القشيري:" أظهروا من أنفسهم التجلد ظنا بأن النصرة لهم، وإخلادا إلى ما كان السحرة يسولون لهم، فخيروا موسى فى الابتداء بناء على ما توهموا من الإلقاء"[٢].
قال الزمخشري:" تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه، كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين، قبل أن يتخاوضوا في الجدال، والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع. وقولهم وإما أن نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر، أو تعريف الخبر وإقحام الفصل"[٣].
قال الزمخشري: "وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه، وتواضع له وخفض جناح، وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم، وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك، وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار إلقائهم أو لا، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب، حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر. ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم، فإذا فعلوا: أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه، وسلط المعجزة على السحر فمحقته، وكانت آية نيرة للناظرين، وعبرة بينة للمعتبرين"[٤].
قال وهب:" صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه"[٥].
قال ابن عباس:" اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على السحرة وفرعون هو يوم عاشورا، فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر، ونتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين يعني بذلك موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم استهزاء بهما، قالوا يا موسى لقدرتهم بسحرهم: إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين، قال ألقوا، ... فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة، فأوحى الله عز وجل إليه أن ألق العصا"[٦].

القرآن
{قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦)} [طه : ٦٦]
التفسير:
قال لهم موسى: بل ألقُوا أنتم ما معكم أولا، فألقَوا حبالهم وعصيَّهم، فتخيل موسى مِن قوة سحرهم أنها حيات تسعى.
قوله تعالى:{قَالَ بَلْ أَلْقُوا} [طه : ٦٦]، أي:" قال لهم موسى: بل ألقُوا أنتم ما معكم أولا"[٧].
قال الطبري:" قال موسى للسحرة: بل ألقوا أنتم ما معكم قبلي"[٨].
قال ابن كثير: "أي : أنتم أولا قبلي. والحكمة في هذا - والله أعلم - ليري الناس صنيعهم ويتأملوه ، فإذا فُرغ من بهرجهم ومحالهم ، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه ، فيكون أوقع في النفوس. وكذا كان"[٩].
قال السمعاني:" يعني: ابتدءوا أنتم بالإلقاء. فإن قال قائل: إلقاؤهم كان كفرا وسحرا، فهل يجوز أن يأمرهم موسى بالإلقاء الذي هو سحر وكفر؟ الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.
(٢) لطائف الإشارات:٤٦٥/٢.
(٣) الكشاف:١٤٠/٢.
(٤) الكشاف:٧٣/٣.
(٥) أخرجه الطبري:٣٣٥/١٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٢):ص١٥٣٥/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣١٦.
(٨) تفسير الطبري:٣٣٦/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣. وقال ابن كثير:٣٠٢/٥ أيضا:" أي : أنتم أولا ليُرى ماذا تصنعون من السحر ، وليظهر للناس جلية أمرهم".

هذا أمر بمعنى الخبر، ومعناه: إن كان إلقاؤكم عندكم حجة فألقوا، والثاني: أنه أمرهم بالإلقاء على قصد إبطال سحرهم بما يلقى من عصاه، وهذا جائز"[1].

قوله تعالى:{فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه : ٦٦]، أي:" فألقَوا حبالهم وعصيَّهم، فتخيل موسى مِن قوة سحرهم أنها حيات تسعى"[2].

قال السدي:" فألقوا حبالهم وعصيهم! وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا"[3].

قال وهب:" فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كلّ رجل منهم ما في يده من العصي والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الحبال، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا"[4].

قال ابن جريج:" كان السحرة ثلاث مئة من العريش، وثلاث مئة من فيوم، ويشكون في ثلاث مئة من الإسكندرية، فقالوا لموسى: إما أن تلقي ما معك قبلنا، وإما أن نلقي ما معنا قبلك"[5].

قال ابن عباس:" ألقوا حبالا غلاظًا طوالا وخشبًا طوالا قال: فأقبلت يخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى"[6].

قال القاسم بن أبي بزة: " القاسم بن أبي بزّة، قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف حبل، وسبعين ألف عصا، فألقى موسى عصاه، فإذا هي ثعبان مبين فاغر به فاه، فابتلع حبالهم وعصيهم {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا} عند ذلك، فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما، فعند ذلك: {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ}"[7].

قال ابن إسحاق:" صفّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه. وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمعَ، وفرعونُ في مجلسه مع أشراف مملكته، ثم قالت السحرة: {يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٥-٦٦] ، فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون، ثم أبصارَ الناس بعدُ. ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصيّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي يركبُ بعضها بعضًا {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}، [طه: ٦٧] ، وقال: والله إن كانت لعصيًّا في أيديهم، ولقد عادت حيات! وما تعدو عصايَ هذه! أو كما حدّث نفسه"[8].

وقرأ الحسن :«تُخَيَّلُ» بالتاء، بمعنى: تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى[9].

فوائد الآيات:[٦١-٦٦]:

١- حرمة الكذب على الله تعالى، وإنه ذنب عظيم يسبب دمار الكاذب وخسرانه.

٢- من مكر الإنسان وخداعه أن يحول القضية الدينية البحتة إلى سياسة خوفاً من التأثير على النفوس فتؤمن وتهتدي إلى الحق.

٣- ومن الفوائد مراعاة حسن الأدب، قال الرازي:" وفي الآية دقيقة أخرى وهي أن القوم راعوا حسن الأدب حيث قدموا موسى عليه السلام في الذكر، وقال أهل التصوف إنهم لما راعوا هذا الأدب لا جرم رزقهم الله تعالى الإيمان ببركة رعاية هذا الأدب"[1].

---

[1] تفسير السمعاني:٣٤١/٣.

[2] التفسير الميسر:٣١٦.

[3] أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص٢٧/١٢-٢٨.

[4] أخرجه الطبري:٣٣٦/١٨.

[5] أخرجه الطبري:٣٣٥/١٨.

[6] أخرجه الطبري(١٤٩٣٩):ص٢٨/١٣.

[7] أخرجه الطبري:٣٣٥/١٨، وانظر: المصدر نفسه(١٤٩٤١):ص٢٨/١٣.

[8] أخرجه الطبري(١٤٩٤٠):ص٢٨/١٣.

[9] انظر: تفسير الطبري:٣٣٦/١٨.

٤- تأثير السحر على أعين الناس حقيقة بحيث يرون الشيء على خلاف ما هو عليه إذ العصي والحبال استحالت في أعين الناس إلى حيات وثعابين.

وقد ثبت من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت:"سُحر رسول الله - ﷺ - حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله"[٢].

٥- معية الله تعالى لموسى وهارون تجلت في تصرفات موسى إذ الإذن لهم بالإلقاء أولا من الحكمة وذلك أن الذي يبقى في نفوس المتفرجين والنظارة هو المشهد الأخير والكلمة الأخيرة التي تقال لاسيما في موقف كهذا.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الثالث والعشرون من التفسير، ويليه الجزء الرابع والعشرون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٦٧) من سورة «طه».

---

[١] مفاتيح الغيب:١٤/:٣٣٤-٣٣٥.

[٢]متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب السحر برقم (٥٧٦٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب السحر برقم (٢١٨٩).